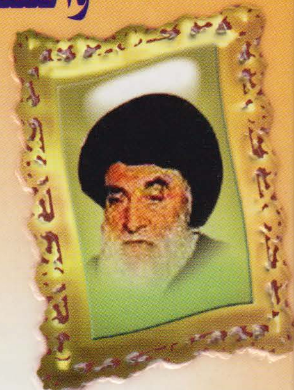
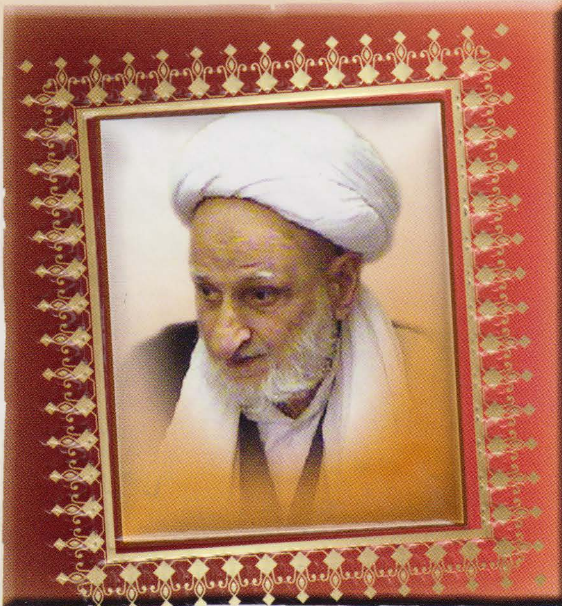
مدرسة العرفاء

إضاءات مشرقة في الحياة العملية والسلوكية والأخلاقية عند العرفاء

إبراهيم حسين سرور







الجزء الثاني





دار الكاتب العربي

مدرسة العرفاء

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار
الكاتب
العربي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠٣/٢٥٧٩٨٤ - فاكس: ٠١/٥٥٣٤٥٦ - ص.ب: ٢٥/٣٥٥ - غبيري - بيروت
Daralkatebalarabi@hotmail.com

إبراهيم حسين سرور

مدرسة العرفاء

إضاءات مشرقة في الحياة العملية السلوكية والأخلاقية عند العرفاء




بسم الله الرحمن الرحيم

سيرة حياة العالم الرباني
السيّد محمد حسين الطباطبائي
التبريزي (قدس سره)

سيرة حياة العلاّمة السيّد
محمد حسين الطباطبائي (قدس سره)

حياته:

ولد العلاّمة في التاسع والعشرين من ذي القعدة لسنة ألف وثلاثمائة وإحدى وعشرين هجرية. . . في قرية «شادگان» من توابع تبريز، ولأنّ والدته رحلت عن الدنيا أثناء وضع أخيه المرحوم السيّد محمد حسن الإلهي الطباطبائيّ وكان للمرحوم العلاّمة آنذاك خمس سنوات فيتّضح أنّ فرق السنّ بين الأخوين كان خمس سنوات.

بعد أن أنهى العلاّمة آية الله الطباطبائيّ رحمه الله عليه مدة تحصيلاته من المقدّمات والسطوح، عزم السفر إلى النجف الأشرف حيث كان يحضر لمدة عشر سنوات دروس الأساتذة أمثال آية الله الشيخ محمد حسين النائيني، وآية الله الشيخ محمد حسين الغرويّ الأصبهاني المشهور بالكمباني، وآية الله السيّد حسين بادكوبه اى وآية الله السيّد أبو الحسن الأصبهاني. وبعد أن نال مقام الاجتهاد في سنة ١٣٥٤ رجع إلى تبريز وبقي فيها عشر سنوات كان فيها مشغولاً بالتدريس. وفي سنة ١٣٦٥ هاجر إلى بلدة قم الطيّبة حيث كان مقيماً فيها.

يقول السيد محمد محسن الطهراني:

«كان **آية الله الطباطبائيّ** ـ فضلاً عن جامعيّته وتبحّره في العلوم ـ جامعاً بين العلم والعمل، ذلك العمل المنعكس عن الرشحات النفسية والصادر عن طهارة سرّه؛ وكان جامعاً بين العلوم والكمالات الفكرية وبين الوجدانيات والأذواق القلبية وبين الكمالات العملية والبدنية، وحقّاً لقد كان رجل الحقّ الذي تحقّق كلّ وجوده بالحقّ.

كان خطّه على نسق «نستعليق» أي نسخ التعليق، وهو خط فارسي معروف، وفي الخط الفارسي «شكسته» من أجمل وأفضل ما خطّه أساتذة فنّ الخطّ؛ ورغم أنه أُصيب في أواخر حياته بضعف الأعصاب وحصول الرجفة في يده، إلاّ أنَّ جوهر خطّه المنطلق من يد مرتعشة كان يحكي عن أُستاذه في هذا الفنّ.

وكان يقول: لقد حفظت بعض المقاطع التي كتبتها أيام شبابي، وعندما أنظر إليها أتعجّب منها وأتساءل: أهذا خطّي أنا؟

وكان للعلاّمة اطّلاع على العلوم الغريبة كالرَّمْل والجَفْر، ولكنّه لم يُرَ ممارساً لها قطّ؛ كما كانت له مهارة عجيبة في علم الأعداد وحساب الجمَل والأبجد وطرقه المختلفة.

وفي الجبر والمقابلة والهندسة الفضائية كانت له حصة وافرة، إضافة إلى الهندسة المسطّحة والرياضيات الاستدلاليّة، وكان أُستاذاً في علم الهيئة القديمة بحيث كان يمكنه استخراج التقويم بسهولة ويُسر. وكما ذكرنا فقد درّسنا دورة كاملة فيه، ولكن بما أنني درست الرياضيات (من الحساب والهندسة وعلم المثلّثات) في المدارس الحديثة إلى حدّ واف، فلم تكن هناك ضرورة لدراستها عنده».

يقول السيد محمد حسين الطهراني في مقام آخر:

وكان أُستاذنا قد درس علوم الرياضيات في النجف الأشرف عند السيّد أبي القاسم الخونساريّ، الذي كان من أشهر علماء الرياضيّات في عصره. وكان يقول: عندما كانت بعض المسائل الرياضية تشكّل على بعض الأساتذة في جامعة بغداد ويعجزون عن حلّها، كانوا يأتون إلى النجف عند أُستاذنا السيّد أبي القاسم فيحلّ لهم ما أبهم عليهم. وكان العلاّمة الطباطبائيّ أُستاذاً في الأدب العربي وعلم المعاني والبيان والبديع.

أمّا في الفقه والأُصول فقد كان أستاذاً صاحب ذوق فقهيّ متحرك قريب للواقع، وقد درس دورات عديدة في الفقه والأصول عند أساتذة كالمرحوم آية الله **الأصبهاني**، حيث استغرقت دراسته في هذا المجال حوالى عشر سنوات.

وأُستاذه الوحيد في الفلسفة هو، الحكيم المتألّه المعروف المرحوم السيّد **حسين بادكوبه اى**، وكان العلاّمة قد درس عنده، هو وأخوه آية الله الحاج محمد حسن الطباطبائيّ الإلهي لسنوات متمادية عندما كانا في النجف الأشرف، وقرءآ على يديه «الأسفار» و«الشفاء» و«المشاعر» وغيرها.

كان المرحوم الحكيم بادكوبه اى يولي العلاّمة اهتماماً خاصاً. وقد أمره أن يدرس الرياضيّات، لأجل رفع قدرته في الاستدلال والبرهان.

أما في المعارف الإلهيّة والأخلاق وفقه الحديث، فقد درس عند العارف الكبير **الحاج الميرزا علي القاضي** قدّس الله تربته الزكية؛ وقد تربّى على يدي هذا الأُستاذ الكامل في السير والسلوك والمجاهدات النفسانية والرياضات الشرعية.

بين العلاّمة وأحوال القاضي

وكان المرحوم القاضي من أبناء أعمال العلاّمة حيث عمل في النجف الأشرف على تربية التلامذة الإلهيين والصالحين والعاشقين للجمال الإلهي والمشتاقين للقاء وزيارة حضرة الأحديّة، حتى صار في هذا الفنّ العالم الوحيد؛ وكان العلاّمة يطلق لقب «الأُستاذ» عليه فقط، وعندما كان يقول «الأُستاذ» بدون قيد فهو يقصد المرحوم القاضي؛ وكأنّ جميع الأساتذة الآخرين يختفون أمام وجود ذلك المقام والعظمة العلميّة.

أما في المجالس العامّة، فإذا جاء الحديث عن أساتذته، فلم يكن يذكر اسم «القاضي» من شدّة الاحترام، ولم يكن يذكره إلى جانب البقية من الأساتذة، كما نلاحظ في المقالة الوجيزة التي كتبها عن حياته، ونشرت في مقدمة مجموعة المقالات والرسائل التي طبعت تحت عنوان «دراسات إسلامية» فلم يذكر اسم المرحوم القاضي إلى جانب الأساتذة.

كما لا نشاهد شيئاً عن إحيائه الليالي والعبادات والاعتكافات في مسجدي السهلة والكوفة؛ وهنا ذكر أنّه كثيراً ما كان يحدث أن تطلع عليه الشمس بعد الليل وهو مستغرق في المطالعة (وخاصّة في الربيع والصيف).

ومن الواضح أولاً: كم يكون الحديث عن العبادات وإحياء الليالي

بالتهجّد والذكر والفكر أمراً تافهاً ولا قيمة له، وخاصّة في مقال عام للناس، وبالأخصّ عن أُستاذ لم يقدم خطوة واحدة نحو الجاه والحظوة؛ وقد أحرق كلّ جذور حب الظهور والأنانية في وجوده.

ثانياً: في الوقت الذي يرى الأُستاذ أنَّ أحد الشروط الحتمية لطي طريق الله هو كتمان السرّ، كيف نتحمل أن يفشي عباداته المستحبّة التي هي سرّ بينه وبين ذات الحيّ القيّوم ليجعلها بمتناول أيدي الجميع؟! وهكذا أخفى سائر عباداته المستحبّة واللازمة مثلما استثنى الحديث عن صلاة الصبح في ذلك الكلام الوجيز.

بيد أنّه لم يكن ليبخل عن ذكر ذلك الرجل العظيم في المحلّ المناسب، بل كان يتحدّث عنه بتجليل وتكريم خاصّ، كما جاء في المقدمة التي كتبها على تعليقاته بعنوان «محاكمات» لرسائل العلَمَين: الكربلائيّ والكمبانيّ حيث يقول: «...وفي النهاية خضع (السيّد أحمد الكربلائي) لتربية المرحوم آية الحق وأُستاذ العصر، الشيخ الأكبر الآخوند **الملاّ حسين قلي الهمدانيّ** قدّس الله سره العزيز، ولازمه لسنوات عديدة، وأصبح من السابقين المتقدّمين؛ وفي النهاية دخل في زمرة التلامذة الأوائل الذين تربّوا على يديه؛ ووصل إلى المرتبة الراسخة والمقام الأمين.

فقد ولد سنة ١٣٢١هـ وتوفّي صباح الأحد الواقع في الثامن عشر من محرّم الحرام سنة ١٤٠٢هـ قبل الظهر بثلاث ساعات، (فعمره ٨١ سنة) كما في حياة الرسول الأكرمﷺ ووصيّه أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فقد عاش كلّ منهما ٦٣ سنة.

كان العلاّمة يقول:

عندما تشرّفت بالذهاب إلى النجف الأشرف للدراسة، كنت من حين

لآخر أزور المرحوم القاضي للقرابة والرَّحِميّة الموجودة بيننا، حتى جاء ذلك اليوم الذي كنت فيه واقفاً على باب المدرسة والتقيت به عابراً، فلمّا وصل إليّ وضع يده على كتفي وقال: «يا بني! إذا كنت تريد الدنيا فعليك بصلاة الليل؛ وإذا كنت تريد الآخرة فعليك بصلاة الليل!».

ولقد أثّر فيَّ هذا الكلام إلى الدرجة التي جعلتني لا أترك محضره طوال خمس سنوات حتى رجوعي إلى إيران؛ ولم أفرّط بلحظة واحدة استطعت فيها أن أستفيدُ من فيضه. وقد تأصّرت علاقاتنا منذ رجوعي إلى الوطن حتى رحيله، وكان يلقي عَليَّ تعاليمه وإرشاداته كأُستاذ مع تلميذه، وكنّا نراسل بعضنا البعض.

وكان العلاّمة يقول:

«إنّ كل ما عندنا هو من المرحوم القاضي». لقد كان المرحوم القاضي من المجتهدين العظام، ولكنّه كان ملتزماً بالتدريس في بيته؛ وقد درّس دورات عديدة في الفقه. وكان يقيم صلاة الجماعة بطلابه في بيته، فكانت صلاته في غاية السكينة وتستغرق وقتاً طويلاً. وبعد صلاة المغرب التي كان يقيمها عند أوّل استتار الشمس تحت الأُفق، كان يواظب على التعقيبات حتى وقت العشاء حيث يقوم للصلاة ليستغرق فيها طويلاً.

كان الطلاّب في شهر رمضان المبارك يأتون لإدراك صلاة المغرب جماعة معه، ولأنَّ البعض منهم لم يكن يصلّي قبل ذهاب الحمرة المشرقية من جهة الرأس، كانوا يطلبون منه أن يتمهّل قليلاً؛ وكان يقبل، ولكنّ السماور[1] كان مجهّزاً، فبمجرّد استتار القرص كان المرحوم يبادر إلى الإفطار.

---

(١) السماور، وعاء لغلي الماء: يستعمل عادة لإعداد الشاي. (م)

في الأيام العشرين الأُوَل من شهر رمضان، كانت الليالي تتحوّل إلى مجالس التعليم والأُنس؛ وكان الطلاّب يحضرون مجلسه بعد مرور أربع ساعات من الليل ليطول جلوسهم إلى ساعتين إضافيتين. أما في العشر الأواخر من الشهر، فقد كان المرحوم يوقف التدريس ويغيب عن الأنظار حتى آخر الشهر المبارك؛ ومهما كان الطلاّب يبحثون عنه في النجف وفي مسجد الكوفة وفي مسجد السهلة أو في كربلاء لم يكونوا ليعثروا له على أيّ أثر. وكان هذا نهج المرحوم طوال سنواته حتى رحيله.

لم يكن للمرحوم القاضي من نظير في اللغة العربية؛ ويقال: إنّه حفظ أربعين ألف كلمة. وكان ينشد الشعر العربيّ بطريقة لم يكن العرب يتصوّرون أنّه أعجميّ.

وروي أنه كان مع المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ عبد الله المامقانيّ رحمه الله في إحدى جلسات المباحثة، فقال له الشيخ: إنَّ لي تسلط على اللغة العربية وأشعارها بحيث أستطيع أن أميّز من ينشد الشعر العربيّ إذا كان عجمياً حتى ولو كان شعره في أعلى مستوى من الفصاحة والبلاغة.

فبدأ المرحوم القاضي يقرأ قصيدة لأحد الشعراء العرب، ثم أضاف بداهة عدة أبيات من تأليفه وقال له: أيّ الأبيات التي ليست للعرب؟ فلم يستطع تحديدها.

وكان للمرحوم القاضي باع طويل في تفسير القرآن الكريم ومعانيه، وكان أُستاذنا المرحوم العلاّمة الطباطبائيّ يقول: إنَّ هذا الأُسلوب الذي يفسّر الآية بالآية قد تعلّمناه من المرحوم القاضي ونحن ننهج نهجه في التفسير. أمّا بالنسبة لفهم معاني الروايات المنقولة عن الأئمّة

المعصومين عليهم السلام فقد كان يمتلك ذهناً وقّاداً ومعرفة واسعة، وقد تعلّمنا منه طريقة فهم الأحاديث التي يقال فيها: «فقه الحديث».

كيفية تربية المرحوم القاضي

كان المرحوم القاضي في تهذيب النفس والأخلاق والسير والسلوك في المعارف الإلهية، والواردات القلبيّة، والمكاشفات الغيبيّة السبحانيّة، والمشاهدات العينيّة، فريد عصره ووحيد دهره وسلمان زمانه وترجمان القرآن.

لقد كان كالطود الشامخ الذي حوى نبع الأسرار الإلهية، يقوم بتربية الطلاّب في هذا المجال. يتحلّقون حوله في المجالس الخاصّة التي كان يقيمها في منزله لأيام وكانوا يستمعون نصائحه ومواعظه وإرشاداته لساعة من الزمن.

وبِيُمْن تربيته في المراحل المختلفة، استطاع أفراد كثيرون أن يتقدّموا في مسير الحقيقة، ليصبحوا من أصحاب الكمالات والمقامات؛ ويدخلوا في الصالحين والأحرار والأطهار؛ ويتنوّروا بنور معرفة التوحيد، ويَرِدوا إلى الحرم الآمن، طاوين بساط عالم الكثرة والاعتبار.

ومن جملتهم أُستاذنا المعظم العلاّمة الطباطبائيّ وأخوه الفاضل آية الحقّ المرحوم الحاج السيّد محمد حسن الإلهي رحمة الله عليهما اللذان كانا رفيقين وشريكين في جميع المراحل والمنازل، كالفرقدين متلازمين، وحبيبين يتشاطران هموم الحياة.

ومنهم أيضاً **الحاج الشيخ محمد تقي الآملي، والحاج علي محمد البروجردي، والحاج علي أكبر المرندي، والحاج السيّد حسن المَسْقَطقيّ، والحاج السيّد أحمد الكشميري، والحاج الميرزا إبراهيم**

السيستاني، والحاج الشيخ علي القسّام، ووصيته المحترم الأُستاذ آية الله **الحاج الشيخ عباس هاتف القوچانيّ** الذين كان كل واحد منهم نجماً ساطعاً في سماء الفضيلة والتوحيد والمعرفة؛ شكر الله مساعيهم الجميلة.

أمّا المرحوم القاضي رضوان الله عليه فقد كان في أُمور المعرفة تلميذاً عند أبيه المرحوم آية الحق السيّد حسين القاضي الذي كان من أشهر تلامذة المرحوم المجدّد آية الله الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازيّ رحمة الله عليه، وهو تلميذ المرحوم آية الحق إمام قُلي النخجوانيّ، وهو تلميذ آية الحق السيّد قريش القزوينيّ.

ويروى أنَّ المرحوم السيّد حسين القاضي كان عندما همّ بالرجوع من سامراء إلى مسقط رأسه في آذربيجان، حضر عند المرحوم المجدّد لوداعه فأوصاه؛ وقدّم له نصيحة قائلاً: اجعل لنفسك في كل يوم ساعة واحدة!

لقد أصبح السيّد حسين في تبريز متوغّلاً في الأُمور الإلهيّة إلى الدرجة التي يُحكى فيها أنّه عندما سافر تجّار من تلك المدينة إلى سامراء وحضروا للقاء المرحوم الميرزا الشيرازي، سألهم عن أحوال السيّد القاضي؛ فقالوا له: إنَّ تلك الساعة التي نصحته بها قد سيطرت على جميع أوقاته؛ وهو لا يترك مناجاة ربّه في الليل والنهار.

ولكن، بما أنَّ المرحوم القاضي جاء إلى النجف فقد تعلّم وتربّى على يدي المرحوم آية الحقّ **السيّد أحمد الكربلائيّ الطهراني**، ليطوي الطريق تحت مراقبته.

وقد لازم المرحوم القاضي المرحوم العابد الزاهد والناسك، وحيد عصره **الحاج السيّد مرتضى الكشميري** رضوان الله عليه وصاحبه لسنوات

متمادية، ولم يكن ذلك تلمذة، بل ملازمة واستفادة من الأحوال ومشاهدة الحالات والواردات القلبية. وممّا لا شك فيه أنَّ هناك اختلافاً واسعاً بين هذين العظيمين في السلوك العرفاني.

فطريقة آية الحقّ السيّد أحمد الكربلائيّ في التربية هي طبق نظرية أُستاذه المرحوم الآخوند حسين قُلي الهمداني، وتقوم على أساس معرفة النفس. ولأجل الوصول إلى هذا المرام، كانوا يعتبرون المراقبة من أهمّ الأمور. وكان الآخوند تلميذاً لآية الحقّ والفقيه العظيم المرحوم **السيّد علي الشوشتريّ** الذي كان أُستاذ الشيخ مرتضى الأنصاريّ في الأخلاق وتلميذه في الفقه[١].

كان المرحوم القاضي يعطي توجيهاته وتعليماته الأخلاقية لكلّ واحد من تلاميذه بطريقة خاصّة طبق الموازين الشرعية مع رعاية الآداب الباطنية

(١) كان المرحوم الشيخ الأنصاري رحمة الله عليه قد أوصى أن يصلّي على جثمانه المرحوم السيّد علي الشوشتريّ. ولذا فقد صلّى عليه المرحوم الشوشتريّ بعد رحيله، وجلس على مسنده للتدريس. وتابع نفس الدروس التي كان يعطيها الشيخ إلى ستّة أشهر حتّى وافاه الأجل.
ينقل سماحة شيخ الفضلاء العظام آية الله الحاجّ ميرزا هاشم الآمليّ آدام الله أيّامه عن أُستاذه المرحوم آية الله الشيخ ضياء الدين العراقيّ رحمة الله عليه، عن أُستاذه المرحوم آية الله الآخوند ملاّ محمد كاظم الخراسانيّ رحمة الله عليه أنّه كان يقول: عندما كنّا نذهب لدرس الشيخ كان بين الحاضرين سيّد موقّر وصامت يجلس في الزاوية، ورغم أنَّ الكثير ومن تلامذة الشيخ كانوا يتكلمون خلال البحث إلاّ أنّه لم يكن يقول شيء أبداً. وكنّا نظنّ أنّه رجل غير بصير ولا فهمي، وقد حضر لأجل عظمة درس الشيخ فقط، ولذا يبقى صامتاً.
ولكن بعد رحلة الشيخ، فقد جلس مكانه وتابع نفس الدرس، وكنّا نتواجد في محضره، وعجباً ما رأينا... بحر زاخر.. في التحقيق، والتوفيق وسعة الاطّلاع، وقوّة الفكر ودقّة النظر!
لقد أدرك المرحوم الخراسانيّ درس الشيخ لمدة سنتين.

للأعمال وحضور القلب في الصلاة والإخلاص في الأفعال؛ وكان بذلك يعدّ قلوبهم لتلقّي إلهامات عالم الغيب.

وكان يمتلك حجرة في مسجد الكوفة وأُخرى في مسجد السهلة، وكان في بعض الليالي يبيت لوحده فيهما؛ ويوصي تلامذته أيضاً بأن يبيتوا بعض الليالي في مسجد الكوفة أو السهلة للعبادة.

وكان يوصي تلامذته بعدم الالتفات إلى ما يمكن أن يحدث أثناء الصلاة أو قراءة القرآن أو الذكر والتفكّر، من مشاهدة الصور الجمالية أو ظهور بعض الحالات الأُخرى لعالم الغيب؛ ويأمر بضرورة الاستمرار بالعمل! وكان **الأُستاذ العلاّمة** يقول: كنت جالساً ذات يوم في مسجد الكوفة مشغولاً بالذكر؛ وفي تلك الأثناء أقبلت حورية من حوريات الجنّة من جانبي الأيمن في يدها كأساً من شراب الجنّة وقدّمته لي وعرضت نفسها عَلَيَّ، وعندما أردت أن ألتفت إليها تذكّرت فجأة كلام الأُستاذ؛ ولهذا أعرضت ببصري عنها، فقامت وأتتني من الجانب الأيسر، وكرّرت الإعراض عنها بلطف ولم أعتني بها، ورجعت إلى نفسي؛ فتألّمت تلك الحوريّة وذهبت.

وإلى الآن كلما تذكرت ذلك المشهد أتأثّر من تألّم تلك الحورية.

كان المرحوم القاضي آية رائدة في العمل؛ ويروي أهل النجف عنه خصوصاً أهل العلم منهم قصصاً عديدة، فقد كان يعيش في منتهى الفقر والفاقة مع عائلة كبيرة جداً. لكنّه كان غارقاً في بحر التوكّل والتسليم والتفويض والتوحيد إلى الدرجة التي لم تخرجه هذه العائلة عن مسيره بقدر شعرة واحدة.

وقد ذكر لنا أحد أصدقائنا النجفيين، وهو حالياً من أعلامها، أنّه كان ذاهباً في أحد الأيام إلى دكّان الخضار؛ فرأى المرحوم القاضي

منحنياً يفتش بين الخسّ؛ ولكن ـ خلافاً للمعهود ـ كان يأخذ تلك الذابلة ذات الأوراق الخشنة والكبيرة.

يقول: وكنت أُراقبه بدقّة؛ حتى أعطاها إلى البائع فوزنها ثم دفع الحساب، ووضع الخسّ تحت عباءته وخرج.

وفي ذلك الوقت كنت طالباً فتياً والمرحوم القاضي رجلاً مسناً، وغدوت وراءه لأسأله: سيدي أنت قد أخذت هذا الخسّ الرديء، بعكس ما يفعله الجميع؟

فقال لي: يا عزيزي! إنَّ هذا البائع فقير مسكين، وأنا أُساعده من حين إلى حين آخر؛ ولا أُريد أن أعطيه شيئاً بدون عوض لكي لا يهدر ماء وجهه وعزّته وكرامته أولاً؛ ولئلا يعتاد لا سمح الله على الأخذ المجاني، فيكسل عن الكسب والتحصيل ثانياً؛ وبالنسبة لنا لا يوجد فرق فيما لو أكلنا الخس الطري والصغير أو هذا الخسّ، وكنت أعلم أنَّ أحداً لن يشتريها، وعند حلول الظهر سوف يغلق محلّه[1] ويعود، فبادرت لشرائها لكي أمنع عنه الضرر.

أما نسب أُستاذنا العلاّمة فإنه من جهة الأب يعود إلى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وهو من سلالة إبراهيم بن إسماعيل الديباج.

ومن جهة الأُمّ من أولاد الإمام الحسين عليه السلام. ولهذا نجده في آخر كتبه التي ألّفها في شاد آباد تبريز يختم الكلام بالتوقيع التالي: «السيّد محمد حسين الحسنيّ الحسينيّ الطباطبائيّ».

فهو: السيّد محمد حسين بن السيّد محمد، بن السيّد محمد

---

(١) يعمد الباعة في النجف الأشرف ظهراً إلى إغلاق دكاكينهم آخر الربيع وفي الصيف لشدّة الحرّ.

حسين[١]، بن السيّد علي الأصغر، بن السيّد محمد تقي القاضي، بن الميرزا محمد القاضي، بن الميرزا محمد علي القاضي، بن الميرزا صدر الدين محمد، بن الميرزا يوسف نقيب الأشراف، بن الميرزا صدر الدين محمد، بن مجد الدين، بن السيّد إسماعيل بن الأمير علي أكبر، بن الأمير عبد الوهّاب[٢] بن الأمير عبد الغفّار، بن السيّد عماد الدين أمير

---

(١) آية الله الحاج السيّد محمد علي القاضي الطباطبائيّ رحمة الله عليه (وهو ابن عمّ أستاذنا السيّد العلاّمة، في ص ٢٢٥ ضمن تعليقة له على كتاب «جنّة المأوى» لكاشف الغطاء قائلاً: هناك رسالة مستقلّة في مسألة البداء لعمّنا العلاّمة المجتهد الأكبر السيّد ميرزا محمود شيخ الإسلام قد سمّاها باسم «إبداء البداء» وقد طبعت سنة ١٣٠٢ هجرية قمرية في طهران مع رسالة «مسائل الدعاء» التي هي أيضاً من تأليفه.

وقد أورد العلاّمة الكبير الحاج الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ رحمة الله عليه في «الذريعة» ج ١، ص ٦٤، تحت عنوان «الأبد» الرقم ٣١١: أنّ «إبداء البداء» ف ي حقيقة القضاء والقدر وتحقيق مسألة البداء التي طبعت هي من تأليف السيّد الأجلّ الحاجّ ميرزا محمود بن شيخ الإسلام الميرزا علي أصغر الطباطبائيّ التبريزيّ المتوفيّ بالوباء في مكّة المعظّمة سنة ١٣١٠.

ويستنتج من كلام هذين العلمين أنّ مؤلّف كتاب «إبداء البداء» هو شقيق المرحوم السيّد محمد حسين وهو جدّ الأستاذ السيّد العلاّمة الطباطبائيّ قدّس الله سره، أي شقيق جدّه الذي هو عمّ أبيه.

(٢) آية الله الحاج السيّد محمد علي القاضي الطباطبائيّ رضوان الله عليه، ابن عمّ الأُستاذ السيّد العلاّمة الطباطبائيّ قدّس الله تربته الزكيّة، وهو من الشخصيات العلمية وله معرفة سابقة بالحقير، حيث كنّا معاً في مرحلة واحدة في حوزة قم والنجف العلمية، وهو رجل محقّق وصاحب تصنيفات نفيسة وممتعة، وقد كتب في تعليقته على كتاب «الفردوس الأعلى» من تصنيف آية الله الحاج الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء رضوان الله عليه ص ٦٥: الشاه إسماعيل بن السلطان حيدر الموسوي الصفوي من كبار سلاطين الشيعة الإمامية المتولّد سنة ٨٩٢ هجريّة. أُمّه هي ابنة جدّنا: السلطان حسن بيك آق قوينلو المعروف بأوزن الحسن، ولأنّ والد الشاه إسماعيل: حيدر كان ابن أُخت حسن بيك وصهره زوج ابنته أيضاً...

وكذلك جدّنا الفقيه المعروف والمشهور «شيخ الإسلام» الشهيد في أعماق السجون وظلمات السراديب الأمير عبد الوهّاب الحسين الطباطبائيّ قدّس الله سره كان هو

الحاج بن فخر الدين حسن، بن كمال الدين محمد، بن السيّد حسن، بن شهاب الدين عليّ، بن أبي الحسن محمد، بن أبي عبد الله أحمد، بن محمد الأصغر (المعروف بابن خزاعيّة) بن أبي عبد الله أحمد، بن إبراهيم الطباطبائيّ، بن إسماعيل الديباج، بن إبراهيم الغَمْر، بن الحسن المثنّى، بن الإمام أبي محمد الحسنالمجتبى، بن الإمام الهمّام عليّ بن أبي طالب عليه وعليهم السلام.

ولأنَّ أُمّ إبراهيم الغَمْر هي فاطمة بنت الإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام، لهذا فإنَّ السادة الطباطبائيين الذين يرجعون إلى إبراهيم الطباطبائيّ الذي هو حفيد إبراهيم الغَمْر، جميعهم حسينيّون من جهة الأُمّ.

أما المرحوم السيّد القاضي رضوان الله عليه، فهو ابن السيّد ميرزا حسين القاضي، بن الميرزا أحمد القاضي، بن الميرزا رحيم القاضي، بن الميرزا تقي القاضي؛ وهو الجدّ الثالث للمرحوم. وكذلك الجدّ الثالث للعلاّمة الطباطبائيّ، وهكذا يعلم نسبه أيضاً.

في سنّ الواحد والعشرين صحّح المرحوم السيّد القاضي كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد (سنة ١٣٠٦هـ) وكتب بخطّ محمد بن حسين التبريزيّ في السابع عشر من شهر ربيع سنة ١٣٠٨ ليطبع بعد ذلك. وقد كتب المرحوم في آخره سلسلة نسبه الشريف بنفس الطريقة التي أوردناها هنا، وصولاً إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

الآخر صهر حسن بيك... ويمكن الحصول على تفصيل هذه المطالب في كتابنا «عائلة عبد الوهّاب» ـ انتهى.

ويمكن الإفادة من هذا بأنَّ نسب الأمير «عبد الوهّاب» يكون في السلسلة الثالثة عشر من أجداد السيّد العلاّمة الطباطبائيّ... وقد كان عديل السلطان حيدر والد الشاه إسماعيل... وأولادهما الأمير علي أكبر والشاه إسماعيل يكونان أولاد خاله بعضهما البعض. (السيد الطهراني).

وقد سألت أُستاذي المعظّم العلاّمة الطباطبائيّ عن تصحيح إرشاد المفيد بقلم المرحوم القاضي والطبعة المصحّحة له وسلسلة نسبه فأيّد كلّ ذلك؛ وأضاف: «أنَّ المرحوم الميرزا السيّد تقي الطباطبائيّ القاضي، هو جدنا الثالث معاً، ومن بعده نشترك في السنب الواحد.

كان آباء وأجداد العلاّمة من العلماء الأعلام حتى الجدّ الرابع عشر. وكان الجدّ السادس المعروف بالسيّد الميرزا محمد علي القاضي قاضي القضاة في منطقة في آذربيجان، وقد وَسِعَ علمه وفقهه وقضاؤه كافّة المنطقة؛ وعلى هذا الأساس لقّب بالقاضي، وانتقل هذا اللقب إلى أولاده من بعده.

لقد فقد **العلاّمة الطباطبائيّ** أُمّه في السنة الخامسة من عمره، ولم يصل إلى السنة التاسعة حتى فقد أباه أيضاً؛ ولم يكن له منهما إلاّ أخ واحد هو **السيّد محمد حسن**.

وحفاظاً علي حياتهما من التداعي، تابع وصيّهما رعايتهما كسابق الحال؛ واستخدم لأجل ذلك خادماً وخادمة، وأشرفا بشكل مستمر على أُمورهما بدقّة. حتى كبرا وأنهيا دراستهما الابتدائية وتابعا دراسة المقدمات في تبريز؛ وحصل كل واحد منهما على قدرة فائقة وفنّ رائق في الخطّ.

كان المرحوم العلاّمة يقول: كنت أخرج في أغلب الأيام أنا وأخي من تبريز إلى سفوح الجبال والتلال الخضراء، لنتسلّى بكتابة الخطّ من الصباح إلى الغروب، ومن بعدها هاجرنا سوياً إلى النجف الأشرف.

وفي جميع المراحل وطي المنازل العلمية والعمليّة، لم يفارق أحدهما الآخر، وبقيا معاً رفيقين شفيقين في السرّاء والضرّاء، كأنهما حقاً روح واحدة في جسدين.

كان آية الله الحاج السيّد محمد حسن الطباطبائيّ يشبه أخاه من جميع

الجوانب: في نهجه ومسلكه، وسعة صدره وعلوّ همّته، وحياته العرفانية المليئة بالزهد الحقيقيّ، والبُعد عن أبناء الزمان وأهل الدنيا مقرونة بالتفكّر والتأمّل، والإدراك والبصيرة، والتعلّق بحضرة الأحديّة، والأُنس والأُلفة في زوايا الخلوات.

ومن جهة أُخرى فقد عُرف بقدرته الفكرية الواسعة، وعشقه للشرع المطهّر وأهل بيت العصمة، والإيثار والتجاوز والصبر على نهجهم؛ وإعلاء كلمة الحقّ، وخدمة الفقراء والمستضعفين، كان أُنموذجاً بارزاً مشهوراً في أنحاء تبريز وآذربيجان؛ وكانت قداسته وطهارته موضع حديث الخاص والعام في تلك المنطقة.

وحقّاً، ما أجمل أن يقال بشأن هذين الأخوين ما أنشده أبو العلاء المعرّي بحق السيّد المرتضى وأخيه الرضيّ، في قصيدته الطويلة في رثاء والدهما:

أَبْقَيْتَ فِينَا كَوْكَبَيْنِ سَنَاهُمَا
فِي الصُّبْحِ وَالظَّلْمَاءِ لَيسَ بِخَافِ
مُتَأَنِّقَيْنِ وَفِي المَكَارِمِ أَرْتَعَا
مُتَأَلِّقَيْنِ بِسُؤْدَدٍ وَعَفَافِ
قَدَرَيْنِ فِي الإرْدَاءِ بَلْ مَطَرَيْنِ
فِي الإجْدَاءِ بَلْ قَمَرَيْنِ فِي الإسْدَافِ
رُزِقَا العَلاَءَ فَأَهْلُ نَجْدٍ كُلَّمَا
نَطَقَا الفَصَاحَةَ مِثْلُ أَهْلِ دِيَافِ
سَاوَى الرَّضِيُّ المُرْتَضَى وَتَقَاسَمَا
خِطَطَ العُلاَ بِتَنَاصُفٍ وَتَصَافِ[1]

(١) «شرح التنوير» لـ «سقط الزند» لأبي العلاء المعرّي، ج ٢، ص ٦٢، طبعة بولاق.

وقد أمضى كلّ منهما عشرة سنوات في النجف الأشرف، منشغلين في تحصيل الكمال؛ واشتركا معاً في الدروس الفقهية والأُصولية، والفلسفية والعرفانية والرياضية.

وبسبب ضيق المعيشة، وعدم وصول الراتب المقرّر من مزروعاتهما في تبريز اضطرّا للرجوع إلى إيران والاشتغال بالزراعة والفلاحة لمدة عشر سنوات في قرية شاد آباد التبريزية حتى تحسّنت أوضاع الزراعة، فهاجر الأُستاذ العلاّمة إلى قم لحفظ عقائد الطلاّب من هجمات الحوادث، أمّا أخوه فقد اختار تبريز مسكناً له وانصرف إلى التدريس. وفي حوزة تبريز قام آية الله الحاج السيّد محمد حسن الإلهيّ بتدريس الفلسفة من «الشفاء» و«الأسفار» وسائر مؤلّفات الملاّ صدرا، وفي بعض الأحيان كان يأخذ بيد عاشقي طريق الله؛ ويقودهم إلى منزل المقصود.

لقد كان بدوره إنساناً بعيداً كلّ البعد ن التكلّف، متواضعاً وخلوقاً، تملأ قلبه الأسرار الإلهية، عالماً بالضمائر، ومربٍّ عظيم. كان أُستاذنا يمدتحه كثيراً، ويظهر تعلّقاً شديداً وحبّاً جماً له، وكان يقول: عندما كنّا في النجف الأشرف حصلنا على نسخة خطّية لمنطق «الشفاء» لابن سينا لم تكن قد طبعت بعد، فنسخناها معاً.

ويقول: ألَّف أخي كتاباً حول تأثير الصوت وكيفية الأنغام وأثرها على الروح، وأثر المناغاة على الأطفال وحملهم على النوم، وبعض أسرار علم الموسيقى، والروابط المعنوية للروح والصوت وحركته في الأُذن، وكانت رسالة نفيسة بحقّ، لم يسبق لها مثيل في عالم اليوم، وبديعة في جميع الجهات، لكنّه خشي بعد إنهائها من أن تقع بيد غير أهلها وبيد حكّام الجور فيستغلّوها، ولهذا لجأ إلى إتلافها.

لم أُوفّق لرؤيته، رغم أنه سكن في قم لمدة سنة تقريباً، ولكنَّ تلك

الفترة كانت فترة إقامتي في النجف الأشرف لطلب العلم؛ وعندما رجعت كان قد عاد إلى تبريز، ولم تمض بضع سنوات حتى رحل إلى الرفيق الأعلى.

وقد شيّعت جنازته في قم حيث وُري الثرى في جوار مرقد المعصومة المطهّر في المقبرة المعروفة بـ «أَبُو حُسَيْن» قرب الجسر الحديديّ المعروف بجسر «آهنچي» وقد ترك رحيله أثراً في نفس أُستاذنا وأدّى إلى نشوء أو اشتداد ضعف قلبه وأعصابه.

والسبب الآخر الذي ترك أثراً عميقاً في نفسه كان الذبحة القلبية التي أصابت زوجته وأودت بحياتها. وكانت محبّتها ومودّتها قد امتزجت فيه كما يذوب السكّر بالحليب. فالحياة السعيدة التي كانت مبنية على الصفاء والمحبّة والوفاء قد تحطّمت، وكما هو ظاهر من جوابه على رسالة التعزية التي كتبها هذا الحقير؛ ومع أنّه كرّر الحمد لله ولله الحمد عدة مرات، فقد كتب يقول: لكن برحيلها شطر خطّ البطلان للحياة السعيدة والهادئة التي عشت معها.

وهذه السيدة المؤمنة هي أيضاً من عائلة السادة الأطهار، ومن بنات أعمامه، وهي ابنة المرحوم آية الله الحاج الميرزا مهدي التبريزيّ الذي كان مع إخوته الخمسة: السيّد الميرزا محمد آقا، والسيّد الحاج الميرزا علي أصغر آقار، والسيّد الحاج الميرزا كاظم آقا (صهر مظفّر الدين شاه) والسيّد الحاج الميرزا رضا، وأخ آخر من العلماء وأبناء المرحوم آية الله الحاج الميرزا يوسف التبريزيّ[1].

(١) اسم تلك المرحومة قمر السادات، واسم شهرتها المهدويّ، لأنَّ والدها كان الحاجّ الميرزا مهدي آقا المعروف بالهدويّ... وقد توفّيت تلك المرحومة ليلة الأربعاء في السابع والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة ١٣٨٤.

وكان يقول: عيالي كانت سيدة مؤمنة وعظيمة، وعندما تشرّفت بزيارة النجف الأشرف لتحصيل العلم كانت برفقتي، وكنّا أيام عاشوراء نذهب إلى كربلاء للزيارة، وعندما انتهت مدّة تحصيلي رجعنا إلى تبريز؛ ذات يوم كانت جالسة في البيت ومشغولة بزيارة عاشوراء وكما قالت:

أحسست فجأة أنَّ قلبي انكَسَرَ؛ وقلت لنفسي عشر سنوات كنّا إلى جانب المرقد المطهّر لحضرة الإمام أبي عبد الله الحسين في عاشوراء؛ والآن لقد أصبحنا محرومين من هذا الفيض. وفجأة وجدت نفسي في الحرم المطهّر في زاويته مقابل الضريح المطهّر أقرأ الزيارة. وخصوصيات الحرم كما هي؛ ولأنّه يوم عاشوراء، والناس عادة تذهب لرؤية مواكب العزاء التي تُقام مقابل الضريح وسائر الشهداء، كان بعض الأشخاص واقفوان للزيارة مع بعض الخدم. وعندما انتبهت، وجدت نفسي جالسة في البيت، أقرأ بقيّة الزيارة!

نعم، هذه السيّدة العظيمة مدفونة كذلك في جوار السيّدة المعصومة سلام الله عليها في مقبرة آية الله الحائري اليزيدي في الجانب الأيسر من الجناح الملحق، في إحدى المواقع الخاصّة بالعوائل.

وكان أُستاذنا يزور هذه المخدّرة أولاً ثم أخاه ـ ضمن زيارة أهل القبور ـ كلّ عصر خميس بدون انقطاع.

* * *

النهج العلمي: كان العلاّمة مفكراً عميقاً؛ لم يكن ليمرّ على المطالب العلمية بسهولة؛ فإذا لم يصل إلى عمق المطلب ويكشف جميع جوانبه لم يكن يرفع عنه أبداً.

وفي العديد من المرّات عندما كان يُسأل سؤالاً بسيطاً في مسألة

فلسفيّة أو تفسيرية أو روائيّة بحيث يمكن الإجابة عنها بعدّة كلمات مباشرة وينهي الموضوع؛ كان يسكت ويتأمّل ملياً ثم يبدأ بتقديم الاحتمالات وعرض جوانب القضية وما قيل، فيكون ذلك عبارة عن درس تعليمي.

لم يكن ليخرج عن دائرة البرهان في الأبحاث الفلسفيّة؛ وكان يفصّل جيداً بين المغالطة والجدال، والخطابة والشعر، وبين القياسات البرهانيّة، لا يرفع يده إلاّ بعد انتهاء القضية بأوّلياتها ونظائرها. ولم يخلط أبداً بين المسائل الفلسفية والمسائل الشهودية والعرفانية والذوقيّة ولا يُدخل أيّة مسألة شهودية حين التدريس في المسائل الفلسفية؛ وبذلك كان يختلف عن صدر المتألّهين وعن الحكيم السبزواريّ بشكل عام.

وكان يودّ كثيراً أن ينحصر البحث في كلّ فرع من العلوم حول مسائل ذلك العلم وعن موضوعاته وأحكامه؛ دون الخلط بين العلوم. وكان ينزعج كثيراً من الذين يمزجون الفلسفة بالتفسير والأخبار؛ فإذا لم ينجحوا في البرهان وعجزوا عن الخروج من المسألة اعتمدوا على الروايات والتفسير في محاولة لإتمام برهانهم.

كان العلاّمة يمجّد ذكر المرحوم **الملاّ حسن الفيض القاسانيّ**، ويقول عنه: إنَّه رجل جامع للعلوم، أو يندر أن نجد مثيلاً له في الجامعية داخل العالم الإسلاميّ؛ ومع ملاحظة أنه كان يرد في كلّ علم بصورة مستقلّة ولا يخلط بين أيّ واحد منها.

ففي تفاسيره «**الصافي**» و«**الأصفى**» و«**المصفّى**» التي تنحو نحواً تفسيرياً روائياً، لم يدخل أبداً في المسائل الفلسفية والعرفانية والشهودية. والذي يطالع كتابه المسمّى بـ «**الوافي**» في الأخبار، يراه واحداً من الأخباريّين الذين لم يدرسوا الفلسفة أبداً. وهكذا كان في كتبه العرفانية

والذوقيّة لا يميد عن هذا النهج أبداً؛ ولا يخرج عن الموضوع بتاتاً. هذا، رغم أنّه كان أُستاذاً في الفلسفة وأحد أبرز تلامذة صدر المتألّهين.

كان أُستاذنا يجلّل ابن سينا ويعتبره أقوى من صدر المتألّهين في فنّ البرهان والاستدلال الفلسفيّة. ولكنّه كان معجباً جداً بصدر المتألّهين ومنهجه الفلسفيّ في هدم الفلسفة اليونانية، والإتيان بأُسلوب جديد وحديث كـ **أصالة الوجود والوحدة والتشكيك في الوجود**، وإيجاد مسائل جديدة كقضية **إمكان الأشرف، واتّحاد العاقل والمعقول، والحركة الجوهرية، والحدوث الزمانيّ** للعالم على هذا الأصل، وقاعدة «**بسيط الحقيقة كلّ الأشياء**» ونظائرها.

كان العلاّمة الطباطبائي يرى فلسفة صدر المتألّهين أقرب للواقع. وكان يقدّر خدمته لعالم العلم والفلسفة غاية التقدير، بسبب زيادة عدد المسائل الفلسفيّة. (فقد رفع عددها من مائتي إلى سبعمائة مسألة).

وكان يشيد بصدر المتألّهين كثيراً، لأنّه لم يندفع نحو المدرسة المشّائية فقط؛ بل جمع بين الفلسفة الفكرية الذهنية والإشراق الباطنيّ والشهود القلبيّ، وطبّقهما على الشرع الأنور.

وقد أثبت صدر المتألّهين في كتبه كـ «الأسفار الأربعة» و«المبدأ والمعاد» و«العرشيّة» والعديد من الرسائل الأُخرى عدم وجود الاختلاف بين الشرع (الذي يحكي عن الواقع) وبين المنهج الفكريّ، والشهود الوجدانيّ؛ وأنَّ هذه الينابيع الثلاثة تنبع من منبع واحد؛ وكلّ واحد يؤيّد الآخر ويعضده.

وكانت هذه أعظم خدمة قدّمها هذا الفيلسوف إلى عالم الوجدان وعالم الفلسفة وعالم الشرع. ولم يغلق باباً من أبواب الدخول أمام

المؤهّلين لنيل الكمال، وقبول الفيوضات الربانية، بل فتح أمامهم جميع السبل المؤدّية. ومع أنَّ أساس وجذور هذه النظرية مشهودة في كلمات المعلّم الثاني **أبو نصر الفارابيّ، وابن سينا، وشيخ الإشراق، والخواجة نصير الدين الطوسيّ وشمس الدين بن تُركة**، ولكنّ الذي نجح في أداء هذا الأمر المهم بحيث أوصله المقصود إلى نهايته بأُسلوب بديع وطريقة رفيعة، هو هذا الفيلسوف صاحب القلب الحيّ والمتشرّع العظيم[1].

كان الأُستاذ المرحوم يعتقد أنَّ صدر المتألهين قد أخرج الفلسفة من الضياع والاندراس، ونفخ فيها روحاً جديدة؛ ولهذا يمكن عدّة محي الفلسفة الإسلامية.

وإذا تجاوزنا كل ما سبق فإنَّ العلامة كان كثيراً ما يشيد بمقام الزهد وترك الدنيا، ومنهج التعلّق بالله، وتصفية الباطن، والرياضات الشرعية، والعزلة التي كان ينهجها صدر المتألّهين؛ وكان يمدح طريقته في تصفية السرّ وإيلائه الاهتمام الأكبر لطهارة النفس في «كَهَك»[2] قم.

وكان يعتقد: أنَّ أغلب الإشكالات التي كانت ترد على صدر المتألّهين وفلسفته، تعود إلى عدم الفهم وعدم الوصول إلى إدراك لُب المسائل التي كان يطرحها. ومع أنّه كان يملك بعض التعليقات على بعض استدلالته؛ ولكنّه بشكل عام كان يعتبره مجدد الفلسفة الإسلامية، وأحد فلاسفة الطراز الأول في الإسلام **كابن سينا والفارابيّ** وكان يعتبر **الخواجة**

---

(١) من جملة ما تفرّد به صدر المتألّهين في الفلسفة، هو القول بالوحدة الصرفة لذات الحقّ الأقدسيّة، وامتلاك العلّة للعلم الحضوري بمعلولها. وكان ابن سينا قد صرّح في كتاب «الشفاء» بالوحدة العددية للحقّ، واعتبر أنَّ علم ذات الحقّ بالموجودات علم حصوليّ حضوريّ. وقد أبطل صدر المتألّهين أدلّة ابن سينا في هاتين المسألتين اللتين تعدّان من أهمّ المسائل العقائدية.

(٢) كهك قم: إحدى قرى مدينة قم الطيّبة. (م).

نصير الدين وبَهْمَنْيار وابن رشد وابن تُركة من فلاسفة الدرجة الثانية.

وكان أيضاً يعتقد: بالوجود التشكيكي في أبحاث الوجود، وكان يؤمن بالوحدة التي ينادي بها العرفاء، ولا يراها منافية للتشكيك؛ بل هي في الدرجة العليا والمقام الأرفع من التشكيك عند العارف؛ لأنه بوجود التشكيك يجد الوحدة.

وقد درّس في الحوزة العلمية لمدينة قم عدة دورات في الفلسفة سواء من «الأسفار» أم «الشفاء» حتى عُدَّ الفيلسوف الأوحد في عالم الإسلام. وفي السنوات الأخيرة قام بتدريس بعض الطلاّب الخواصّ دورة في مستوى بحث الخارج في الفلسفة، وكانت ثمرتها إعداد كتابي: «بداية الحكمة» و«نهاية الحكمة» اللذين طبعا ونشرا ليستفيد منهما الجميع.

ولم يكن الصديق والعدوّ ليختلف على أنه الأخصّائي الوحيد في الفلسفة الشرقية في كلّ العالم.

ويقال: إنَّ أمريكا قد عرفته قبل ثلاثين سنة أفضل ممّا عرفه الإيرانيون؛ ولأجل إحضاره إلى أمريكا لتدريس الفلسفة الشرقية، طلبت من شاه إيران الطاغوتيّ (محمد رضا) ذلك، وقد طلب الشاه من حضرة آية الله العظمى البروجرديّ رضون الله عليه أن يقنعه بذلك، فحدّثه به؛ ولكنَّ العلاّمة لم يقبل.

وقد كان العلاّمة، وخلافاً لاعتقاد الكُثُر الذين يرون أهميّة الاطّلاع الشامل للطلاّب على أخبار وروايات الأئمّة الأطهار عليهم السلام في البداية قبل الدخول في الفلسفة، فقد كان يقول: إنَّ هذا الاعتقاد كمن يقول **كَفَانَا كِتَابُ اللَّهِ**. فرواياتنا مشحونة بالمسائل العقلية العميقة والدقيقة التي تستند إلى البرهان الفلسفيّ والعقليّ؛ وبدون معرفة الفلسفة والمنطق وإدراك طريق البرهان والقياس الذي ينمّي العقل، كيف يمكن للإنسان أن يلج

هذا البحر العظيم للروايات؟ وكيف يصل إلى اليقين والثبات في الأُمور العقائدية بدون التقليد والشكّ فيها؟ إنَّ الروايات والأحاديث الواردة عن الأئمة المعصومين لا تشبه الروايات الموجودة عند أهل السُنّة، أو غيره من الفِرَق والمذاهب والأديان، التي يمكن فهمها عند العامة.

ولكنَّ الأئمة عليهم السلام كان لديهم تلامذة مختلفون، وبيانات متفاوتة؛ فبعضها بسيط وقابل للفهم لدى العامّة؛ وأغلب ما ورد في أُصول العقائد ومسائل التوحيد مشكل وغامض، وكان مختصّاً بأصحابهم الذين كانوا من أهل الاستدلال والمناظرة؛ وكان الأصحاب بعدها يدخلون مع الخصوم في الأبحاث على أساس ترتيب القياسات البرهانية. فكيف يمكن الوصول إلى اليقين بدون الاعتماد على العقل والمسائل العقليّة. وترتيب القياسات الاقترانية والاستثنائيّة؟

ومن باب المثال والنموذج نستحضر هنا أحد تلك الأبحاث المتعلّقة **بتوحيد ذات الحقّ عزّ وجلّ**:

إحدى المسائل الإسلامية المهمة التي تميّز هذا الدين عن غيره من المذاهب والمدارس، هي مسألة التوحيد؛ التي هي في عين الواقعيّة، غامضة إلى الدرجة التي يصعب على سائر الأُمم والمدارس فهمها؛ مع أنَّ كلّ ما قالوه وكتبوه، وكلّ ما حقّقه مفكّروهم؛ يكشف الاعتراف الإجماليّ بالتوحيد؛ فمع ذلك لم يخطُ الإلهيون منهم والدينيّون خطوة واحدة أبعد من التوحيد العددي لذات الحضرة الأحديّة المقدّسة.

وهذه المسألة من أهم قضايا القرآن الكريم؛ بل هي أُسُّ وأساس معارف القرآن وإحدى تجلّيات أصالته، وهي المبيِّنة لجميع المعارف والأخلاق والأحكام الموجودة فيه. وعلى هذا الأصل قام التحدّي القرآني لجميع الأديان والمذاهب، والدعوة إلى البحث والمحاجّة في

مسألة وحدة ذات الحقّ، ولم تكن هذه المواجهة مختصّة بالوثنيين والثنويّين والمشركين والماديين والطبيعيين، بل شملت كلّ الأديان السماوية التي تعرضت للتحريف؛ وجعلت مسألة أصالة التوحيد تظهر بشكل محرّف وممسوخ.

إنَّ وحدة ذات الحق عزّ وجلّ ليست وحدة عددية، بل هي **وحدة بالصرافة.** فهو صرف الوجود ومَحضه؛ ومع تصوّر مثل هذه الوحدة لا يمكن تصوّر وجود آخر مماثل له.

وبالطبع فإنَّ الوجود الذي يكون صرفاً ومحضاً، لا حدّ له ولا نهاية في الأزل وإلى الأبد، ذاتاً وصفة، شدة وكثرة وسَعَة؛ بحيث إنه لو فرض وجود آخر في أيّة مرحلة لن يكون داخلاً في ذلك الوجود الصرف، وبناء عليه لن يكون لغرض الغيرية والبينونة والاستقلال أي معنى؛ **وكُلَّما فَرَضْتَهُ ثَانِياً عَادَ أَوَّلاً.** ولهذا يوجد رواية تقول: **وَاحِدٌ لاَ بِعَدَدٍ، قَائِمٌ لاَ بِعَمَدٍ.**

إنَّ هذه الحقيقة تظهر في جميع أنحاء القرآن الكريم بشكل واضح، والتعليم القرآني ينفي جميع أقسام الوحدة العددية والجنسية والنوعية عن الذات المقدّسة، ويحارب التثليث؛ وهو يبطل قول الذين آمنوا بالأقانيم التي هي عبارة عن الأب والابن والروح، ومرادهم منها الذات والعلم والحياة. وهم يقولون بالتثليث في عين واحدة؛ (مثل القول بالإنسان العالِم والحي؛ مع كونه إنساناً واحداً. فهو ثلاثة: ذات، وعلم، وحياة الإنسان). ويعتبر القرآن أنَّ هذه الوحدة لا تليق بذات الحق.

يبيّن القرآن الكريم وحدة الله تعالى التي لا يمكن معها فرض أيّ نوع من الكثرة سواء في الذات أو في الصفات، وكلّ ما يفرض من كثرة في هذا الباب هو عين الذات الواحدة؛ لأنَّ الله لا حدّ له، وذاته عين

صفاته؛ وكلّ صفة مفترضة، هي عين الصفة الأُخرى؛ وهي بالنسبة له فرض اللامتناهية وغير محدودة وغير محصورة وغير معيّنة.

تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، وَسُبْحَانَهُ عَمَّا يَصِفُونَ.

ولهذا السبب، نجد أنّه كلما جاء ذكر قهّارية الله في القرآن الكريم فإنّنا نجد وصف الله قبلها بالوحدة؛ لأجل إيصال هذا المعنى وهو: أنَّ وحدته بحيث إنه لا يوجد لأيّ إنسان مجال لافتراض وجود مماثل له؛ فكيف بالنسبة لخروجه عن دائرة الفرض وتحقّقه في عالم الوجود والواقعية والثبوت؟!

لاحظوا هذه الآيات:

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾[1].

فوصف الله بالوحدة القاهرة التي تقهر كلّ شريك مفترض؛ ولا يترك لأيّ معبود غير ذاته المقدّسة شيئاً سوى الاسم.

﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾[2].

﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[3].

ولأنَّ ملكيّته المطلقة لا تدع مالكاً غيره إلاّ أن يكون نفس هذا المالك وما يملكه ملكاً مطبقاً لله تعالى.

وعن هذه الوحدة لذات الأحديّة الأقدسيّة، فقد كشف الستار أمير المؤمنين في العديد من خطبه وكلماته، حيث تظهر هذه **الوحدة بالصرافة** بشكل مفصّل.

---

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٣٩ـ ٤٠.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٦.

منها، خطبته الأُولى في «نهج البلاغة»:

أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ؛ وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ؛ وَكَمَالُ التَّصْدِيْقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ؛ وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلاَصُ لَهُ؛ وَكَمَالُ الإِخْلاَصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ - إلى آخر الخطبة.

ومنها، الخطبة الثالثة والستّون:

الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالاً فَيَكُونَ أَوَّلاً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِراً؛ وَيَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِناً؛ كُلُّ مُسَمَّىً بِالوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ؛ وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ - إلى آخر الخطبة.

ومنها، الخطبة الخمسون بعد المائة:

الحَمْدُ للَّهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ؛ وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ؛ وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لاَ شِبْهَ لَهُ؛ لاَ يَسْتَلِمُهُ المَشَاعِرُ؛ وَلاَ يَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ؛ لاِفْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالمَصْنُوعِ؛ وَالحَادِّ وَالمَحْدُودِ؛ وَالرَّبِّ وَالمَرْبُوبِ؛ الأَحَدُ بِلاَ تَأْوِيلِ عَدَدٍ؛ وَالخَالِقِ لاَ بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ - إلى آخر الخطبة.

ومنها، الخطبة الحادية والستّون بعد المائة:

الحَمْدُ لله خَالِقِ العِبَادِ؛ وَسَاطِحِ المِهَادِ؛ وَمُسِيلِ الوِهَادِ؛ وَمُخْصِبِ النِّجَادِ؛ لَيْسَ لاِءَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ؛ وَلاَ لاِءَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ؛ هُوَ الأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ؛ وَالبَاقِي بِلاَ أَجَلٍ؛ خَرَّتْ لَهُ الجِبَاهُ، وَوَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ - إلى آخر الخطبة.

ومنها، الخطبة الرابعة والثمانون بعد المائة:

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ؛ وَلاَ حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ؛ وَلاَ إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ؛ وَلاَ صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ - إلى آخر الخطبة.

---

(٣) سورة غافر، الآية: ١٦.

ومنها، خطبته عليه السلام في جواب «ذِعلب» الذي سأله:

يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟

فقال عليه السلام: **وَيْلَكَ يَا ذِعْلِبْ! لَمْ أَكُنْ لأَعْبُدَ رَبًّا لَمْ أَرَهُ**. وهي خطبة طويلة وحاوية لمطالب رفيعة في أمر التوحيد بالصرافة، وقد نقلها الصدوق في «التوحيد» بإسناده عنه عليه السلام.

ومنها، خطبته عليه السلام التي وردت في كتاب «الاحتجاج» للطبرسيّ:

دَلِيلُهُ آيَاتُهُ؛ وَوُجُودُهُ إِثْبَاتُهُ؛ وَمَعْرِفَتُهُ تَوحِيدُهُ؛ وَتَوحِيدُهُ تَمْيِيزُهُ مَنْ خَلْقِهِ؛ وَحُكْمُ التَّمْيِيزِ بَيْنُونَةُ صِفَةٍ لاَ بَيْنُونَةُ عُزْلَةٍ... إلى أن يقول: **لَيْسَ بِإِلَهٍ مَنْ عُرِفَ بِنَفْسِهِ؛ هُوَ الدَّالُّ بِالدَّلِيلِ عَلَيْهِ؛ وَالمُؤَدِّي بِالمَعْرِفَةِ إِلَيْهِ**.

وعلى كل حال، فقد أورد الأُستاذ العلاّمة الطباطبائي هذه المطالب بالتفصيل في تفسير «الميزان» ج ٦، ص ٩٦ إلى ١٠٨؛ ثم إنه يقول في البحث التأريخيّ «القول بأنَّ للعالم صانعاً، ثم القول بأنه واحد، من أقدم المسائل الدائرة بين متفكّري هذا النوع تهديه إليه فطرته المركوزة فيه. حتى أنَّ الوثنية المبنية على الإشراك، إذا أمعنّا في حقيقة معناها وجدناها مبنية على أساس توحيد الصانع وإثبات شفعاء عنده، **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**، وإن انحرفتْ بعدُ عن مجراها، وآل أمرها إلى إعطاء الاستقلال لآلهة دون الله. والفطرة الداعية إلى توحيد الإله وإن كانت تدعو إلى إله واحد غير محدود العظمة والكبرياء ذاتاً وصفة، غير أنَّ أُلفة الإنسان وأُنسه في ظرف حياته بالآحاد العددية من جانب، وبلاء الملّيين بالوثنيين والثنويّين وغيرهم لنفي تعدد الآلهة من جانب آخر، سجّل عددية الوحدة وجعل حكم الفطرة المذكورة كالمغفول عنه.

ولذلك ترى المأثور من كلام الفلاسفة بالباحثين في مصر القديمة

واليونان واسكندرية وغيرهم ممّن بعدهم، **يعطي الوحدة العددية**، حتى صرّح بها مثل **الرئيس أبي علي بن سينا** في كتابه «الشفاء» وعلى هذا المجرى يجري كلام غيره ممّن بعده إلى حدود الألف من الهجرة النبويّة.

وأمّا أهل الكلام من الباحثين فاحتجاجاتهم على التوحيد لا تعطي أزيد من الوحدة العددية أيضاً، في عين أنَّ هذه الحجج مأخوذة من الكتاب العزيز عامّة؛ فهذا ما يتحصّل من كلمات أهل البحث في هذه المسألة.

فالذي بيّنه القرآن الكريم من معنى التوحيد أول خطوة خُطيت في تعليم هذه الحقيقة من المعرفة، غير أنَّ أهل التفسير والمتعاطين لعلوم القرآن من الصحابة والتابعين ثم الذين يلونهم أهملوا هذا البحث الشريف، فهذه جوامع الحديث وكتب التفسير المأثورة عنهم لا ترى فيها أثراً من هذه الحقيقة لا ببيان شارح، ولا بسلوك استدلالي.

ولم نجد ما يكشف عنها غطاءها إلاّ ما ورد في كلام الإمام **عليّ بن أبي طالب** عليه أفضل السلام خاصّة، فإنَّ كلامه هو الفاتح لبابها، والرافع لسترها وحجابها، على أهدى سبيل وأوضح طريق من البرهان، ثم ما وقع في كلام الفلاسفة الإسلاميين بعد الألف الهجريّ[١]، وقد صرّحوا بأنهم إنما استفادوه من كلامه عليه السلام.

وهذا هو السر في اقتصارنا في البحث الروائيّ السابق على نقل نماذج من غرر كلامه عليه السلام الرائق، لأنَّ السلوك في هذه المسألة وشرحها من مسلك الاحتجاج البرهانيّ لا يوجد في كلام غيه عليه السلام.

---

(١) المراد من الفلاسفة الإسلاميين بعد الألف الهجريّ، هو صدر المتألّهين الذي قال في كتبه في كون وحدة ذات الحقّ بالصرافة، وقد زينب بنت أمير المؤمنين أوصل إثبات هذا المعنى بأبلغ وجه، ونفى كلام ابن سينا القائل في كون وحدة ذات الحقّ بالوحدة العددية. ولد صدر المتألّهين في حدود سنة ٩٧٩هـ في مدينة شيراز.

ولهذا بعينه تركنا عقد بحث فلسفي مستقل لهذه المسألة، فإنَّ البراهين الموردة في هذا الغرض مؤلّفة من هذه المقدمات المبيّنة في كلامه لا تزيد على ما في كلامه بشيء، وجميعها مبنيّة على صرافة الوجود وأحدية الذات جلّت عظمته».

ثم يقول العلاّمة في التعليقة: «وللناقد البصير والمتدبّر المتعمّق أن يقضي عجباً من ما صدر من الهفوة من عدّة من العلماء الباحثين حيث ذكروا أنَّ هذه الخطب العلويّة الموضوعة في «نهج البلاغة» موضوعة دخيلة، وقد ذكر بعضهم أنها من وضع الشريف **الرضيّ** رحمه الله، وقد تقدم الكلام في أطراف هذه السقطة.

وليت شعري كيف يسع للوضع والدسّ أن يتسرّب إلى موقف علمي دقيق لم تقوَ بالوقوف عليه أفهام العلماء حتى بعدما فتح عليه السلام بابه ورفع ستره قروناً متمادية، إلى أن وفّق لفهمه بعد ما سيّر في طريق الفكر المترقّي مسير ألف سنة، ولا أطاق حمله غيره من الصحابة ولا التابعون، بل كلام هؤلاء الرامين بالوضع ينادي بأعلى صوته إنّهم كانوا يظنّون أنَّ الحقائق القرآنية والأُصول العالية العلمية ليست إلاّ مفاهيم مبتذلة عامية، وإنَّما تتفاضل باللفظ الفصيح والبيان البليغ».

ولقد أوردنا هذا المثال هنا ليتّضح أنَّ ما جاء في الخطب والروايات لم يكن مطالب مبتذلة عامية، بل إنَّ الكثير منها يحتاج إلى فهم متين وبرهان قويم. وعلى هذا الأساس فقد كان الأُستاذ العلاّمة الطباطبائي يعدّ أمر تقوية الفكر وتصحيح القياس، وبشكل عامّ تصحيح المنطق والفلسفة، ضرورياً، ويعتبر أنَّ الفلسفة هي المفتاح والدليل الوحيد في هذا الباب.

وبغضّ النظر عن ذلك، فإنَّ حجّية الروايات بالنسبة لنا قائمة بواسطة البرهان العقليّ، وسيكون الرجوع إلى الأخبار والتعبّد بها وإسقاط الأدلّة العقلية موجباً للتناقض والخُلف، وهو محال.

وبعبارة أبسط، فإنَّ الأخبار الواردة ليس لها حجّية قبل الرجوع إلى العقل وترتيب القياس؛ أمّا بعد الرجوع للعقل، فلا فرق ـ من ثم ـ بين هذا القياس وسائر الأدلّة العقلية، وسيكون الالتزام آنذاك بمفاد الأخبار ونفي الأدلّة العقلية موجباً للتناقض ولإبطال المقدمة بالنتيجة المستحصلة منها.

وقد كان **العلاّمة الطباطبائي** قدّس الله تربته يعظّم كثيراً كتاب «بحار الأنوار» لجدّنا[1] في جميع الأخبار، وبالأخصّ في كيفيّة تفصيل فصوله وتبويب أبوابه على المنهج المطلوب، ففيك كل كتاب أحصى الأبواب بالترتيب، وجعل في كلّ باب بالترتيب الآيات المناسبة من سورة الحمد حتى آخر القرآن، ثم قام بتفسير الآيات بشكل إجماليّ وتابع للترتيب المذكور، ثم بيّن بعد ذلك جميع الروايات التي وردت عن المعصومين عليهم السلام في الأبواب المذكورة بالترتيب أيضاً؛ فإذا كانت الرواية

(١) كانت جدّتنا لأبينا، أي أُمّ أب هذا الحقير؛ أُخت العلاّمة الكبير آية الله آقاي الميرزا محمد الطهرانيّ صاحب كتاب «مستدرك البحار». كما أنَّ أُمّ العلاّمة آقا الميرزا محمد الطهرانيّ وجدّتنا الكبرى من أحفاد العالم المتضلّع المير محمد صالح الحسينيّ الخاتون آباديّ صهر العلاّمة محمد باقر المجلسيّ، حيث تزوّج ابنته فاطمة بيگم، لذا فإنَّ العلاّمة المجلسيّ سيكون الجد الأعلى لأبينا لأُمّه.
وباعتبار أنَّ المرحوم العلاّمة السيّد مهدي بحر العلوم والمرحوم آية الله البروجرديّ من أحفاد بنات المجلسيّ الأوّل الملاّ محمد تقي، من ابنته آمنة بيگم التي تزوّجها المرحوم الملاّ محمد صالح المازندرانيّ، فإنَّ آمنة بيگم ستكون العمّة الكبرى لأمّ أبينا، وسيكون المرحوم بحر العلوم وآية الله البروجرديّ رضون الله عليهما من بني عمّاتنا (الطهراني).

أو الباب يحتاج إلى شرح أو بيان، كان يقوم بذلك في ذيل الرواية أو آخر الباب.

وكان يعتقد: أنَّ **العلاّمة المجلسيّ** أحد حماة المذهب، ومُحيي آثار وروايات الأئمّة عليهم السلام، وأنَّ مقامه العلميّ، وسعة اطّلاعه، وطول باعه تستحقّ التقدير، وأنَّ مدى علم هذا المجتهد الخبير تتّضح في كيفية دخوله في البحث وفي الجرح والتعديل للمطالب الموجودة في «مرآة العقول» ومدى الخدمات الفائقة التي قدّمها.

ولكنّه مع اجتهاده وبصيرته في فنّ الروايات والأحاديث، لم يكن مطّلعاً على المسائل الفلسفية العميقة، ولم يشابه **الشيخد المفيد، والسيّد المرتضى، والخواجة نصير الدين الطوسيّ، والعلاّمة الحليّ** الذين يعدّون من متكلّمي الشيعة، ومن حماة المذهب.

ولهذا وقع في العديد من الاشتباهات في بعض البيانات التي قدّمها، مما أدّى إلى هبوط مستوى هذه الموسوعة. وعلى هذا الأصل كان من المقرّر أن يطبع «بحار الأنوار» في طبعة جديدة تحت إشرافه وتعليقاته في الأمكنة المناسبة؛ حتى يحتفظ هذا الكتاب الثمين على مستواه العلميّ.

وبالفعل قام بهذا العمل، وكتب تعليقاته إلى الجزء السادس من الطبعة الجديدة؛ ولكن نظراً لرفضه تعليقة أو تعليقتين من رأي العلاّمة المجلسي بشكل صريح، فقد كانت هناك مجموعة لم تكن لترضى بأن تصبح نظريات المجلسي موضعاً للانتقاد إلى هذا الحدّ؛ فقام الناشر، بناء على تدخّلات خارجيّة، وطلب منه أن يخفّف الكلام في بعض الأماكن؛ ويغضّ النظر عن بعضها الآخر.

فلم يقبل العلاّمة؛ وقال: في مدرسة التشيّع أنَّ قدر ومنزلة الإمام

جعفر بن محمد الصادقعليه السلام أعظم من العلاّمة المجلسيّ؛ وحين يدور الأمر لأجل شروحات العلاّمة المجلسي أن نقبل بالإشكالات العقلية والعلمية الواردة في بيانات الأئمة المعصومين عليهم السلام، لست مستعداً أبداً أن نستبدل الأئمة المعصومين عليهم السلام بالعلاّمة المجلسي. وما أراه ضرورياً في مكانه فسوف أكتبه، ولن أرفع كلمة واحدة. ولهذا طبعت بقيّة أجزاء البحار بدون تعليقات العلاّمة الطباطبائي؛ وبقي هذا الأثر النفيس بدونها(١).

ونحن هنا نذكر التعليقتين اللتين أدّتا إلى إيقاف طبع التعليقات الأُخرى، ونترك الحكم للقرّاء وأهل التحقيق:

الأولى: تعليقته في الصفحة ١٠٠ من الجزء الأول على المعاني المختلفة التي قدّمها العلاّمة المجلسي للعقل وفقاً لرأيه. فردّ العلاّمة الطباطبائي هذه المعاني، وقال: إنَّ ما ذكره رحمه الله من معان مختلفة للعقل بادّعاء أنها في الاصطلاح كذلك: لا يخفى على لاشخص الخبير والمطّلع في هذه الأبحاث، أنها لا تنطبق على مصطلحات أهل البحث،

---

(١) يقول سماحة الأُستاذ: عندما قمنا بالتحقيق والتفتيش في الأحاديث الواردة في كتاب «بحار الأنوار» بشأن الولاية، وجدنا خمسة وعشرين حديثاً من الصحاح المعتبرة عند أهل السُنّة التي نقلت من تلك المصادر المعتبرة.
وكلّ ما قمنا به من تدقيق في كتبهم المطبوعة والخطّية لم نعثر عليها، وحتى الكتاب الذي يعود إلى ثماني مائة سنة قبل، فقد بحثنا فيه من أوّل ورقة إلى آخره ولم نجد فيه حتى رواية واحدة من هذه الروايات الخمس وعشرين. وهناك روايات كثيرة من العامة فقد فقدت. وهي غير موجودة في الكتب ـ انتهى كلام الأُستاذ الفقيد رضون الله عليه.
بالتأكيد لو كانت سلسلة «بحار الأنوار» قد طبعت مع تعليقاته فإنَّ بيانات كانت ستطرح في المكان المناسب من هذه الأحاديث أو غيرها، وكانت ستحلّ الكثير من الغوامض الأخرى أيضاً.
وأيّ جناية، وأي أضرار كبيرة قد أُلحقت بدائرة المعارف الشيعية هذه بإسقطا تعليقاته في الطبعة الجديدة.

ولا تنطبق على ما يذكره عامّة الناس، من معان للعقل أيضاً.

فالذي أوقعه فيما وقع فيه أمران:

الأول: سوء الظن بالباحثين في المعارف العقلية بطريق الاستدلالات العقلية والبراهين الفلسفية.

الثاني: الأُسلوب الذي استخدمه في فهم معاني الأخبار؛ حيث أخذ جميع الروايات في مرتبة واحدة من ناحية البيان؛ وهي المرتبة التي تعادل فهم عامة الناس؛ بادّعاء أن تلك المرتبة هي نفس المنزلة التي كانت فيها الأخبار جواباً لأسئلة الناس من قِبل ا لأئمّة عليهم السلام. في حين أننا نعلم أنَّ في الأخبار مطالباً عالية ونفيسة وتشير إلى حقائق لا يسعها إلاّ الأفهام العالية والعقول الخالصة.

وعندما نجعل الأخبار في مستوى واحد، فإنَّ هذا يؤدّي إلى اختلاط المعارف العالية التي أفاض بها الأئمة عليهم السلام، وفساد البيانات الرفيعة بسبب تنزّلها إلى غير منزلتها؛ وزوال قيمة البيانات البسيطة أيضاً بسبب عدم التعيّن والتمييز.

لم يكن جميع السائلين من رواة الأحاديث في مستوى واحد من الفهم والإدراك؛ ولم تكن كل الحقائق في مستوى واحد من حيث الدقّة والعمق. وكتاب الله وسُنّة رسوله مليئان بهذا النوع من المعارف الدينية التي هي ذات مراتب مختلفة، لكلّ مرتبة أفراد خاصّون. وإنَّ إلغاء المراتب أو إهمالها يؤدّي إلى زوال المعارف الحقيقية.

التعليقة الثانية: في الصفحة ١٠٤ من الجزء الأول، حيث ينفي العلاّمة المجلسي مبدأ العقول المجرّدة بقوله: إنَّ تجرد العقول مستحيل عقلاً؛ فالتجرّد مختصّ بذات الواجب، معتبراً أنَّ كلام الفلاسفة فضولٌ؛

ثم يقول: بناء على ما ذكرنا، يمكن أن يكون المراد من العقل نور النبيّ الذي تتشعّب منه أنوار الأئمة عليهم السلام. فيقول العلاّمة الطباطبائي: إنَّ رجوع الفلاسفة إلى الأدلّة العقلية ليس فضولاً؛ بل إنَّهم قد أثبتوا أنَّ حجّية الظواهر الدينية متوقّفة على البرهان الذي يقيمه العقل؛ هذا أولاً. والعقلُ في استناده واعتماده على المقدّمات البرهانية لا يفرّق بين مقدمة وأُخرى. فإذا أُقيم البرهان على أمر ما، فإنَّ العقل مضطر لقبوله.

ثانياً: إنَّ الظواهر الدينية تتوقّف على الموجود في الألفاظ، وهذا الظهور دليل ظنّي؛ والظنّ لا يمكنه مقاومة العلم واليقين الذي يحصل من خلال إقامة البرهان.

وأما قضية التمسّك بالبرهان العقلي في مسائل أُصول الدين، ثم عزل العقل في الأخبار الآحادية التي وردت في المعارف العقلية، وعدم التقيّد به، فليس إلاّ من قبيل بطلان المقدمة بسبب النتيجة التي تؤخذ من تلك المقدمة؛ وهذا تناقض صريح، **والله الهادي**.

فإذا كانت هذه الظواهر تريد إبطال حكم العقل، فقد أبطلت مفاد حكمها بأنّ حجّيتها تستند إلى حكم العقل.

فالطريق الثابتة والاحتياط الدينيّ للذين لم يتقدّموا بمتانة في الأبحاث العقلية العميقة، هو العمل بظاهر الكتاب والأخبار المستفيضة؛ وإرجاع العلم بواقع الأمر إلى الله؛ واجتناب الدخول في الأبحاث العقلية العميقة نفياً وإثباتاً.

أمّا إثباتاً، فلأنّ إثباته مظنّة الضلال والضياع؛ وفي ذلك، الهلاك الدائميّ.

أما نفياً فلأنّ فيه منقصة القول بدون علم، ونصر الدين بما لا يرضاه

الله، والابتلاء بتناقض الآراء؛ كما وقع المؤلّف رحمة الله عليه في ذلك التناقض؛ لأنّه لم يورد في أبحاث المبدأ والمعاد أيّ إشكال على آراء أهل الرأي إلاّ وقد وقع فيه حيث قَبِل ذلك الإشكال أو ما هو أشدّ منه؛ وسوف نشير إلى ذلك في مكانه المناسب.

وأوّلها ما قاله طعناً على الحكماء الإلهيين في اعتقادهم بالمجرّدات العقلية؛ وهناك أثبت جميع آثار التجرّد لأنوار النبيّ والأئمّة عليهم السلام؛ ولم يلتفت إلى أنَّ تحقق الموجود المجرد في الخارج لغير الله لو كان محالاً، لما اختلف هذا الحكم بتغيير الاسم؛ وإطلاق **النُّور والطِّينَة** ونحوهما على العقل المجرّد لا يغيّر شيئاً في الاستحالة ـ انتهى كلام الأُستاذ.

إنَّ الأشخاص المطّلعين على القياس والبرهان يعلمون أنَّ كل جملة مما قاله هذا الحكيم الإلهيّ في هذا البيان، هي برهان واستدلال؛ وهناك يظهر سر ومعنى كلامه حيث يقول: إنَّ الرجوع إلى ظواهر الروايات قبل الرجوع إلى الأدلّة العقلية هو في حكم **كَبَانَا كِتَابُ اللهِ**.

إنَّ الاجتهاد في مذهب الشيعة أدّى إلى حفظ الدين من الاندراس والجمود وعدم التعبّد بالآراء التي اعتبرت في وقت ما عند البعض من الأُصول المسلّمة، وفي زمان آخر كان بطلانها من البديهيات.

فقد كان التعبّد بغير قول الله ورسوله والمعصومين عليهم السلام في الأحكام الفرعية سبباً لسدّ باب الاجتهاد والوقوع في المهالك والمزلاّت؛ وهذا ما حصل بالنسبة للعامّة. أما في الأحكام الأُصولية، فإنَّ التعبّد والتقليد لا معنى له بتاتاً؛ بل إنَّ العقل والنقل يحكمان بلزوم الرجوع إلى الأدلّة العقلية، وكان العلاّمة رحمة الله عليه ينقل رأي الإجماع في هذه المسألة.

وفي قم، بعد تدريس دورة فلسفية في «الأسفار الأربعة» للمرحوم صدر المتألّهين(قدّس سرّه)، عزم **العلاّمة الطباطبائي** على القيام بالبحث المقارن بين فلسفة الشرق والغرب. وكان يعتقد أنَّ البحث فيما لو أُقيم على أساس البرهان والأشكال الصحيحة للقياسات فمن المستحيل أن نخرج بنتيجتين مختلفتين، وفي أية مدرسة كنّا. ولهذا يجب أن نتتبّع سر الاختلاف بين الفلسفين، وبيان نقاط الضعف فيهما.

وكان يعتقد في الأصل: بأنَّ العلوم التجريبية وإن كان تحقّقها في الخارج على أساس التجربة واضحاً؛ لكن ينبغي أن ندرك جذور وأصل نتيجة هذه التجربة، ونبحث في نشوئها وعلّتها.

فمثلاً، ينبغي أن ننظر ما هي العلّة الموجودة في الحرارة التي يمكنها أن توجد الطاقة الحركية «سينتيك» وتحرّك الأجهزة الميكانيكية؛ وبالعكس، ما هي العلّة الموجودة في الطاقة الحركية «سينتيك» التي يمكن أن تكون مصدراً للحرارة والطاقة الحراريّة؟ وأيضاً ما هو السبب والعلّة الموجودة في الطاقة الكهربائية التي يمكن تحويلها إلى عمل يُستفاد منه؛ كتحريك عجلات الآلات. وبالعكس، ما هو السبب الموجود في الطاقة الميكانيكية، الذي بالاستفادة منه، يمكن الحصول على الطاقة الكهربائية من خلال المُوَلِّد؟

وأخيراً، ينبغي أن يتّضح السبب والأساس الذي تقوم عليه جميع هذه التغيّرات والتحوّلات في الطاقة، والتي تجري على أساس معادلات دقيقة، فيتحوّل مقدار منها إلى مقدار معيّن من الطاقة، وما هو الرابط والجامع الموجود بينهما؟ وينبغي أن يتّضح أيضاً أنَّ ثبوت المسائل التجريبيّة يكون على أساس التجربة؛ وهو لا يتنافى مع المسائل الفلسفية

والأدلّة العقلية التي تقوم على أساس التفكير العقليّ والبرهانيّ؛ فكل واحد منهما يطوي طريقه ولا يتعارض مع الآخر ولا يزاحمه.

ولهذا المقصد أُقيمت بعض المجالس في ليالي العطلة من الخميس والجمعة كان يحضرها بعض الطلاّب الذين لهم اطّلاع على العلوم الحديثة؛ وقد أمرني أن أحضر أيضاً.

وقد طالت هذه المجالس لمدّة وكانت نتيجة البحث عبارة عن سلسلة من الدروس، تقرر أن تطبع تحت عنوان «الميتافيزيقيا» (أي علوم ما وراء الطبيعة) ولكنني تشرّفت بالسفر حينها إلى النجف الأشرف واستمرّت تلك المجالس، والتحق بها بعض الأصدقاء العلماء والموقّرين كالمرحوم الحاجّ الشيخ مرتضى المطهري رحمة الله عليه؛ وكانت النتيجة إعداد كتاب جليل النفع، يحلّ معظم المسائل الخلافيّة، ويواجه المغالطات الكثيرة التي يطرحها المثقّفون المتغرّبون، تحت عنوان «**أصول فلسفة وروش رئاليسم**» (ـ أُصول الفلسفة والمنهج الواقعيّ) وقد طبع منه الجزء الأول والثاني في ذلك الحين مع تعليقات مفيدة وقيّمة للشهيد المغفور له، وقد أرسل لي حضرة الأُستاذ المؤلّف نسخة منه إلى النجف الأشرف.

ثم طبع بعد ذلك تدريجياً الجزء الثالث والخامس، وكان المرحوم الشهيد آية الله المطهريّ يقول: لقد جمعت تعليقات الجزء الرابع أيضاً وأنتظر الفرصة المناسبة لترتيبها وتنظيمها حتى تصبح بمتناول الطالبين. رحمة الله على أُستاذنا الأكرم وعلى صديقنا المكرّم وعلى مَن غَبَر منهم من إخواننا الماضين بمحمد وآله الطاهرين).

المنهج التفسيري عند العلاّمة

أمّا **المنهج التفسيريّ** عند العلاّمة الطباطبائي (قدّس سرّه)، لقد كان طبقاً للأُسلوب التفسيري لأُستاذه في العرفان والعلوم الباطنية الإلهيّة: المرحوم آية الله الحاج ميرزا علي القاضي، وهو تفسير الآيات بالآيات؛ أي استنباط مفهوم ومغزى آية القرآن من القرآن نفسه. وقد كانت هذه طريقة المرحوم آية الله القاضي، فقد كتب تفسيراً من بداية القرآن إلى سورة الأنعام، وكان يُعَلِّم تلامذته الكتاب الإلهي على هذا النحو. وكان أُستاذنا المرحوم سماحة السيّد العلاّمة يقول كراراً: «إنَّ هذا الأُسلوب التفسيري الذي لدينا هو من المرحوم القاضي».

وعندما كان في تبريز، ألَّف العلاّمة تفسيراً مختصراً للقرآن الكريم من أول آياته حتى سورة الأعراف، وكان يعتمد في تدريس الطلاب على ذلك التفسير. وفيما بعد تطلّب الأمر إعداد تفسير مفصّل وشامل لكلّ حاجات العصر، يراعى فيه الجوانب التأريخيّة والفلسفية والأخلاقية، وتعالج فيه الأبحاث الاجتماعية والروائيّة بأُسلوب حديث.

ولقد وفّقه الله تعالى، فألّف تفسيراً بعنوان **الميزان في تفسير القرآن**» في عشرين مجلداً. بدأ به حوالى سنة ١٣٧٤ وختمه في ليلة القدر (في

الثالث والعشرين) من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩٢هـ، وكان مع التأليف، يدرّس مطالبه لطلاّب الحوزة العلمية في قم، وبقد استفاد من محضره المبارك العديد من الفضلاء والطلاّب.

وأول وأهم مزيّة من مزاياه، هي تفسير الآيات بالآيات؛ وهو تفسير القرآن بالقرآن؛ فطبقاً للروايات الموحودة عندنا والتي تقول: **إنَّ القُرْآنَ يُفَسِّرُ بَعْضُهُ بَعْضاً**(١). **فإنّ آيات القرآن قد تنزّلت من مبدأ واحد، وهو كلام واحد لا يؤثّر تقدم بعض الآيات أو لحوقها على البعض الآخر في المعنى الكلّي المستفاد من الآية، وبناءً عليه فإنَّ جميع القرآن بحكم كلام واحد، وخطاب واحد، قد جاء من متكلّم واحد؛ وكل جملة فيه يمكن أن تكون قرينة ومفسّرة لكل الجمل الأُخرى. فلو رأينا خفاء في معاني بعض الآيات، لأمكن إزالته من خلال الملاحظة والتطبيق والمقارنة مع الآيات الأُخرى الواردة في مثل موضوع الآيات أو ما يشابهه.**

وهذا التفسير مبني على تفسير الآيات بالآيات، وتحصيل معاني القرآن من القرآن، وعلى هذا الأساس تقاس المعاني المستفادة من الخارج ويعلم مدى موافقتها أو مخالفتها للقرآن؛ ولا تجعل المعاني الموجودة في الذهن أصلاً ومحوراً تطبّق عليه الآيات القرآنيّة؛ أو بتعبير آخر، نصب القرآن في قالبها. كما هو حاصل في أكثر التفاسير؛ وهي في الحقيقة ليست تفسيراً، وإنَّما هي تطبيق للمعاني الذهنية والمعلومات الخارجية، أو العلوم الفلسفية والعملية والاجتماعية والتأريخية والروائية على القرآن الكريم.

---

(١) وقد ورد في الخطبة ١٣١ من «نهج البلاغة»: **كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ؛ لاَ يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ، وَلاَ يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ.**

ومن الواضح أنَّ الآيات ستفقد بهذا النهج التطبيقيّ مفهومها ومحتواها واعتبارها بشكل تامّ؛ لأنَّ كل واحد من أصحاب العلوم بدءً من النحوي ووصلاً إلى الفيسلوف، وحتى أصحاب العلوم التجريبية والطبيعية كالأطباء وعلماء الفلك والنجوم، يريدون تحميل علومهم على القرآن واكتساب سنداً وشاهداً لهم منه. وما أكثر التفاسير التي كتبت على هذا النحو، حتى الموضوعية منها.

إنَّ مثل هذا العمل، في الحقيقة، يمسخ القرآن، وبعبارة أُخرى يقتل القرآن ويميته؛ ويفقده قيمته واعتباره.

فينبغي أخذ معاني القرآن من نفس القرآن؛ وفي «الميزان» رُوعي هذا المنهج على النحو الأكمل.

ومن خصائص هذا التفسير أيضاً، رعاية المعاني الكلية للألفاظ الموضوعية؛ وليس خصوص المعاني الجزئية الطبيعية والمادية المأنوسة لذهن الإنسان. وأيضاً تحديد موارد الجَرْي والانطباق وفصلها عن متن المدلول المطابقيّ للآيات.

ومنها أيضاً، معالجة الأبحاث المختلفة. وإضافة إلى البيانات القرآنيّة، روعيت **الأبحاث الروائيّة، الاجتماعيّة، التأريخيّة، الفلسفية والعلمية،** كلّ واحد على حدة بدون الخلط أو المزج بين الموضوعات.

وعلى هذا الأساس، عولجت المسائل المتعلّقة بعالم اليوم وآراؤه وأفكاره والمدارس والمذاهب الموجودة بشكل كافٍ ومستوفٍ، وطبّقت على قانون الإسلام المقدّس، وحُدّدت مواقع الجرح والتصويب والردّ والإيراد أو النفي والإثبات. وأُجيب بأفضل نحوٍ على الإشكالات التي أُوردت على الشريعة الإسلامية المقدّسة من المدارس الشرقية والغربية

والإلحادية والكفارة، وسرت إلى العالم الإسلاميّ، مبيّناً نقاط الضعف والإبهام والمغالطة. وعلى أساس الآيات الكريمة:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾[(١)].

﴿...وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[(٢)].

ونظائرها الّتي هي محور الحقّ وميزان الأصالة والواقعيّة؛ وإنّما تقاس بها بقية الآراء والمذاهب، وعليه تظهر موارد الخطأ والمغالطات الفكرية في مرامهم.

ومن خصائص هذا التفسير أيضاً، حمايته لمذهب التشيّع؛ وقد أدّى هذا الدور المهمّ من خلال الأبحاث الدقيقة والعميقة وإظهار مواضع الآيات، بلغة وبيان بليغ دون إثارة الحَميّة الجاهلية، ونيران العصبيّة؛ وبالاعتماد على نفس الآيات القرآنية، وتفسيرها بنحو لا يقبل الردّ والإنكار؛ وبواسطة الروايات التي نقلها العامّة أنفسهم، كما جاء في تفسير «**الدرّ المنثور**» وغيره، وقد أجلى المطالب في كلّ موضوع من المواضيع الولائيّة، وأثبت الولاية العامة والكلية **لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والأئمّة الطاهرين** صلوات الله عليهم أجمعين.

وبالنسبة للمفسّرين المصريّين المعاصرين من العامّة، أورد مطالبهم بدون ذكر أسمائهم، وأشار إلى نقاط الضعف والتزييف فيها؛ وبرهن على مواقع الخطأ والشبهات.

وفي المسائل الأخلاقيّة تحدث بشكل مبسوط مفصّل، وفي المسائل

---

(١) سورة الطارق، الآيتان: ١٣ـ ١٤.

(٢) سورة فصّلت، الآيتان: ٤١، ٤٢.

العرفانية بصورة دقيقة ولطيفة ومختصرة، وفي جملة قصيرة كان يظهر عالماً من العلم. ويدعو الإنسان إلى لقاء الله والوطن الأصليّ.

وفي هذا التفسير، جمع بين المعاني الظاهريّة والباطنية للقرآن، وبين العقل والنقل، وأعطى كلّ شيء حظّه.

إنَّ هذا التفسير من الروعة والجمال والبهاء بقدر يمكن معه تعريفه للعالم كسند لعقائد الإسلام والشيعة، ويمكن إرساله إلى جميع المدارس والمذاهب؛ ودعوتهم على أساس إلى دين الإسلام ومذهب التشيّع. كما أنّه قد قام بنفسه بإنجاز هذا الأمر الهامّ، وانتشر «**الميزان**» في العالم ووصل إلى قلب فرنسا وأمريكا، وأُرسلت الأعداد الكثيرة منه إلى البلاد الإسلامية، وأُجريت التحقيقات حوله، وأدّى إلى فخر الشيعة ومباهاته ورفعتهم في المحافل العلميّة(١).

---

(١) والأمر الشيّق هنا أنَّ هذا التفسير متين في العربية، بليغ ومتين في حفظ القواعد العربية وفي أُسلوب تسلسل المواضيع بحيث يعسر على العلماء والمحققين العرب ـ وهم أهل الأدب العربيّ ـ تمييز وإدراك أنَّ مؤلّفه من غير العرب. بل لم يُنقل حتى الآن عن أحد القول بأنَّ هناك قرائن في هذا التفسير تشير إلى أنَّ مؤلّفه إيراني أو أنَّ لغته الأصلية هي التركية الآذربيجانيّة، أو أنّه من غير العرب عموماً. فقد سئل المرحوم آية الله الحاج الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في حياته، وكان أُستاذاً في الأدب والعربية وفريد عصره فيهما، عن كاتب دورة معروفة في الإمامة حُرّرت في عصره، فأجاب: من البيّن أنَّ الذي كتبها من غير العرب.
وحين سئل المرحوم الشيخ عبد الله السبيتيّ صهر المرحوم السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ عن ذلك، أجاب: من الجليّ أنَّ كاتبها عجميّ.
أمّا في تفسير «الميزان» فلم تُنقل مثل هذه الأُمور إضافة إلى أنّه قد نُقل عن أحد الفضلاء والعلماء المعاصرين، وهو من مشاهير الأدب العربيّ، أنَّ «الميزان في تفسير القرآن» يعدّ من حيث الطابع الأدبيّ واللغوي من بين الكتب الأدبية المعتبرة للطلبة الجامعيّين في لبنان؛ هذا مع أنَّ بعض الكتّاب كان يأخذ نسخته إلى النجف الأشرف فيقرأها على المرحوم آية الله الشيخ محمد علي الأُردوباديّ ـ وكان ممتازاً في الأدب العربيّ ـ فيصحّحها له.

«الميزان» هو التفسير الأوحديّ الذي يبيّن النكات الدقيقة والحسّاسة، ويقف مقابل مغالطات المعاندين، ويتميّز بالجامعية. وحقّاً يمكن القول: إنّه لم يؤلّف تفسير مثله منذ صدر الإسلام حتى اليوم. وكان

ولقد صحّح «العروة الوثقى» للمرحوم آية الله اليزديّ شخصان، أحدهما عربيّ وهو الشيخ أحمد كاشف الغطاء، والآخر إيرانيّ وهو السيّد أحمد الخونساريّ، كما جرى أيضاً تصحيح «الكفاية» للمرحوم آية الله الخراسانيّ.

يقول المرحوم آية الله السيّد محسن الأمين العامليّ في كتاب «معادن الجواهر ونزهة الخواطر» (ج ١، ص ٤٢)، بعد تأكيده على ضرورة إتقان اللغة العربية والأدب العربيّ لدارسي العلوم الإسلاميّة، وبعد إبدائه أسفه الشديد على تدنّي مستوى الأدب في الحوزات الحالية: «وإذا نظرنا أنَّ جلّ العلماء المحقّقين كانوا في الأعصار السالفة من العجم من الشيعة وأهل السُنّة، وأنّهم كانوا يتقنون العلوم العربية أشدّ إتقان كما تشهد به آثارهم ومؤلّفاتهم، علمنا أنَّ هذا التقصير حصل في الأعصار الأخيرة فقط. ونحن نذكر بعض الأمثلة لما قلناه وهو قليل من كثير، فهذا الشيخ مرتضى الأنصاريّ شيخ المحقّقين وقدوتهم وفاتح باب التحقيق لمن بعده في هذا العصر، ومبتكر التحقيقات الكثيرة والفوائد الجمّة النافعة لعلم الأُصول، الذي كان ـ على ما يقال ـ يحافظ على معرفة علم العربية أشدّ المحافظة، بل قيل: إنّه كان يواظب على تلاوة «ألفيّة ابن مالك» وبعضهم يبالغ ويقول: كان يتلوها في أعقاب الصلاة ويجعلها من جملة التعقيبات، لمّا كان غير ضليع مع ذلك بالاستعمالات العربية، ذكر في تفسير حديث: **النَّاسُ فِي سَعَةٍ مَا لاَ يَعْلَمُونَ**: من جملة الاحتمالات أن تكون «ما» مصدرية ظرفية، و«سعة» منوّنة غير مضافة، أي: «**الناس في سعةٍ ما داموا لا يعلمون**»؛ مع أنَّ العربيّ العارف بأساليب العرب في استعمالاتهم لا يشكّ أنَّ هذا الاستعمال غير صحيح عندهم، وأنّه إذا قصد هذا المعنى يجب أن يُقال: «**النَّاسُ فِي سَعَة مَا لَم يَعْلَمُوا**». ثمّ يختم المرحوم الأمين المطلب بعد ذكر عدّة أمثلة لأفراد آخرين.

أمّا تفسير «الميزان» الذي كان يُكتب على الورق مباشرة دونما مسوّدة، حتى تصحيح الأخطاء المطبعيّة كان يتمّ من قبل سماحة الأُستاذ العلاّمة نفسه؛ رحمة الله عليه ملء زنة عرشه. وكان حين ينشغل بالكتابة يكتفي بشرب قدح من الشاي المخفّف، أو يدخّن نصف سيجارة، وكانت سجائره من نوع «أشنو» وكان ثمن العلبة الواحدة منها سبعة قرانات (ريالات) وكثيراً ما كان يحصل أنّه لا يمتلك ثمن تلك السجائر. **فَسَلاَمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ مَاتَ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا**.

أُستاذنا جامع العلوم ووراث زُبُرِ العلماء الحقّ، وقد حاز على مقام الجامعية في مجال هذه الفنون والعلوم.

فَلِلَّهِ دَرُّهُ وَعَلَيْهِ أَجْرُهُ. ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

ثم يتابع السيد الطهراني قائلاً:

قد طالعت أكثر من ثلاثين من التفاسير المهمّة للشيعة والسُنّة، لكنّي لم أرَ مثل «الميزان» في الروعة والبهجة والجامعيّة، وكأنّه قد عزل كلّ التفاسر الأُخرى وبقي وحده. وفي الحقيقة، لست الوحيد المتفرّد، بل هناك العديد من العلماء الأعلام والمفكّرين العظام وأهل البحث والتحقيق الذين اعتبروا عنها أو أشاروا إليها.

وهذا صديقنا الصالح وزميلنا في الدراسة الجليل الحاجّ السيّد موسى الصدر خّصه الله من أيدي الفجرة وأطال الله بقاءه، ينقل عن العالم الوحيد والكاتب المشهور والمتضلّع الخبير **الشيخ محمد جواد مغنيّة اللبنانيّ** أنه كان يقول: منذ ذلك الوقت الذي حصلت على «الميزان» تعطّلت مكتبتي، وانهمكت في مطالعة «**الميزان**» فقط.

وكان له الذي يستحقّه في الحوزات العلمية؛ ولم تُدرك قيمته الواقعية. فإذا دُرِّسَ هذا التفسير في الحوزات العلمية، وأُجريت التحقيقات والأبحاث والتحليلات حول محتواه ومطالبه، واستمرّ العمل بهذه الطريقة، فإنَّ قيمته سوف تعرف بعد مرور مائتي سنة.

وقلت في مرة أُخرى: حين أُطالع هذا التفسير في بعض الأوقات وأُشاهد كيف تربطون الآيات ببعضها وكيف توازنون بين سلاسلها وتخرجون معانيها عن طريق التطبيق، لا أجد إلاّ أن أقول إنَّ قلم الوحي والإلهام الإلهيّ قد جريا على يديك!

فهزّ رأسه، وقال: إنَّ هذا من حسن نظركم فقط؛ فأنا لم أفعل شيئاً!

ومن مؤلّفاته أيضاً:

كتاب «التوحيد» الذي يحتوي على ثلاث رسائل:

١ـ «رسالة التوحيد».

٢ـ «رسالة في أسماء الله سبحانه».

٣ـ «رسالة في أفعال الله سبحانه».

وقد أُضيف إلى هذا الكتاب رسالة «**الوسائط**» وكتاب «**الإنسان**» الذي يحتوي على ثلاث رسائل هي:

١ـ «الإنسان قبل الدنيا».

٢ـ الإنسان في الدنيا».

٣ـ «الإنسان بعد الدنيا».

وطبع في مجلّد واحد تحت عنوان «**هفت رساله**» (**ـ سبع رسائل**).

ومن مؤلّفاته الأُخرى رسالة «**الولاية**» التي تبرهن آخر السير الإنسانيّ في حضرة الأحديّة وفناءه في الذات، وحيازته على مقام العبوديّة. وأيضاً رسالة «**النُّبوَّة والإمامة**».

ويصل عدد هذه الرسائل إلى تسعة، كلّها بالعربية وما زالت بخطّ اليد لم تطبع لحدّ الآن. وقد طلب منه مرات عديدة أن يوافق على طبعها، لكنّه كان يرجع ذلك إلى ضرورة المراجعة وتجديد النظر.

وله كتاب «شيعه در اسلام» (ـ الشيعة في الإسلام)، وكتاب «قرآن در اسملا» (ـ القرآن في الإسلام)، وكتاب «وحى يا شعور مرموز» (ـ الوحي أو الشعور الخفيّ). بعنوان «**عليّ والفلسفة الإلهيّة**» وقد ترجمت إلى

الفارسيّة. وهناك حواشي نفيسة على **«الأسفار الأربعة»** للملاّ صدرا نشرت في الطبعة الأخيرة ضمن التعليقات في تسعة أجزاء، وحاشية على **«كفاية الأُصول»**.

ومن مؤلّفاته أيضاً كتاب **«سنن النبيّ»** الذي طبع ونشر مع إضافات لأحد الفضلاء[1].

وعدّة رسائل في الاعتباريّات والبرهان والمغالطة والتحليل والتركيب والمشتقّ وغيرها، لم تطبع حتى الآن.

* * *

(١) الحاجّ الشيخ هادي الفقهيّ، زادَه اللهُ هِدايةً وفِقْهاً.

المسلك الأخلاقي للعلامة الطباطبائي

أمّا نهج الأُستاذ في العرفان والأخلاق:

٢ـ «ديوان المغربيّ» ص ١٠٩؛ يقول:

هل أُخبركم ما أعلمه عن الحبيب أو لا؟
وهل أكشف ما غاب عن الأغيار أو لا

عندي أسرار كثيرة ولكنّها في القلب والروح مختفية
فهل أُخبركم عن قليل منها أو لا

ما أخبرتك به يوماً وقلت لك
هل تأذن لي اليوم أن أقوله أو لا

معنى جمال الورد وحسن وجه العندليب
هل أفصح عنه كلّه في قلب الشوك أو لا

فله وصف هذا الحيّ وذاك السوق
هل أُذيعه في الأزقّة والأسواق أو لا

* يقول السيد محمد حسين الطهراني:

ماذا أقول في إنسان كانت حياتي وروحي ونفسي معه! فإذا كنتُ عارفاً بالله أو بالرسول أو بالإمام، فكلّ هذا ببركة رحمته ولطفه.

فمنذ ذلك الوقت الذي أرسله الله إلينا فقد أعطانا كلّ شيء. وكان هو كلّ شيء؛ طويلاً شامخاً وقصيراً، قصيراً في عين شموخه والنزول. في عين الأوج والصعود، كان في الحضيض. فمعنا نحن الطلاّب العجولين المتسرّعين، كان هادئاً ومعتدلاً، كالأب الشامخ الذي ينحني ليأخذ بيد طفله، ويمشي به خطوة خطوة؛ وكان يعامل كلّ واحد منّا ويربّيه طبق ذوقه وسليقته، واختلاف حدّته وشدّته، وسرعته وبطئه؛ ويتعاهده بالتربية.

ورغم الأمواج المتلاطمة لبحر الأسرار الإلهيّة في قلبه الزاهر، فقد كان دائم البشاشة، والسماحة، شعاره الصمت، والنبرة الهادئة، ويستغرق دائماً في التفكير، وتعلو شفتيه ابتسامة لطيفة.

أجل؛ أيّها الأُستاذ العزيز! فبعدك يجب أن نقول ما قاله الإمام السجّاد عليه السلام على قبر والده:

أَمَّا الدُّنْيَا فَبَعْدَكَ مُظْلِمَةٌ؛ وَأَمَّا الآخِرَةُ فَبِنُورِ وَجْهِكَ مُشْرِقَةٌ.

هذا الإنسان، كان عالَماً من العظمة؛ وكطالب صغير كان يجلس في زاوية ساحة المدرسة على الأرض؛ ويأتي عند الغروب إلى المدرسة الفيضيّة فيصلّي عندما تقام الجماعة مثل سائر الطلاّب مؤتمّاً بالمرحوم آية الله الحاج السيّد محمد تقي الخونساريّ.

لقد كان متواضعاً ومؤدّباً، وشديداً في حفظ الآداب إلى الدرجة التي حملتني على أن أقول له تكراراً: إنَّ هذه الدرجة من الأدب والدقّة والرعاية فيكم جعلتنا بلا أدب! فهلاّ فكرتم بحالنا!

ولمدة أربعين سنة تقريباً وحتى اليوم لم يُرَ في مجلسٍ ما مستنداً إلى وسادة أو ما شابه، بل كان دائماً يجلس بعيداً عن الحائط قليلاً؛ وبكلّ أدب

أسفل الداخلين أو الضيوف. وكنتُ تلميذه، وأتردّد كثيراً على منزله، فأُريد أن أجلس بشكل مؤدّب أسفل منه؛ ولم أقدر أبداً. وكان يقوم، ثم يقول: على هذه الحال ينبغي أن أجلس في الأسفل أو خارج الغرفة!

وقبل عدة سنوات زرته في مشهد المقدّسة؛ وعندما دخلت عليه كان مستلقياً على وسادة (فقد أمره الطبيب أن لا يجلس على الأرض الصلبة بسبب ضعف قلبه) وبمجرّد أن رآني نهض من مكانه وطلب منّي أن أجلس عليها، فلم أقبل وبقينا لفترة واقفين؛ حتى قال: اِجلس، فيجب أن أقول لكم شيئاً!

فأطعته متأدّباً، وجلس هو على الأرض، ثم قال: ما كنت أُريد أن أقوله لكم: «إنَّ هذا المكان أكثر ليونة»!

ومنذ ذلك الوقت الذي كنّا ندرس في قم، لم يحصل أن سمح لنا بالصلاة جماعة وراءه. وقد بقي هذا حسرة في قلوبنا؛ لأننا لم ندرك جماعته؛ واستمرّ إلى اليوم، إلى أن جاء شهر شعبان[1] هذه السنة، حيث تشرّف بزيارة مشهد، فحلّ في منزلنا، وجعلنا غرفته في المكتبة لكي يتسنّى له قراءة ما يشاء من الكتب. وجاء وقت المغرب، ففرشت له وللمرِّض الذي كان يرافقه سجادة الصلاة، وخرجت من الغرفة ليبدأ بالصلاة فألتحقُ به على هذه الحال، لأنني كنتُ أعلم أنه لم يؤّمنا ما دمنا فيها.

فمرّت ربع ساعة من المغرب؛ وناداني مرافقه، وقال: ما زال السيّد ينتظركم لتبدؤوا بالصلاة.

قلت: أنا أُريد أن أقتدي!

قال: بل نحن نقتدي!

---

(١) أي آخر شهر شعبان الذي مضى وذلك سنة ١٤٠١هـ.

قلت: أرجوكم أن تبدؤوا بصلاتكم.

فقال: ونحن نرجوكم أيضاً.

قلت له: منذ أربعين سنة وأنا أطلب منكم أن تسمحوا لنا بالصلاة وراءكم؛ فاّقبلوا منا!

فقال مبتسماً: سنة تضاف إلى الأربعين.

ولم أستطع أبداً أن أتقدّمه، واعترتني حالة شديدة من الخجل والحياء. فرأيت أخيراً أنّه قد ثبت في مكانه ولم يكن مستعداً للتنازل بتاتاً؛ وليس من الصحيح أن أُخالف طلبه، فأذهب وأُصلّي لوحدي فرادى.

قلت له: إنني عبدٌ مطيع لكم؛ فإذا أمرتم التزمتُ.

قال: أيّ أمر...! نحن نرجو منكم!

فنهضت للصلاة، وصلّى مأموماً. وبعد أربعين سنة، إضافة إلى أنني لم أقدر على تحقيق الصلاة جماعة، بل وقعت هذه الليلة في هذا الفخّ.

الله يعلم حال وجهه وحال حيائه الذي كان بادياً على سيمائه وهو يطلب ذلك:

خُلُقٌ يُخجِل النَّسِيمَ مِنَ اللُّطْفِ
وَبَأْسٌ يَذُوبُ مِنْهُ الجَمَادُ
جَلَّ مَعْنَاكَ أَنْ يُحِيطَ بِهِ الشِّعْرُ
وَيُحْصِي صِفَاتِهِ النُّقَّادُ[1]

---

(١) «سفينة البحار» ج ١، ص ٤٣٧، عن صفي الدين الحلّي تلميذ المحقّق الحلي، ضمن قصيدة ألقاها في أمير المؤمنين عليه السلام.

المسلك العرفاني للعلامة الطباطبائي

كان مسلك أُستاذه الأوحد المرحوم آية الحق وسيّد العارفين الحاج الميرزا علي القاضي، وهو مسلك أُستاذه السيّد أحمد الكربلائي الطهراني، الذي كان يتبع مسلك أُستاذه المرحوم آية الحق الآخوند الملاّ حسين قلي الهمدانيّ الدَّرْجَزينيّ رضون الله عليهم أجمعين، وهو مسلك معرفة النفس، الذي يتلازم مع معرفة الربّ، وتدلّ على هذا الأصل الروايات الكثيرة.

وهو يحصل بعد عبور عالم المثال والصورة، وبعد عبور عالم النفس حيث **عِنْدَ الفَنَاءِ عَنِ النَّفْسِ بِمَرَاتِبِهَا يَحْصُلُ البَقَاءُ بِالرَّبِّ**؛ أما تجلّي سلطان المعرفة فإنّه سيحصل عندما لا يبقى من الآثار النفسانية في السالك أي وجود.

ومن الشروط المهمة لتحصيل هذا الأمر، المراقبة. حيث يجب على السالك أن يحفظ آدابها وشرائطها في كلّ مرحلة من المراحل، أو منزل من المنازل حسب المرحلة أو المنزلة، بكلّ ما للكلمة من معنى. فبدون المراقبة تكون الأعمال والعبادات كالدواء الذي يتناوله المريض مع عدم الاحتراز من تناول الأطعمة المضرّة التي لن تفيده شيئاً.

أمّا كليات المراقبة التي تختلف بجزئياتها حسب اختلاف المنازل، فيمكن اختصارها في خمسة أشياء:

صَمت وجُوع وسَهَر وعُزلت وذِكرى بدوام

نا تمامان جهان راكند اين پنج تمام[1]

كان **المرحوم الأُستاذ** يعظّم اثنين من علماء الإسلام كثيراً، ويذكر مقامهما ومنزلتهما بتقدير شديد: الأول: **السيّد الأجلّ علي بن طاووس** أعلى الله تعالى مقامه الشيف، وكان يولي كتاب «إقبال الأعمال» اهتماماً فائقاً ويعتبره «سيد أهل المراقبة».

والثاني: **السيّد مهدي بحر العلوم** أعلى الله تعالى مقامه، وكان يشيد بأُسلوب عيشه وسلوكه العلمي والعملي ومراقباته. وقد ذكر في مرات عديدة تشرّفه والسيّد ابن طاووس للقاء حضرة إمام الزمان أرواحنا فداه. وكان معجباً بمخالفتهما واجتنابهما لهوى النفس، ومجاهداتهما في سبيل الوصول إلى المقصود، وكيفية حياتهما وسعيهما لتحصيل رضى الله تعالى، وينظر إليها نظرة التجليل والتكريم.

كان يهتمّ بـ **«رسالة السير والسلوك»** المسوبة **للسيّد بحر العلوم،**

---

(١) يقول: «صَمْتٌ وجُوعٌ وسَهَرٌ وعُزلة ودوام الذكر، فهذه الخمسة ستجعل غير الكاملين في العالم كاملين».
بالنسبة إلى لزوم رعاية هذه الأشياء الخمسة، فقد وردت روايات تفوق حدّ الإحصاء نذكر منها فقط رواية واحدة ذكرت في «مصباح الشريعة» في الباب ٢٨ من الكتاب، يقول: **قالَ الإمَامُ الصَّادِقُ**عليه السلام: لاَ رَاحَةَ لِمُؤْمِنٍ إلاَّ عِنْدَ لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، ومَا سِوَى ذَلِكَ فَفِي أَرْبَعَةٍ: صَمْتٌ تَعْرِفُ بِهِ حَالَ قَلْبِكَ وَنَفْسِكَ فِيمَا يَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَارِئِكَ، وَخَلْوَةٌ تَنْجُو بِهَا مِنْ آفَاتِ الزَّمَانِ ظَاهِراً وَبَاطِناً، وَجُوعٌ تُمِيتُ بِهِ الشَّهَوَاتِ وَالوَسْوَاسَ، وَسَهَرٌ تُنَوِّرُ بِهِ قَلْبَكَ وَتُصَفِّي بِهِ طَبْعَكَ وَتُزَكِّي بِهِ رُوحَكَ.
وهنا غير دوام الذكر لم يأت أيّ ذكر عن الأشياء الأربعة الأُخرى، ومن المعروف أنّ دوام الذكر من أهمّ المقاصد كذلك.

ويوصي بقراءتها، وقد قام بشرحها مفصّلاً لعدة مرات لبعض الرفقاء الخواصّ من الطلاب الصالحين والوالهين من طلاب الحق ولقاء الله.

كان يعتبر أنَّ أفضل الكتب الأخلاقية المختصرة هو كتاب «طهار الأعراق» لابن مسكويه؛ وأفضل المتوسّط منها كتاب «جامع السعادات» للحاجّ الملاّ مهدي النراقيّ؛ وأفضل المطوّل منها كتاب «إحياء الإحياء» للملاّ محسن الفيض الكاشانيّ. وكان يقول: ما جاء في كتاب «روضات الجنّات» في ترجمة أحوال الخواجة نصير الدين الطوسيّ حول كتابه «أخلاق ناصرى» في أنه اقتبسه من كتاب «طهارة الأعراق»، وهذا الأخير مقتبس من أحد علماء الهند، ليس صحيحاً أيضاً، لأنَّ ابن مسكويه كان معاصراً لابن سينا، وقد ألّف كتاباً في الفلسفة على طريقة الفلسفة اليونانية تماماً، ولا يرتبط بالفلسفة الهندية بتاتاً؛ إضافة إلى أنَّ كتابه الأخلاقيّ المذكور لا ينطبق مع مشرب الهنود.

أما النراقيّ[1] فهو من الفقهاء والعرفاء وفلاسفة الدرجة الأُولى، وهو من حيث سعة الفكر وبُعد النظر في العلوم الرياضية والفلك نادر المثيل، وله في الأخلاق مقام سام. ومن العجيب جداً أنّه لم يُعرَف حتى اليوم وبقي مجهولاً رغم كمالاته ومقاماته العديدة. وقد طبعت مؤخّراً بعض مصنّفاته، ومن المقرر أن تطبع بقية آثاره الجليلة.

أما الفيض فهو أشهر من الشمس، وكتابه «المحجّة البيضاء» الذي كتبه في إحياء «إحياء العلوم» ليُعدّ من أنفس كتب الشيعة رضون الله عليهم أجمعين.

---

(١) الحاجّ ملاّ مهدي النراقيّ: أحد خمسة أشخاص يسمّون **بالمهادي الخمسة**، وعاشوا في عصر واحد، يعتبرون من أعلام وأساطين الشيعة في أقطار العالم، وهم عبارة عن: **السيّد مهدي بحر العلوم، والسيّد مهدي القزوينيّ، والحاج ملاّ مهدي النراقي، والحاج ميرزا مهدي الشهرستانيّ، والسيّد مهدي الخراسانيّ الشهيد.**

أمّا الفرق الواضح الذي كان يميّز العلاّمة الطباطبائي عن الآخرين هو أنَّ أخلاقياته كانت ناشئة من رشحات الباطن، وبصيرة الضمير، وحلول حقيقة السير والسلوك في باطن القلب والذهن، وتمايز عالم الحقيقة والواقعية عن عالم المجاز والاعتبار، والوصول إلى حقائق عوالم الملكوت، وفي الحقيقة، تنزّل مقامه المعنويّ في عالم الصورة وعالم الطبع والبدن. وكانت معاشراته ومعاملاته وسائر أُموره تقوم على ذلك الأصل.

أمّا مسلك غيره في الأخلاق فقد كان ناشئاً من تصحيح الظاهر، ورعاية الأُمور الشرعية والمراقبات البدنية لعلهم يفتحون بذلك نافذة على الباطن، ويجدون طريقاً إلى جوار الحضرة الأحدية رحم الله الماضين منهم أجمعين.

القريحة والذوق الشعريّ للعلاّمة الطباطبائي:

كان **للعلاّمة الأُستاذ** روحاً لطيفة، وذوقاً رفيعاً، ورقّة خاصّة.

وكان يحب في الشعر العربي قصائد **ابن الفارض** وخاصة قصيدته المعروفة **بالتائية الكبرى** في «نظم السلوك».

وكان يثني في الشعر الفارسيّ على «ديوان الخواجة حافظ الشيرازي».

وكان يقرأ بهدوء على مسامع الأصدقاء من حين إلى آخر بعض الأشعار العرفانية الفارسية والعربية في الغزل.

إنَّ همّ وغمّ السالك يجب أن يكون جميعه خالصاً لله، لا لأجل البحث عن الزيادة والفضيلة، بل أن يكون همّه الله، وزادُ طريقه ذلّ العبودية، ودليله محبّته. وكان كثيراً ما يردّد هذه الأبيات، ويقول: إنَّ الشاعر في إشارته إلى طريق الفناء قد أبدع:

رَوَتْ لِـي أَحَـادِيـثَ الـغَـرَامِ صَـبَـابَـةٌ
بِـإِسْـنَـادِهَـا عَـنْ جِـيـرَةِ الـعَـلَـمِ الـفَـرْدِ
وَحَـدَّثَـنِـي مَـرُّ الـنَّـسِـيـمِ عَـنِ الـصَّـبَـا
عَنِ الدَّوْحِ عَنْ وَادِي الغَضَى عَنْ رُبَى نَجْدِ
عَنِ الدَّمْعِ عَنْ عَيْنِي القَرِيحِ عَنِ الجَوَى
عَنِ الحُزْنِ عَنْ قَلْبِي الجَرِيحِ عنِ الوَجْدِ
بِـأَنَّ غَـرَامِـي وَالـهَـوَى قَـدْ تَـحَـالَـفَـا
عَـلَـى تَـلَـفِـي حَـتَّـى أُوَسَّـدَ فِـي لَـحْـدِي[1]

كان **للعلاّمة** قريحة شعرية، وكان ينشد الغزليات العرفانية الجيّاشة المليئة بالوجد والعشق والشوق. ونذكر هنا نموذجاً منها:

يقول:

«حبّ الحبيب أخذ القلب والدين من الجميع بلا عائق... وما أخذه وجه الحبيب الجميل لم يستطع حجر القلعة في الشطرنج أن يأخذه.
ولا تحسب أنَّ المجنون قد أصبح مجنوناً من تلقاء نفسه... بل هي جاذبية ليلى التي أوصلت قيس إلى السُّهى ورفعته من المدارك.
أنا ما وصلت إلى معدن النور من تلقاء نفسي... كنت ذرّة صغيرة وحبّك هو الذي أوصلني.

علاقته مع الأئمة عليهم السلام:

كان الأُستاذ محبّاً وعاشقاً متيماً بالأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وعندما كان يذكر اسم أحدهم، كانت تعلو محياه حالة التواضع والأدب. وكان يعظّم إمام العصر أرواحنا فداه بشكل خاصّ،

(١) هذه الأبيات موجودة في «الميزان» ج ١، ص ٣٧٩.

ويؤمن بأنَّ مقامهم ومنزلتهم مع رسول الله والصدّيقة الكبرى لا يمكن تصوّرها. وكان يعيش حالة من الخضوع والخشوع الحقيقيين والتعلّق الوجدانيّ بهم، يرى منزلتهم ومقامهم ملكوتياً. وهو عظيم الاطّلاع على سيرتهم.

في العديد من المطالب عندما كان يُسأل عنهم كان يجيب ويشرح بطريقة وكأنّه قد طالع تلك السيرة في يومه، أو أنّه قد جلس إلى مصدر الوحي والتشريع، وهو يتلقّى عنهم وينقله إلى هذا العالم.

وفي أيام الصيف كانت عادته دائماً منذ القديم أن يتشرّف لزيارة حضرة ثامن الأئمة عليه السلام، ويبقى طوال فصل الصيف هناك، ولا يقدّم أيّ مكان على هذه الأرض المقدّسة، إلا عند حصول المحذور.

وهناك كان يأتي كلّ ليلة إلى الحرم المطهّر، ويقضي وقته بالتوسّل والتضرّع.

وكان مهما طلب منه أن يسكن خارج مدينة مشهد كـ «طُرقَبَه» و«جاغَرْق» ـ بسبب لطافة جوّهما ومياههما ـ وإمكانية التنقّل منهما للزيارة من حين إلى آخر، لا يقبل أبداً، ويقول: لا ألجأ إلى غير الإمام الثامن.

وقد كان العلاّمة شديد التواضع وكثير الخشوع أمام **القرآن الكريم**. ويدلّ على مواضع الآيات في السور المختلفة، وكان غالباً ما يتلو آياته عن حفظ، كما يتلو الآيات المناسبة مع كلّ آية. لقد كانت مجالس ذلك الفقيد السعيد في الأبحاث القرآنية في غاية الروعة وغزارة المحتوى.

* * *

أوضاع العلاّمة من الناحية المادية وسبب الهجرة من تبريز إلى قم

أمّا عن أوضاعه المعاشية: فكما يلاحظ من شجرة عائلته، فقد كان من أُسرة محترمة ومعروفة وبارزة في آذربيجان. وكان مصدر معيشته وأخيه محصوراً بزراعة الأرض التي كان يملكانها في قرية شاد آباد تبريز منذ الطفولة، وقد ورثاها عن أسلافهما. وذلك كما يظهر من كتاباته في مرحلة إقامته هناك وعمله بالزراعة لكسب لقمة العيش، فالرسائل الخطية (كتاب «التوحيد» وكتاب «الإنسان» ورسالة «الوسائط » ورسالة «الولاية») قد كتبت في شاد آباد.

وكان يقول: إنَّ هذا المِلك، قد كان آبائنا وأجدادنا لأكثر من مائتين وسبعين سنة، وكان الوسيلة الوحيدة للارتزاق عن طريق زراعته، وعندما اغتصب اختلّت معيشتنا وضاقت علينا.

ولأنَّ **العلاّمة الطباطبائي** لم يجد فرصة لتدوين رسالة عملية، رغم حيازته على مقام الفقاهة والعلم والمرجعية، وذلك لاهتمامه بالأُمور العلمية والتربوية للطلاّب، وبالأخصّ من الناحية المعنوية والأخلاقية والعقائدية، والدفاع عن حصن الإسلام وحريم التشيّع، لذلك فقد جعل

طريقه متعمّداً منذ البداية في غير هذا الاتّجاه. وباعتبار أنَّ هذه الأُمور (المالية) كانت مقطوعة كليّاً من جهة، ومن جهة أُخرى كان لا يقبل أخذ سهم الإمام بتاتاً فيتّضح حينئذٍ كيف ستكون حالته المعيشية عندما يفقد عائدات الزراعة، فسوف تكون أقلّ من حياة وضع طالب بسيط، لأنَّ الطالب، حتى وإن لم يحصل على مرتّب من المدينة أو القرية، فإنَّه على الأقلّ سوف يستفيد من سهم الإمام.

وتلك العائدات التي كان يحصل عليها من الزراعة، لم تكن حال وصولها تكفي إلاّ للمقدار اللازم من أُمور المعاش الضرورية.

لقد كانت هذه سيرة رجال العلم والفكر منذ قديم الأيام: فالمرحوم آية الله **الشيخ جواد البلاغيّ النجفيّ** الذي كان فخر الإسلام، وقد أضاءت علومه ومؤلّفاته عالم الفكر والعلم لم يكن يمتلك في النجف الأشرف سوى بيت حقير لا يحتوي إلاّ على حصير. واضطرّ لبيع بيته عندما أراد أن يطبع كتبه في الرد على الماديين والطبيعيين واليهود والنصارى، هذه الكتب التي تعتبر من أهمّ المصادر، والتي هي موضع فخر عالم الإسلام ومباهاته.

أما **المرحوم القاضي** رضون الله عليه، فرغم أنّه كان يعيش مع عائلة كبيرة في النجف الأشرف، إلا أنَّ الصعوبات والضائقة الشديدة التي كان يعانيها أصبحت قصصها مضرباً للأمثال عندنا.

فلم يكن في بيته سوى حصير واحد مصنوع من سعف النخيل. وما أكثر الليالي التي قضاها في الظلام الدامس، لأنه لم يكن يمتلك وقوداً للإضاءة أو لعدم وجود مصباح أو محروقات.

والمرحوم آية الله **العلاّمة الحاج الشيخ آغا بزرك الطهراني** لم يكن

يمتلك أية وسيلة للمعيشة، وقد خدم العلم والإسلام والتشيّع لمدة مائة سنة، ولم يكن لأحد علم بحاله ووضعه، فترك من مجاهداته العظيمة وآثاره النفيسة النادرة ما أفاد كافّة المحقّقين والمؤلّفين.

وكان هذا الإنسان يقضي أيامه ولياليه مشغولاً بالكتابة والتأليف، متحمّلاً لكل مشقات البحث والتصنيف وجمع المصادر والرجوع إلى المراجع. أما منزله فلم يكن بأفضل من منزل طالب عادي، لا بل أقلّ؛ وأمّا المصائب والصعاب التي مرّت عليه فهي تفوق كل تصوّر.

وكان **العلاّمة الأمينيّ** صاحب كتاب «الغدير» يمرّ في ظروف معيشية قاسية قبل شهرته وبروزه، حتى أنه واجه مشاكل عديدة عندما أراد أن يطبع كتابه «الغدير» النفيس لأوّل مرة. وهذا نقص فادح في جهاز العلماء الحالي من ناحية كيفية إدارة الأُمور المالية.

فلماذا يبقى أُولئك الذين يصرفون عمرهم في الفروع الخاصّة كالفلسفة والعرفان وعلم الكلام والتفسير والحديث والتأريخ وعلم الرجال وغيرها، مع وجود الأرصدة الفقهيّة العظيمة لخدمة الإسلام وحاجة المجتمع إلى تلك المعارف وسدّ الثغرات وحماية المذهب والذود عنه فلماذا يبقون محرومين حتى من الحياة العادية البسيطة، ويعانون من آلاف المشكلات في سعيهم لتمرير معاشهم وحفظ ماء الوجه والاعتبار.

إنّ ميزانية صندوق المسلمين التي ترسل إلى الحوزة تحت عنوان سهم الإمام، لا تتوجّه إلى أمثال هؤلاء. أما قبول هذا السهم منهم ـ بواسطة المتصدّين لتوزيعه ـ فإنَّه يحمل معه الذل والاستخفاف والتحقير أمام جهاز الإدارة.

فتُمنع الإجازة من هؤلاء الأفراد الأجلاّء الذين يمتلكون الصفات الأخلاقية والروحية، إضافة إلى الجوانب العلمية، ويُحتاط من تصديق مقام اجتهادهم وفقاهتهم، كلّ ذلك لأنّه يؤدّي إلى تثبيت شخصيّتهم واستقلال أُمورهم.

وتعطى للأفراد الجهّال والأُمّيين من غير المحتاطين والذين يتجرؤون على الكثير من الأُمور، الإجازات الطويلة والمطوّلة والألقاب والمجالات، طالما أنهم جباة لسهم الإمام، وذلك حتى لا يهتزّ مركز الحكم عن مقرّه ولا يُرى الخلل في وصول الأموال إلى الأفراد غير الواجدين للشرائط والذين هم من الناحية الروحية والأخلاقية أقلّ من عامة الناس بمجرد ادّعاء العلم والأعلميّة والفقه والفقاهة والورع والأورعيّة.

فَيا لَلأَسَفِ بِهَذِهِ السِّيرَةِ الرَّدِيَّةِ المُرْدِيَةِ المُبِيدَةِ لِلْعِلْمِ وَالعُلَماءِ وَالْفِقْهِ وَالفُقَهاءِ.

وإذا قيل لهم: بأيّ دليل؟ وبأية آية أو رواية أنتم تقولون إنَّ سهم الإمام ينبغي أن يصل إلى المرجع أو نائبه بالخصوص؟ وفي أي كتاب فقهي وأخباري وتفسيري رأيتم مثل هذا المطلب؟ وأي سنن وبدع أنتم تخترعون؟

يقولون: فلان وعلاّن يقولون هكذا. أنتم الذين تدعون إلى الاجتهاد! لماذا تصبحون هنا مقلّدين لفلان وعلاّن؟!

كانت حياة **العلاّمة الأُستاذ** حياةً شديدة البساطة، وبعيدة كل البعد عن الرفاه والتكلّف، لا يأخذ لها إلاّ الحدّ الأدنى. ورغم مرض القلب والأعصاب الذي كان يعانيه، ورغم كِبَر سنّه كان يسافر إلى طهران كلّ

أُسبوعين مرة لملاقاة ومحادثة ذلك المستشرق الفرنسيّ ذوداً عن الدين، ونشراً للثقافة الإسلامية رغم المشقّات الكثيرة الناجمة عن ذلك.

هكذا كانت حياة فيلسوف الشرق، بل فيلسوف العالم الأوحد! ونحن طوينا الذكر عن أوضاعه الخاصّة صفحاً، لأنّا نعتقد أنَّ هذا البحث لا يليق بمقام العِفَّة والشرف. هكذا كانت حياة أولياء الله:

صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً، أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً[1].

ولقد كنّا نرى ونشاهد ونتلمّس صفة من صفات المتّقين التي ذكرها مولى الموالي أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة همّام في وجود هذا الرجل الإلهيّ:

أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا[2].

هذه هي حياة الصالحين والأحرار من أغلال النفس الأمّارة، والمحلّقين في سماء القضاء والمشيئة الإلهية، والمنقادين في عالم التفويض والتسليم والرضا.

وفي خضم هذه المشكلات والصدمات، كان في وجود الأُستاذ عالَماً من العظمة والوقار والسكينة والطمأنينة.

وهنا، كانت تتجلّى حقيقة حياة أئمّتنا المعصومين، لأنَّ أمثال الطباطبائي يمكّنهم أن يكونوا أفضل مرآة وآية وممثّل لتلك الأرواح الطاهرة، ولأنّهم مرآة صافية قد صُقلت، فهم ينطقون عن ذوات الطهر ويصبحون آيات إلهيّة وحججاً ربّانية.

كانت هجرة العلاّمة الطباطبائي إلى قم، وتحمّله لكلّ أنواع المشاكل وبُعده عن وطنه الذي ألفه لأجل إحياء المعنويات وأداء الرسالة الإلهية

---

(١) «نهج البلاغة» من خطبة المتّقين (همّام)، رقم ١٩١.

(٢) «نهج البلاغة» من خطبة المتّقين (همّام)، رقم ١٩١.

في نشر الدين وتبليغه، وتنمية أذهان الطلاّب، وتصحيح العقائد الحقّة، وبيان الطريق المستقيم لتهذيب النفس وتزكية الأخلاق وتطهير السرّ، والتشرّف بلقاء الله، والارتباط بعالم المعنى.

كما كان فقيدنا السعيد يقول: عندما جئت من تبريز إلى قم، وبدأت بتدريس «الأسفار»، وتحلّق الطلاّب حولي حتى وصل عددهم إلى أكثر من مائة شخص؛ أمر آية الله البروجرديّ رحمة الله عليه **أولاً**: بقطع راتب كلّ طالب يحضر هذا الدرس.

وعندما وصل الخبر إليَّ، وقعت بحيرة، فماذا أفعل يا إلهي؟ فإذا قُطِعَتْ رواتب هؤلاء الطلاّب الذين لا حول ولا قوة لهم، والذين يأتون من المدن البعيدة ولا مصدر لهم للعيش إلاّ هذا الراتب الشهري، فماذا يفعلون؟ وإذا تركت تدريس «الأسفار» لأجل مرتّب الطلاّب، فإنني أُوجِّه صفعة لمستوى الطلاّب العلمي والعقائديّ! فبقيت على هذا الوضع متحيّراً إلى أن جاء اليوم الذي كنت فيه أهمّ بالمرور حول الكرسي[1] فوقع نظري على «ديوان حافظ» الذي كان موضوعاً عليه، فأخذته وتفاءلت به لأعلم ماذا أفعل هل أترك تدريس «الأسفار» أو لا؟ ففتحته، وإذا بهذه القصيدة الغزلية:

من نه آن رِندم كه ترك شاهد وساغر كنم
محتسب داند كه من اين كارها كمتر كنم
من كه عيب توبه كاران كرده باشم بارها
توبه از مِى وقت گل ديوانه باشم گر كنم

(١) الكُرسي: وسيلة للتدفئة، وهي أشبه بالمنضدة المنخفضة، يوضع تحتها وسيلة للتدفئة ويبسط عليها لحاف في الشتاء، فيجلسون تحت اللحاف حولها للتدفئة، وهي مشهورة في إيران. (م)

چون صبا مجموعهُ گُل را به آب لطف شست

کج دلم خوان گر نظر بر صفحهْ دفتر کنم

عشق دُردانه است ومن غوّاص ودريا ميكده

سر فرو بردم در آنجا تا كجا سر بر كنم(١)

ودهشت من هذا الغزل، فهو يدلّ على ضرورة تدريس «الأسفار» وأنَّ تركه في حكم الكفر السلوكيّ.

وثانياً: ثم لم يمر يوم أو يومان حتى بعث آية الله البروجرديّ خادمه الحاجّ أحمد ليبلّغني رسالة مضمونها: نحن في أيام الشباب كنّا ندرس في الحوزة العلمية في أصفهان كتاب «الأسفار» عند المرحوم **جهانگير خان** ولكن بشكل سرّي، ولم يكن أحد يعرف بذلك، أمّا أن يكون هناك تدريس علني لـ «الأسفار» في الحوزة الرسمية فليس فيه أيّ وجه للصلاح، ويجب أن يُترك!

فقلتُ في جوابه: أبلغ السيّد البروجرديّ من جانبي، أنني قد درست العلوم المعروفة والرسمية كالفقه والأُصول، وباستطاعتي أن أتولّى تدريسها وتأسيس مجالسها، ولن نتوانى عن الآخرين.

---

(١) «ديون حافظ» ص ١٥٧ و١٥٨، حرف الميم.

يقول: «لست أنا ذلك العربيد الذي يهجر المحبوب ويترك الكأس، والمحتسب نفسه يعلم ذلك وإنّني قلّما أصنع هذا الأمر.

أنا الذي كثيراً ما عبثُ على التائبين توبتهم... لو أنّني تبت عن الشراب في موسم الورد لكنت مجنوناً ودخلت في زمرتهم (يقصد بالشراب، شراب المعرفة، وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً).

وعندما تأخذ ريح الصبا «ماء اللطف» وتغسل به مجموعة الأزهار والورود لو أنني نظرت إلى صحيفة الكتاب، لحقّ لك تسميتي أعوج الطبع سقيم العود.

فالعشق درّة يتيمة وأنا الغوّاص، والحانة هي البحر الواسع، ولقد أنزلت رأسي فيه فلأرى كيف أرفعها ومتى أستطيع».

لقد جئتُ من تبريز إلى قم فقط لأجل تصحيح عقائد الطلاّب على أساس الحقّ، ولمواجهة عقائد الماديين الباطلة وغيرهم. وفي ذلك الزمان الذي كان حضرة آية الله يدرس مع مجموعة قليلة من الطلاّب عند المرحوم جهانگير خان، كان الطلاّب والناس قاطبة بحمد الله مؤمنين وعقائدهم صافية ولم يحتاجوا إلى تأليف مجالس علنية لتدريس «الأسفار». ولكنَّ اليوم، كلّ طالب يدخل إلى قم، فإنَّه يأتي محمّلاً بعدّة حقائب من الشبهات والإشكالات.

واليوم يجب أن ندرك الطلاب، ونعدّهم لمواجهة الماديين وعقائدهم على أساس صحيح، ونعلّمهم الفلسفة الإسلامية الحقّة، ونحن لن نترك تدريس «الأسفار».

ولكن في نفس الوقت فإنّني أعتبر آية الله البروجرديّ حاكم الشرع. فإذا حكم بترك «الأسفار» فإنَّ القضية ستأخذ منحى آخر.

ثم قال **العلاّمة**: وبعد هذه الرسالة؛ لم يتعرّض لنا آية الله البروجرديّ بأي وجه، وانشغلت لسنوات بتدريس الفلسفة من «الشفاء» و«الأسفار» وغيرهما.

العلاّمة حي إلى الأبد

كان **العلاّمة الطباطبائي** رضون الله عليه ملجأ وملاذاً للمخلِصين من تلامذته ومريديه يهرعون إليه عند وقوع الحوادث. وكالمصباح المضيء كان ينير الطريق ويكشف عن الأخطار ويفرق الحقّ من الباطل، ويرشد إلى كشف المسائل العلمية ورفع كلّ مجهول.

وأنا لم أكن أستفيد من محضر فيضه وعلمه في تلك الأيّام التي قضيتها بالدراسة في قم فحسب، وإلى الحدّ الذي أَعْتَبِرُ نفسي فيه عبداً وربيب منزله، بل حتى بعد تشرّفي للنجف الأشرف بقي باب المراسلات مفتوحاً، وكان يردّ عليّ بكتاباته الجذّابة الهادية.

وبعد رجوعي من النجف وحتّى اليوم لم يأتِ زمن رأيت نفسي في غنى عن علمه ومحضر فيضه العظيم.

وفي كلّ مجلس كنت أتشرّف بزيارته كان يفيض عليَّ برحمته وعلمه، وكان يبعث البهجة والسرور والوجد إلى الدرجة التي تشعرني بالخجل الشديد من شدّة حقارتي في نفسي. وكانت عادتي أن أزور قم كلّ أُسبوعين مرّة؛ وكانت ساعات زيارته ولقائه عظيمة وقتيمة عندي.

ما زلت أذكر جيداً تلك الليلة في طهران عندما كنت أكتب شرحاً على كتاب «السير والسلوك» المنسوب للمرحوم آية الله بحر العلوم النجفي أعلى الله تعالى درجته، وواجهني إشكال عجزت عن حلّه رغم تفكيري المتواصل. ولم يكن في ذلك الوقت قد استعمل الهاتف الآلي في إيران، لهذا عزمت على الذهاب إلى قم في تلك الليلة، ووصلت إليها عند منتصف الليل، وقضيت ليلتي في «مهمانخانه بلوار» (=فندق البُلڤار). وفي الصباح ذهبت إليه بعد أن تشرّفت بزيارة مرقد حضرة السيدة المعصومة سلام الله عليها، وبقيت عنده حتى الظهيرة أستفيد من محضره العظيم البركة. ولم تكن المسألة الوحيدة التي حصلت على إجابتها، بل حصلت على حلّ الكثير من المسائل الأخرى.

وكنت كلّما تشرّفت بلقائه وأردت أن أنحني لأُقبّل يده خبّأها تحت عباءته، وقد اعتراه حياء وخجل يجعلني أتأثّر وأضطرب.

قلت له ذات يوم: نحن نريد أن نحصل على الفيض والبركة والحاجة بتقبيل يدكم، فلماذا تمنعونا؟! ثم قلتُ: ألَا تقبلون هذه الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ عَلَّمَنِي حَرفاً فَقَدْ صَيَّرَنِي عَبْداً».

فقال: نعم، فهي رواية مشهورة، ومتنها مطابق للموازين.

فقلت: لقد علّمتني كلّ هذه الكلمات، وجعلتني عبداً لمرّات وكرّات؛ أليس من أدب العبد أن يقبّل يدي مولاه؟! ويتبرّك بهما؟

وببسمة خجولة قال: نحن جميعاً عبيد الله!

ما لم أتحمّله، ولم أتصوّره، هو رحيل هذا الرجل.

فموت هذا الإنسان الإلهي موتٌ للعالَم. لأنَّ العلّامة كان عالَماً.

النَّاسُ مَوتَى وَأَهْلُ العِلْمِ أَحْيَاءُ

أَحِبَّايَ أَنْتُمْ أَحْسَنَ الدَّهْرُ أَمْ أَسَا
فَكُونُوا كَمَا شِئْتُمْ أَنَا ذَلِكَ الخِلُّ
إذَا كَانَ حَظِّيَ الهَجْرَ مِنْكُمْ وَلَمْ يَكُنْ
بِعَادٌ فَذَاكَ الهَجْرُ عِنْدِي هُوَ الوَصْلُ
وَمَا الصَّدُّ إلاَّ الوُدُّ مَا لَمْ يَكُنْ قِلَىً
وَأَصْعَبُ شَيءٍ غَيْرَ إعْرَاضِكُمْ سَهْلُ
وَصَبْرِيَ صَبْرٌ عَنْكُمُ وَعَلَيْكُمُ
أَرَى أَبَداً عِنْدِي مَرَارَتُهُ تَحْلُو
أَخَذْتُمْ فُؤَادِي وَهُوَ بَعْضِي فَمَا الَّذِي
يَضُرُّكُمُ لَوْ كَانَ عِنْدَكُمُ الكُلُّ
نَأَيْتُمْ فَغَيْرَ الدَّمْعِ لَمْ أَرَ وَافِيَا
سِوَى زَفْرَةٍ مِنْ حَرِّ نَارِ الجَوَى تَغْلُو
حَدِيثِي قَدِيمٌ فِي هَوَاهَا وَمَا لَهُ
كَمَا عَلِمَتْ بَعْدٌ وَلَيْسَ لَهَا قَبْلُ
وَحُرْمَةِ عَهْدٍ بَيْنَنَا عَنْهُ لَمْ أَحُلْ
وَعَقْدٍ بِأَيْدٍ بَيْنَنَا مَا لَهُ حَلُّ
لأَنْتَ عَلَى غَيْظِ النَّوَى وَرِضَى الهَوَى
لَدَيَّ وَقَلْبِي سَاعَةً مِنْكِ مَا يَخْلُو
تُرَى مُقْلَتِي يَوماً تَرَى مَنْ أُحِبُّهُمْ
وَيَعْتِبُنِي دَهْرِي وَيَجْتَمِعُ الشَّمْلُ
وَمَا بَرِحُوا مَعْنَىً أَرَاهُمْ مَعِي فَإنْ
نَأَوْا صُورَةً فِي الذِّهْنِ قَامَ لَهُمْ شَكْلُ

فَهُمْ نُصْبُ عَيْنِي ظَاهِراً حَيْثُمَا سَرَوا
وَهُمْ فِي فُؤَادِي بَاطِنَاً أَيْنَمَا حَلُّوا
لَهُمْ أَبَداً مِنِّي حُنُوٌّ وَإنْ جَفَوا
وَلِي أَبَداً مَيْلٌ إلَيْهِمْ وَإنْ مَلُّوا[1]

لم أكن أتوقّع أن يأتي ذلك اليوم الذي لا تكون فيه وأنا حيّ، فأجلس في عزائك! وأكتب في رثائك. حقّاً، فأنت من عالم القدس دائم القلق على حال المهجورين! ترشدهم بذلك اللطف والعطف والصفاء والوفاء في عالم الطبع والكثرة كيف تغفل عنهم في عالم التجرّد والوحدة؟!

---

(١) أبيات منتخبة من لاميّة ابن الفارض. انظر: «ديوان ابن الفارض» ص ١٣٥ إلى ١٣٩.

الدرجات الكمالية للعلاّمة

لقد كان **أُستاذنا العلاّمة الطباطبائي** قدّس الله سره بالنسبة للأُمور الثلاثة في درجة الكمال، بل كان حائزاً على المرتبة الأُولى بين أقرانه:

فمن جهة كمال القوة العقلية والحكمة النظرية فمتّفق عليه بين العدوّ والصديق. وكما ذكرنا فإنّه كان وحيد عصره في العالم الإسلاميّ.

وأما من ناحية كمال القوة القلبية والحكمة العملية، والسير الباطنيّ في مدارج ومعارج عوالم الغيب والملكوت والوصول إلى درجات المقرّبين والصدّيقين، فإنَّ فمه الصامت دائماً حيث كان يعتبر أنَّ كتمان السر من أعظم الفرائض لا يجيز لنا أن نكشف أكثر من ذلك في هذه المرحلة، حتى بعد زمن حياته.

إلاَّ أننا نقول إجمالاً، كما سبق أن قلنا: إنَّ العلاّمة كان غائباً عن الدنيا، فقد جاء غائباً ورحل غائباً.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾[1].

وأما من جهة الشرع، فقد كان نفسه فقيهاً متشرّعاً يعنى برعاية السنن والآداب بكلّ ما في الكلمة من معنى، حتى أنّه كان لا يقصّر عن الإتيان

(١) سورة مري، الآية: ١٥.

بأبسط المستحبّات، وكان ينظر إلى الذين جاؤوا بالشرع المبين نظر إعظام وإجلال وتبجيل، وكان يعترض على بعض الصوفية الذين لا يُولون الشرعَ المقدس من الاهتمام ما هو أهله، وينتقدم ويعدّ نهجهم مقروناً بالخطأ، ويعتبره غير مُنتهغ بهم إلى المنزل المقصود.

وكان يمتدح كثيراً هذه العبارة في «الرسالة المنسوبة إلى بحر العلوم» (وترجمتها كما يلي):

وأمّا الأُستاذ العامّ فلا يُعرف إلاّ بمصاحبته في الخلاء والملاء وبالمعاشرة الباطنية وبكمال إيمان جوارحه ونفسه. وحذارِ من الانخداع بمتابعته لظهور خوارق العادات، وبيان دقائق النكات، وإظهار الخفايا الآفاقيّة، والخبايا الأنفسية، وتبدل بعض حالاته؛ لأنَّ الإشراف على الخواطر والاطّلاع على الدقائق والعبور على النار والماء وطيّ الأرض والهواء والإحضار من المستقبل وأمثالها، إنَّما تحصل في مرتبة المكاشفة الروحية، وما أكثر المنازل والمراحل التي تعقب هذه المرحلة إلى المنزل المقصود، إذ الطريق بلا نهاية؛ وما أكثر السالكين الذين اجتازوا هذه المرحلة ثم انحرفوا بعد ذلك عن الجادّة، فدخلوا وادي اللصوص والأبالسة! وما أكثر الكفّار الذين حصلوا على اقتدار على كثير من الأُمور في هذا السبيل

وكان كثيراً ما يشرحها لتلاميذه، ويستند عليها تكراراً، ويبيّن السبب في عدم إدراك الواقع عند عدم رعاية الشرع المطهّر.

وكان **للأستاذ العلاّمة** تواضع وخضوع جمّ مقابل القرآن الكريم خاصّة، وكان يحفظ الآيات القرآنيّة إلى حدّ ما، وقد ولد له إثر الممارسة نوع من التعشّق بالآيات، فكان يعدّ تلاوة القرآن **فِي ءانَآءِ الَّيْلِ وَأَطْرَافِ**

ٱلنَّهَارِ أفضل وأسمى عمل له، وكان يمرّ على آية فينتقل منها إلى أُخرى ثم إلى أخرى وهكذا، حيث ينغمر في عالم من البهجة والمسرّة خلال تجواله في هذه الجنّات القرآنية.

وكان العلاّمة يعيب بشدّة على بعض المتنسّكين من ذوي الظواهر المقدّسة الذين صادروا الشرع، فانتقدوا ـ بعنوان الحماية للدين والترويج للشرع المبين ـ جميع أصناف أولياء الله المتمسّكين بالمراقبة والمحاسبة، والذين يقومون أحياناً بسجدات طويلة. وكان أوّل عمل لهم انتقاد وذمّ بعض أعلام العرفان كالخواجة حافظ الشيرازي ومولانا محمد البلخيّ الروميّ صاحب كتاب «المثنوي».

وكان العلاّمة يعدّ هذا النوع من التفكير ناشئاً من الجهل والجمود والنزوع إلى التحجّر، وهي أُمور تنفر منها روح الشريعة.

وكان يقول بأنَّ التهجّم على الفلسفة والعرفان ـ وهما دعامتان عظيمتان من دعائم الشرع المبين ـ ناشىء عن الجمود الفكري والخمود الذهني. ويقول:

يجب الاستعاذة بالله من شرّ هؤلاء الجهّال، فهم الذين قصموا ظهر رسول الله، وذلك في قوله: **قَصَمَ ظَهْرِي صِنْفَانِ: عَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ.**

وكذلك كان العلاّمة بالنسبة لأصحاب القوة العقلية وقرّاء الحكمة والفلسفة الذين هم ضعفاء في الأُمور الشرعية، ولم يكن ليظهر اعتناء بهم ويقول: إنَّ الحكمة التي لا تجلس على عرش الروح فتسوقها إلى ٱتّباع الشريعة ليست حكمة حقيقية.

رحلة العلاّمة الطباطبائي

لقد كانت حالات الأُستاذ في السنوات الأخيرة من عمره عجيبة جداً، كان مستغرقاً في التفكّر ومنطوياً على نفسه، وشديداً في المراقبة وقليلاً ما يتنازل[1] مما هو فيه. وفي السنة الأخيرة كانت تغلب عليه حالة النوم والخلسة، وبمجرّد أن يستيقظ كان يتوضّأ ويجلس مستقبلاً القبلة.

في الثالث من شعبان (يوم ولادة الإمام سيد الشهداء عليه السلام) سنة ١٤٠١ هـ وبرفقة زوجته المخدّرة المكرمة وأحد الطلاب المحترمين من أهل الفلسفة والسلوك الذي قدم لرعايته، تشرف بزيارة المشهد المقدس لحضرة ثامن الحجج عليه الصلاة والسلام، وبقي هناك اثنان وعشرين يوماً ثم اختار الإقامة في دماوند طهران. بسبب لطافة الجوّ والماء في الصيف. وفي تلك الفترة أُحضر إلى مستشفى طهران للمعالجة؛ وبعدها اشتدّ عليه المرض إلى الدرجة التي لم يعد ينفع معها العلاج الطبي إلى أن رجع إلى بلدة قم الطيّبة، حيث محل سكنه، ووضع في الفراش، وكان لا يستقبل غير الخواصّ من تلامذته.

يقول أحد تلامذته[2]: ذهبت ذات يوم لعيادته، وكانت حالته سيئة

---

(١) ويقصد التنازل من العوالم. (م)

(٢) وهو سماحة شيخ الفضلاء العظام حجّة الإسلام الحاج الشيخ أبو القاسم المرنديّ دامت بركاته، الابن الرشيد لسماحة آية الله المرحوم الحاجّ الشيخ هدايت الله المرنديّ رضوان الله عليه.

جداً، فرأيت أنَّ جميع المصابيح في الغرفة مضاءة، وقد لبس كامل ثيابه وعباءته واعتمّ بعمامته في حالة من السرور والابتهاج الزائدين وهو يتمشّى داخل الغرف، وكأنه ينتظر حضور أحد.

وينقل عن أحد فضلاء قم، وهو من أساتذة ابني، أنه كان يقول: كنت في الأيام الأخيرة من حياة العلاّمة أذهب إلى التمشّي معه قليلاً في صحن الدار.

وذات يوم ذهبت إلى منزله كالعادة، وبعد السلام قلت له: هل تحتاجون إلى شيء؟

فكرّر قول: إنني محتاج! إنني محتاج! إنّني محتاج!

فتبين لي كأنَّ العلاّمة يريد شيئاً آخراً؛ وأنه يسير في أُفق مختلف. ثم أُرشدتُ إلى داخل الغرفة، ودخل معي، وكان مشغولاً بقراءة أذكار وعيناه مغمضتان باستمرار ولا يفتحهما ولم أستطع معرفة ما يقوله، إلى أن حلّ وقت صلاة المغرب، فرأيت العلاّمة يقيم الآذان دون أن يفتح عينيه وينظر إلى السماء، ثم بدأ بصلاة المغرب.

أحضرتُ منديلاً من ورق ووضعتها مقابله لكي يسجد عليها، فلم يسجد. قلت في نفسي: لعلّه لم يسجد لأنها منديلاً وما لم تكن مورد اعتماده فلا يسجد؛ دخلت مرة أُخرى وأحضرت شيئاً مرتفعاً ووضعت تربة السجود عليه، فسجد وأنهى صلاته.

كانت حالته تشتدّ سوءً يوماً بعد يوم، إلى أن نقل إلى المستشفى في قم، وعند خروجه من منزله قال لزوجته: لن أعود بعد!

بقي في المستشفى حوال الأُسبوع، وفي اليومين الأخيرين فقد وعيه كليًّا إلى صباح الأحد في الثامن عشر من شهر محرم الحرام سنة ألف وأربعمائة واثنين للهجرة، قبل الظهر بثلاث ساعات، حيث انتقل إلى المقرّ الأبديّ، وخلع لباس الجسد القديم، وتخلّع بخلعة الحياة الأبدية.

محاورة مع الشيخ الآملي
حول شخصية العلاّمة الطباطبائي

السؤال: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، نطلب من حضرتكم كأول سؤال أن توضّحوا لنا ما هي الأفكار والآراء والابتكارات الجديدة التي أدخلها العلاّمة الطباطبائي إلى الفلسفة، إضافة إلى الفلاسفة والحكماء الماضين، مثل أبو علي ابن سينا، والملاّ صدرا؟

الجواب: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، أسأل الله أن يوفّقكم أيها السادة على طريق إعلاء المعارف الإلٰهية الحقّة، والتعريف بالرجال الإلٰهيين، والعلماء الربّانيين، وإن شاء الله يستجاب دعائنا في حقّكم.

لقد كان العلاّمة الطباطبائي رضوان الله تعالى عليه مجتهداً في العلوم العقلية والنقلية، كما كان مجتهداً في الحكمة المتعالية، ومجتهداً ومستنبطاً في الفقه والأُصول، وكان صاحب قلم وكاتباً ماهراً في علم الأدب، يكتب بشكل متين ومحكم بالعربية، وفصيح وبليغ بالفارسية، وكان لديه موهبة إلٰهية أيضاً، يعني كان صاحب طبع لطيف، بحيث يمكن اعتباره من الشعراء الكبار والفنّانين الماهرين، ولأنّه يتمتّع بطبع لطيف فهذا يعني أنّ لديه روحاً لطيفة وفكراً شريفاً، وكما كان يستخدم أُسلوباً

لطيفاً في شعره ونثره كان له أسلوباً لطيفاً خاصاً أيضاً في آثاره الوجودية الأخرى، فمثلاً يمكن اعتباره في المقدمة والصدارة في حخسن الخطّ، فإنّ له خطّاً ممتازاً، ولم يكن يكتب بخطّ جميل فقط، بل كان ممتازاً في ذلك، وله قصيدة في آداب حسن الخطّ.

وبالإضافة إلى أن العلاّمة كان مجتهداً في العلوم العقلية والنقلية فقد كان له أيضاً يد في العلوم الأخرى غير المتعارفة في الحوزات العلمية، وسأوضح ذلك لكم. والآن نعود إلى سؤالكم الذي طرحتم فيه موضوعاً مهماً جداً، فأقول: إنّ الحكمة المتعالية (الأسفار) هي بحر يقوم على أساس مسائل قرآنية وإسلامية وإنسانية محكمة ومهمة وقيّمة جداً، وكلها ناظرة لحقيقة واحدة، وقد تمّ البرهنة في هذا الكتاب العظيم على الحقائق العظيمة لمشايخ العرفان، فهو كتاب فلسفة، وفلسفة بالمعنى الذي أوضّحه لكم: لقد أطلق المرحوم الملاّ صدرا على أسفاره اسم الحكمة المتعالية، وهو الاصطلاح الذي أشار إليه حضرة الخواجة في (شرح الإشارات) للشيخ الرئيس، حيث إذا كانت العلوم العقلية لا تستند إلى المشاهدات والمكاشفات والسير والسلوك فهي حكمة وفلسفة، لكن لا يطلق عليها متعالية. وإنما يطلقون متعالية إذا كانت مصحوبة بالوجدان بالإضافة إلى البرهان، فبالإضافة إلى وجود البرهان والمعرفة فقد كان نفسه واصلاً متذوّقاً، ولهذا كانت الأسفار حكمة متعالية، فهو يقول في مواضع متعددة من الأسفار أنّه إضافة إلى البرهان قد حصلت لنا مشاهدات أيضاً، ووصلنا في السير والسلوك، وقد كان يكتب ذلك في المتن بعض الأحيان، وأحياناً أخرى في الحاشية بقوله: «منه». وقد نقلت هذه الحاشية في بعض كتاباتي حيث توجد نسخة من الأسفار تحتوي على الهوامش التي كتبها ذلك العالم. وقد ذكرنا هذا الموضوع

في بحث اتّحد العاقل بالمعقول في كتاب اتّحاد العاقل بالمعقول.

الوصول بالسير والسلوك:

قال صدر المتألّهين: «في يوم الجمعة أصبح عمري عدة سنوات (وذكر تاريخه)، أتيت من كهك إلى قم (كنت أسكن في كهك ذلك الوقت) لزيارة حضرة السيّدة فاطمة المعصومة، وقد أفاض الله عليَّ بهذه الحقيقة وهذا المعنى بجوار تربة باب الحوائج إلى الله». وحينئذٍ قام بذكر وصوله هذا مع البرهان، حيث كان يشير إلى حالاته ومشاهداته في المرحلة العاشرة من الأسفار.

فمثلاً: يقول أحياناً: «لا تجدوا هذا الموضوع في كتب أُخرى»، ولا يقول: «أُفيض علينا»، فهو ـ وخاصة في هذا الموضوع ـ لا يذكر لفظ «أُفيض» في الأسفار، وإنما يقول: «لا تجدوه في كتب أخرى»، وبعد ذلك يشكر الله ويقول: «الحمد لله ربّ العالمين».

ويقول المرحوم الحاج السبزواري في الهامش وفي تعليقه: «عندما يشكر ويحمد الله» يعني يقول: «نعم، نعمة قد وهبنا الله إيّاها».

لقد كان لهذا الكتاب الذي تكلّمنا عنه بهذا الإجمال، مكانة عظيمة، فهو أسفار وحكمة متعالية أيضاً، وكلا الاسمين لهذا الكتاب، وكان أستاذنا المرحوم حضرة آية الله رفيعي القزويني (رضون الله عليه) يقول: «إنّ هذا الكتاب هو حكمة متعالية بلحاظ جمعه ولفظه ومتنه وقضائه، وهو أسفار بلحاظ تفسيره وشرحه وبسطه، مع أنّ لفظ الأسفار يؤيّد هذا القول أيضاً».

والآن أتكلّم باختصار عن الفلسفة ثم نعود للحديث حول سؤالكم.

من هو الفيلسوف الواقعي؟

كنّا نرى في وقتنا، وخاصة في الفترة الأخيرة، أفراداً ـ ولعلّهم ما زالوا موجودين إلى الآن ـ لديهم اطّلاع في السيرة الذاتية للفلاسفة، فأولئك قد جمعوا المعلومات عن حياة العلماء الكبار من الكتب والمذكّرات والتراجم، فيطلقون عليهم (فيلسوف)، أو إذا جاؤوا من الغرب ـ مثلاً ـ يطلقون عليهم مستشرق وفيلسوف.

فمن هو الفيلسوف؟ الفيلسوف هو الذي يستطيع فهم (الشفاء) للشيخ الرئيس، لا ذلك الشخص الذي ليس لديه اطّلاع عن (شفاء) الشيخ، ولا عن إشارات الشيخ، ولا حتّى عن كتبه الأخرى، فهو يعلم فقط ـ على نحو الإجمال ـ عدد كتب الشيخ الرئيس، ومتى كتبها، ويعلم آثاره القلميّة والأوضاع السياسية في ذلك الوقت، وأشياء أخرى من هذا القبيل، وكذلك يجمع المعلومات عن الخواجه نصير الطوسي ـ مثلاً ـ، ومعلومات عن العلماء الآخرين، ثم يطلقون على هذا الشخص (فيلسوف)، أو لعلّنا نجد بعض الأفراد الذين ساروا قليلاً على الساحل في الأمور والمسائل الطبيعية، لا أنّهم غاصوا في بحرها، أو نزلوا إلى قاع هذا البحر، وعلى هؤلاء أيضاً يطلقون (فيلسوف)، وإننا نسمع ذلك خاصّة عن العلماء الغربيّين فيقولون الفيلسوف الفلاني لمجرّد أنّه سلك قليلاً في المسائل الطبيعية، أو إذا كان قد سلك في الإلٰهيات، فبمقدار ضعيف جداً لا يعادل شيئاً بالنسبة لمشايخ علمائنا، وعلى هذا أيضاً يطلقون اسم (فيلسوف)، لكنّ المرحوم الفارابي (رضون الله تعالى عليه) يرى أن: «الفيلسوف الكامل إمام».

فهذا الفيلسوف الكامل هو إمام، وإنّ كل فكره وجهته أن: الفلسفة

علم بأعيان أحوال الموجود، فالفيلسوف الكامل يعني ذلك الشخص العالم بأعيان أحوال الموجودات، ولو تذكروا هذا المعنى أمام أحد العرفاء، بأنّ الفيلسوف يقول: الفيلسوف الكامل إمام، لقال العارف العارف: «نعم، إنّهم يقولون الفيلسوف الكامل إمام، ونحن نقول: إنّ خليفة الله هو الشخص الذي يبيّن حقائق الأسماء»، يعني أنّ محتوى ومراد ومقصود كلا الاثنين واحد، ولكن يوجد تفاوت وتباين بينهما في اللفظ حسب الظاهر، فذلك يقول: «الفيلسوف الكامل إمام»، وهذا يقول: «هو الفرد الذي يكون مبيّناً لحقائق الأسماء الإلهية، وهادياً للناس، وواسطة للفيض».

ولو نعرض كلا المعنيين والاصطلاحين على المنطق والوحي والقرآن والروايات، نرى أن القرآن يقول: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[1]، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[2]، فالإنسان الكامل، والفيلسوف الكامل، والمبيّن لحقائق الأسماء هو الفرد الذي يكون مظهراً للكمال ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

ولو تلاحظون الكتاب الشريف للفارابي (المدينة الفاضلة)، لترون أنّ محور كلامه هو أنّ المدينة الفاضلة لا تتحقّق إلاّ إذا كان إمامهم وقائدهم وهاديهم يتّصف بمواصفات ذلك الشخص، وهذا المعنى هو الذي نقوله نحن الإمامية: بأن الأرض لا يمكن أن تخلو من حجّة، وأن الإنسان الكامل هو المبيّن لحقائق ذات الأسماء، وقلبه وعاء لحقائق القرآن، وأنّه كلام الله الناطق، ولا بدّ أن نجد أسرار القرآن في جدول نهر نيل وجوده.

---

(١) سورة يس، الآية: ١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣١.

فهذا الشخص هو حجّة الله وإمام معصوم، يعني أمير المؤمنين يعني وسائط أخرى للفيض الإلٰهي، يعني أناس كاملون: «إذا شاؤوا أن يعلموا، عَلِموا»[1]، بسبب تلك النفس القوية والمكتفية والكاملة والقدسية التي لديهم.

«مـا طـبـيـبـانـيـم وشـاگـردان حـقّ
بـحـر قُـلْـزَم ديـد مـا را فـانـفـلـق»[2]

فكلّما سلّط نظره على شيء لعلمه، وكلّما وجّه فكره نحو شيء لحصل عليه دون الحاجة للرجوع إلى كتاب ما، لأنّهم بأنفسهم كتب، وعندهم اطّلاع كامل بلغة كتاب تكوين نظام الوجود، فلا يحتاجون إلى أن يسألوا أحداً أو يرجعوا إلى كتاب ما.

الغوص في محيط المعارف والعلوم الإسلامية:

العلاّمة الطباطبائي هو ذلك الرجل العظيم، والغوّاص في بحار المعارف، وكان قد وصل إلى عمق المطالب العرشية لأسرار الحكمة المتعالية لحضرة صدر المتألّهين، فكان مجتهداً بحقّ في هذا الفن، وفي كلمات الشيخ الرئيس، سواء منطقه أو فلسفته وحكمته. وقد درس الشفاء عند أُستاذه العظيم السيّد حسين بادكوبه، وخلاصة غرضي وقولي أنّ العلاّمة الطباطبائي كان مجتهداً وصاحب نظر في حكمة (المشّائية)، ومجتهداً أيضاً في حكمة (الإشراق)، وكان مطّلعاً بدقائق أفكار (المشّائيّة)، ومستنبطاً وصاحب نظر في حكمة (الإشراق)، ووصل إلى

---

(١) الكافي/ الشيخ الكليني ١: ٣١٦، طبع دار الأضواء ـ بيروت، خاتمة المستدرك(الميرزا النوري ٥: ٤٣٤، طبع مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم.

(٢) المعنى: نحن أطباء وتلامذة الحقّ ما أن رآنا بحر قلزم حتى انفلق لنا، كما انفلق لموسى بن عمران في زمان فرعون. بحر قلزم: هو البحر الذي انفلق لموسى.

حقيقة أقوالهم، وكان أيضاً مجتهداً بحقّ في الحكمة المتعالية.

وبالإضافة إلى هذا الكمال العظيم للعلاّمة ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١)، فقد كان صاحب سير وسلوك ومراقبة كاملة وعجيبة وقوية جداً، وقد دوّنت في دفتر مذكّراتي أنّه عندما كنت في محضره الشريف جرى الحديث بيننا حول مواضيع العرش والأسرار والمواضيع الدقيقة الإلٰهية المتعالية، فقال:

«يا سيّد، إنّ هذا ما علّمناه إياه الملاّ صدرا». وقد استطاع نتيجة لهذا التبحّر في الحكمة المتعالية وتسلّطه على المواضيع المتعالية في كتب الشفاء والإشارات وحكمة الإشراق، أن يؤلّف ويصنّف كتابين مختصرين وعزيزين باسم (البداية) و(النهاية) في الحكمة.

ونريد أن نذكر الآن بعد حضرة الآخوند الملاّ صدرا، أسماء بعض المشايخ الذين كان لهم معرفة وتسلّط في فتوحات ذلك الشيخ العظيم، وكذلك في كتب (الفصوص) و(المصباح) و(التمهيد)، وهي كتب العرفان الدراسية الأربعة، ولهم المعرفة الكبيرة في دورة الحكمة المتعالية، و(شفاء) الشيخ، و(الإشارات)، وكذلك بالأفكار الأصيلة والقديمة للحكماء الإلٰهيّين في أُصول العقائد الإنسانية، بحيث وصلوا إلى عمق تلك الكتب، فبعد اسم الملاّ صدرا نستطيع أن نذكر في كلّ عصر وقرن عدداً قليلاً من العلماء والمشايخ.

فبعد الآخوند كان من تلامذته ـ مثلاً ـ حضرة فيض وفيّاض وغيرهم. ويذكرون مثلاً الحكيم الملاّ عليّ نوري إلى أن يصلوا إلى الميرزا محمد رضا قمشه، والميرزا هاشم الأشكوري، والسيّد حسين بادكوبه، وهكذا

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

حتى نصل إلى هذا الزمان، فنجد عدد من العظماء في أرجاء البلاد المختلفة، مثل الميرزا مهدي آشتياني، وحضرة الأستاذ الكبير الميرزا أحمد الآشتياني، وحضرة أُستاذنا الكبير المرحوم السيّد أبو الحسن القزويني، وحضرة الحاج الميرزا أبو الحسن الشعراني، وحضرة المرحوم العلاّمة الطباطبائي وأخوه الأكبر السيّد محمد حسن إلٰهي الطباطبائي، وقبلهم المرحوم علي المدرّس صاحب (بدائع الحكم)، وغيرهم من العلماء الذين يعيشون في مختلف مناطق إيران، فقد كان عددهم قليل جداً، فهم رجال علم استطاعوا تحمّل ثقل هذه المعارف والعلوم، فكانت أرواحهم وصدورهم وأفكارهم ممتلئة بهذه الحقائق والمعارف الإلٰهية، فنشروا بذور هذه المعارف، وكذلك حفظت هذه السلسلة من العلماء واحداً بعد الآخر هذه العلوم والمعارف التي هي تفسير أنفسي للقرآن وأُصول الدين، وأساس وأُصول ترقّي وتعالي الإنسان.

فهم كما وصفهم أمير المؤمنين حضرة الوصي عليه السلام في نهج البلاغة حيث قال: «**وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوب أَشْبَاهِهِمْ**»[1]، **فقد وصفهم أمير المؤمنين** عليه السلام بأنّهم كالمزارعين الذين ينثرون بذور المعارف في النفوس المستعدّة، فهي مزرعتهم، فحفظوا دين الله واحداً بعد الآخر بقلمهم ولسانهم بالتدريس والتربية والتأديب.

ويعدّ حضرة العلاّمة الطباطبائي من هؤلاء العظام، فقد أدرك أعماق هذه الحقائق، وكان مجتهداً في هذه العلوم العقلية، واستطاع أن يفهمها ويدركها جيداً، فكان مستنبطاً وصاحب نظر وفكر، فكان واصلاً يدرك كنه الكلام ولم يكن حاوياً للعلم فقط، بل واصلاً متذوّقاً وأهل نظر

(١) نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ـ قصار الحكم ١٤٧: ٣٧٤، ط. دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.

ورجل استنباط وأهل فكر، وكان أيضاً ـ وبهذا التعبير القصير ـ مجتهداً في العلوم النقلية والعقلية.

سؤال: المعروف أنّ من الخدمات القيّمة للعلاّمة الطباطبائي هي تعيينه لحدود وثغور الفلسفة الإسلاميّة، يعني تجنّب ما يصطلح عليه التطلّع غير الدقيق الذي ارتكبه بعض الفلاسفة الماضين، وحدّد بدقّة مكان العقل والدين، ولعلّه كان أحد الأسباب الرئيسية لازدهار ورونق الأفكار الفلسفية في حوزة قم العلميّة، فهل يمكن أن توضّحوا لنا هذه المسألة (تشخيص موقع الفلسفة بين المعارف الإسلاميّة)؟

الجواب: أودّ أن أوضّح لكم أن سؤالكم هذا يعتمد على هذا الأمر، وهو: أنّه لا فرق بين البرهان والعرفان والقرآن في نظر أهل المعرفة، وفي عين التوحيد للعلماء الإلٰهيين، فقولكم يعتمد على هذا الأصل، وهو سؤال شريف، وأمر مهمّ جداً، حتى أن العلاّمة الطباطبائي كان يصرّ ويؤكّد أن الشخص الذي يريد الفصل بين الفلفة والدين يكون قد ارتكب ظلماً عظيماً، فدين الله لا ينفصل عن الفلسفة أبداً، لأنّ الفلسفة ـ وكما وضّحت في السؤال الأوّل ـ ليست مجرّد اصطلاحات في الأُمور الطبيعية، بل هي برهان والوصول إلى الحقائق بالبرهان، وأنّ دين الله برهان ودليل، فحاشا وكلاّ أن يكون لمنطق الوحي حكم دون برهان، والفلسفة هي برهان الحقائق.

ونلاحظ أنّ السفراء الإلٰهيين، وهم أئمّة ديننا وأئمّتنا المعصومون، حيث كان كلّ واحد منهم وعاء لحقائق القرآن، وهم كلام الله الناطق، كانوا يتحدّثون مع الناس بالبرهان والاحتجاج، فالأسئلة التي كانت تطرح عليهم، وبشهادة كتبنا الروائيّة، كانت كلها احتجاج، كلها فلسفة وبرهان،

وكلّها عرفان، وكلها قرآن، كلّها صانعة للإنسان، وبرنامجاً لرقيّ وسموّ الإنسان، ومن هذه الكتب الروائيّة تلك الكتب التي كتبت بشكل خاص في الاحتجاج، مثل: (احتجاج الطبرسي)، (احتجاج البحار)، فقد كان الأئمّة الأطهار عليهم السلام والنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وحتى نفس القرآن، يستخدمون الاحتجاج في كلامهم وفي مواضيع مختلفة. فالاحتجاج برهان، وبالطبع احتجاج بالتي هي أحسن، لأنّه حاشا للأنبياء والسفراء الإلٰهيين أن يتحدّثوا مع الناس إرضاءً لأنفسهم، فهم مؤدّبون بالآداب الإلهية، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله **«أَدَّبَني رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْديبي»**[1].

فهم يرون الخلق مظهر الأسماء والصفات الإلٰهية، وهم الآباء العطوفون للنّاس، ويريدون أن يُثمر غرس وجود الناس لهذا فهم منزّهون عن السفسطة، ومعصومون من الأفكار الفاسدة، والتفوّه بالسفسطة، وقد أيّدهم الله فقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[2].

وفي هذه الكتب التي كتبت حول الاحتجاج وغيرها من المجامع الروائيّة، مثلاً في أُصول الكافي، في كتاب (التوحيد)، وفي كتاب (الحجّة)، وفي كتاب العقل، في أُصول العقائد هذه، نجد أنّ الأئمة عليهم السلام عندما كانوا يتعرّضون لأسئلة الناس لا يصدر منهم القول البذيء أو الشتيمة أو الكلام الخشن، بل كلّ ما يصدر عنهم من كلام هو برهان، ونور وعلم، وهذا البرهان والنور والعلم فلسفة كاملة، بل كمال الفلسفة وحقيقة الفلسفة.

---

(١) بحار الأنوار/ الشيخ المجلسي ١٦: ٢١٠، (ب (٩)، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

وأما سؤالكم حول حضرة العلاّمة الطباطبائي، نعم هو والحكماء الإلٰهيون تلامذة هذا المذهب، فهم يتنفّسون الفلسفة، ويتحدّثون الفلسفة، فأصبحوا في الأفق الأعلى، ليس بحدّه الطبيعي، ولا أن أقول: «البحث عن المادة خطأ»، فهذا مرحلة من الوجود أيضاً، بل كلامي هو: «ليس حصر في هذا الحدّ»، لا كما ترون، قديماً وحديثاً، بعض الأفراد المختصّين بالمسائل الطبيعية، أنّهم في الأصول الطبيعية والمسائل الطبيعية مع أحد الأفراد الإلٰهيين، مثلاً هل الجسم مركّب أو بسيط، مؤلّف من أجزاء صغيرة صلبة، والجزء الذي لا يتغيّر من أجزاء الذرّة أم لا؟ وفي خلق الكائنات، ما هو الرعد؟ ما هو البرق؟ وكيفية نشوء الغيم والمطر والندى والقوس قزح وغيرها من هذه الأمور؟ فالفيلسوف الطبيعي يكون مصاحباً للفيلسوف الإلٰهي حتى يصلوا إلى هذه العقبة، وهي معرفة النفس[1].

(١) في سماء المعرفة ـ ٥٤ـ ٦٢.

منزلة العلاّمة الطباطبائي في العرفان العملي:

ـ يقول الأُستاذ حسن حسن زادة آملي:

لقد كانت مكانة العلاّمة الطباطبائي (رضون الله عليه) في العرفان العملي أنّه وجد ووصل إلى يقين ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[1]، فهذا هو الطريق ولا يوجد سواه، فكان سلوكه وقوله وسكوته وقلمه دقيقاً بهذا الاتّجاه، وحتى آثاره الوجودية كلها كانت حاكية عن نزاهته وعظمة ذخائره العلميّة والعمليّة.

وعندما يزور الإنسان حضرة العلاّمة الطباطبائي فإنّه يتذكّر ذلك الحديث الشريف الذي نقله الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام في كتاب فضل العلم الكافي: **«مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَمِلَ بِهِ، وَعَلَّمَ للهِ دُعِيَ في مَلَكُوتِ السَّمٰواتِ عَظِيماً، فَقِيلَ: تَعَلَّمَ للهِ، وَعَمِلَ للهِ، وَعَلَّمَ للهِ»**[2].

ونقل العلاّمة الشيخ البهائي أبو الفضائل (رضون الله عليه) رواية أخرى بنفس هذا المعنى عن لسان أهل بيت العصمة عليهم السلام، في كتابه الشريف الأربعين الذي كان حاوياً أحاديث شريفة وقيّمة: قال رسول

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٢) الكافي/ الشيخ الكليني ١: ٨٥، ح ٦، طبع دار الأضواء ـ بيروت.

الله ﷺ: «**قالت الحواريّون لعيسى: يا رُوح الله، مَنْ نُجالِسُ؟ قالَ: مَنْ يُذَكِّرُكُمُ اللهَ رُؤْيَتُهُ، وَيَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَيُرَغِّبُكُمْ فِي الآخِرَةِ عَمَلُهُ**»[١].

إن للإنسان واردات وصادرات، ولا بدّ أن يكون مراقباً لنفسه بشدّة، فوارداته تصنعه، وصادراته تخبر عن باطنه، فكلام كلّ شخص دليل على شخصيته.

فهذا هو الإنسان الحقيقي، وهذه هي الحقيقة التي كانت واضحة بأحسن وأكمل وجه ممكن في حضرة العلاّمة الطباطبائي.

وإنّي ألتجىء إلى الله تعالى وأقسم به سبحانه أنّي لا أريد قول كلام مبالغ فيه إرضاءً لخاطري، أو أقوله جزافاً، أو إغراقاً، أو دون تأمّل وتفكّر، فهذا العالم الكبير الذي ارتحل من بيننا يُنادي (عظيماً) في ملكوت السموات، وقد كنت لمدة سبعة عشر سنة آنس بمحضره الشريف، فلم أرَ منه عملاً ولم أسمع منه قولاً لغواً؛ لأنّه كان شديد المراقبة لكلامه.

فكما تلاحظون أنّ كل ما صدر عن قلمه كان علماً من تفسير الميزان إلى رسائله الصغيرة، فكلّها كانت علماً وفكراً، عشقاً وعقلاً، برهاناً وعرفاناً وقرآناً، وتحقيقاً وتفسيراً وعطفاً على المجتمع، ولوضع الأسس لبناء المدينة الفاضلة[٢].

---

(١) المصدر المتقدّم: ٨٩، ح ٣.

(٢) في سماء المعرفة ـ ص ٤٥.

المراتب الفقهية للعلامة الطباطبائي

سؤال: بالنظر إلى أن المرحوم العلاّمة الطباطبائي كان يشتهر أكثر في مجال الفلسفة والتفسير، ونعلم أنّه كان يتمتّع أيضاً بمقام متميّز في العلوم الإسلاميّة الأخرى، فهل يمكنكم أن تبيّنوا لنا بعض الشيء عن مراتبه في مجال الفقه والأصول والمنطق؟

الجواب: لا بدّ أن أُوضّح أنّه بالإضافة إلى إكماله المقدّمات والسطوح بشكل متعارف في مدينة (تبريز) عند أساتذة ذلك الزمان، فإنّه قد أنهى علومه النقلية عندما هاجر إلى النجف لدى الآخوند الخراساني والمرحوم السيّد النائيني، فقد كان العلاّمة وبدون مبالغة ولا إغراق مجتهداً في الفقه والأصول كليهما، وأنّ تعليقاته على الكفاية (والتي تمّ طبعها) تمثّل نموذجاً بارزاً لعلمه في هذا المجال، ولو أنّها لم توضّح حقيقة العلم الذي يمتلكه في الأصول.

فكان يدرّس الفقه عند قدومه إلى قم، وكان يدرس مبحث الصوم، ثم أنّه، وحسب بيان وتعبير نفس العلاّمة، قد لاحظ أنّ دروس الفقه والأصول (العلوم النقلية) كانت تقام في قم ـ ولله الحمد ـ بحرارة وبكثرة، لكن لم تكن هناك دروس في الأصول، يعني الأصول الاعتقاديّة، (ولا أعني

أصول مقدّمة الفقه) في العقائد والتفسير والاعتقادات البرهانية والإمامة والولاية وفي علم الإمام والمبدأ والمعاد. لهذا بدأ العلاّمة بتدريس الحكمة الإلٰهية وتفسير القرآن وتربية الطلاّب.

ولقد جرى الحديث يوماً عن المباحثة والجلسات الليلية في البحث والتحقيق حول أصول العقائد الإسلامية، وقد كان كتاب الطريقة الواقعيّة الذي طرح في المجتمع قسماً من بركات تلك الجلسات، وكذلك كتاباته الأخرى كانت من بركات تلك الجلسات وطلاّبه وكتاباته فيها.

وكذلك قال: «ولأنّي لاحظت أن الحوزة بحاجة إلى معرفة القرآن، بدأنا بتفسير القرآن، ورأيت أيضاً أنّ الآخرين عندهم الفقه واوصول ويدرّسونها، فقرّرنا أن نبدأ بعمل ليس موجوداً عندهم ولم يدرّس». لهذا فقد قضى هذه الفترة من عمره الشريف على طريق إعلاء معارف أصول أمّهات منطق الوحي، وقد حقّق ـ ولله الحمد ـ هدفه، وخطى خطوات كبيرة في هذا المجال، وكان له عمر مليئة بالبركة، هو والكثير من المشايخ العظماء، كلّ حسب قدرته، إلاّ أنّه كان متنعّماً بنعم أكثر، وكما قلت سابقاً: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

تربية الحوزة العلميّة:

سؤال: المعروف أنّهم يقولون: «إنّ الأقلام أصبحت جارية» في قم بعد قدوم المرحوم العلاّمة الطباطبائي (قدّس سرّه) لها، يعني أنّه كان سبباً لرونق التأليف والكتابة وظهور الاستعدادات والطاقات الخلاّقة التي كانت موجودة بالقوّة في هذا المجال في الحوزات العلمية، كحوزة قم، فهل يمكنكم أن توضّحوا ذلك؟

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

الجواب: الحقّ ما تقولون، فقد كان مربّياً كبيراً، وكان مجلسه مجلس بحث وتحقيق وتدقيق، ومجلس برهان وعلم، بحيث إذا طرح فيه موضوعاً ما فلا بدّ من المضيّ فيه والغور إلى أعماقه، ولا يمكن لأي شخص أن يتكلّم كلاماً فيه إلاّ إذا كان مطمئنّاً منه، فكان هذا عمله، وكان طلبته يقضون وقتهم في مجلسه بهذا النحو. وعندما جئت إلى قم سنة ١٣٨٣هـ.ق كنت منذ ذلك الحين ولمدّة سبعة عشر أو ثمانية سنة في خدمة مجلسه الشريف في قم، ورأيت المجلس عظيماً، فقد كان مجلس تفسير القرآن ومجلس تربية وتأديب وتهذيب الأفكار.

فكان هذا الرجل العظيم يتصرّف بهذا الشكل، وحتى أنّه كان يرغم طلاّبه أن يهتمّوا بمواضيع خاصّة، وأن يفكّروا ـ مثلاً ـ بهذه المواضيع في وقت آخر، ويكتبوا كلّ ما يعرفونه عنها، ويقول البيهقي: «الرجل لا يصبح عالماً إلاّ إذا تعلّم الكتابة»، فقد كان عنده اهتماماً كبيراً بتعليم وتربية الطلاّب وترغيبهم بالكتابة والقلم وتحرير المعاني والمواضيع على الورق، فالحقّ هو ما طرحتموه في سؤالكم، فقد كان يصرّ إصراراً عظيماً في هذا الموضوع، وكان يريد تربية الحوزة، وقد توصّل ـ ولله الحمد ـ إلى نتائج قيّمة ولائقة من عمله واهتمامه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[1]، فكل من يرزع بذراً (لله)، فإنّ الله يتكفّل بنموّه وتربيته كما قام بتربيته، فقد قام الله بتربيته بحيث تلاحظون كلّ هذه الآثار منه، والمرحوم المطهّري الذي ذكرتموه هو أحد طلبته، وأنّ الكثير من طلبته في داخل وخارج البلاد كانوا ينهلون من منبعه الزلال.

سؤال: بنظركم إلى أي حدّ كان للأساتذة الكبار الذي تتلمذ على

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٠.

أيديهم المرحوم العلاّمة الطباطبائي لسنوات عديدة، تأثيراً على شخصيّته وصفاته الأخلاقية المتميّزة والرفيعة، وما هي الذكريات التي كان ينقلها عنهم، وبنظركم ما هي العوامل التي كان لها تأثير أكبر حتى يصبح العلاّمة الطباطبائي (العلاّمة الطباطبائي) بهذه الصفات والخصوصيات النادرة؟

الجواب: كما وضّحت سابقاً، لقد كان للعلاّمة أساتذة كبار في هذه المواضيع، وسؤالكم الشريف هذا يبتني على شيئين، فإنّه لا بدّ أن يكون قابلاً وكفوءً في قابليّته، وفاعلاً في فاعليته أيضاً، ويصدق أن المجالسة والمعاشرة مؤثّرة. وللخواجة عبد الله الأنصاري جملة قصيرة (أعجبتني كثيراً) حيث يقول: إلٰهي لا تظهر الدخان من النار والتراب من الرياح، بل الظاهر من الباطن والتلميذ من الأُستاذ.

فالتلميذ يحكي عن أستاذه كما أنّ (الولد على سرّ أبيه)، فالابن يحكي عن أبيه وعن أمّه، والتلميذ يحكي عن المعلّم، ولقد كان المرحوم العلاّمة الطباطبائي نموذجاً للعلم والتقوى والمراقبة والحضور والأدب مع الله، فكان معلوماً أنّه تلميذ لأساتذة، كالمرحوم الحاج السيّد علي القاضي (رضوان الله عليه)، والمرحوم الحاج الشيخ محمد حسين كمباني، والسيّد حسين بادكوبه، حتى أنّ العلاّمة كان يذكرهم ويمتدحهم، وأنّهم أهل علم وعمل، ولو تمعّنوا النظر في (المحاكمات) للعلاّمة الطباطبائي التي كتبها حول مكاتبات الأُستاذ الكمباني والأُستاذ السيّد أحمد الكربلائي الكبير (أستاذ القاضي)، للاحظتم كيف كان الأُستاذ العلاّمة يُمجّد أساتذته المرحوم القاضي والمرحوم الكمباني، ويصفهم بالإخلاص والتقوى والمراقبة والاهتمام بذاتهم، وبتعبير العلاّمة الطباطبائي: «كان المرحوم الكمباني غارقاً في ذاته دائماً»، وعندما

حصلت حادثة «كانت حول عظمة شخصية المرحوم الحاج السيّد علي القاضي) جعلتني أتشرّف بالحضور عنده، قال: «نعم، كان رجلاً عجيباً، قام بتربية الكثير من الطلبة، وما زال الكثير منهم على قيد الحياة لحدّ الآن»، وقد درس عند الكثير من الأساتذة، وله مكاشفات قويّة جداً بالإضافة إلى كمالات شهوده وعرفانه وسيره وسلوكه.

وقد ذكر حضرة الشيخ (آقا بزرگ تهراني)، اسم المرحوم القاضي في (الطبقات)، ويقول: «لقد كان لي مع المرحوم القاضي مجالسة ومعاشرة لعدّة سنوات» (لا أتذكّر عددها الآن، وقد كتبتها في دفتر مذكّراتي)، وذكر أنه كان مجتهداً.

إلا أنّهم عرفوا في فنّ معيّن؛ لأنّ أكثر آثارهم الوجودية فيه، أو أنّهم تخصّصوا في ذلك الفنّ، وكان موضع اهتمامهم أكثر من غيره في الفنون الأخرى، فمثلاً كان البعض يعرف أن المرحوم العلاّمة الطباطبائي فيلسوف، ولا يعرفه البعض الآخر أكثر من مفسّر (مع أنّ ذلك مدعاة فخر ومباهاة الإنسان، وأي فخر)، لكنّكم تلاحظون أنّه كان أديباً أيضاً، وشاعراً وكاتباً وفقيهاً وأصوليّاً، وكان خطّاطاً أيضاً، وعنده كلّ هذه الصفات، وقد كان هو وأخوه آية الله الحاج السيّد محمد حسن إلٰهي والمرحوم الحاج الشيخ الحاج محمد تقي الآملي والكثير من العلماء من بين أساتذنا الذين وصلوا إلى الكمالات الإنسانية عند محضر المرحوم الحاج السيّد عليّ القاضي، وقد استفاد من مجلسه كلّ منهم حسب طاقته وقابليّته، فقد ربّى ذلك الأُستاذ الكبير طلاّباً كباراً كثيرين. . .

وعلى كل حال فقد كان للعلامة الطباطبائي أساتذة كبار، وأن المرحوم القاضي كان مفسراً للقرآن، وقد قال عنه حضرة العلاّمة

الطباطبائي: «ليس عندي تفسيره، كان خطّياً ولم يطبع»، وكذلك كان أستاذه الآخر المرحوم السيّد حسين بادكوبه مفسراً أيضاً.

فكان أساتذة العلاّمة الطباطبائي مفسّرين وسالكين وفقهاء، فالمرحوم السيّد حسين بادكوبه كان من أعظم طلاّب المرحوم الميرزا هاشم الأشكوري العارف المشهور، ومن طلبة المرحوم الميرزا أبو الحسن جلوه، ومن الطلاّب المتميّزين للمرحوم علي المدرّس صاحب (بدائع الحكم)، وكان أيضاً أهل مراقبة شديدة. وكذلك المرحوم السيّد حسين بادكوبه كان مراقباً لنفسه جداً، ولا يتكلّم إلاّ لضرورة، وقد نقل لي بعض طلاّبه: «كان يتنفّس بحساب ومراقبة شديدة».

ولقد كان المرحوم العلاّمة الطباطبائي قابلاً للاستفادة من محضر هؤلاء الأساتذة الكبار، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى كان الفيض الإلٰهي أيضاً الذي يجري ويسري دائماً للجميع، فهو (فيّاض على الإطلاق)، ولا يوجد شخص محروم في العالم، فلفظ الحرمان يستعمل بشكل عادي ومتعارف في زماننا، إلاّ أنّه لا يوجد شخص محروم، وأنّ كل شخص يأخذ حسب قابليّته، والله يعطيه ذلك. فإذا وجد المجال اللاّزم، والمزرعة اللازمة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوب أَشْبَاهِهِمْ**»، كان أولئك العظام مزارعين إلٰهيّين، فتثمر لنا من محضر هؤلاء المزارعين والمربّين الإلٰهيين هكذا غرس وهكذا بركات ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1][2].

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤ـ ٢٥.

(٢) في سماء المعرفة: ٧٣ ـ ٧٨.

المحاورات العرفانية والأخلاقية

بين

العلامة وتلاميذه

بسم الله الرحمن الرحيم

التلميذ: بالنسبة إلى **كيفيّة نزول الوحي** على رسول الله ﷺ، هل كانت حالة الرسول ﷺ تتغيّر دائماً حين نزول وحي الآيات القرآنية والأوامر والنواهي الإلٰهية بحيث كان يخرج عن حالته العبادية؟ أم أنَّ هذا كان يحدث في بعض الأحيان؟

لأنّه قد ورد في النصوص المأثورة أنّ النبي ﷺ كان يصفرّ ويمتقع لونه حين نزول الوحي عليه ويضطرب بدنه، ويبدو كشخص قد فقد الوعي.

وهل كان يقرأ الآيات الإلهية التي كانت تنزل عليه على الناس وعلى كتّاب الوحي وهو على تلك الحالة غير العادية أم عند إفاقته؟ وهل كان كتّاب الوحي يلازمونه دائماً بحيث يكتبونه فور نزوله أم كانوا يكتبونه بعد ذلك؟ وهل كان نزول الوحي بواسطة جبرائيل، أم أنَّ الله تعالى كان يتجلّى للرسول بدون واسطة أو حجاب؟

العلاّمة: لا يمكن القول بأنَّ حالة الرسول ﷺ كانت تتغير دائماً عند نزول الوحي، فنحن لا نمتلك دليلاً، فمن أين ندّعي ذلك؟ في بعض الحالات كان يتغيّر حال الرسول عند نزول الوحي فيبدو كشخص مقضيّ عليه، ثم يفيق بعد ذلك.

أما بالنسبة لقراءة الآيات على هذه الحالة غير العادية أو الإفاقة، فليست واضحة تماماً.

فقد يُستفاد من بعض الروايات أنّه كان يقرأ الآيات في حالة الإفاقة. فعندما كان يعود من عالم الفناء إلى البقاء كان يسأل: كيف قرأتم؟ فهذا دليل على أنه كان يقرأ في حالة الفناء والقبض، وكان يقرأ أيضاً عندما يرجع إلى حالته العادية.

وفي الرواية أنَّ الصادق عليه السلام سئل: **يابْنَ رَسُولِ اللهِ!** أكانت الغشية التي تأخذ النبي صلى الله عليه وآله تكون عند هبوط جبرئيل؟ فقال: لا، إنَّ جبرئيل عليه السلام إذا أتى النبي صلى الله عليه وآله لم يدخل عليه حتى يستأذنه، فإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد، وإنَّما ذلك عند مخاطبة الله عزّ وجلّ إيّاه بغير ترجمان وواسطة.

ولدينا في شأن نزول سورة المائدة وروايات نزولها ـ مثلاً ـ أنّها نزلت على النبيّ الأكرم حين ورد المدينة، فثقل عليه الوحي حتى وقعت بغلته وتدلّت بطنها حتى كادت سرّتها تمسّ الأرض.

والآيات والروايات التي تبيّن كيفية نزول سور القرآن متعدّدة، فبعضها يدلّ على أنَّ الله تعالى كان يتجلّى ويوحي للنبي بدون واسطة، ويستفاد من البعض الآخر أنَّ الوحي كان يتمّ عبر جبرائيل.

وفي الرواية الواردة في آخر سورة الشورى «حمَ، عَسَقَ»:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾[١].

جعل وحي الله قسيماً مع إرسال الرسل، أي أنَّ الوحي قسيم إلى

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥١.

جانب إرسال الرسول والتكلّم من وراء الحجاب. فكلّما كان هناك وحي، يكون جبرائيل موجوداً.

وتدلّ هذه الآية بوضوح على أنَّ القرآن عندما كان ينزل بطريق الوحي، فإنَّ ذلك كان يتمّ من قبل الله الحقّ المتعال بدون واسطة على الرسول الأكرم دون وجود جبرائيل. أما حين كان ينزل جبرائيل، فإنَّ تجلّي الحقّ لم يكن بدون واسطة.

هذه المسألة واضحة جداً، لأنَّ الأمر جاء بصورة الحصر المطلق الدائر بين النفي والإثبات **(إلاَّ وحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً)**، فكلّ ما يكون بتوسّط جبرائيل أو أعوانه لا يكون وحيّاً.

والآيات الواردة في أول نزول القرآن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾[1].

بحسب الظاهر كانت وحياً من قبل الحقّ المتعال، ومن المعلوم أنَّ جبرائيل قد أحضرها فيما بعد.

ويوجد في القرآن ثلاث آيات أيضاً تدل على أنَّ القرآن قد نزل بواسطة جبرائيل وروح القدس والروح الأمين.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾[2].

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾[3].

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١ ـ ٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٢.

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[1].

أجل، فظاهر هذه الآيات يدلّ على أنَّ جبرائيل هو الذي أنزل كلّ القرآن، ولأجل الوصول إلى حقيقة المطلب والجمع بين آيات القرآن فكّرتُ بطريقة ما، ولست أدري هل ستؤدّي المعنى أم لا، وهي بأن نقول: إنَّ كيفية نزول الوحي لها ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: وهي نزول الوحي مِن الله سبحانه وتعالى بلا واسطة.

المرحلة الثانية: وهي أدنى من الأُولى، حيث تكون من جانب الله سبحانه، ولكن بواسطة جبرائيل الذي يكون حاضراً، وعن طريقه يوحي الله سبحانه وتعالى.

المرحلة الثالثة: وهي أدنى من سابقتيها، حيث يكون الوحي من جانب جبرائيل، ولكن بواسطة أعوانه، فالله يوحي عبر جبرائيل، وجبرائيل عبر وسائطه وأعوانه، وفي هذه المرحلة يكون الله سبحانه حاضراً وجبرائيل وأعوانه كذلك.

ولدينا آية في القرآن الكريم تدلّ على المرحلة الثالثة التي يتمّ فيها الوحي بواسطة أعوان جبرائيل، حيث توضّح أنَّ الآيات الإلهية كانت تنزّل في ألواح أو ما شابهها من صحف في أيدي السفرة الكرام ويقرأها رسول الله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾[2].

وفي هذه المراحل الثلاث، يكون أهل المراحل حاضرين، أي حضرة الحقّ وجبرائيل والسفرة الكرام البررة، ونزول الوحي أيضاً في كلّ

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣ـ ١٩٥.
(٢) سورة عبس، الآيات: ١١ـ ١٦.

مرحلة من المراحل يكون بواسطة الجميع، أي بتوسّط السفرة الكرام وتوسّط جبرائيل وبتوسّط حضرة الحقّ تعالى، غاية الأمر أنّه في بعض الموارد يكون النظر الأصليّ إلى ذات الحقّ، بحيث لا يكون النظر نحو جبرائيل والسفرة. وهذا إنَّما كان في الموارد التي تتغيّر فيها حالة رسول الله، وهو الوحي الوارد في سورة الشورى «وَحْياً».

وفي بعض الموارد يكون النظر الأصليّ إلى جبرائيل، بحيث لا يكون متوجّهاً إلى السفرة، والنظر إلى ذات الحقّ يكون بمرآة جبرائيل.

وفي بعض الموارد يكون النظر الأصليّ إلى الملائكة وأعوان جبرائيل، وهم السفرة. ومن خلال وجودهم وتعيّنهم يتوجّه النظر إلى جبرائيل وحضرة الحقّ تعالى. وحول هذا القسم الأخير طبق الآية الكريمة: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾؛ غاية الأمر أنه في بعض الأحيان يكون بتوسّط الرسول جبرائيل، وفي البعض الآخر بتوسّط السفرة الكرام الذين هم أعوانه.

لأنه طبق الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ فإنَّ الله تعالى عندما يوحي فإنَّه يتكلّم، وفي تكلمه لا يتّخذ واسطة، فإنَّه يتجلّى مباشرة ويتكلم، والرسول الأكرم يدرك هذا التكلم.

ويوجد شبيه لهذا المعنى فيما جاء حول قبض الروح، فهنا ثلاث مراحل في القرآن الكريم:

الأولى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[1].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

الثانية: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[1].

الثالثة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[2].

ويوجد نظير لهذه الآية في القرآن الكريم أيضاً. وعلى كلّ حال، يستفاد من هذه الآيات أنه في إحدى المراتب يقبض الله سبحانه الأرواح مباشرة، وفي المرتبة الأدنى ينسب القبض إلى ملك الموت، وفي المرتبة الأخيرة ينسب قبض الأرواح إلى الملائكة والرسل.

وفي جميع هذه المراحل يكون الله تعالى حاضراً إلى جانب ملك الموت والملائكة، والاختلاف فقط فيما يرتبط بالشخص المحتضر الذي لا يكون متوجّهاً إلى غيره سبحانه وتعالى بأيّ وجه من الوجوه، فيقبض الله روحه بدون واسطة أخرى، فلا يرى المتوفّى عزرائيل أو أي ملك آخر حتى وإن كانوا عاملين في هذا الموقف.

وفي بعض الموارد لا يكون مقام المحتضر بحيث يمكنه من الاستغراق صرفاً في أنوار حضرة الأحدية، ولأنَّ فيه مراتب من الخلوص (الإخلاص)، فإنَّ قبض روحه يتمّ بواسطة عزرائيل.

وفي بعض الموارد يتمّ القبض بواسطة الملائكة الجزئية وأعوان عزرائيل. وفي الصورة الثانية لا يشاهد ذات الحق، وفي الصورة الثالثة لا يشاهد ذات الحقّ ولا عزرائيل.

وعلى كل حال، فإنَّ اختلاف هذه المراتب يعود إلى اختلاف الإدراك والدرجات والمقامات عند المحتضرين.

وكما ذكرنا، فإنَّ اختلاف درجات الوحي ومراتبه في المراحل الثلاث يعود إلى اختلاف الحالات والمقامات والأوضاع التي تحدّد

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦١.

الوسائط لنزول الوحي، والله سبحانه وتعالى أنزل الوحي بإحدى هذه الطرق الثلاثة.

* * *

التلميذ: في الآية الكريمة: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾[1]. هل مفادها أنَّ جميع كلمات الإمام عليه السلام صلى الله عليه وآله كانت وحياً؟ أم أنَّ ظاهرها هو أنَّ الآيات القرآنية التي كان يتلوها رسول الله كانت وحياً؟

فقد نجد البعض يستدلّون من خلالها على أن جميع كلمات النبي العادية كانت وحياً منزلاً أيضاً. مثلاً قضية الأمر بحركة جيش أُسامة، أو قضية الورقة والدواة عند احتضاره: «آتوني بدواة أكتب لكم ما لا تضلّوا من بعدي أبداً» فإنَّهم يستدّلون بالآين الشريفة ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾.

فكلمات الرسول هذه أوامره ونواهيه في الأُمور الفردية والعائلية أو الأمور الاجتماعية ألم تكن وحياً؟ ولا شك أنَّ كلمات رسول الله العادية كانت صحيحة وطبق موازين الحقّ، ولكن هل يصحّ الاستدلال بآية ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾؟

العلاّمة: لهذه الآية: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾ إطلاق، وهو يشمل وحي آيات القرآن وغيره، ويمكن القول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتحدث أبداً حتى في الأُمور العادية متأثّراً بالميل وهوى النفس.

ولكنَّ الآية ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾، ترتبط بالقرآن الكريم والآيات المنزلة، ولا ترتبط بالأُمور العادية أو الأوامر الشخصية التي كان يصدرها النبي صلى الله عليه وآله.

* * *

---

(١) سورة النجم، الآيات: ٣ ـ ٥.

التلميذ: البعض لا يستعملون أثناء حديثهم ضمير أنا، فلا يقولون: أنا فعلت كذا، وأنا قلت كذا، وأنا ذهبت... بل يستعملون بدل ذلك ضمير الغائب هُوَ، فيقولون: فعل ورحل وقال وأكل، فهل يقصدون من ذلك رعاية نوع من الأدب ويريدون منها أن لا يعتادوا على لفظ أنا، وتجنّب الإنّية ونسبة الأفعال إلى النفس؟ أم أنَّ مقصدهم إسناد الأفعال إلى الحقّ ونفي أيّ وجود لهم في مقابله؟ لو أنَّ هذا المقام ليس بمقام التوحيد الصرف، وفي ذلك المقام غير وجود الحقّ لا يرى شيئاً، ونسبة الأفعال إلى النفس في الحقيقة هي نسبتها للحقّ تبارك وتعالى.

العلاّمة: لعل البعض منهم يهدف من وراء ذلك إلى رعاية الأدب واجتناب التلفّظ بالأنا والإنيّة لأجل إعداد أرضية الوصول إلى المقام التوحيدي.

وما أذكره في قضية التوحيد أنَّ الإمام الصادق عليه السلام كان يلتفت كثيراً ويميل إلى إرجاع لفظ «هو» إلى الله، الذي يشير إلى مقام الذات. وإذا كان الأمر هكذا، فلا هو إلاّ الله، وكفى.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾[1].

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[2] (الكلام عن «هو»، ولفظ «هو» يرد في البين).

---

(١) سورة الإخلاص، الآية: ١.

(٢) سورة الحشر، الآيات: ٢١ـ ٢٣.

وممّا يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه شاهد في عالم الرؤيا النبيّ الخضر عليه السلام، وذلك في ليلة غزوة بدر، فسأله أن يعلّمه ذِكراً يهزم به الأعداء، فقال له الخضر: قل: **يَا هُوَ يَا مَنْ لاَ هُوَ إلاَّ هُوَ.**

وعندما استيقظ من نومه أخبر رسول الله بما شاهده؛ فقال له صلى الله عليه وآله: يا عليّ! عُلِّمت الاسم الأعظم(١).

فما أعمق هذا الذكر: **يَا هُوَ يَا مَنْ لاَ هُوَ إلاَّ هُوَ**، وهذه المسألة تتّضح جيداً في قضية توحيد الوجود. **يَا هُوَ، يَا مَنْ هُوَ، يَا مَنْ هُوَ هُوَ، يَا مَنْ لاَ هُوَ إلاَّ هُوَ.**

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقاتل وهو يتلو هذا الذكر.

أجل، فإنَّ هُوَ من ظهوراته تدلّ على أشياء.

فهذه كلها ظهورات، والناس يبصرون بأعينهم العمياء، أما أمير

---

(١) وقد ذكرت هذه الرواية في «مجمع البيان» في تفسير سورة الإخلاص: **حَدَّثَنِي (أي قال أبو جعفر عليه السلام)** وَحَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليهم السلام أنّه قال: رَأَيْتُ الخِضْرَ فِي المَنَام قَبْلَ بَدْرٍ بِلَيْلَةٍ، فَقُلْتُ لَهُ: عَلِّمْنِي شَيْئاً أَنْتَصِرُ بِهِ عَلَى الأَعْدَاءِ! فَقَالَ: قُلْ: يَا هُوَ يَا مَنْ لاَ هُوَ إلاَّ هُوَ! فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَصَصْتُ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله.
فَقَالَ: يَا عَلِيّ! عُلِّمْتَ الاسْمَ الأَعْظَمَ؛ فَكَانَ عَلَى لِسَانِي يَوْمَ بَدْرٍ.
قَالَ: وَقَرَأَ عليه السلام يَوْمَ بَدْرٍ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: يَا هُوَ يَا مَنْ لاَ هُوَ إلاَّ هُوَ ٱغْفِرْ لِي وَٱنْصُرْنِي عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ. وَكَانَ يَقُولُ ذَلِكَ يَوْمَ صِفِّينَ وَهُوَ يُطَارِدُ، فَقَالَ لَهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! مَا هَذِهِ الكِنَايَاتُ؟! قَالَ: اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ وَعِمَادُ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ، لاَ إِلٰهَ إلاَّ هُوَ، ثُمَّ قَرَأَ: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إلاَّ هُوَ وَٱلْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِٱلْقِسْطِ لاَ إِلٰهَ إلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ، وآخِرَ الحَشْرِ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الزَّوَالِ.
وأصل هذه الرواية في «التوحيد» للصدوق، في باب تفسير قل هو الله أحد، ص ٨٩، يرويها بسنده المتّصل عن أبي البَخْتريّ وهب بن وهب، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن الإمام الباقر عليه السلام، وضمن التفسير يستشهد الإمام الباقر بهذه الرواية التي رواها عن آبائه، عن أبيه سيد الشهداء عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام

المؤمنين عليه السلام فإنّه ينظر بعين أُخرى. فهذه كلها أطوار وأشكال وظهورات الحقّ جلّ وعلا.

* * *

التلميذ: هل كان المرحوم القاضي رضون الله عليه يذكر هذه المقولات التوحيدية في مجالسه لأحد من تلامذته وإخوانه الخواصّ؟

لقد كان المرحوم القاضي رجلاً حقّاً كالطود الشامخ، وكان حيوياً له سعة واسعة وذكاء خارقاً، ولكنَّ بعض تلامذته الذين كانوا يتردّدون عليه بعد اثنتي عشرة سنة من المراودة والدراسة لا يعلمون شيئاً عن التوحيد حتى بقوافي عوالم الكثرات، ولا أدري هل كان يداريهم ويسايرهم إلى أن رحل آية الحق هذا عن الدنيا؟!

ولكنَّ بعض التلامذة على عكس ذلك، كانوا يتزوّدون بسرعة من المعارف الإلهية والمعرفة بالأسماء والصفات وتوحيد ذات الحقّ.

العلاّمة: أجل، كان المرحوم القاضي يذكر تلك الأُمور لبعض طلاّبه الذين يمكن الاعتماد عليهم إلى حدّ ما، وبالفعل فإنَّه كان رجلاً عجيباً، يتصرّف مع كلّ واحد من تلامذته حسب استعداداته وحالاته.

فالأشخاص متفاوتون، فبعضهم أسرع رُشداً والبعض الآخر بطيء النمو.

وفي الأحوال العادية كان المرحوم القاضي يتواجد معظم أيام الشهر عشرة أو عشرين يوماً، ويزوره الرفقاء ويتباحثون معه، ثم يختفي فجأة لعدة أيام لا يعلم أين هو ولا يتمكّن من الوصول إليه، لا في البيت ولا في المدرسة أو المسجد أو الكوفة أو السهلة أو أيّ مكان آخر، وكانت أُسرته لا تعلم أين هو وإلى أين ذهب.

وكان الرفقاء يبحثون عنه في أي مكان يمكن مشاهدته فيه، ولكن دون جدوى، ثم يعود مجدّداً للظهور، وكان يقيم الجلسات الخاصة في

منزله وفي المدرسة، وهكذا كانت له حالات عجيبة وغريبة.

وكان النجفيّون ينقلون عنه حادثة، لا ينحصر ذلك في واحد أو اثنين منهم، بل يتعدّى الأمر. وقد سألته عنها بنفسي فصدّقها.

فقد كان المرحوم القاضي مريضاً، وكان جالساً في إيوان المنزل الذي كان يسكنه، وكان يشكو آلاماً في رجليه بحيث فقدت رجلاه القابلية على الحركة والانثناء. وكان هناك في تلك الأثناء حرب دائرة في النجف الأشرف بين طائفتي **الزگرت والشمرت**؛ وكان أُولئكم قد تحصّنوا فوق سطوح المنازل يترامون من فوقها. فكانت الحرب دائرة بين هذا الطرف من المدينة وطرفها الآخر. ثم رجحت كفّة الزگرت، فأجلوا طائفة الشمرت وردّوهم على أعقابهم، فكانوا في تقدّمهم يحتلّون المنازل والسطوح الواحد بعد الآخر.

وكانت جماعة من طائفة الشمرت قد تحصّنت فوق سطح داره واستخدمته في رمي الزگرت، فلمّا تغلّبت طائفة الزگرت جاء رجالها إلى هذا السطح فقتلوا رجلين من الشمرتيين؛ وكان المرحوم القاضي جالساً في الإيوان يتفرّج. ولمّا احتلّ الزگرتيّون السطح وتراجع الشمرتيّون عنه، نزل الزگرتيون إلى ساحة البيت واحتلّوا البيت وقتلوا اثنين آخرين من الشمرتيين في الإيوان، واثنين آخرين في ساحة البيت، فصار مجموع قتلاهم ستة أشخاص.

وكان المرحوم القاضي يقول: حين قتلوا ذينك الشخصين فوق السطح، فقد كان الدم يتدفّق من الميزاب إلى الأسفل كالمطر، وكنت جالساً في مكاني دون أن أقوم بحركة. ثم إنَّ الكثير من الزگرتيين ندفّقوا في غرف منزله فجمعوا كلّ ما يصلح للاستفادة منه ونهبوه.

واللطيف في هذا المقام أنَّ المرحوم القاضي كان يقول: لم أتحرّك وبقيت جالساً على حالتي السابقة وأنا أتأمّل.

ويقول: كان الدم يتدفّق من الميزاب، وكان هناك قتيلان في الإيوان وقتيلان آخران ملقيان في ساحة البيت، وأنا أتفرّج.

وهذه الحالات يقال لها الفناء في التوحيد، حيث إنَّ السالك لا يرى حينذاك شيئاً غير الله تعالى، فهو يشاهد جميع الحركات والأفعال، يشاهدها تجلٍّ للحقّ.

وقد حصل للمرحوم القاضي حادثة أُخرى حضرتها وشاهدتها بأُمّ عيني؛ وبيانها كالآتي: كان لأحد أصدقاء المرحوم القاضي حجرة في مدرسة الهنديّ البخارائيّ المعروفة في النجف الأشرف، وكان قد سافر وأوكل حجرته إلى المرحوم القاضي ليستفيد منها في الجلوس والنوم وسائر احتياجاته.

وكان المرحوم القاضي يأتي إلى تلك الغرفة نهاراً قرب الغروب، كما كان رفقاؤه يأتون كذلك فيقيمون صلاة الجماعة. وكان مجموع التلامذة يتراوح بين سبعة إلى عشرة أشخاص. ثم يجلس المرحوم القاضي إلى ما بعد ساعتين من الليل، وكانت المذاكرات تقام، فيطرح التلامذة أسئلتهم ويستفيدون منه.

وحصل أن كنّا في أحد الأيّام جالسين في الحجرة، وكان المرحوم القاضي جالساً أيضاً، فشرع بالكلام عن التوحيد الأفعالي بحرارة، وكان منهمكاً بالحديث عن التوحيد الأفعاليّ وبيانه بصورة موجّهة لإثباته، حين بدا أنَّ السقف قد انهار. وكان في أحد طرفي الغرفة مدخنة للمدفأة، فبدا من هناك صوت كمثل القرقعة، ثم حصل انهيار مع جلبة وصخب، وتصاعد الغبار فملأ فضاء الحجرة. فنهض التلامذة والسادة الحاضرون بأجمعهم وأنا معهم، واتّجهت إلى باب الحجرة فرأيت التلامذة مزدحمين بأجمعهم وكلّ منهم يدفع الآخر إلى الوراء من أجل أن يخرج من الغرفة.

ثم اتّضح في تلك الحال أنَّ الأمر ليس كذلك، وأنَّ السقف لم يتهدّم فعدنا وجلسنا بأجمعنا كلاًّ في مكانه. أما المرحوم السيّد (القاضي) فظلّ جالساً في موضعه دون أن يتحرّك قيد أُنملة ولم تصدر منه أدنى حركة مع أنَّ ذلك التصدّع قد بدأ من فوق رأسه.

وعندما جلسنا قال: **تعالوا يا موحّدي التوحيد الأفعاليّ!** نعم، كان جميع التلامذة مرتبكين لا يحيرون جواباً.

وهكذا جلسنا مدة، حتى أنهى بياناته التي تفضّل بها حول التوحيد الأفعاليّ.

أجل، لقد امتحنّا في ذلك اليوم بالدرس الذي كنا نتعلّمه.

وفيما بعد علِمنا أنَّ هذه المدرسة كانت متّصلة بمدرسة أُخرى بحيث إنَّ حجرات هذه المدرسة تقابل حجرات المدرسة الأخرى، ولا يفصلهما عن بعض إلاّ حائط واحد.

وكان سقف الحجرة المقابلة لحجرتنا قد تصدّع وانهدم، ولأنَّ السقفين كانا متّصلين عن طريق مدخنة المدفأة، لهذا سمعنا هذا الصوت وامتلأت الحجرة بذلك الغبار الكثيف.

أجل، هكذا مررنا في الامتحان.

* * *

التلميذ: إذا قدم شخص لآخر هدية، يقول البعض إنَّه على أساس التوحيد الأفعاليّ ينبغي أن يقبلها، لأنَّ المعطي هو الله، ولا يليق ردّ الإحسان والهدية من الله، إضافة إلى أنّه لا مكان هنا لحفظ ماء الوجه وعزّة النفس. فعلى السالك أن ينسى عزّة نفسه وماء وجهه مقابل هذا الإحسان، وبقبوله الهدية بعنوان أنها من الله يكون قد فتح له طريقاً إلى التوحيد الأفعاليّ.

والبعض يجعلون عنوان عزّة النفس شعاراً، فلا يقبلون أي شيء من أيّ أحد، والبعض لهم ملاحظات أخرى، فماذا يفعل الإنسان السالك إلى الله لأجل الوصول إلى التوحيد؟ هل يقدّم مقام عزّة النفس، أم يفديه لأجل التوحيد الأفعاليّ لحضرة الحقّ؟

وما أكثر ما يكون مقدم الهدية قد قدّمها تحت عنوان المساعدة والصدقة وفي نفسه شعور بالشفقة، أو تحت عنوان الرشوة لكي يمهّد الوصول إلى مآربه المشروعة أو غير المشروعة. وفي معظم الأحيان يكون قبول الهدايا مستلزماً حقّاً وميلاً للمعطي على المتقبّل، أو على الأقل يوجب المنّة، والخضوع لها ممّا يؤدّي إلى حلول نوع من الضرر على السالك، ومن جانب آخر فإنَّ الانزواء والتقوقع وعدم المبالاة بخلق الله وطلباتهم يؤدّي إلى ضرر يلحق بالسالك.

العلاّمة: إذا لم يستلزم قبول الهدية عواقب غير مشروعة وذلّة، فهو ضروري، وردّ الهدية أمر غير لائق. وفي الظاهر توجد رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيها: **لاَ يَرُدُّ الإحْسَانَ إلاَّ الحِمَارُ**؛ أو أنه لا يردّ الإحسان إلاّ الحجر الصلد أو الشخص الخشن.

أجل، إذا كان لهذا العمل عواقب أو آثار أخلاقية سيئة، كالذلّة والمنّة وأمثالها، فإنَّ قبولها ليس مطلوباً.

وعلى السالك أن يلاحظ هذه الجهات، وبشكل عام ينبغي القول إنَّ قبول الهدية لازم **وَلاَ يَرُدُّ الإحْسَانَ إلاَّ الحِمَارُ** حكم كلّي مسجّل.

أمّا عندما يستلزم الذلّة والمنّة أو أشياء أُخرى غير صحيحة، ففي هذه الموارد تمنع الأحوال الأخلاقية منها، لأنَّ نفس هذا القبول للذلّ والمنّة يسد الطريق على السالك.

* * *

التلميذ: ينقل أنَّ المرحوم الآخوند الملاّ[1] فتح علي السلطان آبادي على الرغم من رياضاته ومكاشفاته ومقاماته، لم يكن في مراحل ومنازل توحيد ذات الحقّ المتعال.

العلاّمة: نعم، لعلّه كان وارداً في المجاهدات النفسانية دون التوحيد.

ومع أنه كان معاصراً للمرحوم الملاّ حسين قلي الهمدانيّ الذي كان نادرة عصره في التوحيد، فلم يكن هناك أيّة علاقة أو مراودة بينهما وإلى حدٍّ ما كانت العلاقة بينهما مكدّرة. لقد كان المرحوم الملاّ حسين قلي الهمدانيّ في الواقع ظاهرة فريدة، وقد تتلمذ على يديه أكثر من ثلاثمائة طالب، وبالطبع من طلابه وطلاب طلابه.

في ذلك الوقت كان بين هؤلاء الطلاّب مجموعة من الكافلين إلى حدٍّ ما، كالسيّد أحمد الكربلائيّ والشيخ محمد البهاري والسيّد محمد سعيد الحبوبي والحاج الميرزا جواد التبريزي رضوان الله عليهم.

قيل إنَّ جماعة في ذلك الوقت تآمروا على النهج العرفاني والإلهيّ والتوحيدي للمرحوم الملاّ حسين قلي وكتبوا عريضة انتقاد إلى **آية الله الشَّرَبْيانيّ** ـ الذي كان زعيم المسلمين المطلق في ذلك الزمن ـ وذكروا فيها أنَّ الملاّ حسين قلي ينتهج طريقة الصوفية.

وعندما اطّلع المرحوم الشربياني على العريضة، حمل قلمه وكتب:

«ليت الله يجعلني مثل الملاّ حسين قلي الصوفيّ».

---

(١) المُلاّ ـ بمعنى العالم ـ رجل الدين. (م)

وبهذه الجملة أنهى كل المؤامرة، ووأد فتنتهم في مهدها[1].

كان أُستاذنا المرحوم الميرزا علي القاضي ينقل عن أُستاذه المرحوم السيّد أحمد الكربلائي رحمة الله عليه قوله: كنا دائماً بين يدي المرحوم الملاّ حسين قلي الهمدانيّ رضون الله عليه وكان بكلّ وجوده لنا، ولكن عندما جاء الشيخ محمد البهاري وأصبح بينهما علاقة معرفة ومودّة، وداوم على خدمته والتردّد عليه حتى سرق منّا الملاّ.

وينقل المرحوم القاضي عن السيّد أحمد الكربلائيّ قصة حدثت في أحد أسفاره حين التقى بأحد الدراويش المُشرقي الضمير، فقد قال له ذلك الدرويش إنّه مأمور بأطّلاعه على أمرين: الأول الكيمياء، والثاني: على موتي غداً، وأريد منك أن تجهّزني وتدفنني.

فأجابه السيّد أحمد: أنا لست بحاجة إلى الكيمياء، ولكنني سوف أتكفّل تجهيزكم. وبالفعل توفّي الدرويش في اليوم التالي، وتولّى السيّد تكفينه ودفنه.

لقد أدرك القاضي صحبة وملازمة السيّد مرتضى الكشميريّ لسنوات متمادية، ولازمه في السفر والحضر.

وكان السيّد مرتضى من أوتاد زمانه ومن الزهّاد المشهورين، وله حالات ومقامات ومكاشفات شتّى، وكان عظيم الأدب وجليل القدر وحسن الأخلاق، ولكنَّ منهجه لم يكن منصبّاً على التوحيد والعرفان كمنهج الملاّ

---

(١) ذكر أحوال المرحوم الآخوند الملاّ حسين قلى الهمدانيّ المرحوم العلاّمة آية الله آقا بزرك (الكبير) الطهرانيّ في ج ٢، ص ٦٧٤ إلى ٦٧٨ من كتابه «نقباء البشر» من «أعلام الشيعة»، قائلاً: **«وهُوَ في خُصوصِ هَذا العِلمِ** (يعني علم الأخلاق) **أمرٌ عَظيمٌ لا يحدُّه وَصفٌ؛ فَقد مَضَت حُقبةٌ طَويلةٌ لم يجدْ خِلالها الزَّمنُ بِمن ماثلَهُ في علم الأخلاقِ وتهذيب النُّفوسِ؛ وقد خُتِمَ به هذا الفنُّ فلم ينبَغ بعدهُ مَن يكونُ لهُ ما كانَ لِلمُترجَم لَهُ بحيثُ يُعدُّ نظيراً له»** إلى آخره.

حسين قلي، ولكن مع ذلك فإنَّه كان إنساناً جليلاً ذا نفس عظيمة.

ينقل المرحوم القاضي أنه جاء يوماً إلى محضر السيّد مرتضى الكشميريّ لزيارة مرقد حضرة سيد الشهداء عليه السلام من النجف الأشرف إلى كربلاء، ودخل عليه في حجرته في المدرسة الواقعة في سوق ما بين الحرمين.

وكانت الحجرة تقع في نهاية درج مرتفع، عندما وصلنا إلى باب الغرفة كان المرحوم متقدّماً وأنا في الخلف فوجدناه مقفلاً.

فنظر إليّ السيّد الكشميري وقال: يقال: إنَّ كل من يذكر اسم أُمّ موسى عليه السلام على القفل يفتح له الباب، وأنا أُمّي ليست أقلّ من أُمّ موسى ثم وضع يده على القفل وقال: **يا فاطمة**، ففتح ودخلنا.

* * *

التلميذ: لقد نقلتم لي قصة وقد أوردتها في رسالة «لبّ اللباب في سير وسلوك أُولي الألباب» تتضمن أنَّ شاباً من أهل الفسق والفجور قد اهتدى وصارت له مكاشفات ببركة إرشاد **سيّد** أخبره بأحواله الباطنية، وجاء فيها أنَّ سيد الشهداء عليه السلام رحّب ذلك الشاب عند سفره إلى كربلاء المقدّسة.

وفيما بعد عندما رجعت من النجف الأشرف إلى طهران تعرّفت عليه وهو مهندس مدني، وحدّثني عن أحواله بالتفصيل. والتقيت به لمرات عديدة، وذكر لي قصة زيارة العتبات المقدسة وإدراك محضر المرحوم آية الله السيّد جمال الدين الكلبايكاني تغمّده الله برحمته، وهو اليوم من أصدقائنا، وهو والحمد لله رجل جدير ومؤدّب بآداب عالية.

يقول: إنَّ ذلك السيّد الذي حضر وأخذ بيدي وأصبحت أتردد عليه فيما بعد ثم اهتديت على يديه كان المرحوم آية الله السيّد محمود الزنجاني

إمام جمعة زنجان. ثم حدثني عن بعض أحواله وأخلاقه، فهل كان لكم سابقة معرفة به؟ وهل هذه المعرفة تمتدّ من النجف الأشرف؟

العلاّمة: كان المرحوم الزنجانيّ رضون الله عليه رجلاً عظيم الشأن جليل القدر مؤدّباً بالآداب الإلهية وحسن السيرة، وقد أدركت محضره مراراً وتكراراً، ولكن لم يكن هناك سابق معرفة به عندما كنّا في النجف، فأوّل لقاء لنا كان في مدينة قم، وذلك عندما قدم لزيارة السيّدة المعصومة عليها السلام ولقاء ابنه الحاج عز الدين، ولعله كان يميل لرؤيتي، وكنت مشتاقاً لزيارته ورؤيته لما سمعت عنه من علوّ الضفائل. وصادف يوماً أنني كنت في الحمّام العمومي وكان واقفاً ينشّف بدنه بالمنشفة، وبدون أيّة معرفة سابقة تعرّفنا على بعضنا البعض، وفيما بعد كانت لنا مجالس عديدة ولقاءات حميمة.

لقد كان رجلاً عظيماً وكريم النفس ومتعبّداً ومن أهل المراقبة، وقد نهل من نبع تربيته جمع من أهل الفهم والفضل والسلوك في بلدة زنجان وحصلوا على كمالات عديدة، رحمة الله عليه[1].

* * *

(١) إنّ ابن المرحوم إمام جمعة زنجان رحمة الله عليه رفيقاً شفيقاً وصديقاً عزيزاً وهو آية الله الحاج السيّد عزّ الدين الزنجانيّ دامت بركاته الذي حمل أمانة إمامة الجمعة في زنجان بعد أبيه، وكذلك زعامة الحوزة العلميّة فيها. وهو الآن مقيم في مدينة مشهد المقدّسة على ثاويها آلاف التحية والثناء.
وهو من أبرز تلامذة العلاّمة الطباطبائي القدماء الذي حضر لسنوات مديدة دروسه في «الأسفار» و«الشفاء»، وسابق معرفتي به يعود إلى تلك الأيام حيث كنّا ندرس في بلدة قم الطيّبة.. وهو رجل جامع بين العلم والعمل، وبين المنقول والمعقول، ومفسّراً للقرآن الكريم، ومتبحّراً في الأبحاث العلمية والفلسفية ومتعبّداً بالعبوديّة الإلٰهية، ومتخلّقاً بالأخلاق الحسنة. وحقّاً يمكن عدّه أحد النماذج البارزة لمفاخر الإسلام. وقد استفاد جمع كبير من الطلاّب من بركات محضره، اللهم احفظ نعمة وجوده لعالم العلم والفضيلة. اللّهُمَّ طوّل عمره وأيّده وسدّده.

التلميذ: يشاهد في رسول الله ﷺ حالات في الحقيقة تبعث على الحيرة وتدهش الإنسان. فمن جهة نعلم مدى اطّلاع (روحي له الفداء) على الحوادث الداخلية والخارجية والدسائس التي تُحاك ضدّه، أي ما كان يحدث داخل بيته وخارجه. وكان يعلم ما سيحدث من بعده، والمصائب التي ستنزل ببضعته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، ويعلم وقائع حرب الجمل وصفّين والنهروان، حتى لقد قال يوماً لنسائه: **لَيْتَ شَعْرِي أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الجَمَلِ الأَدْبَبِ تَنْبَحُهَا كِلاَبُ الحَوْأَبِ.**

وأيضاً إخباره عن المتخلّفين عن جيش أُسامة، والمظالم التي سوف يتعرّض لها أمير المؤمنين عليه السلام، وقصة القلم والدواة التي يكتب بها ما لا تضلّ أُمّته من بعده أبداً، وما ذكروه من هذيانه وكلامه المشوّش.

ومن جهة أخرى، كان النبي يداريهم إلى تلك الدرجة، ويتعامل معهم برفق ولين ولا يبدّل أخلاقه ومنهجه معهم، ولم يقابلهم بالسوء أو الخشونة، وإنَّما كان كل وجوده نبعاً من التحمّل والصبر والاستقامة.

فهل ما ذكرتموه حول المرحوم القاضي في حادثة الزكرت والشمرت أو قصة تصدّع سقف الغرفة المجاورة هو نفس ممشى رسول الله على إثر **التوحيد الأفعاليّ**، بحيث لم يكن يرى هذه الوقائع إلا من الحقّ المتعال، ولهذا كان يصبر ويتحمّل؟

العلاّمة: كلا! فحال رسول الله أعلى وأفضل من حالات المرحوم القاضي، لأنَّ النبي كان في مقام البقاء بعد الفناء، وفي هذا المقام تبقى جميع آثار عالم الكثرة وخصائصه من الآلام والأمراض والغصص الروحية محفوظة في مكانها. وفي نفس حالة الوحدة والآثار والعلائم التوحيدية كانت جهات عالم الكثرة كلّها بجميع خصائصها مشهودة في الرسول الأعظم ﷺ.

ولهذا بكى عند وفاة ابنه إبراهيم، واعتبر ذلك من آثار رحمة الله، ولكن بما أنَّ هذه القضية كانت من الله، فلم يقل إلاّ حقاً وسلّم بقضاء الله وقال: «**العَيْنُ تَدْمَعُ وَالقَلْبُ يَحْزَنُ وَلاَ نَقُولُ إلاَّ حَقّاً وَإنَّا بِكَ يَا إبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**.

ولهذا كان يزداد ألماً عند اطّلاعه على تلك الحوادث، وهو يدرك آثار تلك الجهات وخصائصها أكثر ويتحمجلها، ولكن بما أنه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، فقد كان يصبر ويتحمل دون أن يخرج عن استقامته أبداً.

وما أعلمه من قول الرسول الأكرمﷺ: **مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ مِثْلَ مَا أُوذِيتُ قَطُّ**، أنه يقصد المنافقين في الداخل، وليس الأعداء الخارجيين من الكفّار والمشركين.

فقد لاقى النبيّ من المنافقين في داخل بيته وخارجه ـ من أُولئك الذين اعتنقوا الإسلام في الظاهر ولكنّهم باطنياً لم يؤمنوا بالله ورسوله قطّ ـ من الأذى ما لم يمكن وصفه.

وإذا وضعنا مسألة المنافقين جانباً، فإنَّ مصائب النبيﷺ لم تكن أكثر من مصائب الأنبياء السابقين، بل بحسب الظاهر كانت مصائبهم أعظم من مصائبه وأشدّ.

فقد حدث لبعضهم أن رُمي في وعاء وطُبخ، وهذا لم يحدث للنبي ولكنّه مع ذلك يقول: **مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ مِثْلَ مَا أُوذِيتُ قَطُّ!**

وهذا ما يرجع إلى قضية المنافقين على الظاهر، وبالفعل نحن لا نستطيع أن نفهم ونصف بحقّ مدى الأذى الذي تعرّض له النبيّ منهم.

* * *

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

التلميذ: هل كان مقام التوحيد حاصلاً للأئمة الأطهار عليهم السلام منذ الطفولة، أم أنهم حصلوا عليه نتيجة المجاهدات والسير التكامليّ والرشد حتى أوصلوا استعداداتهم إلى الفعلية.

العلاّمة: يمكن النظر إليه على أنه **إرهاص**. والإرهاص حالة خارقة للعادة تحدث قبل موقعها ووقتها، وقبل البلوغ. كما حدث بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام عند ولادته، فبعد خروج أمّه **فاطمة** من بيت الله الحرام، حمله رسول الله صلى الله عليه وآله فبدأ أمير المؤمنين بقراءة سورة المؤمنون إلى آخرها[1]، مع أنه كان طفلاً لم يبلغ عدة ساعات من العمر.

فهذا هو الإرهاص، أما باقي خوارق العادات، فإما أن تسمّى كرامة أو معجزة.

أما إذا تقدّمت على وقتها فإنها تسمى إرهاصاً. ويمكن إيجاد مثل هذه المعاني في حياة أئمة الهدى، كما حدث بالنسبة لفاطمة الزهراء عليها السلام عندما تكلّمت وهي في بطن أُمها. فهذا إرهاص وليس بمعجزة. وكذلك بالنسبة للإمام الجواد عليه السلام، بل وجميع الأئمة عليهم السلام إجمالاً.

التلميذ: هل كان أئمة الهدى عليهم السلام أجمعين يلعبون في سنّ الطفولة مثل سائر الأطفال ونفس ألعابهم؟ وهل وردت هذه المسألة في سيرهم وتواريخهم والروايات الصحيحة؟

العلاّمة: إن مسألة لعبهم لا إشكال فيها. وينقل بشأن حضرة الإمام الجواد عليه السلام قصّتان:

---

(١) نقل ابن شهر آشوب في مناقبه ج ١، ص ٣٥٩، الطبعة الحجريّة، قصّة قراءة أمير المؤمنين لسورة المؤمنون. وكذلك نقلها المجلسيّ في «البحار» ج ٩، ص ٥، طبعة الكمباني عن «المناقب»، و«الأمالي» للشيخ الطوسيّ.

الأولى: أنّه كان يلعب مع الأطفال في أحد الأزقّة، فمرّ المأمون عليهم وسأله أسئلة أجاب عنها جميعاً[1].

الثانية: عن الصوفيّة، وهي القصة التي رووها عن أبا يزيد البسطاميّ الذي كان يلعب مع الإمام الجواد لعبة الاختباء والبحث. فاختبأ الإمام عند دوره وبدأ بايزيد بالبحث عنه، ولكنّه مهما بحث وفي أيّ مكان من العالم، فلم يجده. وينقلون هذه القصة ككرامة للإمام. وفجأة سمع بايزيد صوت الإمام وكأنه ينبعث من قلبه، قائلاً: أنا هنا! فأين تبحث؟!

ولست أذكر الآن أين قرأت هذه القصّة، ربما كانت في كتاب «طبائق الحقائق» أو كتاب «نفحات الأُنس» لجامي. ولكنّهم ينقلونها هكذا، ومن الطبيعيّ عدم استطاعة بايزيد أن يجد الإمام عليه السلام.

وهناك اثنان يدعيان جامي. الأول: عبد الرحمن، والثاني: أحمد. وكتاب «النفحات» لعبد الرحمن، ولقد كان أنضج من أحمد، ولعبد الرحمن أشعار جيدة لها بيانات جيدة، وبعض كتب جيّدة.

ولعبد الرحمن: «اللوائح» و«اللمعات»، وقد طالعت كتاب «اللمعات» ولكنّني لم أر «اللوائح».

* * *

التلميذ: هل تتذكّرون شيئاً عن المرحوم القاضي رحمة الله عليه حول

---

(١) أورد الشيخ البهائيّ هذه القصة بالتفصيل في «مفتاح الفلاح» ص ١٧١، طبعة سنة ١٣٢٤هـ ضمن بيان بعض أدعية الإمام الجواد، وقال: رواها الخاصّة والعامّة؛ وكذلك رواها الحرّ العامليّ في «إثبات الهداة» ج ٦، ص ٢٠٢، عن «مفتاح الفلاح»، وقال: وقد ذكر هذه القصّة محمد بن طلحة الشافعي في كتاب «مطالب السؤال».

قائم آل محمد الإمام الحجّة بن الحسن العسكري أرواحنا فداه وكيفية ظهوره؟

العلاّمة: في الرواية أنَّ القائم عندما يظهر يبدأ دعوته من مكّة ما بين الركن والمقام، يسند ظهره إلى الكعبة ويعلن دعوته، فيجتمع له ثلاثمائة وستون نفراً من خواصّه.

كان أُستاذنا **القاضي** رحمة الله عليه يقول: وفي هذه الحالة يقول لهم شيئاً فينتشرون في أرجاء العالم، ولأنَّ الجميع يستطيعون طيّ الأرض، فإنَّهم يبحثون في كلّ نقطة من العالم، ويعرفون بعدها أنه لا أحد له مقام الولاية الإلهية المطلقة ولا مأمور بالظهور والقيام ولا المعرفة بكلّ الأسرار الإلهية إلاّ صاحب الأمر عليه السلام.

وعندها يرجعون إلى مكة، ويسلّمون له ويبايعونه.

كان المرحوم القاضي رضوان الله عليه يقول: أنا أعلم ما هي الكلمة التي سيقولها لهم الإمام فينتشرون في الأرض.

وقد قرأت في الروايات الشريفة أنَّ الإمام الصادق عليه السلام يقول: وعندي علم تلك الكلمة.

يقول المرحوم القاضي: من المسلّم أنَّ بعض أفراد زماننا قد أدركوا محضر الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف وتشرّفوا بخدمته.

أحدهم كان مشغولاً بالذكر والدعاء في مسجد السهلة في مقام صاحب الزمان، فرأى فجأة إمام الزمان في نور قويّ جداً، وهو يقترب منه، فأخذته الأُبّهة والعظمة إلى درجة أشرف على الموت، وتقطّعت أنفاسه، فأقسم على الإمام بالأسماء الجلالية لله أن لا يقترب منه أكثر.

وبعد أُسبوعين، كان هذا الشخص مشغولاً بالذكر في مسجد الكوفة فظهر عليه الإمام وأعطاه مراده، وتشرّف بلقائه.

يقول المرحوم القاضي: إنَّ هذا الشخص هو الشيخ محمد تقي الآمليّ[1].

(١) كان المرحوم الشيخ محمد تقي الآمليّ من علماء طهران البارزين، وهو من الطبقة الأُولى من حيث الفقاهة والأخلاق والمعارف. وكان يدرِّس الفقه والفلسفة من «منظومة السبزواريّ» و«الأسفار الأربعة»، وصاحب حاشية «مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى» وحاشية وشرح «المنظومة» للسبزواريّ. وكانت تربطه صداقة وزمالة علمية بوالدي.

أدركت محضره المبارك مرّات عديدة فشاهدته عظيم الأدب سليم النفس بعيداً عن الأهواء، ولم يتصدّى للفتوى حتى آخر عمره، ولم تُطبع له «رسالة عمليّة»، وقد استفاد أيّام شبابه في النجف الأشرف من دروس الأُستاذ القاضي رحمة الله عليه في الأُمور العرفانية، وكان صاحب كمالات.

بعض المحاورات الأخلاقية
بين
العلامة وتلاميذه

المحاورات

بسم الله الرحمن الرحيم

العلاّمة: جرت حادثة عجيبة في تبريز أيام طفولتي؛ حيث كان يعيش في تبريز درويش يسير دائماً وبيده الفأس الخاصّ بالدراويش المسمّى بطبرزين، وكان رجلاً نحيفاً، أسمر اللون، وله إطلالة جذّابة، ويدعى **بيدارِ عليّ**. وعندما تزوّج ورزق بولد سمّاه **بيدارِ عليّ** أيضاً.

وكان يشارك دائماً في مجالس العزاء والخطابة، ويقف أمام الناس ويرفع الفأس قائلاً: **لا تغفل عن عليّ**، وقد شاهدته مرات عديدة في تلك المجالس.

في إحدى الليالي قدم أحد أصدقائه لزيارته، ولكنّه لم يكن موجوداً في المنزل، فتولّت امرأة بيدار عليّ ضيافته، وبقي إلى أن حان وقت النوم ولكنَّ بيدار علي لم يأت.

وتقرر أن يبيت الضيف في تلك الليلة إلى أن يحضر صاحب المنزل. وبالفعل بات في الغرفة التي كان طفل بيدار علي نائماً فيها، ولم تأخذه أمه معها إلى الغرفة الأُخرى حيث نامت وأقفلت الباب على الضيف. ولكنَّ بيدار علي لم يحضر في تلك الليلة.

استيقظ الضيف في منتصف الليل يريد قضاء حاجته، وعندما أراد الخروج وجد باب غرفته مقفلاً، فطرق الباب ونادى على أهل المنزل، ولكن دون جدوى.

فاشتدّ عليه الأمر ولم يعد قادراً على الحصر.

قال في نفسه: لأجعل هذا الطفل ينام مكاني وأنام مكانه وأقضي حاجتي وعند الصباح يظنّون أنَّ هذا بول الطفل.

فحمل الطفل ووضعه مكانه، ولكن بمجرّد أن استلقى الطفل حتى تغوّط واتّسخ كل السرير.

فنام الضيف مكان الطفل، وبات ليلته تلك ولم يغمض له جفن من شدّة الخجل أن يُرى سريره متّسخاً، وكان يُحاكي نفسه، وماذا سيقولون غداً إذا رأوا سريري، وكيف يمكن أن أشرح لهم هذا الخطأ، وهذه الخيانة التي أدّت إلى خطأ أعظم و...؟

وفي الصباح عندما فتحت المرأة باب الغرفة للضيف كي يخرج لقضاء حاجته والوضوء، خرج الضيف من الغرفة مطأطىء الرأس، ثم ترك المنزل مباشرة بدون أي وداع.

وبعدها كان الرجل يتجنّب ملاقاة **بيدار علي** بأي طريقة في مدينة تبريز. وعندما كان يراه من بعيد يهرب من أمامه، أو يختبىء في إحدى الدكاكين حتى لا يراه بيدار علي.

في إحدى المرات التقيا وجهاً لوجه في السوق، فأراد ذلك الرجل أن يهرب من أمامه، ولكنَّ بيدار علي ناداه قائلاً: كداكدا (وهي في اللغة التركية الآذرية تستعمل للدلالة على التحقير والذلّة)، لماذا تغوّطت تلك الليلة كالأطفال؟

فقال الضيف بخجل: أُقسم بالله إنني لم أتغوّط؛ وثم شرح قصة خيانته بالتفصيل.

التلميذ: إنَّ هذه الحكاية معبّرة جداً، وهي تبيّن أنَّ كل من يريد أن يلصق خيانته بالآخرين، فإنَّ الله يبتليه بالفضح الأكبر.

لأنه كما لكرامة الإنسان من قيمة عنده، كذلك كرامة الآخرين لها قيمة ومحترمة، ولا ينبغي لأحد أن يجعل كرامة غيره فداءً لكرامته وأن يرفع الخطأ عن نفسه ويضعه في رقبة الآخرين، فهذا العمل في عالم التكوين والواقع ومتن الحقيقة، عملٌ مذموم وخطأ حتى لو كان بالنسبة إلى طفل صغير.

وعلى الإنسان أن ينتبه دائماً أنَّ نظام التكوين فاعل، ولن يبقى عمل الإنسان بدون أثر أو ردّة فعل **إِنَّ اللَّهَ لَبِالْمِرْصَادِ**[1].

لقد كان عمل هذا الضيف كذباً عملياً، وكما أنَّ الكذب القوليّ خطأ فكذلك العملي.

---

(١) اقتباس من الآية ١٤، من السورة ٨٩: الفجر: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾.

النص المكتوب على ضريح العلاّمة الطباطبائي

كتب على لوح تربة حضرة الأُستاذ العلاّمة الطباطبائي (رضون الله تعالى عليه) بقلم تلميذه الذي اقتطف من معارف علمه حسن حسن زاده الآملي، ما نصّه:

إنَّا للهِ وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ

روضة من رياض الجنّة، ادْخُلُوها بِسَلاَمٍ آمِنِينَ

قد تجافى عن دار الغرور، وارتحل إلى مثوى الكرامة والسرور، عَلَم العِلْم والعمل، عميد الدين، فخر الإسلام والمسلمين، الراقي إلى ذرى المعارف القرآنية، والسامي إلى أسنمة النحائت الإنسانية، الذي عزفت نفسه عن الدنيا وما فيها، فتساوى عنده ترابها وتبرها، مؤسِّس نشر أُصول المعارف الإلٰهية في الحوزة العلمية الإمامية بقم، مربّي النفوس السمتعدّة، المفسّر الكبير صاحب التفسير العظيم الميزان، والصحف القويمة القيّمة الأخرى في تبيان أسرار ما صدرت عن أهل بيت العصمة والوحي، الحكيم المتألّه، والفقيه الصمداني، والعارف الربّاني المرتقي إلى جنّة الذات، آية الله الكبرى، العلاّمة الحاج السيّد محمد حسين الطباطبائي التبريزي، وقد لبّى نداء ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ صبيحة ١٨ من

محرم ١٤٠٢هـ.ق، وقد مضى من عمره الشريف ثمانون عاماً، وحشر مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وإنّي لعاجز عن مدح وثناء مجد وسناء تلك الجلسات الصباحية، ولسنوات طويلة، في حضور معطي النور، أُستاذ التعليم والتأديب العلاّمة الطباطبائي، والتي كانت سبباً لفتح أبواب الرحمة من إلقاء أُصول المعارف الإلٰهية، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير جزاء العاملين، إنّ الله لا يضيّع أجر من أحسن عملاً.

(دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[1].

(١) في سماء المعرفة، ص ٨٥ـ ٨٦.

حياة العارف السيّد
عبد الكريم الكشميري (قدس سره)

حياة العارف السيّد عبد الكريم الكشميري

ولادته:

ولد آية الله السيّد عبد الكريم الرضوي الكشميري في سنة ١٣٤٣ هجرية في النجف الأشرف من عائلة علمائية، فهو حفيد آية الله السيّد حسن الكشميري أحد مراجع الدين في كربلاء، وسبط آية الله السيّد محمد كاظم اليزدي الذي ثنيت له وسادة المرجعية الدينية العامة للشيعة في عصره وصاحب كتاب العروة الوثقى.

وهو ينتسب إلى السلالة العلوية الطاهرة من أبويه معاً[١].

شجرة نسبه:

يقول السيّد عبد الكريم الكشميري: يرجع نسبنا إلى السيّد موسى المبرقع ابن الإمام محمد الجواد عليه السلام المدفون في قم. فأجدادي في الأصل قميون، ثم هاجر جدي الرابع عشر وهو السيّد حسين الرضوي القمي إلى الهند وهو معروف جداً في تلك الديار، وقبره الآن في كشمير مشهور يُزار في منطقة سفيلم پوره من نواحي كشمير الهند، وهو صاحب كرامات كثيرة، وقد نُقل عنه مناظرة مع أحد المعاندين حينما جاءه وهو

---

(١) آفتاب خوبان: ١٣، روح وريحان: ١٣.

يتوضأ فقال له: إن الدليل على صحّة مذهبنا وحقانيته أنني أستطيع أن أطير في الهواء عدة أمتار وأنت لا تستطيع ذلك. فقال له السيّد حسين: اِفعل ذلك. فطار ذلك الرجل في الهواء عدة أمتار، فرمى السيّد حسين نعله إلى أعلى، فوقف ذلك النعل على رأس ذلك الرجل وأخذ يضربه حتى أنزله إلى الأرض، فخجل وولّى هارباً.

وبقي أجداد السيّد عبد الكريم الكشميري في الهند إلى أن هاجر جدّه الثاني السيّد عبد الله الرضوي الكشميري إلى كربلاء واتّخذها وطناً له.

وأمّا شجرة نسبه الشريف فيها كما أمضاها النسابة المعروف السيّد المرعشي النجفي: السيّد عبد الكريم الكشميري بن السيّد محمد علي بن السيّد محمد حسن بن السيّد عبد الله بن السيّد كاظم بن السيّد محمد بن السيّد أحمد بن السيّد جمال الدين بن السيّد جلال الدين بن السيّد علي بن السيّد حسين القمي بن السيّد محمد بن السيّد أحمد بن السيّد منهاج بن السيّد جلال الدين بن السيّد قاسم بن السيّد علي بن السيّد حبيب بن السيّد أحمد بن السيّد موسى المبرقع (المدفون في قم) ابن الإمام الجواد عليه السلام ابن الإمام الرضا عليه السلام.

ويتّصل نسب السيّد عبد الكريم بالإمام الرضا عليه السلام بست وعشرين واسطة[1].

تأليفاته:

لم يُعهد من العرفاء التصدّي للكتابة والتأليف إلا ما اقتضته الضرورة من المراسلات أو التعليقات على بعض الكتب المتداولة بين أيدي الطلاب أو تسجيل محاضراتهم ودروسهم في الأخلاق والعرفان. ولم

(١) آفتاب خوبان: ٢٠، روح وريحان: ٢٠.

يستثن من هذا العُرف المترجم له، حيث دوّن خلال مسيرة حياته في النجف الأشرف بعض محاضرات أساتذته وبعض التعليقات على المناهج الدراسية. وقد جلب معه قسماً منها حين هجرته إلى إيران عندما تعرّضت حياته للخطر على أيدي أزلام النظام البعثي، ولكن صادرها منه شرطة الحدود العراقية على الحدود العراقية الإيرانية، وهي: المحاضرات الأخلاقية للشيخ العارف مرتضى الطالقاني، وتقريرات أبحاث آية الله الخوئي، وشرح على كفاية الأصول حظي بتقريظ آية الله الخوئي وآية الله الميلاني، وكتيب في الأذكار والأوراد وديوان شعر باللغة العربية[1].

يقول السيّد الكشميري: إن أرض النجف مربيّة، وهي تربة لا تضاهيها تربة أخرى، وخاصة لأعمال التزكية ولاسلوك، فهي تفتح الآفاق أمام الإنسان وتحلّق بالروح عالياً. والنجف حسنها حسن جداً وسيئها سيء جداً، فأشرارها لا مثيل لهم، وأخيارها لا نظير لهم أيضاً، وهذه هي خصوصية مدينة النجف[2].

إن أكثر التوفيقات التي حصلت للعلماء والأولياء في النجف الأشرف كانت بسبب أمير المؤمنين عليه السلام ورعايته لهم. وهيبة النجف في النفوس هي من أثر هيبته عليه السلام، يقول السيّد الكشميري: إن للنجف هيبة عظيمة وهي من هيبة أمير المؤمنين عليه السلام بحيث إن أعلم العلماء فيها هو مثل أي طالب عادي.

وكان يقول أيضاً: أرض النجف منوّرة، وفي أحد الأيام عندما كنت راجعاً من كربلاء إلى النجف بالسيارة كانت هنالك طفلة صغيرة تخاطب

---

(١) روح وريحان: ١١٩.
(٢) شيدا: ١٧ـ ١٨.

أمّها قائلة وذلك قبل وصولنا إلى النجف بفرسخ: أماه كم هذه الأرض نورانية![1].

وبعد هجرة السيّد الكشميري إلى إيران بقي قلبه متعلّقاً بالنجف الأشرف، وكان يلهج بذكراها دائماً. يقول تلميذه السيّد علي أكبر صداقت: كان أحياناً يصف النجف وكأنّه لا يوجد في الدنيا مدينة سواها، فكان يقول: إن كل إيران لا تعادل النجف. وهنا نتذكّر مجنون ليلى الذي كان يلهج بذكر نجد وهي الأرض التي تسكن فيها ليلى، بل كان يقبّل أحياناً ترابها ويقول إن فيها رائحة ليلى[2].

---

(١) روح وريحان: ٦٨.

(٢) آفتاب خوبان: ٣٩.

تعلق السيد الكشميري بالنجف الأشرف

يقول السيّد الكشميري: النجف شيء آخر، وحتى مساجدها الصغيرة لها معنوية خاصة لا تضاهيها حتى مساجد إيران الكبيرة كمسجد گوهرشاد في خراسان(١).

ويقول أيضاً: ثلاثمائة وستون نبياً مدفونون في النجف، ولكن دفن في كربلاءمائتان وستون نبياً فقط، وقبر نبي الله آدم ونبي الله نوح عليهما السلام إلى جنب قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وقد جاء في زيارته عليه السلام «السلام عليك يا مولاي وعلى ضجيعيك آدم ونوح»(٢).

نعم فالنجف هي الأرض التي حفر فيها نبي الله نوح عليه السلام قبر أمير المؤمنين عليه السلام قبل سبعمائة عام من الطوفان، وهو القبر الذي زاره أحد عشر إماماً، واليوم يذهب بقية الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف لزيارة جده عليه السلام. ويظهر من الروايات أن زيارة أمير المؤمنين عليه السلام أكثر ثواباً من زيارة الأئمة الآخرين(٣).

إنّ مكانة النجف رفيعة إلى درجة أن شخصاً مثل المرحوم الشيخ زين

(١) روح وريحان: ٦٩ـ ٧٠.
(٢) روح وريحان: ٦٩ـ ٧٠.
(٣) روح وريحان: ٦٩.

العابدين المرندي المسلَّم الاجتهاد ومن أهل التقوى كان يأتي أحياناً ويجلس في باب صحن أمير المؤمنين عليه السلام حيث يجلس المتسولون، وحينما يقال له: يا شيخنا إن جلوسك في هذا المكان قبيح ولا يليق بك، كان يقول: إن هذا المكان يمرّ منه إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف والخضر عليه السلام إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام، وأنا أجلس هنا لعلّهما يلتفتا إليّ وتشملني عنايتهما[1].

إنّ أهم معالم النجف الأشرف هو ضريح أمير المؤمنين عليه السلام، وكان السيّد الكشميري يواظب على زيارته في كل يوم منذ صغر سنّه. تقول زوجته متحدثة عن برنامجه اليومي: كان يصلّي الفجر في البيت، وبعد أن ينتهي من تعقيبات الصلاة يبدأ بالمطالعة والتدريس. ويصلّي الظهر في أغلب الأحيان في مسجد السوق الكبير، ويخرج من البيت أيضاً قبل الغروب ويصلّي صلاتي المغرب والعشاء في صحن أمير المؤمنين عليه السلام، وبعدها يجلس في الصحن الشريف قرب مقبرة جدّه يتباحث مع أقرانه، ثم يذهب في الليل إلى وادي السلام ويبقى هناك إلى منتصف الليل مشغولاً بالعبادة[2].

ويقول السيّد الكشميري: كانت إذا عرضت لي مشكلة أذهب إلى صحن أمير المؤمنين عليه السلام وأقرأ سبع مرات (ناد علياً...) فتحلّ هذه المشكلة[3].

ويقول الحاج صاحب عضد الله الذي رافق السيّد الكشميري خمسة وعشرين عاماً في النجف الأشرف: تعرّضت في إحدى الأيام إلى مشكلة

---

(١) آفتاب خوبان: ٣٧.

(٢) شيدا: ٣٦.

(٣) روح وريحان: ٦٨.

كبيرة فقلت للسيد الكشميري: يا سيدنا أين أذهب فإن مشكلتي صعبة جداً؟ فقال لي: لا تقل صعبة فإنّ حلال المشكلات هو أمير المؤمنين عليه السلام، وأنا أُريد الآن الذهاب إلى الحرم فإن كنت راغباً فتعال معي. فقلت له: الآن عندي شغل. فقال: اترك عملك وتعال معي. فذهبنا سوية ووقف يقرأ الأدعية من غير أن يفتح كتاباً، وقال لي: ادعو أنت أيضاً وتوسّل أمير المؤمنين عليه السلام وستحل مشكلتك. وعندما دعوت وخرجت من الحرم رأيت مشكلتي قد حلّت[١].

ويقول السيّد جواد صهر السيّد الكشميري: لقد حدث مرات عديدة أن دعوته للذهاب إلى شط الكوفة حيث الماء والخضرة والأشجار، ولكن بعد فترة من جلوسه يقول لي: إن قلبي ينقبض هنا، فيرجع إلى النجف حيث درجة الحرارة تتراوح بين ٤٥ـ ٥٠ درجة ويجلس في صحن أمير المؤمنين عليه السلام وينظر إلى الضريح، وكلما قلت له: أفي مثل هذا الحر؟! كان يقول: هنا الحياة، إن روحي تتجدد هنا[٢].

وكان عندما يذهب إلى الحرم يبدأ بالحديث مع أمير المؤمنين عليه السلام منذ دخوله الباب، ويناجيه بهدوء وخفية، وبصوت عال تارة أخرى، ويستغرق حديثه معه وقتاً أطول لو دخل الحرم أو وصل إلى مقابل الضريح. وكان عندما يصل إلى الحرم يدخل بأدب ويجلس في زاوية تحت قدمي أمير المؤمنين عليه السلام، ويستغرق مع نفسه ويتلو زيارة أمير المؤمنين عليه السلام على ظهر الغيب:

السلامُ على أبي الأئمة وخليل النبوّة والمخصوص بالأخوة.

---

(١) شيدا: ١٩.
(٢) شيدا: ١٧١.

السلامُ على يعسوب الدين والإيمان وحكمة الرحمن.

السلامُ على ميزان الأعمال ومقلّب الأحوال...

وعندما تقترب ذكرى شهادة أمير المؤمنين عليه السلام تتغيّر أحواله، ويبتعد عن الآخرين ولا يخرج من الدار، ويقول فقط: عندي شغل، ويخفي حاله عن الآخرين.

وعندما اضطرّ إلى الهجرة من النجف إلى قم كان دائم الذكر للنجف، وكان لسانه يردّد دائماً يا أمير المؤمنين علي. تقول زوجته: عندما جئنا إلى إيران كان يذكر النجف دائماً، ويردّد لسانه اسم علي عليه السلام في كل أحواله، وكان يكثر من قول «يا جدّاه» ويتباهى بذلك، فكنت أقول له أحياناً من باب المزاح: إنّك تقول «يا جدّاه» بنحو وكأنّ علي عليه السلام جدّك فقط وليس له أولاد سواك! وكان كثير التعلّق بأمير المؤمنين عليه السلام، وكان يعتقد في علي عليه السلام اعتقاداً فيه أُبهة وعظمة خاصة. وكان يحب كثيراً زيارة عاشوراء وزيارة أمين الله، وخاصة زيارة أمين الله والتي كان يردّدها حتى في النوم، أي أنه كان نائماً ومع ذلك كان لسانه يتلوها، ولا أدري ما هي الحالة التي كان عليها، فلعلّه كان يذهب لحرم أمير المؤمنين عليه السلام ويقرأ الزيارة له وهو في عالم النوم[1].

ويقول نجله الأصغر المهندس السيّد علي الكشميري: لقد كان عاشقاً للإمام الحسين ولأمير المؤمنين عليه السلام والجملة التي سمعتها منه هي: أتمنى أن أرجع إلى النجف وأكنس الحرم بلحيتي، لقد سمعت هذا منه، ولقد كان هذا العشق في باطنه[2].

---

(١) شيدا: ١٧٢ـ ١٧٥.

(٢) شيدا: ١٧٦.

ويقول المرحوم الشيخ جعفر المجتهدي عن السيّد الكشميري: إن قلب هذا السيّد مملوء بحب أمير المؤمنين عليه السلام إلى درجة أنه في كل مرة يأتي فيها إلى دارنا تأتي معه أيضاً قبة أمير المؤمنين عليه السلام(١).

ويقول أحد تلامذة السيّد رضوان الله عليه معبّراً عن وثيق علاقة السيّد الكشميري وعظيم شوقه إلى جوار أمير المؤمنين عليه السلام وهو في مرضه الأخير: كان يأمل دائماً أن يرجع إلى جوار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام. وعندما اشتدّ به المرض كان يعوده أصدقاؤه ويطلبون منه الإذن في إحضار الطبيب، فيقول: طبيبي مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، إذا رجعت إلى هناك ستزول كل هذه الأمراض. وبالفعل كان هكذا. لقد كانت له مع أمير المؤمنين علاقة قوية جداً وصميمية، وأنّ كل من رأى الطلعة البهية لعلي عليه السلام فإنّه لا يستطيع أن يتحمل فراقه والابتعاد عنه، ولقد سمعته يقول: يضيق صدري جداً في بعض الأحيان لأمير المؤمنين عليه السلام فأقرأ سورة المؤمنين والتي هي سورة علي عليه السلام وأهدي ثوابها إلى روحه الطاهرة فأُشاهده في عالم الرؤيا أحياناً(٢).

والمعْلَم الثاني في النجف الأشرف هو مقبرة وادي السلام حيث قبور عدد كبير من الأنبياء والأولياء والصالحين، بل هي مكان اجتماع أرواح المؤمنين بعد الموت، كما أن وادي برهوت في اليمن هو مكان اجتماع أرواح أهل النار، ولذا فإن وادي السلام روضة من رياض الجنّة، فلا غرابة أن يتّخذها الأولياء محلاً للعبادة.

وقد جاء في الرواية أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد اشترى الأراضي بين الكوفة والنجف إلى الحيرة بأربعين ألف درهم، وأشهد على شرائها.

---

(١) لاله از ملكوت: ١٢٦.

(٢) شيدا: ٢٥٥.

فسأله بعض أصحابه: لماذا اشتريت هذه الأرض التي لا ماء فيها ولا كلاء بهذا الثمن الغالي؟ فقال عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، وأنا أحب أن يحشروا من ملكي[1].

ويوجد في وادي السلام مقامان: أحدهما مقام الإمام الصادق عليه السلام والثاني مقام الإمام صاحب الزمان عليه السلام، وهما المحل الذي صلّيا عليهما السلام فيه. كما يضمّ وادي السلام قبرين مبنيين أحدهما لنبيّ الله هود عليه السلام، والآخر لنبيّ الله صالح عليه السلام، وهما جارا أمير المؤمنين عليه السلام كما جاء في الزيارة: «السلام عليك وعلى جاريك هود وصالح».

ومن أعظم ما تمتاز به مقبرة وادي السلام عن غيرها من مقابر العالم أنّها برزخ أرواح المؤمنين إلى يوم القيامة، وهو ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام لأصبغ بن نباتة في صحراء النجف: «يا ابن نباتة لو كشف لكم لرأيتم أرواح المؤمنين في هذا الظهر (ظهر الكوفة وهي النجف) حلقاً يتزاورون ويتحدّثون، إنّ هنا روح كل مؤمن»[2].

ويقول السيّد الكشميري: إن أول من عرّفني على وادي السلام هو المرحوم الشيخ ذبيح الله القوجاني وأرشدني إلى قراءة الفاتحة وبعض السور وإهدائها إلى أرواح المؤمنين، وقال: إن فعلت ذلك فإن هذه الأرواح تدعو لك. وقد اصطحبني معه مرات عديدة عند الغروب إلى هذه المقبرة.

ويقول أيضاً: وكانت علاقتي بوادي السلام قوية إلى درجة أني كنت ألقي بعض دروسي فيها، وكنت أذهب في بعض الليالي إليها فأضع

---

(١) انظر منتخب التواريخ: ١٧٠.
(٢) بحار الأنوار ٢٧: ٣٠٧.

عمامتي تحت رأسي وأُغطي جسدي بعباءتي وأنام، وهي مقبرة مخيفة ولم أكن شجاعاً أيضاً، ولكن شوقاً في باطني يبعثني على الذهاب إليها والمبيت فيها وأن أتحدّى الخوف. وكنت أذهب إليها أحياناً في وسط النهار حيث الحر الشديد، وأذهب إليها في منتصف الليل في أحيان أُخر، وهذا العمل دفع البعض إلى القول بأن سيد عبد الكريم يمتلك الاسم الأعظم. وقد ذهبت في صباح ليلة زواجي إلى وادي السلام، فأرسلوا خلفي أن أرجع إلى البيت فإن مجموعة من العلماء جاؤوا لزيارتك وتهنئتك، فاضطررت إلى الرجوع.

وعندما سُئل السيّد الكشميري عن مشاهداته في وادي السلام قال: كنت في وادي السلام يوماً وأنا مستغرق بقراءة بعض الأدعية والأوردا إذ ارتفعت فجأة أصوات نزاع وتخاصم مجموعتين من الناس، ثم أخذوا برمي الأحجار على بعضهما، فرأيت أنّهما لو استمرا هكذا فإنّي لا أستطيع إتمام هذه الأدعية والأوراد كما أن خطرهما سيصل إليّ، فظهر فجأة كلب وهجم على هؤلاء الناس وفرّقهم بعيداً عن وادي السلام.

يقول أحدهم: في أحد الأيام ذهبت إلى وادي السلام والتقيت هناك بشخص يدعى شيخ مالك، ولم يكن من طلبة العلم، وقال لي: إنّني سأقرأ من هنا زيارة الإمام الحسين عليه السلام فاقرأ معي هذه الزيارة أيضاً، فقرأ الزيارة وقرأت معه، فشاهدت كربلاء مع أن بين النجف وكربلاء مسافة شاسعة جداً.

وفي يومٍ كنت مشغولاً بأورادي في وادي السلام فظهر لي فجأة ثلاثة أشخاص نورانيون وهم يرتدون ملابس بيضاء وقالوا لي: يا سيدنا نلتمس منك الدعاء.

هجرته إلى إيران

بعد سيطرة حزب البعث على الحكم في العراق سنة ١٩٦٨ أخذ الإرهاب يشتدّ على الناس يوماً بعد يوم، وبلغ الإرهاب والضغط ذروته بعد استلام صدام لمقاليد الحكم في سنة ١٩٧٩، وتتوّج هذا الإرهاب بإعدام أحد مراجع الشيعة في النجف الأشرف وهو السيّد محمد باقر الصدر وقتل جماعات كثيرة من المؤمنين الشيعة في سنة ١٩٨٠، وزرع هذا العمل الشنيع حالة الخوف والذعر الشديد في أوساط الناس، ونتيجة للمراقبة الأمنية المستمرة على السيّد الكشميري ونشاطاته الاجتماعية وما يتمتع به من مركز اجتماعي مرموق في النجف الأشرف وكربلاء وتحدّي السيّد الكشميري المستمر للسلطة الغاشمة وعدم خوفه وحذره منها أخبره بعض محبّيه بأن اسمك قد دوّن في القائمة السوداء، خصوصاً وأنّه لم يكن يستطيع السكوت على الجرائم الفظيعة التي يتعرّض لها المؤمنون ليل نهار، ولهذا قرّر الهجرة إلى إيران مع أفراد عائلته بعد استخارة الله عزّ وجلّ في ذلك واستشارة البعض من أصدقائه.

وتحكي زوجته المواقف الشجاعة للسيد الكشميري من ظلم صدام وأعوانه في وقت عزّت فيه روح التحدّي للظلم: عندما كان يؤمّ صلاة الجماعة في كربلاء يمتلىء نصف الحرم من المصلّين، وكان أزلام صدام

يطوّقون السيّد خوفاً من أن يتحدّث ضدّ النظام، ولكنّه لم يكن يولي أي اهتمام بذلك وكان يتكلّم ضد صدام بأي كلام يريد. فقلت له: لا تتكلّم أمام هؤلاء. فقال: إنهم لا يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً[١].

ويقول الحاج صاحب عضد الله الذي صاحب السيّد الكشميري خمسة وعشرين عاماً في النجف الأشرف: كان يحذّرني من الاقتراب من البعثيين وينصحني بالابتعاد عنهم، وكان يقرأ لي الآية الشريفة: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[٢] أي لا تذهب إليهم ولا تجلس معهم لأنّ الشيطان داخل في أجسادهم ولا تترك الموعظة فيهم أي أثر[٣].

ويقول الحاج عضد الله أيضاً: لقد قلت له: إنّي أُريد الخروج من العراق فقد اشتدّ الضغط والإرهاب وازداد أذى صدام وأُريد منك أن تستخير لي في ذلك. فاستخار لي وقال إنّ الاستخارة جيدة جداً. وبعد يوم واحد قال لي: لقد استخرت أيضاً على الخروج من العراق فأمرتني بالخروج سريعاً، ولكنّه لم يقل شيئاً آخر[٤].

ويقول تلميذه السيّد علي أكبر صداقت: سُئل السيّد الكشميري عند أوائل مجيئه إلى إيران: إذا كانت لكم كل هذه المحبّة للنجف الأشرف فلماذا جئتم إلى إيران؟ فقال: كنت يوماً في صحن أمير المؤمنين عليه السلام فجاءني أحد الأشخاص وسألني: كيف هو صدام؟ فقلت له: كلب عقور. وفي اليوم التالي جاءني بعض معارفي وأخبرني بأن اسمي في حزب البعث في قائمة الذين يجب القبض عليهم وإخراجهم، ولم يكن

---

(١) شيدا: ٣٨.
(٢) سورة هود، الآية: ١١٣.
(٣) شيدا: ٣٨ـ ٣٩.
(٤) شيدا: ٣٩.

صدام أيضاً من الأشخاص الذين يمرّ على هذه المسائل بسهولة، ولهذا مع الخوف والحذر من العواقب وإصرار البعض جئت إلى إيران[1].

يقول أحد تلامذة السيّد الكشميري: لقد كان كل وجوده استقامة، ومع كل الأمراض التي كان يعاني منها من آلام الظهر والقلب وإصابته بالجلطة القلبية مرتين لم أسمعه يشتكي آلامه قطّ، وعندما نسأله عن حاله يقول: الحمد لله، فإذا ما سألناه مرة أخرى قال: أشعر بالألم. يقول هذا من غير شكوى وكأنّه قد تقبّل هذه الآلام بروحه وقلبه، لقد كان وجوده دالّ على الاستقامة، وكنت عندما أراه أفهم ماذا تعني الاستقامة[2].

نعم لقد تحمّل كل هذه المعاناة ليكون دائم الحضور عند الله تعالى ودائم الذكر له، يقول نجله السيّد محمود الكشميري: لا ندري ماذا كان يقول، وكل ما نعلمه أنّه كان في حال الذكر خلال أربع وعشرين ساعة، وحتى عندما يمشي في الطريق، وكان لسانه ذاكراً لله في كل أوقاته. لقد كانت المسافة بين دارنا وحصن أمير المؤمنين عليه السلام طويلة جداً تتراوح بين الثلاث والأربع كيلومترات، وكان يقطع هذه المسافة في كل يوم أربع مرات مشياً على الأقدام، وكان لسانه يلهج بذكر الله في كل خطوة يخطوها[3].

ويحكي أحد تلامذته حالة الحضور الدائم في محضر الخالق جلّ جلاله التي يتمتع بها أستاذه الكشميري قائلاً: لقد كان دائماً في حال الحضور، وكان دائماً متوجهاً لحضرة الحق سبحانه، كان يردّد هذا الدعاء في أغلب أوقاته «وحالي في خدمتك سرمدا». وهذا أمر عظيم جداً، إذ هو طعام لذيذ جداً لا يشبع منه الإنسان بسرعة. وقد كانت حاله

---

(١) روح وريحان: ٦٨.
(٢) شيدا: ٣٥.
(٣) شيدا: ٦٢.

هكذا إلى آخر حياته، وكانت كل آلامه تسكن بهذا، أي أنّ توجهه إلى الله تعالى يسكّن كل آلامه[1].

ويحكي أحد تلامذته أيضاً عمق ارتباط أستاذه السيّد الكشميري بالله تعالى قائلاً: كان قلبي يرغب جداً في معرفة كيفية ارتباطه مع الله سبحانه، وفي أحد المرّات عندما كنت في زيارته أشار إلى قلبه وقال لي: ضع رأسك هنا. فوضعت أذني على قلبه فسمعته يكرر كلمة دائماً، فقلت له: يا سيدنا هل ذكركم هي الكلمة الفلانية؟ فقال: نعم. وكان قلبه يردد تلك الكلمة كالساعة التي تعمل ليل نهار وتكرر دقاتها بانتظام. لقد كان ارتباطه بالله هكذا[2].

ويواصل القائمي حديثه قائلاً: لقد كان السيّد الكشميري يتمتّع بخاصية عجيبة في الذكر، فهو دائم الذكر على كل حال، وكانت له حالة عجيبة، ولم يكن يسمح لأي أحد بزيارته، وإذا ما أذن لشخص بالدخول فقد كان مشغولاً بذكر الله إلى درجة لا يدع له فرصة للحديث، وكان في أواخر حياته في حالة الذكر القلبي، وكثيراً ما يشعر الإنسان أنّه يردد ذكر «هو الحي»، ويقول عند جر أنفاسه «حي»[3].

وأمّا صلاته فهي صلاة العارفين التي تتجلّى فيها أسمى مصاديق «الصلاة معراج المؤمن»، فهي الرحلة اليومية المتكررة إلى الله تعالى والمثول بين يديه، ينتظر وقتها بفارغ الصبر، ويستعدّ لها استعداداً تاماً. يقول نجله الأكبر السيّد محمود الكشميري: لقد كانت صلاته في البيت مناجاة، وخاصة أثناء القنوت الذي يستغرق أحياناً نصف ساعة، وكنت

---

(١) شيدا: ٦٣.
(٢) شيدا: ٦٤ـ ٦٥.
(٣) شياد: ٦٥.

أشعر باللذة من صلاته مع أنّني لم أكن في هذه العوالم[١].

ويقول الحاج صاحب عضد الله: كنت أتعجب من بعض الأمور عندما كان يصلّي، لقد كانت صلاته محبوبة إلى قلبي، فمثلاً أنّه يتأخر كثيراً في قراءة الحمد في بعض الأحيان، ويستغرق سجوده في أحيان أخرى وقتاً طويلاً أيضاً. وقد سألته مرة عن علّة ذلك فأجابني بأنّ هذه أمور غيبية ولا يستطيع البوح بها[٢].

وعندما سُئلت زوجته عن صلاته قالت: لقد كان مستغرقاً في صلاته إلى درجة كأنّه يرى الله سبحانه، وكانت صلاته طويلة جداً وبحضور قلب[٣].

ويقول أحد تلامذته: لقد كانت صلاته بحضور قلب بنحو كامل. ولقد رأيت تغيّر لون بشرته بعد الصلاة مرات عديدة، وتحصل له بعدها حالة معنوية عالية فيجلس ويتحدث مع الله سبحانه، وكان يؤكّد على الصلاة في أول وقتها بحضور قلب ويقول: الصلاة تمنع من أمور أخرى[٤].

وأمّا كيف يفرغ الإنسان قلبه ليتوجّه إلى الله سبحانه أثناء الصلاة؟ فيجيب السيّد الكشميري عن ذلك: إنّ الذهن البشري يجذب إليه مختلف المسائل بشكل سريع، ويبدأ التفكير فيها بسرعة أيضاً، ولهذا فإنّ أفضل شيء للإنسان أن لا يكون لديه أي اشتغال فكري[٥].

والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يُبعد الإنسان عن نفسه أي اشتغال فكري؟ ويجيب السيّد الكشميري: إنّ من مستحبات الصلاة هي أن يجلس المصلّي قبل بدء الصلاة على سجادة الصلاة لأنّه زائر الله. ومن أجل أن

---

(١) شيدا: ٧٧.
(٢) شيدا: ٧٦.
(٣) شيدا: ٧٧.
(٤) شيدا: ٧٨.
(٥) شيدا: ٨٢.

يكون المصلّي متوجهاً في صلاته ومبتعداً عن اشتغالاته اليومية يستحب له أن يجلس قليلاً قبل بدء الصلاة على سجادة الصلاة لأنّه زائر الله. ومن أجل أن يكون المصلّي متوجهاً في صلاته ومبتعداً عن اشتغالاته اليومية يستحب له أن يجلس قليلاً قبل بدء الصلاة ويفكّر أنّه في مقابل إلٰه أبدي، كريم، عزيز، غفور، رحيم، جواد، واحد، وتر، أحد، صمد، وأنّه يصلي له[1].

وأما عبادته وتهجده وصلاته في جوف الليالي فقد كانت مشهودة لذويه وبعض أصدقائه، يقول الحاج صاحب عضد الله: كنت أذهب معه في بعض اوحيان إلى مسجد الكوفة، فكان يبقى فيه مستيقظاً إلى الصباح يصلّي ويتعبّد، وأما نحن الذين كنّا معه فيغشانا النعاس وننام فكان يقول لنا: ناموا أنتم أما أنا فسأنام غداً عند الظهر. وكان يتردد كثيراً على مسجد الكوفة ويتعبّد فيه[2].

ويقول نجله السيّد محمود: كان يصعد في الليل إلى سطح الدار ويتعبّد هناك لكي لا نراه[3].

ويحكي أحد تلاميذه عن خصلة إحياء الليل عند السيّد الكشميري قائلاً: لقد كان يستيقظ الشطر الأكبر من الليل، وكان يتلذذ من ظلام الليل، وأنا أعتقد أن مكاشفاته كانت في الليل[4].

وليس للسالك من سبيل لطي طريق العبودية لله سبحانه غير إحياء الليل، يقول الإمام العسكري عليه السلام: «إن الوصول إلى الله سفر لا يدرك إلاّ بامتطار الليل»[5].

---

(١) شيدا: ٨٢.

(٢) شيدا: ٨٣.

(٣) شيدا: ٨٤.

(٤) شيدا: ٨٤.

(٥) بحار الأنوار ٧٨: ٣٨٠.

وكان السيّد الكشميري يقول: إن الاستيقاظ في السحر أفضل من الاستيقاظ بين الطلوعين لمن لا يقوى على الاستيقاظ فيهما معاً[1].

ويقول أيضاً: إنّ إحياء الليل يوصل إلى المقام المحمود، والمقام المحمود هو جوار الله سبحانه[2].

وأمّا تلاوته للقرآن فهي أُنسه بالله تعالى، وكان يقول: إنّ أفضل ذكر للحق تعالى هو تلاوة القرآن الذي هو كلام الحق[3].

لقد كان مواظباً على تلاوة القرآن الكريم في داره باستمرار، كما كان لسانه يلهج بآياته وهو في الطريق من منزله إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام وبالعكس، وكان يقرأ القرآن بصوت مرتفع، فكان أولاده يعرفون مجيئه إلى البيت بسماع صوت تلاوته. لقد كان من أهل القرآن وعلى معرفة كاملة بقواعد تلاوته، وإذا ما أخطأ أحد أمامه في قراءة آية نبّهه إلى القراءة الصحيحة[4].

وعن مدى اهتمامه وعلاقته بالقرآن الكريم يقول أحد تلامذته: لم أرَ أحداً من أهل القرآن مثله، لقد كان اهتمامه به عجيباً وخاصة قبل إصابته بالجلطة القلبية حيث كان يختمه في كل ثلاثة أيام مرة. وعندما كان يقرأ القرآن تتغير لون بشرة وجهه، وكان لديه قرآن كبير يفتحه أمامه ويقرأ فيه، فيشعّ وجهه كالقمر، وهذا يدل على أنّه كان في عالم آخر، لقد كان ذا علاقة عجيبة بالقرآن[5].

---

(١) صحبت جانان: ١١٨.

(٢) روح وريحان: ١٠٤.

(٣) آفتاب خوبان: ٩٣.

(٤) شيدا: ٨٦.

(٥) شيدا: ٨٦.

ويقول الحاج صاحب عضد الله: ممّا تعلمته من السيّد الكشميري هو ختم القررن مرة في كل خمسة عشر يوماً[1].

ونتيجة لتلاوته القرآن بتدبر فقد فتح الله تعالى له أبواب العلوم القرآنية الجديدة، يقول السيّد صداقت نقلاً عن أُستاذه السيّد الكشميري: حينما كنت في النجف مشغولاً ببعض الأذكار وردت على قلبي معان من القرآن غير موجودة في الكتب، ولكنّي لم أدوّنها لأنّه لم يكن لي حال للكتابة[2].

ويقول أحد تلامذته: لقد كان يختم القرآن في شهر رمضان بل والأشهر التي تسبقه مرّة في كل ثلاثة أيام، أي أنّه يقرأ في كل يوم عشرة أجزاء، إضافة إلى أدائه الوظائف والأعمال الأخرى، وهذا خير وبركة في أوقاته حيث يستطيع أداء جميع تكاليفه وأعماله في وقت محدود. وعندما كنا نذهب إليه نجد القرآن مفتوحاً أمامه يقرأ فيه، وقد قال لنا مرة: إنّي أختم القرآن مرة في كل ثلاثة أيام[3].

وكان السيّد الكشميري يوصي الكثير من أصدقائه ومحبّيه بكثرة تلاوة القرآن، يقول السيّد صداقت: وكان يوصي الكثير من الأشخاص الذين يراجعونه يلتمسون منه طريقاً لحلّ مشكلاتهم بقراءة القرآن، وفي يوم جاءه أحد أهل العلم وكان يعاني من مشكلة مع زوجته وطلب إرشاده إلى مخرج منها، فأوصاه السيّد بتلاوة القرآن، فقال ذلك الشخص: لم أقرأ القرآن منذ مدة طويلة[4].

---

(١) شيدا: ٨٧.
(٢) شيدا: ٨٧.
(٣) شيدا: ٨٧.
(٤) روح وريحان: ٧٦.

وفاته

يُفاجىء الموت الناس وهم غافلون، لاهية قلوبهم عن ذكر الله وعن ذكر الموت، بينما أولياء الله يعلمون آجالهم وزمان وفاتهم فيستعدون للرحيل كما مرّ مما حكاه السيّد الكشميري عن الشيخ الطالقاني والسيّد القاضي، وما حكاه أيضاً عن الشيخ محمد باقر القاموسي البغدادي قال: كان من العلماء والزهّاد والعرفاء العرب، وكان كالسيّد القاضي، وكان يقتدي به الأتقياء والأبرار، وهو من تلاميذ الملاّ حسين قلي الهمداني والشيخ محمد طه، وكان آية الله محسن الحكيم من تلاميذه، لم يضع العمامة على رأسه إلى حين وفاته، وكان في أحد الأيام جالساً فقال: من الأفضل أن أرحل من هذه الدنيا، وبدأ بتلاوة سورة يس، وعندما وصل إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ سلّم روحه إلى بارئها.

وكان يتمنّى الموت وهي العلامة التي ذكرها القرآن الكريم للتمييز بين الأولياء والأدعياء، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٦﴾[1].

يقول أحد تلامذته: سألته مرة: هل تعرف أحداً يتمنّى الموت، فإن هذا الأمر صعب جداً للكثيرين.

---

(١) سورة الجمعة، الآيتان: ٦ ـ ٧.

فقال: نعم. وسكت هنيهة ثم قال: أنا. فقلت له: هل رأيت مكانك في الجنة وأُقسم لك بحق أمير المؤمنين بأنّي لا أُخبر أحداً بذلك؟ فقال: مكان مريح والحمد لله[1].

وكان السيّد الكشميري عاشقاً للنجف الأشرف ويتمنّى الرجوع إليها وأن يدفن في جوار ضريح جدّه أمير المؤمنين عليه السلام. ولكنّه في أواخر عمره كان يذكر قم وحرم السيدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم عليهما السلام ويقول: إذا متّ فادفنوني في حرم السيدة المعصومة عليها السلام.

وكان في سنوات عمره الأخيرة يذكر الموت كثيراً ويردد أحياناً ما كتبه أمير المؤمنين عليه السلام على كفن سلمان المحمدي:

وفــدتُ عــلــى الــكــريــم بــغــيــر زادٍ

مــن الــحــســنــاتِ والــقــلــب الــســلــيــمِ

وعندما عاده أحد العلماء العرفاء قال: إن روحه لها سيطرة كاملة على جميع هذه المنطقة[2].

وكان يقول: الموت أمامي ولا مزاح فيه. وكان جوابه إذا سُئل كيف حالكم يقول: في حال النزع. وقال لأحد تلاميذه مرة: رأيت السيّد هاشم الحداد في عالم الرؤيا وهو يقول لي: لماذا أنت مغموم إنّ الفرج قريب! وكان يقول أيضاً: لقد ذهب الجميع وكان آخرهم السيّد هاشم الحداد[3].

وكان بعض من يتردّد إليه قد اقترح عليه أن يكتب رسالة عملية في

(١) شيدا: ٢٥٨.
(٢) شيدا: ٢٦١.
(٣) شيدا: ٢٥٨.

الأحكام الشرعية كما فعل كثير من العلماء، فكان جوابه: الموت أمامي، ثم يتلو قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ﴾.

ورجعت نفسه المطمئنة إلى بارئها راضية مرضية في يوم الأربعاء العشرين من ذي الحجة سنة ١٤١٩هـ عن عمر ناهز الأربعة والسبعين عاماً، وشيّعت جنازته في قم وصلّى عليه الشيخ بهجت، ودفن في حرم السيّدة المعصومة عليها السلام جوار قبر التلميذ الآخر للسيد القاضي العلاّمة السيّد محمد حسين الطباطبائي صاحب الميزان.

أساتذة السيّد الكشميري في السلوك

يقول السيّد الكشميري: لقد كنت منذ البدء رفيقاً للشيوخ والطاعنين في السن، ولم يكن لي إلاّ عدد قليل من الأصدقاء الشباب. وكنت أطلب منهاجاً للعمل ممّن أشم منه رائحة السلوك.

وكان العارف مرتضى الطالقاني هو أوّل من نبّه السيّد الكشميري إلى النور الذي أودعه الله تعالى فيه لطاعته وعبادته وسلوك الطريق إليه وهو ما زال في السابعة أو الثامنة من عمره.

وكان السيّد الكشميري يقصد الشيخ علي بن إبراهيم الزاهد القمي تلميذ أستاذ العرفاء الملاّ حسين قلي الهمداني للائتمام به في صلاة الجماعة، وكان يطلب منه أيضاً منهاجاً للسلوك، فكان يوصيه بكثرة تلاوة القرآن الكريم، وهو الزاد الضروري للسالك منذ بدء الطريق إلى منتهاه.

يقول السيّد الكشميري: ولقد قلت له في أواخر حياته: علّمني شيئاً لطريق العبودية لله تعالى. فقال: يقول علي بن إبراهيم القمي: لا إلٰه إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين. أي أوصاه بذكر اليونسية في السجود.

ويقول أيضاً: عندما كان الشيخ علي زاهد القمي شاباً وفي أوائل زواجه كان خادماً في الحمام العمومي، وفي صباح أحد الأيام التقى مع الملاّ حسين قلي الهمداني الذي تحدّث معه قليلاً فانقلبت أحواله على أثر ذلك الحديث، فأهدى ثياب عرسه والتحق بتلاميذ الملاّ حسين قلي الهمداني.

ويقول السيّد الكشميري عن أُستاذ الأخلاق في النجف الأشرف السيّد عبد الغفار المازندراني تلميذ الملاّ حسين قلي الهمداني والذي كان يتشرّف بحضور دروسه ومحاضراته الأخلاقية كبار مراجع النجف وعلمائها وكان أستاذاً في الفقه أيضاً لبعض المراجع كالسيّد الميلاني وآية الله الخوئي: كان السيّد عبد الغفّار صديقاً لوالدي فكان يأتي إلى دارنا ويذهب بصحبة والدي إلى المسجد، وكان يجدّد وضوءه في دارنا، وطبعاً فإنّ عدد المصلّين خلفه كان قليلاً بسبب اتهامه بالتصوّف، وكان رفيقاً للسيد القاضي في بداية طريقه ولكنه ابتعد عنه قليلاً في أواخر حياته بسبب تفاوت السلوك في الأخلاق والتوحيد، وقد طلبت منه يوماً برنامجاً للسلوك فأوصاني بذكر اليونسية.

وقال السيّد الكشميري عن الشيخ محمد حسين الأصفهاني المعروف بالكمباني: لقد أدركت الشيخ محمد حسين الأصفهاني ولكن لم ألتحق بدروسه في البحث الخارج لصغر سني وفي أحد الأيام ذهبت مع والدي إلى منزل الميرزا مهدي نجل الآخوند الخراساني فوجدنا الشيخ محمد حسين الأصفهاني هناك، فتحدث معنا. وكان يقرأ في كل يوم ألف مرة سورة القدر ويقول: كل مَن قرأ هذه السورة صعد عمود نور من رأسه إلى العرش. وقد أوصاني بقراءة سورة القدر. وكان يكنّ احتراماً كبيراً لذرية رسول الله ﷺ، وعندما كنت بصحبته وأنا فتى لم أضع العمامة على

رأسي بعد كان يقدّمني أمامه احتراماً وهو شيخ طاعن في السن ومجتهد. وفي إحدى سفراته إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام كان بصحبته أحد علماء الأخلاق الإيرانيين، وكان آية الله الشيخ الكمباني مستغرقاً بذكر الله تعالى فقال له ذلك العالم: ما هو الذكر الذي تلوته بحيث جاءت كل هذه الملائكة لاستقبالنا؟!

وأما أساتذة السلوك الذين انتفع منهم السيّد عبد الكريم الكشميري وتتلمذ على أيديهم فنذكر شيئاً من ترجمتهم على ضوء ما تحدث به السيّد الكشميري نفسه(١).

الشيخ مرتضى الطالقاني:

كان الشيخ مرتضى الطالقاني في أوائل شبابه راعياً للغنم في طالقان، وفي يوم سمع وهو في الرعي صوت تلاوة القرآن فبعث فيه نشاطاً ومعنوية قرّر على أثرها ترك حرفة الرعي والتفرّغ لطلب العلم، فذهب إلى أصفهان ودرس فيها العلوم الدينية ردحاً من الزمن، ذهب بعدها إلى النجف الأشرف وكرّس جلّ وقته للتدريس، ونال فيها مقامات شامخة في العلم والأخلاق.

يقول السيّد الكشميري عن أستاذه الطالقاني: ولقد كان هو السبب في التحوّل الذي حدث في حياتي، وكنت متعلّقاً به تعلّقاً شديداً.

كانت له غرفة في ومدرسة جدي السيّد محمد كاظم اليزدي، وكان يتصدّى لتدريس جميع الكتب الدراسية في الحوزة لجميع مراحل طلبة العلم، وكانت غرفتي مجاورة لغرفته طيلة عشر سنوات. وكان يكنّ لي احتراماً بالغاً.

---

(١) آفتاب خوبان: ٢٢ـ ٢٤.

وبما أن والدي قد ألبسني العمامة قبل أن يخطّ الشعر في عارضي وأخذ لي غرفة في مدرسة جدي السيد اليزدي كانت مجاورة لغرفة الشيخ الطالقاني ولذلك فقد استفدت منه كثيراً.

وكان كثير العبادة ومشغولاً بالذكر والتفكير في أغلب أوقاته، وكان متواضعاً جداً وبعيداً عن التبكر والغرور وحب الزعامة والرئاسة والوجاهة، فكان يمازح تلاميذه أثناء الدرس على رغم شيخوخته، وكان في أواخر حياته يجالسنا ويحدّثنا، وطبعاً فإنّه قد مارس في شبابه رياضات ومجاهدات وكان يحدثنا بقصص متنوّعة عن ذلك.

وكان في أواخر حياته يغلق باب غرفته عليه ثلاثة أيام أحياناً: الأربعاء والخميس والجمعة، ولا يسمح لأحد بالدخول إليه، يخلو فيها للذكر والتفكير.

كان يمتلك علم ما في الضمائر، وله قدرة على التصرف والتسخير.

وكان يوصيني بتلاوة القرآن وذكر اليونسية، ومع أنّه كان متصدّياً للتدريس فإنه كان يقول: يكفي في اليوم درس واحد ومباحثة واحدة. وكنت قد كتبت دروسه في الأخلاق والأذكار ولكن البعثيين صادروها منّي عند مجيئي إلى إيران.

وقد تعلّمت منه الاستخارة بالسبحة أربعة أربعة، وكنت أعمل بها دائماً، كما أعطاني إجازة في الذكر، وأوصاني بالارتباط مع السيّد علي القاضي والاستفادة منه.

ويحكي السيّد الكشميري بعض كرامات الشيخ العارف الطالقاني قائلاً: عندما كان الشيخ مرتضى الطالقاني ذاهباً من النجف إلى كربلاء بصحبة آية الله السيّد جمال الدين الگلپايگاني غلب عليهما العطش ولم

يجدا في تلك الصحراء ماء، وفجأة ظهر لهما بئر، فربط الشيخ الطالقاني حذاءه بعمامته وأدلاها في البئر واستخرج الماء وشربا حتى رويا، مع العلم أنّه لا يوجد بئر في تلك المنطقة ولم يسمع به أحد، وما كان ذلك إلاّ دليلاً على قدرته في التصرف.

وكان هنالك أستاذ في علم المنطق اسمه شمس من أهل بادكوبة يقول: كنت واقفاً إلى جانب الحوض في مدرسة السيّد اليزدي في أول محرم وكان الشيخ مرتضى الطالقاني يتوضأ فقال لي: سأرحل عن هذه الدنيا في مثل هذا اليوم بعد عشر سنوات، وهذا ما حدث بالفعل.

وجاءه مرة شخص وقال له: إنّ الجن يرمون داري بالحجارة. فانزعج الشيخ من ذلك وقال: وما علاقتي بذلك! فأشرنا إلى ذلك الشخص أن أجلس ولا تذهب، وكرّر طلبه من الشيخ بعد برهة من الوقت، فقال له الشيخ: اذهب إلى دارك وقف في الجهة التي يأتي منها الحجر وقل: يقول مرتضى خادم محمد وآل محمد لا ترموا الحجر مرة أخرى واخرجوا من الدار.

وبعد وفاة الشيخ جاء ذلك الشخص وقال: إنّ الجن قد كرّر رمي الحجارة على الدار، فقيل له: إنّ الشيخ قد توفي. ففهم أن هذا العمل قد تكرر بعد وفاة الشيخ مباشرة[١].

السيّد علي القاضي:

ارتبط السيّد الكشميري مع العارف الكامل السيّد علي القاضي بتوجيه ن الشيخ مرتضى الطالقاني في حين لم يكن قد تجاوز بعد الثامنة عشر من عمره في حين كان عمر السيّد القاضي قد ناهز التاسعة

---

(١) آفتاب خوبان: ٢٤ـ ٢٥، روح وريحان: ٢٥ـ ٣٠.

والسبعين، فصحبه بقية عمره إلى حين وفاته، وقد قاربت هذه الصحبة خمس سنوات.

وسُئل السيّد مهدي نجل السيّد علي القاضي عن سبب اهتمام والده بالسيّد الكشميري، فأجاب: كان ذلك لسببين: الأول: الرغبة الشديد للسيد الكشميري بطريق العرفان، والثاني: من أجل جدّه السيّد حسن الكشميري الذي كان السيّد علي القاضي يمجّده كثيراً عند ذكره.

يقول السيّد الكشميري: وكان السيّد القاضي لا يتصدّى لإمامة الجماعة في أي مسجد، ولكنّه كان يصلّي في داره ويقتدي به مجموعة من تلامذته.

وكانت صلاته صلاة عجيبة وغير عادية، ولكنّه يصلي صلاة عادية ومتواضعة عندما يكون في حرم أمير المؤمنين عليه السلام. وكانت علاقته معي علاقة الوالد بولده. وعندما كنت في المدرسة كان يرسل شخصاً في طلبي للحضور عنده، وقال لي مرة: إن في رأسك نوراً.

وأمّا علاقتي به فقد كانت وثيقة بنحو كانت تزول كل همومي وغمومي بمجرد رؤيته والحضور بين يديه. وفي إحدى المرات جرى الحديث عن التمر، فقلت: إني أحب تمر الديري، وعندما ذهبت إلى المنزل طرق الباب بعد قليل، وعندما فتحت الباب وجدت السيّد القاضي قد اشترى التمر الديري ووضعه في جيبه، فمدّ يده في جيبه وأخرج التمر وأعطانيه.

وكان السيّد مهدي نجل السيّد علي القاضي يقول للسيد الكشميري حينما يراه: كلّما رأيتك تذكرت والدي.

ويقول السيّد الكشميري: لقد رأيت بالمكاشفة السيّد علي القاضي بعد وفاته بمدة وهو يمشي أمامي. وكان يقيم مجلس العزاء الحسيني في

داره أيام الجمعة، وكان أحد الوعّاظ يقرأ المقتل من الكتاب لئلا ينسب إلى الإمام كلام فيه زيادة أو نقصان، وكان السيّد القاضي يبكي أثناء المجلس، وكنت أذهب إلى داره أيام الجمعة. وسمعت السيّد القاضي يقول مرة: رأيت أسماء مراجع التقليد مكتوبة بعد وفاة السيّد محمد كاظم اليزدي ومن بينهم اسم السيّد أبي الحسن الأصفهاني. ولهذا أخبره السيّد علي القاضي بتصدّيه للمرجعية. وكان السيّد أبو الحسن الأصفهاني قبل تولّيه الزعامة العامة للمرجعية يأتي أحياناً إلى مجلس العزاء في دار السيّد القاضي، فكان يسأله: متى وقتها؟ فكان يجيبه: قريب جداً. وهذا ما حصل بالفعل.

وأضاف السيّد الكشميري: وكان السيّد القاضي يقرأ المسبحات الستّ ـ وهي السور التي تبدأ بـ «سبّح» و«يسبّح»[1] ـ قبل النوم عادة.

وكان السيّد القاضي قد تزوّج بنساء عديدات وله أولاد كثيرون، وكان من الناحية المادية فقيراً، ويقول السيّد الكشميري عن ذلك: وبما أن السيّد القاضي كان فقيراً وكان السيّد أبو الحسن الأصفهاني سخياً جداً ومع ذلك لم يعطه شيئاً من الحقوق الشرعية، وكان يقول: كلما قصدت إعطاء شيء إلى السيّد القاضي نسيت ذلك!

وكان السيّد هاشم الحداد تلميذ السيّد القاضي ينقل عنه قوله: إن الفقر هو برزخي في الدنيا، وسوف لن تكون لي مشكلة في عالم البرزخ.

ومع كثرة أولاد السيّد القاضي الذين كان يزيد عددهم على الخمسة عشر ولداً لم يكن مستعداً أن يطرق أبواب المراجع ويشكو لهم فقره وضيق ما في يده، وهذا هو مقام أهل اليقين.

---

(١) وهي سور: الحديد، الحشر، الصف، الجمعة، التغابن، الأعلى.

وأمّا عن موقف الحوزة في النجف الأشرف من السيّد القاضي فيقول السيّد الكشميري: نتيجة للأجواء المتشنجة للحوزة النجفية ضد أهل العرفان فقد كانوا ينظرون بلا مبالاة للسيد القاضي، ولم يكن هو يحزن لذلك أو يهتم به على رغم تسالمهم على أعلميته وإحاطته القوية والكاملة بالروايات. وقد سألني مرة أحد المراجع في النجف والذي كان يودّني كثيراً: هل تذهب عند السيّد القاضي؟ فقلت: نعم. فقال: إنّه سيثنيك عن الوصول إلى درجة الاجتهاد. وبما أن أستاذنا الشيخ علي محمد البروجردي قد تخلّف عن الحصول على درجة الاجتهاد على ما يزعمون عندما التقى بالسيّد القاضي وتابعه في العرفان، ولذلك قال ذلك المرجع لي هذا الكلام.

وأضاف السيّد الكشميري قائلاً: ولقد كان بعض أهل العلم من رجالات الدين يجمعون الأحجار ويرمون بها باب دار السيد القاضي. وعندما كان البعض يريد الذهاب إلى دار السيّد القاضي فإنّه ينظر يميناً وشمالاً فإن لم ير أحداً وكان الطريق خالياً من المارة دخل الدار.

وعندما رآني مرة بعض أهل العلم في مدرسة جدي السيّد اليزدي أخذ يصيح بصوت مرتفع: إنّ البعض ـ ويقصدني ـ يذهب إلى عند الصوفي ـ ويقصد به السيّد القاضي ـ إنّني سأشقّ بطنه يوماً بالسكين.

وعندما رآني بعض أهل العلم مرة ذاهباً إلى دار السيّد القاضي أخذ يحرّك رأسه، أي: أنت أيضاً تذهب إلى دار هذا الرجل؟!

وأضاف السيّد الكشميري متحدّثاً عن محنة أهل العرفان في الحوزة النجفية قائلاً: لقد أخبروا والد الشيخ بهجت أنّ ولدك يذهب إلى أحد علماء الصوفية، فأرسل له والده رسالة يقول له فيها: أنا لا أرضى أن

تذهب إلى ذلك الشخص أي السيّد القاضي. فما كان من الشيخ بهجت إلاّ إطاعة والده بعد سؤاله مرجع تقليده عن وجوب طاعة والده في هذا الأمر، فأجابه بالوجوب وبعد أمر السيّد القاضي له أيضاً بإطاعة والده، وهكذا امتنع بعدها الشيخ بهجت عن الذهاب إلى السيّد القاضي.

وأما مسألة كتمان الأسرار عند أهل العرفان وعدم التحدث بالمقامات والكرامات فيعدّونها من الواجبات إلاّ لعدد محدود جداً من الخواص بحسب اللزوم والقابلية، فيتحدّث السيّد الكشميري عن هذه الخصوصية عند أستاذه القاضي قائلاً: كان هنالك مجموعة من الأشخاص يترددون على السيّد القاضي، فقال السيّد محمد حسين الطباطبائي للسيّد القاضي يوماً: لقد امتنع هؤلاء الأشخاص عن الحضور عندكم بسبب حديثكم في بعض المسائل! فقال السيّد القاضي: إنّ هنالك موضوعات لم أتحدّث بها إليكم فضلاً عن أولئك الأشخاص! [ويقصد أن ظرفية الأفراد متفاوتة في استيعاب الحقائق، ولذلك فهو يتدرج في عرضها على تلاميذه].

وقال سأل آية الله الشيخ محمد تقي الآملي السيد القاضي: من أي طريق حصلتم على علم ما في الضمائر؟ وهل يمكنكم أن ترشدونا إليه؟ فأجابه: إنّ هذا كان من آثار بين الطلوعين في وادي السلام.

وأضاف السيّد الكشميري قائلاً: كان السيّد القاضي يتواجد في وادي السلام بين الطلوعين عادة، وعندنا رواية تقول: إنّ الميت في هذه الساعة يسمع ويرى ويخبر.

وكان للسيد القاضي ولد صغير السن اسمه باقر توفي بسبب الصعقة الكهربائية، فأخذت أمه بالصراخ والبكاء، فقال: إنّ روح ولدي هي عندي الآن ولكن أمه تبكي ولا تدرك هذه المسألة.

لقد كان السيّد القاضي رفيقاً لله وكان يوصينا كثيراً بالمراقبة، وعندما كان يلتقي بأشخاص أمثال آية الله السيّد جمال الدين الگپايگاني فإن ذلك من باب التعارف لا من باب الرفاقة السلوكية.

لقد كان رجلاً إلهياً وملكوتياً، ولم يكن من أهل الأرض، وكان مكاشفة بأجمعها. وكان صاحب سجدات طويلة، وفانياً في الله تعالى، وكانت برامجه في معرفة النفس والرب كثيرة جداً، وكان يوصي كثيراً بالتوسل بإمام الزمان عليه السلام.

يقول السيّد الكشميري: وكان السيد القاضي عندما يرى الماء في أواخر حياته يتذكر أبا عبد الله الحسين عليه السلام، وكان متأهّباً للرحيل، وكان يشير إلى روحه ويخاطبها: إنّك ذاهبة قريباً!

وعاده في مرض الموت أحد معارفه الذي يجهل مقاماته ومنزلته المعنوية، فقال السيّد القاضي: قريباً أصل إلى الحلقوم. فظن ذلك الشخص أنه يطلب نوعاً من الحلوى كانت معرفة باسم الحلقوم، فذهب واشترى شيئاً منها وجاء بها إلى السيّد القاضي فوجده ميتاً، وحينها فهم أنه كان يقصد وصول الروح إلى الحلقوم.

توفي رحمه الله في يوم الأربعاء الرابع من جمادى الثاني سنة ١٣٦٦ هجرية عن عمر ناهز الرابعة والثمانين عاماً.

وقال السيّد الكشميري أيضاً: إن شفتيه كانت مفتوحة عند غسل جنازته وكأنه كان مبتسماً.

وغسّل جنازته السيّد محمد الطالقاني صهر الشيخ محمد تقي الآملي الذي توفي في المدينة بعد ذلك.

وأضاف السيّد الكشميري: وكانت العادة جارية في النجف أنه إذا

توفي أحد العلماء تعطّل السوق وأُغلقت المحلات، وبما أن أكثر أهل النجف كانوا يحترمونني من أجل جدي فقد قلت لهم بأن يغلقوا المحلات، فجاءني بعض أهل العلم وقال لي: لماذا أمرت بإغلاق المحلات والسوق من أجل موت صوفي؟! ولم تكن مجالس الفاتحة التي أُقيمت على روحه الطاهرة كثيرة بسبب الجو المتشنّج ضد العرفاء في النجف، ولكنّها أقيمت من قبل بعض مراجع التقليد وتلاميذه وعائلته.

يقول أحد أصحاب الحوانيت التجارية: كان السيّد القاضي يأتي إلى الحانوت ويجلس عندي، ولكني لم أكن أعرف أنّه من أصحاب الفضل والعلم إلى هذا الحد.

وأضاف السيّد الكشميري قائلاً: وقد أردت بعد وفاته أن أفهم مقامه، فرأيت في عالم الرؤيا نوراً ممتداً من قبره إلى السماء، فعلمت أنّه صاحب مقام شامخ.

دُفنت جنازته الطاهرة في مقبرة وادي السلام، وقد كانت وفاته مفاجأة وثقيلة عليّ.

وأما إرشاداته للسالكين فيقول السيّد الكشميري: لقد كانت برامج السيّد القاضي في معرفة النفس ومعرفة الرب كثيرة، وكان يوصي كثيراً بالمراقبة وبذكر اليونسية في السجود والتسبيحات الأربعة بعد كل صلاة وقراءة سورة القدر مائة مرة في ليلة الجمعة ومائة مرة في عصر الجمعة.

وأضاف: قال لي السيّد القاضي: الذهاب إلى مسجد السهلة ـ والذي كان الذهاب إليه متعارفاً في ليالي الأربعاء والجمعة ـ في يوم الجمعة أفضل.

وقلت له يوماً: علّمني شيئاً لنورانية القلب، فقال: الاستغفار سبعون مرة بعد صلاة العصر نافع.

وينقل السيّد الكشميري عن السيّد القاضي أيضاً: أن قراءة الزيارة السادسة لأمير المؤمنين عليه السلام مفيدة جداً وعظيمة. وكان يقرأ قبل النوم المسبحات القرآنية، وكان يوصي بالتوسل بالوجود المقدس لإمام الزمان عليه السلام بقراءة زيارة «سلام على آل ياسين» ويقول الزائر بعدها ٧٨٦ مرة: «المستغاث بك يا ابن الحسن»، وكان من عادته الذهاب إلى مقبرة وادي السلام بين الطلوعين؛ للرواية القائلة بأن الميت في هذا الوقت يسمع ويرى ويخبر.

وبقد ربّى السيّد القاضي ثلّة ممتازة من التلاميذ بحيث عبّر بنفسه عن تلميذه السيّد أحمد الكشميري قائلاً: لقد فنى السيّد أحمد الكشميري في الله[1].

الحاج مستور الشيرازي:

وهو العارف الذي صحبه السيّد الكشميري أطول فترة في حياته وفارقه حياً حين هجرته إلى إيران. يقول السيّد الكشميري: يرجع أصل الحاج مستور إلى مدينة شيراز، وله بنت واحدة، وكانت له غرفة في الكوفة، كان من المخلصين في حبّ أمير المؤمنين عليه السلام، ولقد رأيت كثيراً من حالاته وعباداته، وكان يتهجّد كثيراً في الليل، وكان من أهل الذكر. وكان صاحب عينين خاصتين، لم أر أقوى منه في سلاسل أهل العرفان، وكان يقول: إن الذكر التوحيدي لا إله إلاّ الله يجب أن يكون هكذا: لا إله إلاّ الله الله الله... إلى أن ينقطع النفس ليكون الإنسان مستغرقاً في الله.

قلت له يوماً: أعطني ذكراً أعمل به لأستغني عن الخلق، فأمرني بتكرار الآية الشريف ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[2] بعدد خاص، وقال لي:

---

(١) آفتاب خوبان: ٣٠ـ ٣٦، روح وريحان: ٣٠ـ ٣٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

بشرط أن تلتزم بذلك، فالتزمت بها مدة من الزمن ورأيت آثارها.

وقلت له يوماً: ألا تخاف أن تعيش وحدك في هذه الغرفة ولا تملّ من ذلك؟ فقال: إنني مستوحش من الخلق جداً وليس عندي أي خوف من الوحدة.

وكنت أذهب إليه أحياناً بصحبة السيّد مصطفى الخميني فكان يتحدث إلينا. وكان حاذقاً جداً في تشخيص الناس، ويطّلع على باطن كل من يراه من الناس، وكان يزوره أحياناً بعض أعاظم العلماء فكنت أسأله عنهم فيقول: إن قلبه يطلب الدنيا. وقد تولّى بالفعل بعض المناصب بعد ذلك.

وفي إحدى الأيام جاءه أحد الأشخاص وطلب منه أن يعلّمه ذكراً، وبما أنه كان حاذقاً في معرفة لياقة الأشخاص وقوة استعدادهم فقد رأى هذا الشخص ضعيف الهمّة والاستعداد فقال له: قل ألف مرة «يا لبن يا شمندر» كناية عن أنّك لا تستطيع صبراً على الأذكار.

وكان يملك مقام طي الأرض، وعندما كان مرة ذاهباً من الكوفة إلى مسجد السهلة قلت: أذهب معه، وبمجرد أن تحرّكت الخطوة الأولى وجدته قد طوى نصف الطريق، ثم مشيت قليلاً فوجدته قد وصل إلى مسجد السهلة.

وفي إحدى الليالي المظلمة والممطرة حيث كانت الأرض طيناً صحبني في رجوعي إلى البيت، وما إن مشينا قليلاً حتى وصلنا إلى داري، وقد كان طي هذه المسافة البعيدة في وقت قصير هي من قدرته.

ويقول السيّد الكشميري أيضاً: وطلبت منه شيئاً غير مادي مدة من الزمن ولكنّه رفض أن يعطيني إياه، فجئت من الكوفة إلى النجف وقصدت حرم أمير المؤمنين عليه السلام وشكوته إلى سيده الإمام علي عليه السلام، وعندما جئت

إلى المنزل أخبرتني زوجتي أن رجلاً جاء إلى المنزل وسأل عنك، فسألتها من هو؟ ففهمت أنّه علم بشكايتي له عند أمير المؤمنين عليه السلام! وعندما ذهبت إليه سألني: لماذا ذهبت تشكوني عند أمير المؤمنين عليه السلام؟!

وعندما أُجبرت على المجيء إلى إيران ذهبت إليه وأخبرته بعزمي على الذهاب إلى إيران فقال: لا تذهب إلى إيران فإنّك ستندم. وهذا ما حصل بالفعل لأنّ كل إيران لا تساوي النجف.

وكان الحاج مستور قد أوصى أن أُصلّي عليه عند وفاته، ولكني كنت في إيران حين وفاته، ودفن في مقبرة وادي السلام في النجف[١].

السيّد هاشم الحدّاد:

يقول السيّد الكشميري: كان السيّد هاشم رجلاً عاقلاً، وهو هندي الأصل، وكان يجيد اللغة الفارسية أيضاً. وكان رجلاً حليماً أيضاً إلى درجة أن أحد أقاربه كان يؤذيه فكان السيّد الحداد يقول: دعوه يلقي سمّه.

وقد أدرك السيّد السيّد القاضي عشرين عاماً، وكان السيّد القاضي ينزل ضيفاً على السيّد الحداد كلما جاء إلى كربلاء.

وكان يحب أشعار ابن الفارض ويردّدها، وشعر ابن الفارض في العشق والتوحيد بمنزلة شعر حافظ في اللغة الفارسية.

وهو قليل الكلام، وكان من المتعارف أن نتكلم أكثر منه، وكان ينتظرني في كربلاء في كل يوم جمعة، فإذا ما تأخرت جاء هو إلى النجف لزيارتي.

---

(١) آفتاب خوبان: ٢٦ـ ٢٨، روح وريحان: ٣٤ـ ٣٧.

وكان قد أعطى إجازة الذكر إلى شخصين فقط أحدها للسيد محمد حسين والثاني لي. وكان يأمرني بإعطاء الذكر لمن يراجعه طالباً منه ذكراً. وكان يخدم الطلاب في إحدى المدارس الدينية في النجف وذلك بأن يسحب لهم المياه من البئر إلى أن التلقى بالسيّد القاضي واستفاد منه.

وابتداء تعرفي مع السيّد الحداد كان اتفاقياً، فعندما كنت مستغرقاً في التدريس في الحوزة جاءني أحد الأصدقاء وقال لي: تعال لنذهب معاً إلى كربلاء إلى شخص يدعى سيد هاشم الحداد من تلاميذ السيّد علي القاضي.

فذهبنا إلى كربلاء ووصلنا إلى داره، فرحّب بنا وقد أحببته منذ اللقاء الأول. فقال لي: لقد كان أجدادك من أهل المعنى، ويجب عليك أن تكون من أهل المعنى أيضاً. وكان التدريس حينئذ يستغرق أغلب أوقاتي، فقال لي: يكفي درس واحد ومباحثة واحدة؛ لأن الجمع مشكل وكثرة الاشتغال يمنع من تركيز الأفكار والتوجّه للمذكور. وازدادت أواصر المودّة بيننا يوماً فيوماً، وكنت كلّما ذهبت إلى كربلاء نزلت ضيفاً عنده، وكان هو أيضاً كلّما جاء إلى النجف حل ضيفاً في دارنا.

وبسبب الأجوءا المتشنجة في الحوزة النجفية ضد العرفان وبسبب عدم ارتداء السيّد هاشم الحداد لزي أهل العلم فقد كان البعض يقول: يتكلم بعض غير أهل العلم بكلام غير صحيح وغير فقاهتي، وكان مقصودهم السيّد الحداد! فكنت أجيبهم بأني قد رافقته خمسة عشر عاماً فلم أسمع منه ولو مرة واحدة كلاماً غير مرضيّ.

وفي أحد الأيام جاء السيّد الحداد إلى النجف فنزل دارنا وكان عندي بعض المشايخ الذي كان يتحدث ضد المتعلّمين والمثقفين ويقول:

إنّ هؤلاء الأطفال يكتبون المسائل الشرعية للناس مع أنّ علومنا أكثر من علومهم وأقدم، وأمثال هذا الكلام. ولم يتحدث السيّد الحداد مع هذا الشخص إلاّ بعض كلمات، وبعد ذلك بأيام رآني هذا الشخص فقال لي: حقاً من هو ذلك الشخص الذي جاءكم وأثّرت كلماته فيَّ كل هذا التأثير؟!

ويواصل السيّد الكشميري حديثه قائلاً: جاء شخص إلى السيّد الحداد وكان نارياً جداً وتكلم بكلام في موضوعات عديدة، فلم يجبه السيّد الحداد إلاّ بقراءة الآية الشريفة: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾[1] إشارة إلى نارية الطرف المقابل.

وجاء شخص إلى السيّد الحداد وتكلّم بكلام كثير غير مناسب، فانقبض السيّد الحداد من كلامه وكان يودّ أن يخرج هذا المتكلم خارجاً، فقرأ الآية الشريفة: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾[2]. ولم يمض وقت يسير حتى جاء شخص آخر في طلب المتكلم وقال له: قم بسرعة لقد اشتريت بطاقة السفر، وكان سفرهما إلى بغداد ظاهراً.

توفي السيّد الحداد في كربلاء في شهر رمضان سنة ١٤٠٤ هجرية عن عمر ناهز السادسة والثمانين عاماً. وقد تأثّر السيّد الكشميري كثيراً جداً بوفاة أستاذه الحداد، وطالما كان يردّد: لقد رحل الجميع وكان آخرهم السيد الحداد.

يقول السيّد الكشميري: ذهبت في إحدى المرات في يوم الخميس من النجف الأشرف إلى كربلاء وقصدت منزل السيّد الحداد لرؤيته،

---

(١) سورة التكوير، الآية: ١٢.
(٢) سورة الرعد، الآية: ١٧.

فرأيت قلبه منقبضاً علي ولم يستقبلني بوجه طلق. وبعد خروجي من منزله ذهبت إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام وتوسّلت به وصلّيت ركعتين لينفتح لي قلب السيّد الحداد. وما إن انتهيت من الصلاة حتى جاءني ولده عبد الأمير فرحاً وهو يقول: إن أبي يريدك. فنهضت وذهبت إلى منزله فاستقبلني بأفضل استقبال وقد انفتح قلبه لي وعاملني كما كان يعاملني في كل مرة.

ووجدت في يوم الشيخ المطهري يبحث عن منزل السيّد الحداد فصحبته معي، فتحد السيّد الحداد بنحو ارتفع صوت بكاء الشيخ المطهري وسقطت عمامته من رأسه، ومن بين ما قال له: إنّهم سيقتلونك!

ويقول السيّد الكشميري: كان السيّد الحداد قليل الكلام، وكان مشغولاً في أكثر أوقاته بذكر اليونسية في السجود. وعندما كان السيّد الحداد يُسئل عن الأذكار المؤثرة في معرفة النفس ومعرفة الرب كان يجيب: ذكر اليونسية في السجود، وذكر «يا الله يا إلٰه يا رب» ساعة كاملة في حال السجود له تأثير عظيم في تقوية الروح، وكان يقول: إن قراءة سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ عدة مرات مؤثرة جداً في زوال الغيظ الشديد وتسبب في شرح الصدر.

وسألت يوماً السيّد الحداد: لماذا ينتهي ذكر اليونسية بكلمة «الظالمين» وليس إلى كلمة «ننجي المؤمنين»؟ فقال: ذكر اليونسية إلى «كنت من الظالمين» لأنّه إلى هنا للعبد، والباقي من الاستجابة ونجاة المؤمنين فهي من الله. فقلت: كلام الملوك ملوك الكلام.

ويقول السيّد الكشميري بعد تعرّضه في أواخر حياته إلى الضعف

الجسماني بسبب المرض: رأيت السيّد الحداد في عالم الرؤيا يقول لي: لماذا أنت مغموم، الفرج قريب!

وهذا ما حدث بالفعل فقد حان أجل السيّد الكشميري بعدها وارتحل عن هذا العالم إلى لقاء الله تعالى الذي هو أعظم فرج وفتح[١].

وتوفي السيّد الحداد عن عمر ناهز السادسة والثمانين عاماً في شهر رمضان المبارك سنة ١٤٠٤ هجرية في كربلاء. وعندما سمع السيّد الكشميري بوفاته حزن كثيراً لذلك، وكان يتحدّث عنه أمام تلاميذه بين الفينة والأخرى، وكان يردّد: قد ذهب الجميع وآخرهم السيّد هاشم الحداد[٢].

ونقل السيّد صداقت في كتابه (صحبت جانان) معلومات أخرى عن السيّد هاشم الحداد، نقلها عن السيّد الكشميري، قال: قال السيّد الأُستاذ في إحدى مجالسه قبيل وفاته جواباً عن سؤال: ما هو مقام السيّد الحداد؟ قال: لقد كان السيّد هاشم الحداد فانياً في الله.

وقال: عندما كان السيّد الحداد يمشي في الظلام يذكر حرفاً من حروف الاسم الأعظم فيخرج نور من جبينه يضيء له طريقه في الظلام.

وقيل مرة للسيد الكشميري: لماذا لا تعرّفنا بشخصية السيّد هاشم الحداد وتبيّن لنا حالاته؟ فقال: إن السيّد هاشم أكبر من أن يُعرف في هذا العالم، لقد كان مستغنياً عن لاخلق في حياته فكيف يكون محتاجاً لهم في معرفته بعد وفاته!

وقال السيّد الأُستاذ! اجتمع حوالي سبعون شخصاً من أهل المعنى

---

(١) روح وريحان: ٣٧ـ ٤٠، آفتاب خوبان: ٢٨ـ ٣٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

في دار السيّد هاشم الحداد في إحدى السنوات وفي إحدى الأيام الخاصة بزيارة الإمام الحسين عليه السلام وتحدثوا في موضوعات مختلفة، وكان السيّد هاشم مطرقاً برأسه ثم بدأ يتحدث قبل طلوع الفجر فقال جملة واحدة في التوحيد فنّد كل ما تحدّثوا به تلك الليلة.

وقال السيّد الأُستاذ: كنت يوماً في زيارة السيّد هاشم الحداد، فأطرق برأسه ثم تلا الآية الكريمة: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾(1)، ثم بدأ ببيان حقائق هذه الآية الشريفة بتفسير أعلى وأفضل مما ذكره الملا صدرا في كتابه «الأسفار».

وقال السيّد الأُستاذ: ذهب السيّد هاشم الحداد بصحبة مجموعة من أصدقائه إلى المدائن لزيارة قبر سلمان، يقول أحد مرافقيه: دخلنا المرقد مع السيّد هاشم فجلس في أسفل القبر ثم قام مسرعاً وجلس في أعلاه عند الرأس، وبعد خروجنا من المرقد أقسمنا عليه أن يخبرنا بعلّة قيامه من مجلسه الأول وجلوسه عند الرأس؟ فقال: عندما جلست في أسفل القبر رأيت سلمان نهض منقبره وقال لي: إنّك سيد وابن رسول الله ومع ذلك جلست عند قدميّ! انهض واجلس عند رأسي، فأجبته إلى ما طلب، فقمت من مجلسي الأول وجلست في مجلسي الثاني.

ويقول السيّد الكشميري: جاء أحد العلماء في النجف الأشرف لزيارتي وكان السيّد الحداد قل حلّ ضيفاً في داري، وعندما جلس ذلك العالم بدأ السيّد الحداد يجيب على الأسئلة التي تخطر في ذهن ذلك العالم قبل أن ينطق بها، ثم قال له: إنّ طبع الرسالة العملية تعيق الإنسان من الوصول إلى كماله، لأنّها ستشغله بمشاغل دنيوية. فتعجب ذلك

---

(1) سورة الأنعام، الآية: ٦٢.

العالم من قراءة السيّد هاشم لما كان يخطر في ذهنه من أسئلة وإجابته عليها، وبقي طيلة خمسة عشر عاماً يسألني كلّما رآني ويُقسم عليّ هل كان الشخص الذي التقى معه في دارنا هو صاحب الزمان عليه السلام؟! ومع أنّي كنت أجيبه بالنفي ولكنّه بقي يكرّر سؤاله!

ويقول السيّد الكشميري: كنت جالساً مع السيّد الحداد تحت قبة الإمام الحسين عليه السلام في ليلة ولادة صاحب الزمان عليه السلام وقد ازدحم الزوّار في الرواق المقدّس، فقال باللهجة العراقية: يا سيد عبد الكريم خوش وجوه ولكن كلّهم يريدون دنيه، أي أن هؤلاء الزوار طيبون ولكنهم طلاب دنيا.

قال السيّد الكشميري: كنت ضيفاً في دار السيّد الحداد فجاء أحد العلماء لزيارته وجلس في مقابله، فخاطبه السيّد الحداد: يا رجل إنك ذهبت لزيارة أبي الفضل العباس عليه السلام وقرأت الزيارة الجامعة الكبيرة بتأمل وتأنّي لمدة ساعة ونصف ثم طلبت منه أموراً دنيوية، أفلا تستحي؟! فتعجب ذلك الرجل وندم على فعله وقال: نعم والله لقد صدقت في قولك!

ويقول أيضاً: كنت يوماً في زيارة السيّد الحداد في داره، وأردت الذهاب لزيارة حرم الإمام الحسين عليه السلام، فقال لي: لا تذهب الآن. ولكنّي لم أصغ لكلامه وذهبت، وفي أثناء الطريق رجفت رجلي وسقطت على الأرض وكادت أن تُكسر رجلي لولا أن تداركتني بركات الإمام الحسين عليه السلام.

ويقول أيضاً: جاءني يوماً أحد العلماء وسألني عن السيد الحداد وطلب مني أن آخذه إليه، فقلت له: لا تأتي معي واترك هذا الأمر؛ لأنّه

من أهل الدليل وأخشى أن تحصل مشكلة عندما يتحدث مع السيّد الحداد ويقول شيئاً فيقول له ذلك العالم: وما هو دليلك على ذلك؟ وأخيراً اضطررت أن أصحبه معي إلى دار السيّد الحداد بعد إلحاح شديد.

وعندما وصلنا استقبله السيد الحداد استقبالاً حاراً، وأجلسه في مقابله، ومع كل ذلك فقد كنت خائفاً ومضطرباً. ثم نهض ذلك العالم من مكانه وجلس على ركبتيه أمام السيد الحداد وقال له: جئت إلى هنا لأتوب على يديك ولتجعلني إنساناً صالحاً، فقال له السيد الحداد: استغفر الله، إنّك سيد وعالم فلماذا تتفوّه بمثل هذا الكلام؟!

وفي هذه الأثناء دخل درويش الدار وهو يصيح بصوت عال: علي، علي، علي، فرحّب السيد الحداد بالدرويش، ثم قال لذلك العالم: قم واصلح النارجيلة للدرويش!

يقول السيّد الكشميري: فالتفتُ فجأة إلى ذلك العالم، فقال للسيد الحداد: أتطلب منّي أنا أن أصلح له النارجيلة؟! فقال السيد الحداد: إنك قد جئتني وأنت تحمل بين جنبيك صنماً! اذهب وحطّم صنم نفسك ثم ارجع إلى هنا.

ويقول السيّد الكشميري: لقد كان السيد الحداد حاذقاً في تشخيص النفوس والإخبار عن بواطن الأشخاص. فمثلاً في يوم من الأيام كنّا مجموعة من الأصدقاء جلوساً عند السيد الحداد، فخطر في ذهن أحد الأشخاص: هل السيد الحداد الآن في مكة أو المدينة. وفي هذه الأثناء صرخ السيد الحداد قائلاً له: لا علاقة لك بما أنا فيه وسوف لن تُسئل عنّي!

ويقول السيّد الكشميري أيضاً: ذهبت من النجف الأشرف إلى

كربلاء وكنت أفكّر إلى أين أذهب؟ هل أذهب إلى الحرم أو إلى دار السيد الحداد؟ وعندما وصلت قريباً من منزله ـ وكان قريباً من مرقد الإمام الحسين عليه السلام ـ قررت أن أذهب أولاً إلى دار السيد الحداد ثم أذهب إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام.

وعندما دخلت الزقاق رأيت مجموعة من الأشخاص ومعهم طفل صغير يسيرون نحوي، فقال الطفل لوالده: يا أبت انظر إلى هذا السيّد الذي ترك مولاه وقصد زيارة عبد من عبيده! فاضطربتُ جداً عند سماع هذا الكلام الذي أجراه الله سبحانه على لسان هذا الطفل، وقررت زيارة الإمام الحسين عليه السلام أولاً، وكنت أعلم أن السيد الحداد لا يرضى أن أزوره قبل أن أزور الإمام الحسين عليه السلام[1].

الشيخ علي أكبر الأراكي:

يقول السيّد الكشميري: عرّفني أستاذي في كفاية الأصول الشيخ محمد حسين الطهراني على الشيخ علي أكبر الأراكي.

وقد كان الأراكي عارفاً وفاضلاً، ولم يكن يعرفه أحد سوى أهل العرفان، وكان شخصاً قوياً وصاحب تزكية، دائم الذكر، ومن المحتمل أن يكون عنده الاسم الأعظم. وفي نظري أن مقامه ليس أقل من مقام العرفاء الآخرين. ولم يكن أكثر علماء عصره يعرفون مقامه العرفاني. وكانت طريقته في استقبال الآخرين أنّه لا يعطيهم وقتاً كثيراً، وكنا كلّما ذهبنا وجلسنا إليه لنستفيد منه تكلّم معنا فإذا ما انتهى من كلامه تلا هذه الآية الكريمة: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾[2] ثم يقول: قم فانصرف.

---

(١) صحبت جانان: ٩٦ـ ١٠٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

وذهبت إليه مرة وطلبت منه برنامجاً للحصول على قدرة الاستخارة، فأرشدني إلى صيام أربعين يوماً وتلاوة سورة النور بعدد معين وشرائط خاصة، وبعد إتمام البرنامج حصلت على تلك القدرة (وسيأتي شرحها مفصلاً في بحث الاستخارات)[1].

السيد أفضل حسين الهندي:

يقول السيّد الكشميري: جاء السيد أفضل حسين من الهند واستوطن النجف الأشرف، وكان يرتقي المنبر في بعض الأحيان، وهو من أهل الذكر والولاية، ولقد كان قوياً جداً وصاحب عقائد متينة كزبر الحديد. وكان كلّما طلبنا منه أن يعلّمنا ذكراً قال: كيف تراجعونني مع وجود أمير المؤمنين عليه السلام؟!

وكان يداوم على ذكر «بسم الله الرحمن الرحيم» إثنا عشر ألف مرة في اليوم ويوصي بذلك.

وقد رأيت منها كرامات، وحصلت منه على إجازة إعطاء الأذكار والأوراد. وكان من أصحاب معرفة بواطن الأشخاص، وقد جاءه مرة شخصان فقال: إن أحدهما من أهل النجاة والآخر من أهل جهنم. ولم يكن هنالك شك في صحة تشخيصه. وقد قالوا لي: من أين يعرف ذلك؟ فقلت لهم: إنّه من أهل التوجّه ومعرفة الباطن[2].

(١) آفتاب خوبان: ٢٦، روح وريحان: ٤٠.
(٢) آفتاب خوبان: ٢٥، روح وريحان: ٤١.

تعظيم السيد الكشميري للعرفاء

ومن أولئك الذين كان يذكرهم بتعظيم وإجلال:

الآخوند الملاّ حسين قلي الهمداني:

كان السيّد الكشميري يمجّده كثيراً وهو أستاذ سلسلة عرفاء النجف الأشرف.

قالوا: إنّه كان راعياً في صغره، وفي إحدى الأيام قال له أحد الرعاة: إنّ الرعي لا ينفعك اذهب واطلب العلم فإن فيه خير الدنيا والآخرة. قرر على أثر سماعه لهذا الكلام ترك الرعي والتوجّه لدراسة العلوم في الحوزة، وهكذا واصل دراسته إلى أن نال درجة الاجتهاد، والتحق بتلاميذ السيّد علي الشوشتري لتحصيل الأخلاق والعرفان ووصل إلى مستوى أوصاه فيه أستاذه التصدّي لتربية النفوس المستعدة والجلوس على كرسي الأستاذية.

وقيل: إنّه يئس من الوصول إلى شيء بعد مجاهدة استمرّت اثنين وعشرين عاماً، فجلس في صحن أمير المؤمنين عليه السلام فرأى حمامة نقرت حبة من الحنطة اثنين وعشرين مرة إلى أن استطاعت التقطاها، فألهم في قلبه أنه قد حان وقت الإفاضة، وفتحت له على أثرها أبواب الإشراق والحقائق.

يقول السيّد الكشميري: وكان يحضر دروسه الأخلاقية سبعون فقيهاً، ومع ذلك لم يضع العمامة على رأسه حتى لحظات عمره الأخيرة، وكان يكتفي بلف رأسه بقطعة من القماش كاللفاف عند الصلاة. ولا يوجد الآن أحد كالآخوند.

وكانت سيرة الآخوند كسيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام في السعي لقضاء حوائج المحتاجين ليلاً.

ونقل لي الشيخ حسن نجل المجتهد التقي والزاهد الشيخ علي الخاقاني الذي كان يتجنّب التصرف في سهم الإمام قدر الإمكان: طُرق الباب في إحدى الليالي، فخرجت وفتحت الباب فوجدت شخصاً مكشوف الرأس من العمامة وغيرها وطلب والدي، وعندما جاء والدي ورآه ومع أنّه كان آنذاك مجتهداً فقد وقع على يديه ورجليه يقبلها، فأعطى ذلك الرجل والدي مبلغاً من المال وذهب، فسألت والدي عن هذا الشخص، فقال: إنّه الآخوند الملاّ حسين قلي الهمداني، ولم يكن في دارنا في تلك الليلة شيء.

وكان الآخوند كاملاً في معرفة بواطن الأشخاص، وعندما ذهب إلى سامراء نزل ضيفاً عدة أيام على الملاّ فتح علي الأراكي الذي كان صاحب كرامات كثيرة، وعندما رجع الآخوند الهمداني إلى النجف سأله بعض خواص أصحابه: كيف رأيت الملاّ فتح علي؟ فقال بعد الثناء عليه: لم يخرج حب الدنيا من قلبه بعد بنحو كامل. وكانت سيرة الآخوند الهمداني في العرفان تختلف عن طريقة الملاّ فتح علي[١]

---

(١) روح وريحان: ٤٥ـ ٤٦.

السيد مرتضى الكشميري:

ومن العرفاء الذين لم يدركهم السيّد الكشميري ولكن كان يتحدث عن مقاماتهم العالية في العرفان هو آية الله العظمى السيّد مرتضى الكشميري (قدّس سرّه).

ولد السيّد مرتضى الكشميري في الهند سنة ١٢٦٨ هجرية، وشرع بدراسة العلوم الدينية منذ طفولته، وجاء مع عمه إلى العراق وعمره خمسة عشر عاماً واستوطن النجف الأشرف، ونال في وقت قصير مقامات علمية ومعنوية عالية لما كان يتمتع به من استعداد ونبوغ. وتوفي في النجف الأشرف سنة ١٣٢٣ هجرية عن عمر ناهز الخامسة والخمسين عاماً.

وهو من تلاميذ الآخوند الملا حسين قلي الهمداني في الأخلاق.

يقول السيّد الكشميري: وكان والده قد أودعه في طفولته عند أستاذ من العرفاء، وقد وصل إلى مقامات عالية وكانت له عصمة عرضية عن ارتكاب الذنوب.

وعندما جاء الشيخ حسن علي النخودكي الأصفهاني إلى مدرسة قوام في النجف طلبه السيّد مرتضى الكشميري وأعطاه برنامجاً يتضمن ترك تناول الأطعمة الحيوانية، التزم الشيخ بهذا البرنامج وفي أواخر أيام انتهائه جاء الشيخ حسن علي إلى مدرسة قوام فرأى قدراً من الطعام قد طبخت فيه دجاجة (ولعلّها كانت لزميله في الغرفة أو لخادم المدرسة) فاشتهت نفسه جداً الأكل من ذلك الطعام، وعندما عزم على تناوله جاء في نفس الوقت السيّد مرتضى الكشميري وقال له: أتريد أن تأكل من هذا الطعام؟! افتح القدر وشمّ رائحته؟ وتصرّف السيّد مرتضى الكشميري في رائحة الطعام، وعندما فتح الشيخ غطاء القدر شم رائحة كريهة منه، فأعرض عن تناوله.

وبعد وفاة السيّد مرتضى الكشميري رأى الشيخ حسن علي السيّد محمد الكشميري نجل السيّد مرتضى في مشهد فربتَ على ظهره وقال له: لقد كان أبوك عظيماً إلى درجة أنّه لو كان قد ادّعى الإمامة من غير بيّنة لصدّقته وأطعته.

ويواصل السيّد الكشميري: يقول الشيخ حسين همدر تلميذ السيّد مرتضى الكشميري: كنت يوماً أبحث عن أستاذي السيّد مرتضى الكشميري، فذهبت إلى داره فلم أجده، وذهبت إلى صحن حرم أبي عبد الله الحسين عليه السلام ودخلت من باب قاضي الحاجات فسمعت الباب والجدار وجميع الأشياء تسبّح الحق سبحانه بنفس لاذكر الذي كان أستاذي يسبّح به في السجود في الحرم الشريف. وأنا لم أرَ الشيخ حسين همدر ولكنّي أنقل عنه هذا بالواسطة.

ويضيف السيّد الكشميري قائلاً: ويقول لاشيخ حسين همدر أيضاً: ذهبت لزيارة السيّد مرتضى الكشميري فوجدت عنده شاباً قد جلس أمامه وكان السيّد يحترمه احتراماً بالغاً، فقال ذلك الشاب: نحن أهل البيت طول عمائمنا سبعة أذرع. وكانت عمامة السيّد مرتضى الكشميري كبيرة جداً.

يقول الشيخ حسين: وذهب ذلك الشاب فسألت السيّد مرتضى: من هو هذا الشاب؟ فقال: اسكت ولا تعيد السؤال مرة أخرى.

وكان آية الله السيّد حسين القمي يقوم تعظيماً عندما يتلفّظ باسم السيّد مرتضى الكشميري، وكان يواظب على خدمة السيّد مرتضى بفرش سجادة الصلاة له في السرداب عند الصباح، وفوق السطح عند المساء.

وفي إحدى المرات ذهب السيّد مرتضى الكشميري مع شخصين

آخرين لزيارة كربلاء مشياً على الأقدام، ووصلوا إلى إحدى منازل القوافل في الطريق، وعندما حان وقت الصلاة كان السيّد مرتضى الكشميري يصلّي خارج ذلك المنزل فاقتدى به صاحباه، وفي هذه الأثناء جاء أسد وتقدّم نحوهم وجلس قريباً منهم، فارتعدت فرائص الرجلين خوفاً من افتراس الأسد لهما، وبعد الانتهاء من الصلاة قام السيّد مرتضى الكشميري وأمسك بأذن الأسد وخاطبه قائلاً: لا أراك مرة أخرى تخيف زوار الحسين عليه السلام، فرجع الأسد من حيث أتى ولم يره بعد ذلك أحد.

وممّا نقله السيّد عبد الكريم الكشميري من كرامات السيّد مرتضى الكشميري أنه كان من عادة الحاج سعيد المعمار مع مجموعة من التجار أن يقضوا شهري رجب وشعبان في سامراء والكاظمين وكربلاء، وفي إحدى المرات اصطحبوا معهم السيّد مرتضى (روحي له الفداء)، وعندما كانوا جالسين على السطح رأى أحد هؤلاء التجار واسمه الحاج رضا عمامة السيّد السوداء وقد علاها شيء من البياض، فطلب منه أن يغسلها وينشرها على حبل الغسيل لتجف، فوافق السيّد مرتضى على ذلك، فغسلها الحاج رضا، وبعد لحظات جاء لقلق وأخذ عمامة السيّد بمنقاره وطار بها، فتألم الحاج رضا من ذلك وطلب من السيّد مرتضى أن يذهب إلى السوق ليشتري له عمامة أخرى بدلها. فقال له السيد: إن هذا اللقلق قد أخذ العمامة ليستشفي بها اللقالق المرضى ثم يرجعونها، وبعد برهة من الزمن جاءت اللقالق بعمامة السيّد ووضعتها على السطح.

وسُئل السيّد مرتضى الكشميري: هل تعرف شخصاً تشرّف برؤية صاحب الزمان عليه السلام؟ فأجاب: نعم أعرف شخصاً جاء من بلاد الهند الكافرة وتشرف برؤية المعصومين الأربعة عشر، وهو يشير بذلك إلى نفسه.

وعندما استخار آية الله السيّد حسين القمي عند السيّد مرتضى الكشميري قال له: تريد الذهاب إلى الحج، وهي جيدة جداً. يقول السيد حسين القمي: لقد كانت نيتي كذلك ولم أخبر بها أحداً ولكن من أين عرف السيّد مرتضى ذلك!

وقد كان السيّد مرتضى ذا حافظة واستعداد عجيبين، وعندما يسأله أحد سؤالاً فإنّه يجيبه بالتفصيل، ويقول بعد الانتهاء من الجواب: لقد كان هذا أحد أبحاث آية الله السيّد حسين الكوهكمري (من تلاميذ صاحب الجواهر ومعاصراً للشيخ الأنصاري)، وكان من عادة السيّد مرتضى الكشميري في شهر رمضان أن يذهب إلى البيت للإفطار بعد ساعتين من الغروب.

وعندما مرض السيّد مرتضى جاؤوا له بطبيب لا يعرف العربية ولا الفارسية ولا الأُردو، فقالوا: جيئوا لنا بمترجم لنفهّم الطبيب بمرض السيّد مرتضى، فأشار الطبيب بأنّه لا يحتاج ذلك فقد ألهمه السيّد مرتضى بمرضه.

لقد كان السيّد مرتضى رجلاً عجيباً، وكان عندما تعترضه حاجة يصلّي ركعتين صلاة قضاء الحاجة يقرأ في كل ركعة ألف مرة سورة «قل هو الله أحد».

وكان يواظب على قراءة سورة «إنّا أنزلناه في ليلة القدر» ألف مرة في اليوم. ويقول السيّد القاضي: كان السيّد مرتضى الكشميري يختم القرآن في ركعتي صلاة في الحرم.

وكان صاحب سجدات طويلة، وكانت زوجته تغطيه بالبطانية في الشتاء وهو في سجوده خوفاً عليه من البرد.

ويقول السيّد القاضي: دعاني السيّد مرتضى لتناول طعام الغداء في منزله، وعندما جاؤوا بالمائدة لم يكن فيها غير إناء صغير من الحساء لا يُشبع أحداً، ولكّنني وببركة السيّد شبعت عند تناوله.

وكانت غرفة السيّد القاضي في مدرسة قوام إلى جانب غرفة السيّد مرتضى، وكان بين الغرفتين باب صغير يذهب منه كل واحد منهما إلى غرفة صاحبه، وقد توثّقت بينهما أواصر المحبة.

ويقول السيّد عبد الكريم الكشميري: ورأيت في عالم الرؤيا أن يد السيّد مرتضى الكشميري قد وقعت في حجري، فحكيت الرؤيا لنجله السيّد محمد فعبّرها لي قائلاً: إن قوة أبي وقدرته تنتقل إليك[١].

(١) روح وريحان: ٤٤ـ ٥١.

المقامات المعنوية للسيد الكشميري

الكرامات:

ننقل هنا باقة من كراماته:

١ـ قيل له يوماً: منذ عشرين يوماً وأخ الشيخ الفلاني ـ وهو أحد قادة الفصائل العسكرية في خطوط القتال ـ قد فُقدت أخباره ولا يدرون هل هو أسير أم جريح أم قتيل؟ فخط السيّد الكشميري بإصبعه على الفراش بعلامة الضرب وقال: إنّه مقتول وسيؤتى بجنازته قريباً ولكن لا تخبروا الشيخ بذلك لئلا يحزن ويتألم. وبعد عدة أيام جيء بالجنازة[١].

٢ـ ذهب السيّد الكشميري مع اثنين من تلامذته في عصر أحد الأيام لزيارة أحد أصدقائه وهو شيخ من أهل لبنان. وبعد مراسم الضيافة طلب الشيخ من السيّد الكشميري أن يبيّن مطلباً يستفيد منه الحاضرون. فقال السيّد: إن أهلكم لم تخرج من الدار منذ مدة وقد أحاط الغمّ والهمّ بقلبها! فقال الشيخ: إنّ الأمر كذلك فهي مشغولة بأعمال المنزل والأولاد ولم تخرج منذ مدة[٢].

---

(١) صحبت جانان: ١٢.

(٢) صحبت جانان: ١٤.

٣ـ خلال سنوات الحرب العراقية ـ الإيرانية كان يتردد عليه الكثير من مسؤولي النظام ويطرحون عليه السؤال التالي: هل أن صدام ذاهب، أو سيحدث له أمر ما في أيام الحرب؟ وأمثال ذلك. وكان السيّد الأُستاذ يجيبهم بكلمة مجملة جداً وهي: (هنوز)، بمعنى أنّ وقته وأجله لم يصل بعد[1]. وهذا ما كشف الواقع صدقه.

٤ـ يحتفظ السيّد الكشميري بكثير من هدايا أصدقائه ومحبّيه التي أهديت له في النجف وقم كالمسابح والساعات والخواتم وأمثال ذلك. وفي أحد الأيام التي كان السيّد فيها مسافراً مع عائلته إلى طهران سرق أحد الأشخاص منزله، وقد كانت لهذا السارق معرفة بأثاث المنزل ومحتوياته. وعند مجيء السيّد الكشميري من طهران تأثّر لما حدث، فسأله البعض عن هوية السارق، فقال: أعلم من هو ولكن لا أستطيع الإخبار باسمه.

وعندما سأله أحد خواص تلاميذه عن الحادثة صوّر السيّد الأُستاذ بقدرته الروحية صورة السارق لتلميذه وأراه إياه.

ويقول أحد تلامذته: وسألته يوماً من يكون هذا السارق، فلم يجبني بشيء ولكنّه أوحى باسمه إلى ذهني بالإلقاء[2].

٥ـ قال السيّد الكشميري: هددني البعض في النجف الأشرف بالقتل، وكان أحد هؤلاء يبغضني ويظهر لي العداوة أكثر من غيره، فجاء يوماً قاصداً قتلي، فقلت له في تلك الحال: كن مجنوناً. وبعد مدة قصيرة أُصيب بالجنون. وعندما سُئل كيف صار هذا الشخص مجنوناً بمجرد

---

(١) صحبت جانان: ١٥.

(٢) صحبت جانان: ٤١.

كلامكم؟ قال: لقد كانت تلك حالة صدرت مني في وقت خاص وكان تأثيرها سريعاً.

ويقول السيّد صداقت تعليقاً على هذا الموضوع: من المعروف أنّ أولياء الله إذا قالوا شيئاً في حالة خاصة بجميع وجودهم أو أرادوا شيئاً فإنه يتحقق. وهذا يعني أن مثل هذا الكلام لو صدر عنهم في وقت عادي وبالنحو المتعارف فإنّه لا ينتج أثراً[1].

٦ـ يقول أحد تلامذته: تحدّثت في صباح أحد الأيام مع زوجتي وأولادي في البيت وأردت منهم أن يفهموا ما أقوله لهم، فقلت لهم: كيف لم تفهموا حديثي مع كل هذه الأدلة التي قلتها لكم؟! ثم ذهبت بعدها مباشرة إلى دار السيّد الكشميري، وقبل أن أتفوّه بكلام بادرني قائلاً: إنّ المرأة والأولاد ليسوا مثل ملا صدرا ينبغي أن يفهموا كل ما يقال لهم. ففهمت أنّه كان على علم بما جرى من حديث بيني وبين زوجتي وأولادي في البيت[2].

٧ـ كان هنالك شخص له علاقة عائلية مع السيّد الكشميري، ومن مريديه أيضاً، وكان يتشاجر مع زوجته أحياناً وتصدر عنه بعض الكلمات غير اللائقة عند الغضب، وعندما جاء لزيارة السيّد الكشميري قال له: إنّه لمن المؤسف حقاً أن يصدر من لسان إنسان ألفاظ بذيئة بحقّ زوجته!

وقد تكررت هذه المسألة مرات عديدة، وكان هذا الشخص يعتقد أن زوجته تخبر زوجة السيّد بالشجار الذي يحصل بينهما، وكانت الزوجة تحلف له الأيمان المغلّظة بأنها لم تفعل ذلك، وفي يوم ذهب هذا

---

(١) صحبت جانان ٧٥.

(٢) صحبت جانان: ٧٦.

الشخص مع زوجته إلى السوق لشراء بعض السلع وهنالك تشاجر معها وصدرت منه بعض الألفاظ غير الصحيحة، ثم جاء بعدها مباشرة إلى منزل السيّد الكشميري الذي استقبله قائلاً: نعم إنّ البعض يذهب مع زوجته إلى السوق وهنالك يتشاجر معها ويتكلّم بكلام بذيء! إنه لمن المؤسف حقاً أن تصدر منك مثل هذه الكلمات!! وحينئذ فهم ذلك الشخص أنّ السيّد كان يعلم ذلك بما أُوتي من ملكات روحية[١].

٨ـ يقول آية الله الميرزا أحمد سيبويه: عندما أردت السفر من النجف إلى إيران ذهبت إلى السيّد الكشميري لأستخير الله عنده حول هذا الموضوع. فقال لي: إن من صالحك أن تذهب إلى طهران. فقلت له: وكيف أحصل هنالك على دار سكن؟ فقال لي: إذا ذهبت إلى طهران سيتيسر لك الحصول على منزل. وهذا ما حدث بالفعل، فعندما جئت إلى طهران تيسّر أمر حصولي على منزل، وهي هذه الدار التي لا زلت أسكنها إلى اليوم، وقد تهيأت لي الفرصة الكافية لبيع داري في النجف ودفع ثمن هذه الدار[٢].

٩ـ يقول السيد محمد علي الحسيني الطهراني: كنت سيء الخلق مع زوجتي في بعض الأحيان، وكنت عندما أذهب لزيارة السيّد الكشميري وقبل أن أتحدّث معه كان ينبّهني ويوصيني بحسن الخلق مع زوجتي بنحو حصل عندي يقين بأنه على علم بما يحدث بيني وبين زوجتي[٣].

١٠ـ يقول الشيخ علي تاكي صاحب كتاب الصراط المستقيم وزاد المتقين: عندما كنت في النجف الأشرف وفي ليلة كنت أعبر من صحن

(١) صحبت جانان: ٧٦.
(٢) صحبت جانان: ٨٠ نقلاً عن كتاب كرامت معنوي: ٥٥.
(٣) صحبت جانان: ٨٤.

أمير المؤمنين عليه السلام وقد مضى من الليل ثلاث أو أربع ساعات فرأيت السيّد الكشميري جالساً في إحدى زوايا الصحن، فترددت في نفسي هل أذهب لأسلّم عليه وربما تأخرت أو لا أذهب إليه وهي إساءة أدب؟ وفي هذه الأثناء وأنا ما زلت لم أحسم موقفي في مسألة السلام عليه وعدمه رميت بنظرة ثانية نحوه فلم أره وكأنّه لم يكن جالساً في ذلك المكان أصلاً[1].

وعندما سأل أحد التلامذة السيّد الكشميري عن حقيقة الموضوع أجاب: عندما كنت جالساً في جوار ضريح أمير المؤمنين عليه السلام وخرجت إلى الصحن كانت حالة القبض قد هيمنت عليّ ولم تكن لي طاقة لقاء أي شخص، فرأيت الشيخ تاكي فمحوت صورتي من أمام عينيه، وعندما نظر نحوي في المرة الثانية لم يرني[2].

١١ـ يقول الأديب محمد علي المجاهدي في كتاب «في محضر اللاهوتين»: لقد كان العالم الرباني والعارف الصمداني المرحوم آية الله السيّد عبد الكريم الكشميري وبشهادة الكثير من علماء الحوزة الأُستاذ الوحيد في عصره في مسألة الأذكار، فهو صاحب معلومات واسعة في هذا الباب، وقد أمضى عمره الشريف في الأذكار والأسماء الإلٰهية.

وفي إحدى الأيام التي حالفني فيها الحظ بزيارة هذا الولي علّمني ذكراً وقال لي: إذا استطعت أن تتوفّق بإتيان هذا الذكر أربعين يوماً فإنّه سيحصل لك فتوحات معنوية كثيرة، وأضاف قائلاً: إذا استطعت أن تأتي بهذا الذكر بعد منتصف الليل فهو أفضل. فقررت العمل بما أرشدني إليه

---

(١) ناگفته هاى عارفان: ٢١١.

(٢) صحبت جانان: ٨٤.

من اليوم التالي، وكان عدد الذكر كبيراً جداً، فاستغرق في الليالي الأولى أربع ساعات ونصف من وقتي، ولكن مع الزمن قلَّ الوقت الذي يستغرقه الذكر إلى ثلاث ساعات ونصف.

وأتذكر أنه في الليلة الثالثة وعندما كنت مشغولاً بالذكر انطبقت جفوني بعد ثقلها ونمت لحظات معدودة، وعندما فتحت عيناي وجدت السيّد الكشميري واقفاً في وسط الغرفة وهو يقول لي: يا فلان إنّ الذكر يجب أن يؤتى بنشاط لا مع الكسل، انهض وتوضأ ثانية وابدأ بالذكر من جديد.

فنهضت وجددت وضوئي وبدأت بقراءة الذكر من أوله، وتشرّفت بزيارته في اليوم التالي وقررت عدم الحديث معه عمّا رأيته في الليلة الماضية لأرى هل يبادر هو بالحديث عن هذا الأمر! وبعد دقائق جاء أحد الطلاّب الشباب وسأله عن شروط الذكر، وفي أثناء حديثه عن الشرائط قال: يجب أن يؤتى الذكر بنشاط لا مع الكسل، وإذا ما أحسست حين قراءة الذكر بالكسل وانطبقت جفونك على بعضها فيجب عليك الوضوء ثانية ثم تبدأ بالذكر من جديد. أليس هكذا يا سيد مجاهدي؟![1]

١٢ـ يقول السيّد صداقت: كان آية الله السيّد مصطفى الخميني صديقاً للسيد الكشميري في النجف، وكان يعتبره شخصاً فاضلاً بعيداً عن الاعتبارات الظاهرية، يقول السيّد الكشميري:

في إحدى الأيام قال السيّد مصطفى لوالده آية الله الخميني: إنّ السيّد عبد الكريم يُخبر عن الأمور الخفية. فقال لولده السيّد مصطفى: أخبره أني رأيت في إيران مناماً لم أتحدث به إلى أحد، فليقل ما هو هذا

---

(١) در محضر لاهوتيان: ٤٢١.

المنام؟ فأخبرني السيّد مصطفى بالموضوع، وبعد قراءة مجموعة من الأوراد اتّضح لي ذلك المنام فقلت له: قل لوالدك أنّك رأيت في إيران مناماً بأنك توفيت في النجف ودفنت فيها ولكن صخرة البهلوي كانت تؤذيك فجاء الإمام علي عليه السلام وقال لك: كيف حالك؟ فأجبته: حالي جيدة ولكن هذه الصخرة تؤذيني، فأبعد أمير المؤمنين هذه الصخرة عنك.

وعندما أخبر السيّد مصطفى والده بما قاله السيّد الكشميري صدّق ذلك. وسألني السيّد مصطفى: هل أن والدي سيموت في النجف؟ فأخبرته أنّه سيموت في إيران[1].

١٣ـ ويقول السيّد صداقت أيضاً: هاجر السيّد الكشميري إلى إيران في ٢١ فروردين سنة ١٣٥٩ شمسي ووجهت إليه الدعوة لترتيب لقاء بينه وبين السيد الخميني، وقد تمّ هذا اللقاء.

يقول السيّد الكشميري: لم أكن مستعداً أن يزورني في منزلي، فقبلوا ذلك.

يقول السيّد صداقت: وقد جرى الحديث في هذا اللقاء عن مسائل عديدة، منها أن السيّد الخميني قال للسيد الكشميري: إذا كانت لديكم حاجة فنحن مستعدون أن نقضيها لكم. فقال له الأُستاذ بما يملك من رؤية باطنية: لقد أقمت في إيران وأُريد أن تصدروا لي جنسية إيرانية. فقال له السيّد الخميني: إني سأصدر أمراً بذلك. فقال له السيّد الكشميري: إنكم ستأمرون بذلك ولكن هؤلاء لا ينفّذون أمركم! ثم قال الأُستاذ: وكذلك حدث إذ لم تتخذ إدارة الجنسية أي خطوة في هذا المضمار.

ويواصل السيّد صداقت حديثه قائلاً: علماً أنّ والدة السيّد

---

(١) آفتاب خوبان: ٤٧.

الكشميري وهي بنت آية الله السيّد محمد كاظم اليزدي كانت إيرانية، وكان بعض أبناء الأُستاذ يملكون الجنسية الإيرانية أيضاً، وليس هنالك مشكلة في هذا الأمر، ولكن ومنذ تسعة عشر عاماً التي عاشها السيّد الكشميري في إيران لم تتّخذ خطوة في سبيل منحه الجنسية الإيرانية[١].

١٤ـ أرسل السيّد الخميني أحد العلماء في قم لزيارة السيّد الكشميري وتفقّد أحواله، وكان ذلك قبل الانقلاب العسكري الفاشل في قاعدة همدان بفترة قصيرة والذي اتفق وقوعه سنة ١٩٨٠، أي بعد عدة أشهر من مجيء السيّد الكشميري إلى إيران، وكان السيّد الأُستاذ قد رأى في عالم المكاشفة صباحاً أن إيران تلتهمها النيران وقد اقترب الدخان من داره. فأرسل رسالة إلى السيّد الخميني بواسطة المرحوم السيّد كمال الموسوي الشيرازي طلب منه اتخاذ التدابير اللازمة للحيلولة دون حدوث التمرد. فاتّخذ السيّد الخميني على أثرها الإجراءات اللازمة وقضى على هذه الحركة في مهدها. ثم أرسل رسالة إلى السيّد الكشميري يشكره فيها على موقفه[٢].

١٥ـ يقول السيّد صداقت: زار السيّد أحمد الخميني قبل وفاته بعدة أشهر السيّد الكشميري في منزله وكان بعض تلاميذه حاضراً، وقد طلب أثنائها برنامجاً للسلوك، فأعطاه السيّد الأُستاذ ما أراد. ثم أُشيع أن السيّد الكشميري قد أخبر السيّد أحمد الخميني بقرب وفاته، فسألت السيّد الأُستاذ عن حقيقة الأمر، فقال: لقد قلت له إن الآجال قريبة، وقد كان هذا فهماً ورد إلى قلبي فأخبرته به[٣].

---

(١) صحبت جانان: ٥٧.
(٢) آفتاب خوبان: ٤٨.
(٣) آفتاب خوبان: ٤٩.

١٦ـ عندما كان السيّد الكشميري في النجف الأشرف أصدرت الحكومة البعثية مرسوماً بمنع إقامة مراسم عزاء ضرب الرؤوس بالسيوف والقامات، وهُدّد بالقتل كل من يفعل ذلك. وقرر نجل السيّد الكشميري مع مجموعة من شباب الجيران إقامة هذه المراسم، وأحضروا صندوق الأكفان والقامات وأقاموا المراسم في موعدها المقرر ثم تفرّقوا، وجاء نجل السيّد بالصندوق وأخفاه في المنزل، فجاءت قوات الأمن البعثية وفتشت منازل الجيران ثم طرقوا باب منزل السيد، فخرج لهم السيّد الكشميري، فقالوا له: يا سيدنا توجد أسلحة في داركم. فقال لهم السيّد: إن سلاحي هو القرآن. ثم دخلوا الدار وفتشوا جميع غرفها فلم يعثروا على الصندوق، وكان السيّد الكشميري قد تصرف بأبصارهم وحال بينهم وبين رؤية الصندوق[١].

١٧ـ يقول السيّد صداقت نقلاً عن الشيخ جعفر الناصري: قبل عدة سنوات ذهب السيّد الأُستاذ بصحبة أحد المشايخ في طهران لزيارة ضريح أحد أبناء الأئمة عليهم السلام. وحينما كان جالساً هناك مرَّت أمامه امرأة مع أخيها، وبعد لحظات قليلة رجعت هذه المرأة والتي لم تكن تعرف الأُستاذ أصلاً وخاطبت السيّد قائلة: يا سيدنا إن رأسي يؤلمني فهل تستطيع أن تدعو لي ليشفيني الله من هذا الألم؟ فقال لها الأُستاذ: غطي وجهك بعباءتك، ثم أشار نحو رأسها بيده وقرأ دعاء. فأحست المرأة بشفائها وذهاب ذلك الألم. فقالت له: يا سيدنا لقد توفي زوجي منذ سنتين وأنا أرغب برؤيته في المنام فهل يمكن ذلك؟ فأجابها الأُستاذ: إنك سترين زوجك في عالم المنام في هذه الليلة. وفي اليوم التالي

---

(١) روح وريحان: ٦١.

جاءت هذه المرأة إلى الشيخ وقالت له: من هو هذا السيّد الذي يملك كل هذه القدرة؟! فهو قد أذهب ما في رأسي من آلام وأراني زوجي بعد عامين من وفاته، فإنّني عندما فارقت السيّد أمس اشتريت اثنين من المرطبات وأعطيتها لفقير بنية وصول ثوابها إلى زوجي، فرأيته البارحة وهو يقول لي: كنت ظمآناً منذ سنتين وقد رويت اليوم من العطش، وكان ذلك كله بفضل ذلك السيد[١].

١٨ـ عندما جاء السيّد الأُستاذ من النجف إلى قم قال السيّد محدم الصافي وهو من تلامذته وتربطه معه علاقة من النجف الأشرف: رأيت في عالم الرؤيا بأني قد تشرّفت بزيارة الإمام الرضا عليه السلام مع السيّد الكشميري، وكان الإمام عليه السلام موجوداً في الضريح، فقلت له: إنّي أُريد الاسم الأعظم. فأشار الإمام عليه السلام إلى السيّد الكشميري والذي كان معي، فالتفت إليه وقلت له: إن الإمام عليه السلام قد أحالني إليك. فتبسّم السيّد الكشميري ولم يقل شيئاً. فكررت طلبي من الإمام الرضا عليه السلام، فأحالني ثانية إلى السيّد الكشميري. فقلت للسيد الكشميري: هل سمعت ما قاله الإمام عليه السلام! فتبسّم السيّد الكشميري أيضاً ولم يتفوّه بكلمة.

وبعد الاستيقاظ من النوم ذهبت إلى السيّد الكشميري وحكيت له ما رأيته في عالم الرؤيا، فقال: نعم إن عندي الاسم الأعظم ولكن ليس عندي ترتيب أعماله. فقلت له: إنّهم قد أحالوني إليك. فقال: إن ترتيبه والإذن بإعطائه يجب أن آخذه من أمير المؤمنين عليه السلام. ثم أنشأ الطلب بنفسه بنحو معيّن وقال ذلك للإمام عليه السلام بحالة خاصة، ثم قال: اطلب أنت.

---

(١) روح وريحان: ٦٢.

فخرجت من منزل السيّد الأُستاذ وكنت حينها أعزباً وأسكن في إحدى الغرف، وقد رأيت أمير المؤمنين عليه السلام سبع إلى عشر مرات في اليقظة جالساً في حرمه وقد ضمّ إحدى ركبتيه إلى صدره، فحاولت الاقتراب منه ولكنّ هيبة الإمام منعتني من ذلك، فلم أستطع الاقتراب من الضريح والحديث معه، فرجعت القهقرى إلى الوراء. وقد تغيّر حالي بسبب هذا الأمر ولكنّي بقيت مسيطراً على وضعي الظاهري لئلا يشعر أحد بذلك، ولكن مع ذلك فقد انتبه اثنان من أصدقائي إلى تغيّر حالي.

فذهبت إلى السيّد الكشميري وقلت له: لا أستطيع أن أتحمل هذه الحالة لأنّ أحوالي قد تغيّرت. فقال لي: تابع الطلب. ولكنّي لم أستطع المتابعة وذهبت عنّي حالة المكاشفة والمشاهدة تلك[1].

١٩ـ يقول الشيخ جعفر الناصري: في أوائل هجرة السيّد الكشميري إلى إيران لم يكن يمتلك شيئاً، فأرسل إليه أحد العلماء مبلغاً لا بأس به من المال،ولكن الشخص الوسيط بإيصال المال تصرّف في الأمانة وأعطى القسم الأكبر من ذلك المال إلى شخص آخر، فعلم السيّد الأُستاذ بالموضوع. وعندما كنت معه يوماً في مقبرة قم الجديدة قال وهو بحالة خاصة: كنت محتاجاً إلى المال، فأرسل لي أحد العلماء ما أحتاجه، ولكن الشخص الوسيط أعطاه لشخص آخر، إنه سيقتل. وكانت عاقبة ذلك الشخص أن قُتل بالفعل بحادثة بعد مدة[2].

٢٠ـ يقول السيّد الكشميري: كان هنالك شخص يتردد على مدرسة جدنا السيّد محمد كاظم اليزدي، ولكنّه كان يتّصف بصفة غير محمودة

---

(١) روح وريحان: ٦٢.

(٢) روح وريحان: ٦٣.

وذات جنبة حيوانية، فأخرجته من المدرسة. وفي إحدى الأيام دعاني لتناول طعام الغداء إظهاراً للمحبة، وكان قد أخفى سيفاً ليجرحني به أو يقتلني. وعندما علمت نيته حُبس إدراره في نفس الوقت وذهبت إلى المرافق الصحية، فاغتنمت الفرصة وهربت من منزله[١].

المكاشفات:

نقل هنا بعض هذه الكشوفات:

١ـ عندما كان السيّد الكشميري ضيفاً عند أحد أهل السلوك جاء شيخ من أهل آذربايجان وقال لصاحب المنزل: إن ابنتي مريضة وأرجو منك الدعاء كثيراً لشفائها، فقال له: إن مريضك سيشفى.

يقول السيّد الكشميري: فرأيت فجأة تابوت وجنازة تلك الفتاة أمامي وعلمت أنها ستموت، فقلت لصاحب السلوك: إن ابنته ستموت ولا تتماثل للشفاء. وبعد أسبوع رأيت ذلك الشيخ قرب حرم السيدة المعصومة عليها السلام فقال لي: إن ابنتي توفيت[٢].

٢ـ يقول السيّد الكشميري: كان هنالك شخص يؤذيني، فقرأت عدة مرات سورة القدر وأهديتها لروح السيّد القاضي وطلبت منه المساعدة في خلاصي من أذى ذلك الشخص. فرأيت السيّد القاضي في عالم المكاشفة قرأ هذه الآية وهو يشير بأصبعه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ وبعد فترة قصيرة أُصيبت ذلك الشخص بالشلل[٣].

٣ـ يقول السيّد الكشميري أيضاً: عندما كنت مستغرقاً بقراءة ذكر

---

(١) صحبت جانان: ٤٩.
(٢) آفتاب خوبان: ٤٩.
(٣) آفتاب خوبان: ٥٠.

«الله الصمد» في قبو منزلنا في النجف الأشرف رأيت فجأة كشفاً واضحاً ظهرت فيه مجموعة من الحور العين أمامي وفي أيديهن صينية جميلة قد خطّ عليها بخطّ جميل جداً «الله الصمد» بنحو لا يمكن وصفه(١).

٤ـ عندما كان السيّد الكشميري مع أحد تلاميذه في زيارة أحد أولاد الأئمة في قم المعروف بـ «شاه سيد علي» نظر السيّد إلى لوحة في أعلى الضريح فرأى بالمكاشفة فتاة تقول له: أنا علوية وسأكون زوجة لهذا التلميذ الذي معك. فأخبر السيّد تلميذه بقرب زواجه من فتاة علوية. وهذا ما حدث بالفعل بعد فترة قصيرة(٢).

٥ـ في زيارة لأحد أبناء المراجع للسيد الكشميري أخبره السيّد أن والده كان البارحة مبتعداً عن ضريح أمير المؤمنين عليه السلام فما هو سبب ذلك؟ وعندما رجع هذا الشخص وسأل والده أين كان البارحة فأخبره أنه كان في زيارة الشخص الفلاني. وقد كان هذا الشخص من العلماء ولكنه لا يعتقد بالولاية المطلقة للمعصوم عليه السلام. فأخبر والده بما قاله السيّد الكشميري.

يقول السيّد صداقت تعليقاً على ما سبق: اِعلم بأن مجالسة الأشخاص الذين يوجد ضعف في عقائدهم في الأئمة والزهراء عليهم السلام يوجب الابتعاد عنهم عليهم السلام(٣).

٦ـ يقول السيّد الكشميري: كان السيّد مهدي القاضي النجل الأكبر للسيد علي القاضي صديقاً لي، وكان يقول لي أحياناً: حينما أراك أتذكّر والدي. وكنت بعد وفاته كلما مشيت رأيته (بالمكاشفة) أمامي(٤).

---

(١) آفتاب خوبان: ٥٠.

(٢) روح وريحان: ٥٤.

(٣) روح وريحان: ٥٤ـ ٥٥.

٧ـ يقول السيّد الكشميري: رأيت في حالة المكاشفة المرحوم مير حامد حسين الهندي صاحب كتاب عبقات الأنوار في دار وكان على صدره نوراً أخضر كُتب عليه: «حب علي بن أبي طالب حسنة لا تضرّ معها سيئة». وكان هذا الكشف طويلاً أيضاً[١].

الإلهام:

ونذكر هنا بعض إلهامات السيّد الكشميري:

١ـ يقول السيّد صداقت: عندما كان السيّد الأُستاذ متصدياً للتدريس في النجف الأشرف جاء أحد التلاميذ إلى الدرس في مسجد الترك وهو جُنب وجلس خلف الباب، فصرخ به الأُستاذ وحذّره من حضور الدرس وهو على الجنابة، فنهض ذلك التلميذ مسرعاً وذهب ليغتسل[٢].

٢ـ يقول السيّد صداقت أيضاً: مرض السيّد الأُستاذ قبل خمسة عشر عاماً ونقل إلى أحد المستشفيات في طهران، فقال له الطبيب: يجب عليك ترك التدخين. فقال السيّد: هذا ليس حكماً. فقال له الطبيب: فإذا منعك المرجع الفلاني من ذلك؟ وبما أن الأُستاذ كان مجتهداً فقد أجابه: هذا ليس حكماً أيضاً إلاّ إذا أمرني وليّ أمري (إمام الزمان عليه السلام) بذلك. فقال له الطبيب: أتقول إذا أمرك وليّ أمرك؟! فأجابه الأُستاذ: إذا تبسّم فليس هنالك مشكلة، وإذا نظر إليّ بحدّة وعصبية فإنّا لله وإنّا إليه راجعون[٣].

وفي اليوم التالي عند مراجعة الطبيب له تحدّث معه بمسائل عديدة

---

(٤) صحبت جانان: ٤٠.

(١) صحبت جانان: ٧٧.

(٢) روح وريحان: ٥٦.

(٣) إلى هنا نقله عن نجله السيّد محمود الكشميري.

منها أنه قال له: إنكم معاشر رجال الدين لا تعرفون غير مسائل الحيض والنفاس وأمثال ذلك؟! يقول السيّد الأُستاذ: فأثار كلامه غيرتي وألهمت أن أقول له: لماذا أنت ترغب جداً في هذه الممرضة وتراودها عن نفسها بالرغم من أنّها تمتنع عنك؟! فاصفرّ وجه الطبيب ولاذ بالصمت ولم ينطق بشيء[1].

٣ـ يقول أحد تلامذته: كنت في زيارة السيّد الكشميري في صباح أحد الأيام وكان وحده في المنزل، وكان الصمت مخيّماً عليه ثم التفت إليّ وقال: إنّ أمّك الآن قد أحاط بها الهمّ وكأنّها تحمل همّ العالم. فقلت: أمي؟! فقال: نعم. مع أنّ والدتي كانت في إحدى المدن البعيدة عن قم. وتعجبت كثيرً من كلامه. وبعد فترة ذهبت إلى مدينتي لزيارة أهلي وكنت قد نسيت كلام الأُستاذ، وبعد وصولي أخذت أتحدث مع والدتي فنقلت لي حادثة مثيرة وقالت لي: لقد أحاط بي الهم في ذلك اليوم كأنّي أحمل هم العالم، فأنتقل ذهني بسرعة إلى كلام السيّد الأُستاذ وتذكّرت حديثه وكان موافقاً تماماً لليوم الذي وقعت فيه تلك الحادثة، فعلمت أن الأُستاذ قد أُلهم ما حدثني به[2].

٤ـ عندما كان السيّد الكشميري في طهران جاءته إحدى النساء التي لم تعر أهمية لما يتمتّع به السيّد الأُستاذ من مقام روحي، فقال لها: أولاً إنك لست مسلمة. وثانياً: إنك تخونين زوجك في عملك. فاصفرّ وجهها عندما سمعت ذلك[3].

---

(١) روح وريحان: ٥٦ـ ٥٧.
(٢) روح وريحان: ٥٧.
(٣) روح وريحان: ٥٧.

الإخبارات والتنبؤات:

وإليك مجموعة من إخباراته وتنبؤاته عن مستقبل الأشخاص:

١ـ يقول أحد تلامذته: اصطحبت معي يوماً ولديّ اللذين كانا آنذاك تلميذين في المدرسة الابتدائية لزيارة السيّد الكشميري وسألته: كيف ترى ولديَّ هذين؟ فقال: أمّا ولدك الأكبر فيشق طريقه في طلب العلم، وأما ولدك الأصغر فيكون من الأثرياء.

يقول ذلك التلميذ: وقد حدث هذا بالفعل، فقد ترك ولدي الأصغر المدرسة المتوسطة وأخذ يشتغل في التجارة، ووضعه المادي يتحسن يوماً بعد يوم، وأما ولدي الأكبر فقد أنهى الدراسة الجامعية في هذا العام[١].

٢ـ كان أحد العلماء الذي يشغل منصباً في الدولة يتردد على السيّد الأُستاذ ويطلب منه ذكراً لشهود الحقائق والمعاني، وكان الأُستاذ يداريه بسبب العلاقة التي تربطه معه. فقلت له يوماً: يا سيدنا إنّ هذا الشخص يحبك فلماذا لا تتلطف عليه بإعطائه ما يريد، ما هو المانع في ذلك؟ فقال: المانع هو تصدّيه للرئاسة.

فاتصلت هاتفياً بذلك العالم وأخبرته بما ذكره الأُستاذ من المانع، فشكرني على ذلك، ولكنه لا زال إلى اليوم مشغولاً في عمله هذا ولم يقدم على رفع هذا المانع لتكون له الحقائق مشهودة[٢].

٣ـ جاء شخص إلى منزل السيّد الأُستاذ وهو يتظاهر بأنّه من الأشخاص الذين ينامون قليلاً، فقال: لقد نمت البارحة قليلاً؟ فقال له

(١) روح وريحان: ٥٨.
(٢) روح وريحان: ٥٩.

الأُستاذ: لقد نمت البارحة في ساحة الدار إلى ما بعد طلوع الشمس وكانت صلاتك قضاء[1].

٤ـ في إحدى الأيام قيل للأستاذ: إن بنت العالم الفلاني قد تزوجت من ابن فلان. فقال الأُستاذ فوراً: يكون الله في عونها! وقال في وقت آخر: لو كانوا قد استشاروني في الموضوع لمنعتهم من ذلك.

وبعد إنجاب طفل انجرّ ذلك الزواج إلى الطلاق فظهر دقّة كلام الأُستاذ[2].

٥ـ كان لأحد تجار السجّاد وهو سيّد. . . ابنتان ثم لم يرزق طفلاً خلال ثمانية عشر عاماً، وكان يشتكي من آلام في قلبه، واستطاع لقاء السيّد الكشميري بواسطة أحد أصدقائه، فقال له السيّد يوماً: إن قلبك سيتماثل للشفاء. فذهب ذلك التاجر إلى الأطباء وبعد إجراء الفحوصات وجدوا أنه شفي من مرضه.

وقال له السيّد الكشميري في لقاء آخر: إنك سترزق ولداً ذكراً سالماً. فتعجب ذلك التاجر من كلامه، وبعد ذهابه إلى ألمانيا لأعمال تجارية اتصلت به زوجته وأخبرته بأنّها حامل، وقد شخّص الأطباء بواسطة الجهاز المصوّر أن الجنين أُنثى. فقال التاجر لرئيس مستشفى طهران: إن أحد العلماء يقول إن الجنين ذكر. فقال له الطبيب: إنّ هؤلاء لا يعلمون شيئاً ولا تصغي لكلامهم.

وقبل يومين من الولادة جاء التاجر إلى السيّد الكشميري وقال له: إن الطبيب المتخصص في قسم الولادة في مستشفى طهران يقول: إنّ الجنين أنثى؟ فقال له السيّد: إنه ذكر وسمّه علياً.

---

(١) روح وريحان: ٥٩.

(٢) روح وريحان: ٥٩ـ ٦٠.

وبعد يومين ولدت الزوجة ولداً ذكراً، فتعجب رئيس المستشفى وطلب من التاجر أن يأخذه لرؤية السيّد الكشميري الذي استطاع أن يُخبر بجنس الجنين على خلاف ما تعطيه صورة الجهاز المصوّر[1].

٦ـ يقول السيّد صداقت: ذهب أحد الأصدقاء وهو من تلاميذ السيّد الكشميري أيضاً إلى إحدى المدن لإمامة الجماعة في مسجد هناك بإلحاح من أقربائه الذين يسكنون في تلك المدينة. فأخبرنا الأُستاذ بذلك فقال: إنّه يضيع هناك.

وبعد مضي فترة من الزمن أخبرنا ذلك الصديق أن مجموعة من أهل العلم الذين يتواجدون هناك أخذوا يتحدثون خلفه ببعض التُهم حسداً من عند أنفسهم أو لأسباب أخرى، ولكنه والحمد لله رجع إلى قم بعد عام قضاه هناك وحفظه الله من الضياع وبغي المنافسين[2].

٧ـ كان هنالك شخص يزور السيّد الكشميري بين الفينة والأخرى، وكان ذو علاقة بأحد كبار الشخصيات، فقال يوماً: إن تلك الشخصية الكبيرة يريد زيارة إحدى المحافظات.

فقال له السيّد الكشميري: قل له أن لا يسافر، وهذا السفر مضر له.

فقال ذلك الشخص: إن هذا أمر غير ممكن فقد تهيأت جميع مقدمات السفر.

وذهبت تلك الشخصية الكبيرة إلى تلك المحافظة وتحدث فيها بحديث لا يليق به ظاهراً وباطناً[3].

---

(١) روح وريحان: ٦١.
(٢) صحبت جانان: ١٧ـ ١٨.
(٣) صحبت جانان: ٤٢.

٨ـ تزوج أحد أبناء العلماء إحدى الفتيات ثم طلّقها وأشاعوا عنها أنّها عاقر. فأُخبر السيّد الكشميري بذلك فقال: إن الشاب هو المصاب بالعقم لا الفتاة. ثم زوّج ذلك العالم ولده من فتاة أخرى، ثم علموا أن المانع كان من الشاب لا من الزوجة الأولى ولا الثانية، وظهر صدق كلام السيّد الكشميري(١).

٩ـ يقول السيّد الكشميري: كنت يوماً راكباً في إحدى السيارات الكبيرة ذاهباً من النجف إلى كربلاء للزيارة، وكان هنالك شابان جالسان في إحدى الكراسي القريبة يتحدثان معاً، فقال أحدهما: إنّ المعممين عملاء للإنكليز! فقمت وهمست في أذنه وذكّرته بإحدى أعماله القبيحة، فسكت ولم يتفوّه بعدها بكلمة إلى أن وصلنا إلى كربلاء، وعند نزولنا جاءني ذلك الشاب نادماً وقد أحاط به الهم والغم وأعتذر لي وقال: ماذا أفعل لكي أتخلّص من هذه الرذيلة؟ فقلت له: هذا حرم سيد الشهداء، اذهب إلى الحرم وتب إلى الله(٢).

وأما كيفية استخارته بالقرآن التي كان يستخير بها لجماعة خاصّين فكانت كالتالي: يفتح القرآن الكريم ويعدّ ست أوراق وينظر في الآية الأولى في الصفحة الأولى والآية الأولى أو الثالثة في الصفحة الثالثة والآية السادسة في الصفحة السادسة، ثم ووفقاً لاستنباطه الخاص يبيّن أحياناً مستقبل ونتائج ذلك العمل أو آفاته وعيوبه، وكان يتحدّث في أحيان أخرى عن ماضي الشخص المستخير، وكان ذلك كله مرتبطاً بحالة الاستخارة عنده(٣).

---

(١) صحبت جانان: ٦٢.
(٢) صحبت جانان: ٨٣.
(٣) صحبت جانان: ١٦.

وأما طريقة الاستخارة لمن يريد أن يستخير بنفسه بالسبحة فيقول السيّد الكشميري: يقول المستخير أولاً ثلاث مرات: (اللهم صلّى على محمد وآل محمد) ثم يقول مائة مرة: (أستخير الله برحمته خيرة في عافية) ثم يقبض على مجموعة من حبّات السبحة ويسقطها أربعة أربعة، فإن بقيت واحدة فهي جيدة جداً، وإن بقيت اثنان فهي وسط تميل إلى الرديئة، وإن بقيت ثلاثة فإن فيها تعب ومشقّة ولكن عاقبتها جيدة، وإن بقيت أربعة فهي رديئة جداً. وهذه الاستخارة لا شك في صحتها، وهي لأهلها بمنزلة بدل الإلهام(١).

ونذكر هنا بعض استخارت السيّد الكشميري:

١ـ يقول السيد صداقت: كنا جلوساً عند السيّد الكشميري إذ جاء شخص باكستاني يرتدي زي أهل العلم، وبعد برهة قليلة قال: قبل إحدى عشر عاماً استخرت الله عندكم فقلت لي: لا تسافر خارج إيران فإنك تسجن. ولكني بعد شهر خالفت الاستخارة وذهبت إلى الباكستان وألقي القبض عليَّ هناك وأودعت في السجن بتهمة القتل، ثم تتابعت عليَّ المصائب والمشاكل، والآن أرجو منكم إرشادي إلى عمل لأتخلّص ممّا أنا فيه من الاضطراب والحصول على الهدوء والطمأنينة: فقال له الأُستاذ: اِقرأ سورة يس وأهدي ثوابها إلى روح أمير المؤمنين عليه السلام لكي يلتفت إليك ويصلح شأنك(٢).

٢ـ جاء أحد شيوخ العشائر في العراق وطلب من السيّد الكشميري الاستخارة في زواج ولده من إحدى الفتيات التي كانت يعشقها، وكان

---

(١) صحبت جانان: ٦٢.

(٢) آفتاب خوبان: ٤٥.

جواب الاستخارة النهي عن هذا الزواج، وبما أن الشاب كان يهوى الفتاة فقد حزن لذلك وقرر قتل السيّد الكشميري. فأتى بسكين وأخفاها تحت ثيابه ورأى السيّد في صحين أمير المؤمنين عليه السلام فطلب منه الاستخارة في قتله، فاستخار له، وعندها صرخ السيّد بصوت مرتفع: ابتعد عني أتريد أن تهدم الكعبة؟! فانتبه الشاب إلى دقة استخارة السيّد وصحّتها. وحينها قال الشاب: إذا كان الاستخارة جيدة لكنت قد قتلتك بهذه السكين، وأزاح قميصه وأرى السيّد السكين، ثم تاب من نيته واعتذر للسيد[1].

٣ـ تحدث أحد تلاميذ السيّد الكشميري مع زوجته حول مسألة الحمل والإنجاب، وعلّقت الزوجة المسألة على استخارة السيّد الكشميري. وعند الاستخارة له السيد: في هذه المسألة رحمة وصاحبها مُقدم على سفر كل خطوة فيه رحمة.

يقول ذلك التلميذ: وبعد عام رزقني الله بنتاً وهي طبقاً للرواية عن أهل البيت عليهم السلام رحمة، وبعدها مباشرة ومن غير توقع ومقدمات سجّلت اسمي للحج والعمرة، وجاء اسمي في المجموعة الثانية وذهبت إلى مكة والمدينة وأديت مراسم الحج والزيارة، وكان في كل ذلك رحمة لي[2].

٤ـ يقول السيّد صداقت: نقل لي أحد الطلاب اللبنانيين يقول: ذهبت إلى السيّد الكشميري في النجف للاستخارة فقال لي: تعال في المساء. وعندما ذهبت إليه في المساء استخار لي ثم قال: أُخرج من العراق فوراً ولا تتريث فإن الخطر في انتظارك.

(١) آفتاب خوبان: ٤٦.
(٢) آفتاب خوبان: ٤٦ـ ٤٧.

يقول هذا الطالب: وعندما رجعت إلى المدرسة لم أعمل بما قاله السيّد الكشميري وتماهلت في الخروج من العراق، فلم تمض فترة قصيرة حتى اعتقلني البعثيون وأودعوني السجن لمدة شهر ثم أخرجوني من العراق إلى لبنان[١].

٥ـ يقول السيّد صداقت: طلب مني أحد العلماء الذي كان يشغل منصباً في الدولة الاستخارة عند السيّد الأُستاذ في ترك المنصب، وعند الاستخارة تحدث السيّد عن خصوصيات ذلك الشخص ومن يحيط به من غير أن يراه سابقاً ومن غير أن أُخبره بموضوع الاستخارة، وليس من المصلحة الآن تدوين المطالب التي تفضّل بها الأُستاذ والتي كان من ضمنها: إن ترك المنصب سيكون سبباً له في حصول فتوحات معنوية. وقد وفّق هذا العالم بالذهاب إلى مكة وبعد مجيئه ترك المنصب الذي كان يشغله، وبعدها قال لي: الآن أخذ أدرك جزئيات وخصوصيات استخارة السيّد الكشميري ومقدار دقتها[٢].

٦ـ كان المرحوم السيّد هاشم الرضوي ـ وهو من تلاميذ السيّد علي القاضي ـ ساكناً في طهران ثم أراد الانتقال والسكنى إما إلى قم أو مشهد، ولهذا استخار عند السيّد الكشميري حول هذا الموضوع، فقال له السيّد بعد الاستخارة: إن السكنى في قم جيدة جداً وسيجتمع حولك مجموعة من الأشخاص، وأما السكنى في مشهد فغير جيدة. فسكن السيّد الرضوي في قم واجتمع حوله بالفعل مجموعة من الأصدقاء والطلاب للاستفادة منه، ولكنّه بعد عدة سنوات قرر ترك قم والسكنى في

---

(١) روح وريحان: ٦٥.
(٢) روح وريحان: ٦٦.

مشهد، وسكن هناك مدة سنة تقريباً ثم رجع إلى قم واجتمع حوله أصحابه ثانية في طريق التهذيب والتزكية، وهكذا كان الواقع مطابقاً ومصدّقاً للاستخارة[١].

وهنالك حادثة طريفة ينقلها السيّد الكشميري عن موضوع الاستخارة، وهي أن السيّد الكشميري كان يجلس في إحدى شرف صحن أمير المؤمنين عليه السلام بساعتين قبل الظهر يستخير خلالها لطالبي الاستخارة، يقول السيّد الكشميري: وكنت أرى ومنذ فترة من الزمن امرأة ترتدي الزي القروي وتجلس في الإيوان الذهبي لحرم أمير المؤمنين عليه السلام وتجتمع حولها النساء للاستخارة، وكانت تستخير بسبحة في يدها. وقد جلبت انتباهي هذه الحالة، فطلبت من أحد خدّام الحرم العلوي أن يحضرها عندي قرب الظهر حيث ينتهي عملها عادة فإنّي أُريد أن أسألها بعض الأسئلة.

وبعد يوم جاء بها الخادم عند الظهر فسألتها: ماذا تفعلين؟

فقالت: إني أستخير للنساء.

فقلت لها: وممّن تعلّمتي الاستخارة؟ وما هو الدعاء الذي تقرأينه عند الاستخارة؟ وكيف تبينين المسائل للناس؟

فقالت: إنّ لي في ذلك قصة، ثم بدأت بحكاية قصتها، قالت: إني امرأة كنت أعيش مع زوجي وأطفالي حياة عادية، إلى أن توفي زوجي على أثر حادثة، وبقيت مع أربعة أيتام لا معيل لي حيث طردني أهل زوجي مع أطفالي لما يرونه من أن قدمي كانت قدم شؤوم وسببت في وفاة ولدهم، ولم يكن أهلي أيضاً يهتمون بما أعانيه من مشاكل مادية في إعالة

---

(١) روح وريحان: ٦٦.

أطفالي، ولهذا فقد عانيت كثيراً في سبيل معيشتهم، علماً بأني كنت فتاة شابة وكانت سبل الانحراف أمامي مفتوحة، ولقد كدت أن أقع مراراً في مستنقع الفساد بسبب شدة حاجتي المادية، ولكن الله تعالى كان يحفظني. وفي يوم من الأيام وبسبب شدة فقري وحاجتي المادية قررت ارتكاب الفاحشة لأنّه لم يكن أمامي سبيل آخر للعيش، وبعد قراري الأخير في الإقدام على هذا العمل كان الله تعالى أمامي حيث أنقذني من هذا المأزق الخطير. وكان من عادتنا أن أحدنا إذا كانت له حاجة فإنه يأتي إلى حرم أبي الفضل العباس عليه السلام ويضرب عن تناول الطعام لمدة ثلاثة أيام لكي تقضى حاجته، وكان أكثرنا يحصل على حاجاته عن هذا الطريق، فصممت أنا أيضاً العمل بهذه العادة، فذهبت إلى جوار ضريح العباس عليه السلام وبدأت الإضراب عن العطام، وفي اليوم الثالث وعندما كنت نائمة إلى جوار الضريح جاءني العباس عليه السلام في عالم الرؤيا وقال لي: ليكن عملك الاستخارة للناس. فقلت له: أنا لا أعرف شيئاً عن الاستخارة. فقال عليه السلام: أقبضي بيدك على السبحة فقط وستريني حاضراً أمامك أخبرك بما ينبغي أن تتكلمي به.

تقول هذه المرأة: فاستيقظت من النوم وقلت في نفسي: ما هذه الرؤيا؟ وهل حقاً قد قُضيت حاجتي وانتهت مشكلتي! وكنت مترددة ماذا أفعل، وأخيراً قررت إنهاء الإضراب وخرجت من الحرم نحو الصحن، وفي أثناء الممر بين الحرم والصحن صادفتني امرأة فقالت لي: ألا تستخيرين لي؟ فتعجّبت من قول هذه المرأة، إذ ليس من المتعارف أن تتصدّى النساء للاستخارة، وخاصة من كانت على شاكلتي من النساء القرويات! وأخذت أُسائل نفسي هل هذه المرأة على علم برؤياي؟ وهل هي مأمورة من أبي الفضل العباس عليه السلام؟ وأخيراً قلت لها: ليس عندي

سبحة أستخير بها. فأخرجت المرأة سبحة وأعطتنيها وقالت لي: خذي هذه السبحة واستخيري لي.

ورفعت يدي وتوجهت إلى أبي الفضل عليه السلام وقبضت على مجموعة من حبات السبحة، فرأيت أبا الفضل عليه السلام قد ظهر أمامي وقال لي ما يجب أن أقوله لهذه المرأة. فأخبرتها بما قال وذهبت. ومنذ ذلك التأريخ أجيء إلى هذا المكان يوماً في الأسبوع، وتأتي النساء التي تعرف وضعي فأستخير لهن، وتعطيني كل واحدة منهن مقداراً من المال مقابل الاستخارة، فأقوم بشراء ما أحتاجه وما يحتاجه أطفالي خلال أسبوع بهذا المال وأرجع إلى منزلي[1].

ونقل السيّد صداقت إضافات أخرى لهذه القصة سمعها من السيّد الكشميري: يقول الأُستاذ: خطر في ذهني يوماً هل هناك من يستخير مثلي، فالتقيت بامرأة قروية قد وهبها أبو الفضل العباس عليه السلام الاستخارة (ثم يحيل القصة على ما سبق) ثم يقول: فقلت لها: هل تستطيعين أن تحكي حالاتي؟

فقالت: يوجد حرز في رقبتك، يمنع من ذلك، فانزع الحرز أولاً.

يقول السيّد الكشميري: فنزعت الحرز، فحكت بعض الخصوصيات الداخلية في منزلنا. وأخبرتها أنا أيضاً ببعض صفاتها وخصوصياتها النفسية[2].

---

(١) صحبت جانان: ٨٨ نقلاً عن كتاب چهره درخشان قمر بني هاشم: ٤٥١.
(٢) صحبت جانان: ٥٣.

خواص الأذكار والسور

خواص الأذكار والأوراد:

كان المرحوم الأُستاذ الكشميري يرى بأن الوله والعشق بذكر المحبوب أمراً مهماً جداً، بحيث إذا حصل للذاكر استغنى عن كثير من الأمور التي ينبغي أن يتنبّه لها، كما جاء ذلك في الزيارة الشعبانية: «إلٰهي وألهمني ولهاً بذكرك إلى ذكرك».

وكان يوصي بالبدء في الأذكار الكثيرة العدد في الليالي التي يكون نور القمر فيها أكبر وهي ليالي نصف الأشهر القمرية.

وكان يوصي المبتدئين في السلوك أن يبدؤوا بالأذكار بعد آذان الصبح، أي بين الطلوعين، ويقول بأن ذلك أفضل لهم.

والذكر في أي وقت يؤتى به جيد، ولكنّه كان يقول: إنّ اجتماع شرائط الزمان والمكان والإخلاص والمراقبة وأمثال ذلك دخيلة في تأثير الأذكار. ولقد سمعته يقول مراراً: إن تأثير الأذكار يظهر بسرعة مع المراقبة.

وعندما سُئل: هل تجلب الأذكار البلاء والمرض للذاكر؟ أجاب: إن ذكر الله والأدعية شفاء، اللهم إلاّ إذا أُوتي بها لتسخير الجن فإنّها

تعرّض الإنسان إلى النكبات، أو أن تكون الأذكار ثقيلة من الناحية الكيفية والكمية ولها عوارض لمن يأتي بها ومثال ذلك: الشخص الذي يريد تقوية إرادته فيأتي بذكر من شروطه ترك الدنيا، وفي نفس الوقت يأتي بذكر آخر من أجل الحصول على دنيا جيدة جداً. فهذان الذكران متعارضان ولا يتلائمان ولهما عوارض على الذاكر.

وكان يهتم جداً بثلاثة أذكار يوصي بها سائليه وهي: «يا حيّ يا قيّوم»، «بسم الله الرحمن الرحيم»، وكان يعتقد بأن الاسم الأعظم في هذين الذكرين، و«ذكر اليونسية».

ويقول: إن تكرار الدعاء التالي مائة مرة في اليوم لمدة عشرة أيام يبدأ به يوم الأربعاء وينتهي منه يوم الجمعة نافع في قضاء الحوائج: «يا مفتّح الأبواب، يا مقلّب القلوب والأبصار، يا دليل المتحيرين، يا غيّاث المستغيثين، توكّلت عليك يا ربّ، واقضِ حاجتي، واكفِ مهمي، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، وصلّى الله على محمد وآله أجمعين».

ذكر «يا حيّ يا قيّوم» في اليوم ٤٠/٠٠٠ مرة نافع لنورانية القلب وقضاء الحوائج وكشف الضمائر والرزق. وفي اليوم ١٢/٠٠٠ مرة مع إضافة «يا من لا إلٰه إلاّ أنت» بعدد خاص.

ذكر «يا حيّ يا قيّوم يا من لا إلٰه إلاّ أنت» ٧٨٨ مرة نافع لنورانية القلب.

ذكر «يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث» بعدد خاص نافع للروحانية والمعنوية.

ذكر «فردٌ حيٌّ قيّوم حكمٌ عدلٌ قدّوسٌ سيجعل الله بعد عُسرٍ يسراً»

بعدد خاص في الصباح نافع للدم العيسوي وشفاء المرضى وتسهيل الأمور والرزق.

ذكر «اللهم العن معاوية بن أبي سفيان» ١٠٠٠ مرة لقضاء الحوائج.

والنذر ١٤٠٠ مرة «اللهم صلّ على محمد وآل محمد» للإمام موسى بن جعفر عليه السلام لقضاء الحوائج.

ذكر «استغفر الله الذي لا إلٰه إلاّ هو الحيّ القيوم ذو الجلال والإكرام وأتوب إليه» ثلاث مرات بعد كل صلاة نافع لنورانية القلب.

ذكر «الله الصمد» بعدد كثير لتقوية الإرادة.

ذكر «الله لا إلٰه إلاّ هو الحيّ القيّوم» بطريقة خاصة ١٠٠١ مرة في اليوم بعد صلاة الصبح نافع لنورانية القلب.

ذكر «هو الله الذي لا إلٰه إلاّ هو الحيّ القيّومالقدير المريد السميع البصير» بعدد خاص نافع لشفاء المرضى والدم العيسوي.

ذكر «الله الله» ١٠٠/٠٠٠ مرة في اليوم لمدة سبعين يوماً مع الشروط نافع لصفاء الباطن ولقاء الله والمكاشفات.

ذكر «لا حول ولا قوّة إلاّ بالله» مائة مرة في اليوم نافع لدفع سبعين نوعاً من البلاء أهونها الهمّ والغمّ.

وكان الأُستاذ في أواخر عمره مستغرق بالتفكير في سكوت مطلق ثم يقول مرة واحدة «لا إلٰه إلاّ الله» وكان ملتزماً جداً بهذه السيرة.

ذكر «لا إلٰه إلاّ الله» ١٢٠٠٠ مرة في اليوم، وعددها الكبير ٧٠٠٠٠ مرة للكشف وقضاء الحوائج، ولكن بما أنّها تتضمن نفي كل نوعٍ غير الله فإنّ لها عوارض كالفقر.

وقول «لا إلٰه إلاّ الله» جيد لإزالة الخواطر.

عدد الاستغفار للمبتدئين في السلوك ١٠٠١ مرة في اليوم، وعدد ٣٠٠٠٠ مرة نافع لمغفرة الذنوب وأداء القرض.

والاستغفار سبعين مرة بعد صلاة العصر نافع لنورانية القلب، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: إنّ من استغفر الله سبعين مرة بعد صلاة العصر غفر الله له سبعمائة ذنب[1].

والاستغفار مائة مرة عند النوم نافع لغفران الذنوب[2].

وكان السيّد علي القاضي يوصي بهذين الاستغفارين.

ذكر «يا لطيف» بعدد خاص في ليلة الجمعة نافع لتنوير القلب ومؤثر في رؤية الأنوار الإلٰهية.

كتابة السلامات السبعة الواردة في القرآن الكريم بالزعفران نافع لشفاء المرضى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩﴾، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾... إلى آخره.

وكرّر السيّد صداقت هذا الذكر بنحو أكثر تفصيلاً في كتابه الآخر فقال: من المطالب التي ذكرها السيّد الكشميري لشفاء المرضى هي أن تكتب السلامات القرآنية السبعة بالزعفران على إناء كآنية الصيني ثم تغسل وتعطى للمريض يشربها. وهذه السلامات هي:

١ ـ ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾[3].

---

(١) انظر مفاتيح الجنان: تعقيبات صلاة العصر.

(٢) عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله «من استغفر حين يأوي إلى فراشه مائة مرة تحاتت ذنوبه كما يسقط ورق الشجر» بحار الأنوار ٧٦/ ١٩٢.

(٣) سورة يس، الآية: ٥٨.

ف ـ ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾[1].

٣ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩﴾[2].

٤ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩﴾[3].

٥ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠﴾[4].

٦ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[5].

٧ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾[6].

ونقل عن السيّد هاشم الحداد أن كتابتها بهذا الشكل وشربها يفيد في تقوية الحافظة[7].

ذكر «يا ودود» بعدد خاص للحب.

ذكر «يا كريم الوهّاب ذو الطول» بعدد خاص للرزق.

ذكر «يا حافظاً لا ينسى» لحفظ المتاع والأطعمة.

ذكر «سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلاّ الله والله أكبر» ٣٠ مرة بعد كل صلاة لنورانية القلب.

ذكر «يا قاضي الديون من خزائنك المكنون التي هي بين الكاف والنون اْقض ديني ودين كل مديون» لأداء القرض والدين.

ذكر «هو الحي» صباحاً لحياة بدن الروح ودفع السكتة.

---

(١) سورة القدر، الآية: ٥.
(٢) سورة الصافات، الآية: ٧٩.
(٣) سورة الصافات، الآية: ١٠٩.
(٤) سورة الصافات، الآية: ١٢٠.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٧٣.
(٦) سورة الصافات، الآية: ٣٠.
(٧) صحبت جانان: ٦٣ـ ٦٤.

ذكر «يا منعم» بعدد ١٢٠٠٠ مرة للرزق.

وقد نقلنا نموذجاً من هذه الأذكار إحياءً لذكرى الأُستاذ بعنوان التبرّك لا بعنوان أنها برنامج عمل؛ لأن قابلية الأشخاص متفاوتة، والأمراض متفاوتة أيضاً، والأدوية متنوّعة، وإذن الأُستاذ الحاذق صاحب النَفَس شرط أيضاً، كما أن زمان ومكان ونيّة واستعداد الأشخاص مختلفة، فتكون آثارها مختلفة أيضاً. وكل ما ذكرناه ليست إرشادات للعمل بها، بل ذكرناها تيمناً فقط[١].

---

(١) روح وريحان: ٨٤ـ ٩١.

إرشادات السيّد الكشميري للسالكين

نشير في البدء إلى النقاط الرئيسية التي ينبغي للسالك مراعاتها في مسيرته التربوية لتطهير روحه وتهذيب أخلاقه وتزكية نفسه من أدران المعاصي وأوساخ الغفلة.

يقول السيّد صداقت: نذكر باختصار طريقة السيّد الكشميري وسيرته العملية:

١ـ لا بدّ للسالك من أستاذ يرشده.

٢ـ وجوب مراقبة النفس.

٣ـ وجوب التوسّلات والأدعية، وهي الغذاء الدائم والمستمر للسالكين.

٤ـ لا يترقّى مَن أراد الدنيا والآخرة معاً.

٥ـ الذكر والتفكّر بإرشاد الأُستاذ الحاذق يدفع بالسالك إلى الأمام بنحو أفضل وأسرع.

٦ـ لا بد من المجاهدة، ولا يصل الكسول إلى نتيجة.

٧ـ ترك الأطعمة الحيوانية والأغذية اللذيذة لها تأثير أفضل في تهذيب النفس.

٨ـ ينبغي الحذر من كل عمل فيه شيء من تسخير الجن وأمثال ذلك.

٩ـ يجب نفي الخواطر بالذكر والتفكّر للحيولة دون نفوذ الشيطان.

١٠ـ يظهر تأثير الأذكار طبقاً للروايات بعد المداومة عليها سنة كاملة.

١١ـ ضرورة تحصيل العلم من غير إفراط وتفريط، لأن الإفراط يجلب الغرور والتفريط يورث الجهل.

١٢ـ إحياء الليل بالعبادة والتهجّد بالأسحار، وهو أفضل الأوقات.

١٣ـ تلاوة القرآن وختمه وقراءة ختومات بعض السور والآيات من لوازم طريق السلوك.

١٤ـ لا يقبل العرفاء الشخص المتلوّن وأولئك الذين لا يتمتعون بحال الحضور، وكذلك الأشخاص غير الموفقين.

١٥ـ ينبغي الحذر من أدعياء السلوك وكل من اتخذ السلوك حانوتاً[١].

* * *

وإليك بعض **إرشاداته العامة** التي أوصى بها تلاميذه خلال أوقات مختلفة:

١ــ ضرورة الأُستاذ الحقيقي للسالك:

يعتقد السيّد الكشميري أنّه لا بدّ للسالك من أُستاذ يأخذ بيده ويرشده إلى ما ينبغي له عمله في كل مرحلة من مراحل الطريق.

---

(١) انظر آفتاب خوبان: ٥٩.

وعندما سُئل: هل كانت علاقتك مع السيّد القاضي هكذا؟ قال: نعم[1].

وعندما طلب منه أن يُعرِّف من هو الأُستاذ الكامل في الوقت الحاضر، قال: الشيخ بهجت، الشيخ بهجت[2].

٢ـ العزلة عن الناس ومعاشرة الصالحين:

يقول السيّد صداقت: يوصي السيّد الكشميري السالكين بعدم مجالسة الأشخاص غير الملتزمين، ونهى أيضاً عن مجالسة المتصدّين للرئاسة والطالبين للدنيا. وقال مرة: إن الأشخاص الذي يعملون بالعلوم الغريبة كالآفاق والسحر والرمل وغيرها يتعرّضون للابتلاءات، وتترك مجالستهم أحياناً آثاراً سيئة.

وقال أيضاً: يجب ترك معاشرة النساء حتى النساء الصالحات في طريق الرياضة والسلوك.

وقال أيضاً: ينبغي عدم معاشرة العلماء غير العالمين فإنّه يترك أثراً سيئاً في السلوك[3]

ويقول السيّد صداقت عن رأي السيّد الكشميري في العزلة: رأي السيّد الأُستاذ هو أنه ينبغي للسالك في بداية أمره ترك معاشرة الخلق، وأنّه كلما زاد اشتغاله بالناس كلما سارع الفساد إلى ثمرة جهوده، ولكن عندما يصل الإنسان إلى درجة معيّنة في السلوك فحينئذ سوف لا يتأثّر بمعاشرة الناس[4].

---

(١) صحبت جانان: ٨٧.

(٢) آفتاب خوبان: ٦٩.

(٣) صحبت جانان: ٢٨.

(٤) شيدا: ١٥١.

٣ـ اجتناب أكل ما هو حيواني:

يقول السيّد صداقت: ينبغي على السالك في مجاهداته النفسانية العمل بإرشادات الأُستاذ في ترك تناول ما هو حيواني من الأطعمة لتمرين نفسه على سحق مشتهياتها ونهيها عن هواها.

قال السيّد الأُستاذ: (عندما يريد السالك مجاهدة نفسه) فإن تناول المرطبات (في الصيف) مخالف للزهد والرياضة وهو جزء من مشتهيات النفس.

وقال في مناسبة أخرى: عندما يشرع الإنسان في الذكر والرياضة ويحصل على النورانية فإن عليه ـ ما دام لم تتحول صفاته إلى ملكات ـ ترك تناول بعض الأطعمة كلحم البقر.

وقال أيضاً: الإنسان موجود حيواني، فإذا ما تناول لحوم الحيوانات المرة تلو الأخرى فكيف ستكون حاله؟!

وقيل له يوماً: كُتب أن أحد العرفاء قد امتنع عن تناول الماء البارد أكثر من عشرين عاماً مخالفاً لرغبة نفسه في شربه يريد بذلك سحق هوى نفسه وأن لا يدعها وما تشتهي. فقال: الله أكبر، من المهم جداً أن لا تترك النفس وما تشتهي[١].

٤ـ التحذير من مخاصمة أهل السلوك:

يحذّر السيّد الكشميري من خصومة أهل السلوك والتعرّض لهم وإن كانوا من أتباع المذاهب الأخرى لما له من آثار وضعية، يقول: ذهبت في أيام شبابي إلى مسجد السهلة ورأيت فيه رجلاً مع مجموعة من مريديه يقرؤون الأذكار بحالة مخصوصة لم تكن بحسب الظاهر لائقة، فتشاجرت مع كبيرهم وقلت له: ليس من اللائق أن تقرؤون الأذكار وأنتم ترقصون؟

---

(١) صحبت جانان: ٣٩.

فكانت هذا الحادثة سبباً في عدم توفيقي للذهاب إلى مسجد السهلة مدة طويلة إلى أن تصالحت مع كبيرهم، وبعد أربعة أيام توفقت للذهاب إلى مسجد السهلة[1].

٥ـ عدم اتّخاذ غير الله رفيقاً:

يقول السيّد الكشميري: قيل لأحد العرفاء: لماذا لا تختار لنفسك رفيقاً؟ فقال: إنّ رفيقي هو الله، وهو غيور، فإذا رآني اتّخذت رفيقاً غيره فإنّه سيتركني، ولهذا لم أتّخذ غيره رفيقاً[2].

٦ـ التحذير من تولّي منصب القضاء:

يقول السيّد صداقت: في أوائل الثورة صمم أحد العلماء الذي كان يتولّى منصباً قضائياً الاستخارة عند السيّد الكشميري للاستقالة من منصبه، لأنّه يرى فيه ابتعاداً عن الترقّي المعنوي، وعندما تشرّف بالحضور عند السيّد الأُستاذ طلب منه الاستخارة من غير أن يبيّن قصده.

فقال له السيّد الكشميري: ينتظرك العذاب في المكان الذي أنت فيه على ارتفاع عشرين متراً من رأسك، وعليك الإسراع في الخروج منه.

فاستقال ذلك العالم من منصبه، ومارس الخطابة، وقد حالفه الحظ في عمله الجديد[3].

يقول السيّد صداقت: أقام أحد القضاة الصلاة في منزل أحد الأشخاص، فاقتدى به مجموعة من المصلّين. وعندما رأى الأُستاذ هذا المنظر قال بعد ذلك: كم هؤلاء الناس سذجٌ إنّ الاقتداء بمثل هؤلاء

(١) صحبت جانان: ٥٩.

(٢) شيد: ٢٧.

(٣) صحبت جانان: ٤٤.

الأشخاص غير صحيح. (لانعدام ملكة العدالة لديهم لأنّهم يقضون خطأ بخلاف الشريعة)[1].

٧ــ التحذير من التلوّن:

يقول السيّد صداقت: تطرقنا في الحديث يوماً عن حالات السالكين، وانجرّ الكلام إلى التلوّن (تغيّر شخصية السالك من حال إلى حال، أي يكون في كل فترة ذا لون جديد) والتمكّن (الاستقرار والثبات) فقال السيّد الكشميري: لقد كانت زليخا عاشقة منذ البدء وقبلت يوسف وتمكّن العشق في قلبها، بينما كانت نساء مصر متلوّنات، أي أن رأيهن في زليخا ويوسف كان أولاً بنحوٍ معيّن ثم تغيّر إلى نحو أُخر بعد رؤية يوسف، إذ عندما رأين يوسف عليه السلام أكبرنه وقطّعن أيديهن من هيبتهن ليوسف وقلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[2].

وفي مناسبة أخرى تحدّث السيّد الكشميري عن أحد السالكين وكانت له حالات من المناجاة والخوف، قال: إن حاله كانت تتغيّر من حالة إلى أخرى، فقد جاء مرة في أُخر الليل إلى منزلنا وبيده قامة وقال لي: اضربني الحدّ! ثم جاء في وقت آخر وأخذني معه بسيارته إلى مدينة أخرى وقال لي: انتظرني هنا وسأعود إليك بعد قليل، ثم ذهب ولم يرجع. لقد كان متلوّناً.

وقال يوماً لأحد الطلبة الذي يريد ا لذهاب إلى إحدى المدن والاستقرار فيها وكان يعيد الاستخارة حول نفس الموضوع: إن أهل العرفان لا يقبلون الشخص المتلوّن[3].

---

(١) صحبت جانان: ٥٥.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٣١.
(٣) صحبت جانان: ٣٨.

٨ـ حث السالكين على ملء فراغ العرفاء:

يقول السيّد الكشميري حول العرفاء وأولياء الله: أولئك الذين رأيتهم لا يوجد الآن أمثالهم.

وقال أيضاً: كان يحضر درس الآخوند الملاّ حسين قلي الهمداني سبعون عارفاً مجتهداً، ولا يوجد أحد منهم الآن.

وقال يوماً: عليكم أن تبذلوا جهدكم لتملؤوا الفراغ الذي تركه أولئك العرفاء.

وقال بعد وفاة السيّد هاشم الحداد: لقد رحل السيّد الحداد أيضاً ولم يبق أحداً[١].

٩ـ الفرار من الفتوى:

يقول السيّد صداقت: كان موقف العرفاء الكاملين والواصلين هو الفرار من التصدّي لمنصب الإفتاء، بل أنّ بعضهم لم يقبل حتى التصدّي لإمامة الجماعة. ومن أمثلة هؤلاء المرحوم الملاّ حسين قلي الهمداني والسيّد أحمد الكربلائي والشيخ محد البهاري والسيد مرتضى الكشميري والسيّد علي القاضي والعلاّمة الطباطبائي.

وقال السيّد الكشميري حينما كتب أحد العرفاء رسالة عملية في الفتوى: لم يكن هذا العمل جيداً له.

ويقول العارف الكامل الشيخ محمد البهاري أستاذ السيّد علي القاضي في الصفات الحقّة للعلماء: إنّ إحدى صفات علماء الآخرة هو فرارهم من الفتوى كفرارهم من الأسد، وروي أن شخصاً دخل مسجد النبي ﷺ فوجد جماعة من الصحابة جلوس، فسألهم عن شيء من الأحكام، فكان كل وادح منهم ينتظر الآخر في الإجابة على السؤال

---

(١) صحبت جانان: ١٨.

خوفاً من الوقوع في الخطأ. وهنا مجال واسع للتأمل[1].

وقيل للأستاذ مرة أن المرحوم آية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي عندما تصدّى لمنصب المرجعية أرجع احتياطاته للعارف بالله السيّد أحمد الكربلائي (أستاذ السيّد علي القاضي). وعندما سمع بذلك السيّد أحمد الكربلائي بكى بكاءً شديداً وكاد أن يغمى عليه، ثم قال: قولوا للميرزا الشيرازي: القدرة (المرجعية) الآن بيدك ولكن القدرة في الآخرة ستكون بيد جدي فأشكوك إليه.

وعندما سمع السيّد الكشميري هذا الكلام بكى وقال: كم كان أهل المعرفة يفرّون من الفتوى[2].

١٠ـ الصبر عند الامتحان:

يقول السيّد صداقت: كانت زوجة أحد الأشخاص الذين لهم علاقة بالسيّد الكشميري مريضة، فقال يوماً للسيد الأُستاذ: لقد ذهبت إلى عدد من أولياء الله وأعطاني كل واحد منهم عملاً معيناً لشفاء زوجتي، وقد أتيت بكل هذه الأعمال ولم أحصل على نتيجة، فهل أن مرضها هو بسبب ما ارتكبته من الذنوب؟

فقال له الأُستاذ: هذه المسألة امتحان لك وإذا صبرت عليه فسوف يعطيك الله بدلاً منه عطاء جزيلاً[3].

١١ـ إحياء الليل بالعبادة:

يقول الإمام العسكري عليه السلام: إنّ الوصول إلى الله سفر لا يدرك إلا بامتطاء الليل[4].

---

(١) صحبت جانان: ١٨ـ ١٩.

(٢) صحبت جانان: ٣٣.

(٣) صحبت جانان: ٤٠.

(٤) بحار الأنوار ٧٨: ٣٨٠.

يقول السيّد صداقت: كان ممّا يوصي به السيّد الأُستاذ السالكين هو إحياء الليل والرياضة في السحر، ويعتبر وقت السحر أفضل من وقت ما بين الطلوعين.

وكان يؤكد في وصاياه على صلاة الليل ويعتقد بأنها رمز موفقية السالك. كما كان يوصي أيضاً ببعض الأذكار كذكر «يا حيّ يا قيّوم» وذكر اليونسية ويقول بأن لهما أثراً في رؤية الملائكة في الأسحار(١).

١٢ـــ نقطة البدء:

يقول الشيخ حسين الحيدري الكاشاني مؤلف كتاب «سير في الآفاق»: تشرّفت بزيارة آية الله السيّد الكشميري في سنوات عمره الأخيرة، وسألته من أين يكون البدء بذكر الله؟ فقال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢) السجدة اليونسية وقراءة القرآن.

فسألته: هل الدخول إلى هذا الوادي يحتاج إلى الأُستاذ؟

فقال: لا يمكن طي الطريق بغير أستاذ.

وسألته: من أين أبدأ؟

فقال: أبدأ من هذه النقطة.

وسألته: إن البعض يقولون إننا لا ندرك حقيقة الأذكار والأوراد والختومات!

ولم يدعني السيّد الكشميري أتمّ حديثي وقاطعني قائلاً: يجب الإتيان بها ولا بدّ أن نعمل بها(٣).

---

(١) صحبت جانان: ٧٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٣) صحبت جانان: ٧٨.

سيرة العارف السالك
العالم الرباني المرحوم الحاج الشيخ
حسن علي الأصفهاني (قدّس سرّه)
وكراماته

العارف الشيخ حسن علي الأصفهاني (قدّس سرّه)

ولد الشيخ العالم العامل الإلٰهي حسن علي بن علي أكبر بن رجب علي المقدادي الأصفهاني رحمة الله ورضوانه عليه في أسرة عرفت بالزهد والورع والتقوى. أبوه المرحوم الملاّ علي أكبر، كان رجلاً ورعاً زاهداً وجليساً لأهل العلم والتقوى وملازماً لطلاّب الحق والحقيقة، وفي نفس الوقت كان يحصل على رزقه ورزق عائلته من الكسب، وكان ينفق نصف عائداته على نفسه وأسرته، ويُخصص النصف الآخر للسادة وذريّة فاطمة الزهراء عليها السلام.

في عام ١٢٦٩هـ. ق رزق طفلة إلا أن أمّها لم يكن في صدرها قطرة حليب واحدة لمدة أربعة أشهر من بعد ولادتها، ولم ينفعها الدواء والدعاء، إلى أن دلّهُ أحد الأصدقاء على رجل اسمه الحاج محمد صادق درويش تخته پولادي، فذهب الملاّ علي أكبر إلى ذلك الحاج وعرض عليه حاجته، فأمره الحاج بقطع كل ما اتّخذه لها من دواء ودعاء، وتناول حبَّ نبات ونفخ عليه من نفسه المبارك وأمر أن تأخذه الزوجة. وبعد تنفيذ تعليمات الحاج بساعة واحدة درّ الحليب من ثدييها وهذا ما دفع الملاّ علي أكبر أن يكون من مريدي المرحوم الحاج محمد صادق ويتولى خدمته لمدة ٢٢ عاماً، ظل خلالها يتلقّىٰ منه التربية والإرشاد حتى بلغ مقاماً معنوياً رفيعاً.

كان الملاّ علي أبكر يمارس عمله في المدينة، ويقضي في نفس الوقت حاجات أستاذه، ويذهب إليه في ليالي الاثنين والجمعة ويبيت ليلته عنده في منطقة تخت پولاد.

ومن جهة أخرى لم يرزق المرحوم الملاّ علي أكبر أولاداً ذكوراً، ولهذا قطع على نفسه عهداً بزيارة العتبات المقدّسة ليدعو الله أن يرزقه صبياً.

وانتهى سفره ذاك بعد ما حملت زوجته في السنة الحادية عشر من دخوله في خدمة المرحوم الحاج محمد صادق، وقبل ولادة زوجته بشّره الحاج بأنّه سيرزق ذكراً وأوصاه بتسميته «حسن علي». وأخيراً سمع الملا علي أكبر في سحر إحدى الليالي التي كان يخدم فيها أستاذه في تخت پولاد سمع منه ذلك الخبر السار بولادة صبي مع تأكيد مجدد بتسمية «حسن علي».

وخلاصة القول إن المرحوم الحاج الشيخ حسن علي ولد في ليلة الاثنين أو ليلة الجمعة في منتصف شهر ذي الحجة سنة ١٢٧٩ للهجرة القمرية ببشرى سابقة من المرحوم الحاج محمد صادق في أصفهان في المحلّة المعروفة باسم «جَهانباره» التي يُقال إنها كانت مضيفاً للسلطان سنجر.

دأب المرحوم الملاّ علي أكبر على إيقاظ ولده منذ صغر سنّه في كل سحر يستيقظ فيه للعبادة والتهجّد، ليعلّمه الصلاة والدعاء والمناجاة وذكر الله وما إن بلغ السابعة من عمره حتى جعله تحت رعاية ومتابعة المرحوم الحاج محمد صادق.

ينقل والدي المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني قائلاً: ما كدت أبلغ السابعة من عمري حتى ذهبنا أنا وأبي قبيل غروب أحد أيام شهر رمضان المبارك وقد صادف في أحد أيام الصيف الحارة، إلى

الأُستاذ محمد صادق، وفي تلك الأثناء قدم له أحدهم نباتاً (حلوى) للتبرّك، فتبرّك به وأعاده إلى صاحبه، وأعطاني ما تبقّى في كفّه من جزئيات صغيرة قائلاً: تناول هذا. فألتهمته من غير تأخير. فقال أبي: لقد كان حسن علي صائماً. فقال لي الحاج: ألا تعلم أن صومك يبطل بتناول النبات؟ قلت: نعم. قال: لماذا أكلته إذن؟ قلت: إطاعة لأمرك. وضع الأُستاذ يده المباركة على كتفي قائلاً: لقد بلغت بهذه الطاعة ما ينبغي لك بلوغه.

وعليه فإن أبي راح منذ ذلك الوقت يؤدي صلاته وصومه ويأتي بالمستحبّات ونوافل الليل والعبادة تحت إشراف الحاج واستمرّ على هذه الحال حتى سن الحادية عشر حيث كانت وفاة ذلك الرجل الفاضل. لقد كان خلال تلك الفترة يحظى برعاية واهتمام أستاذه ومرشده، ومن بعد ذلك كانت روحه الكبيرة تحفّه بالرعاية والتوجيه، وكانت تسدي له في أوقات الحاجة المدد والإرشاد. وكان أبي يقول: كلّما احتجت للهداية والإرشاد كانت تعرض لي حالة أشبه ما تكون بالإغفاءة وفي مثل تلك الحالة كانت روح المرحوم تسارع لي بالإمداد والإرشاد، وبما يعينني على رفع المشاكل. ومن جملة ذلك أن أحد الأشخاص كان يؤكد عليَّ من بعد وفاة الحاج بضرورة الذهاب إلى مرشد حي والانتفاع من إرشاده، وبعد إصراره اعترتني إغفاءة قصيرة رأيت أثناءها المرحوم الحاج جاء وضرب على كتفي وقال: من شرب ماء الحياة مثلنا، لا يموت. إلى أين تريد الذهاب؟! ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[1] وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الصدد يؤكّد نفس هذا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٦.

المعنى، وهو قوله: «**ألا إن أولياء الله لا يموتون بل يُنقلون من دار إلى دار**».

كان الحاج الشيخ حسن علي (قدّس سرّه)، من سن الثانية عشر وحتى الخامسة عشر يحيي الليل حتى الصباح في جميع أيام السنة، ويصوم النهار عدا الأيام المحرمة ويتجنّب تناول الأطعمة الحيوانية. ومن سن السادسة عشر وحتى نهاية عمره الشريف كان يصوم من كل سنة ثلاثة أشهر، رجب وشعبان ورمضان، وأيام البيض من كل شهر، وفي الليل لا يقرّ له قرار حتى الصباح.

التحصيل الدراسي للمرحوم
الشيخ حسن علي الأصفهاني وبعض أساتذته

انهمك الشيخ حسن علي الأصفهاني منذ مطلع صباه بالدراسة وكسب العلوم المختلفة فتعلم القراءة والكتابة وعلوم العربية وآدابها في مدينة أصفهان، ودرس فيها الفقه والأصول والمنطق والفسلفة والحكمة على يد كبار الأساتذة آنذاك. فتتلمذ في الفقه والفلسفة على يد العالم العامل المرحوم الآخوند الملاّ محمد الكاشي، وأخذ الفلسفة والحكمة عنالمرحوم جهانگيرخان، وحضر درس تفسير القرآن على يد المرحوم الحاج سيد سينا ابن المرحوم سيد جعفر الكشفي وغيرهم من فحول علماء ذلك العصر.

وبعد تكميل معارفه اتّجه إلى النجف الأشرف إلى جانب المرقد الطاهر لأمير المؤمنين عليه السلام وفيها حضر دروس كل من المرحوم حجّة الإسلام الحاج سيد محمد الفشاركي والمرحوم الحاج سيد مرتضى الكشميري، وملا إسماعيل القره باغي أعلى الله مقامهم.

يذكر المرحوم والدي قائلاً: إنه في اليوم الأول الذي ذهبت فيه لزيارة المرحوم سيد مرتضى الكشميري وحضور درسه اتجهت نحو محل

سكناه في مدرسة البخارائيين، وصادف أن كان ذلك يوم جمعة ولم أجد أحداً في ساحة المدرسة ورواقها لاستعلم منه عن مكان غرفة ذلك الرجل الفاضل، وفجأة سمعت من داخل إحدى الغرف المغلقة صوتاً يدعوني باسمي لأذهب إليه فاتّجهت نحو الغرفة وإذا برجل يفتح لي الباب قائلاً: تفضّل أنا الكشميري.

نقل أبي أيضاً أن السيّد مرتضى الكشميري كان في أحد ليالي شهر رمضان ضيفاً عند أحد المؤمنين وانتبه حين الرجوع إلى المدرسة أنه نسي مفتاح الباب. ولما رأى الباب مقفلاً والفجر قريباً بزوغه والوقت ضيّقاً، استغرق في التفكير، إلا أنه قال لأحد مرافقيه فجأة: من المعروف أن ذكر اسم أم موسى يفتح الأقفال، فكيف لا يفتحها ذكر اسم السيدة الزهراء؟ ثم وضع يده على الباب المقفل وذكر الاسم المبارك للسيدة فاطمة عليها السلام، فافتتح القفل فجأة.

وبعد عودة المرحوم الشيخ حسن علي (قدّس سرّه) من النجف اختار السكنى في المشهد الرضوي المقدّس، وكان يحضر خلال تلك الحقبة الزمنية دروس أساتذة من أمثال المرحوم الحاج محمد علي فاضل، والمرحوم سيد عبد الرحمن المدرّس، وكان في الوقت الذي يمارس فيه الدرس والتدريس دائباً على الرياضة الشاقّة وتزكية النفس.

أما في مجال العلوم الباطنية، كان أول أستاذ ومرشد له هو المرحوم الحاج محمد صادق تخت پولادي الذي اهتمّ برعايته ومراقبته منذ سن السابعة، إلا أنه اتّجه بعد وفاته إلى العالم الفاضل سيد جعفر الحسيني القزويني، الذي كان يقيم في منطقة شاه رضا في أصفهان. يذكر أبي في هذا الصدد قائلاً إنني عندما عزمت على السفر في أحد

المرّات إلى العتبات المقدّسة ذهبتُ إلى منطقة شاه رضا لأقضي فيها ليلة عاشوراء وكان دأبي الصيام من أول محرم إلى عصر يوم عاشوراء ولا أتناول سوى الماء. في يوم الثامن من المحرم سمعت أن سيداً جليلاً يسكن هذه المدينة، فجلست على أمل رؤيته ومقابلته وكان يعيش في عزلة تامة عن الخلق، إلى أن جاء إلى الحوض ليجدد وضوءه فاقتربت منه وسلّمت عليه فنظر إليَّ نظرة حادّة، وقال بعد أن انتهى من وضوئه: ألك حاجة؟ قلت: قصدي التشرّف بكم. قال: متى ما شئت يمكنك المجيء. قلت: ولكن يبدو أن وقتكم مزدحم بالعمل. قال: نعم ولٰكن لا مانع أمامك أنت.

وبإشارة منه ذهبت إليه في صباح اليوم التالي، نظر إليّ وقال: إنك صائم منذ تسعة أيام ولم تتناول شيئاً سوى الماء، ولكن لا زال هنالك نقص في رياضتك النفسية لأن أثر الجوع بادٍ على محيّاك وقد ظهرت عليك أيضاً آثار الانكسار والانهيار بينما الرجل الكامل لا يبدو عليه الانهيار حتى إذا صام أربعين يوماً.

وحينما فتحت باب النقاش مع ذلك الرجل الفاضل وجدته بحراً متلاطماً من العلوم الظاهرية والباطنية. قلت له: لماذا اخترت العزلة مع كثرة ما عندك من العلوم؟ قال: عندما حزت على إجازة الاجتهاد من المراجع العظام في النجف آنذاك وبعد عودتي إلى إيران، قلت لأحد أصدقائي: سأكون العالم الوحيد من الطراز الأول في مدينة قزوين. قال صاحبي: لا ليس الأمر كذلك، فلا فرق بينك وبين أي حمّال في قزوين، لأنه لو ضربك شخص في الطريق من خلفك، فكلا كما لا بد وأن ينظر إلى الخلف لمعرفة الضارب، بينما ينبغي لثلاثين سنة من الدراسة أن تكون كافية لجعل الطالب يعرف من ضربه بدون الالتفات إلى الخلف.

فوقع هذا الكلام من قلبي موقعه، مما جعلني أعرض عن الخلق جملة واحدة وأنهمك بتزكية نفسي وتطهير روحي.

سألت السيد بأنني سمعت أن يدك حينما كانت مكسورة ووضعت عليها الزفت بأمر الطبيب قالوا لك أن لا تزيل الزفت حتى ينقشع من ذاته فماذا فعلت؟ قال نعم كان الأمر كذلك ولم ينقشع الزفت عن يدي لمدّة أربعة عشر يوماً قلت: وكيف كنت تتوضأ طيلة تلك المدة؟ قال: صدر الأمر ـ حسب المشيئة الإلٰهية ـ إلى طبيعتي البشرية بالتوقف عن أي عمل ونشاط، وأن لا يمر النوم على عيني. ولم يعرض لي خلال هذه المدة ما يبطل الوضوء. ثم قال: تعرض لي أحياناً حالة تفقدني مشاعري فأهيم في البراري وأنطلق بين الجبال والصحاري القاحلة في جذبة، لكني أفيق وقت الصلاة وبعد أداء الفرائض أعود إلى نفس الحالة الأولى، وقد تدوم هذه الحالة مدة عشرين يوماً في بعض الأوقات. وعندما أهمّ بالعودة إلى المدينة أجد أعضائي غير قادرة على الحركة من شدّة الجوع والعطش فأرفع يدي بالدعاء قائلاً: اللهم إني أتيت إلى هنا حباً لك ولا قوّة لي تعينني الآن على الرجوع إلى المدينة. وحينذاك يظهر لي من الغيب رغيف خبز وقدح ماء فأتناولهما وأستعيد طاقتي وأشكر الباري تعالى وأعود إلى المدينة.

يقول والدي: سمعت أيضاً من أشخاص آخرين يقولون إنهم شاهدوا السيّد يجوب البراري بمفرده في حالات من الجذبة والعشق والهيام(١).

---

(١) هذا الكلام مأخوذ من صاحب كتاب سيماء الأولياء

إحاطة المرحوم الحاج
الشيخ حسن علي الأصفهاني رحمة الله عليه بالعلوم

كان للشيخ نصيب كبير من العلوم الظاهرية والباطنية وكان يعتقد بوجوب تعلم التوحيد والولاية وأحكام الشريعة، وبلزوم كساب سائر العلوم لأن ذلك ممدوح، والجهل به مذموم ومستقبح، وأن المراد من حرمة تعلم بعض العلوم والفنون هو استعمالها لا تعلّمها والاطّلاع عليها، كعلم السحر حيث إن تعلّمه واجب كفائي إلاّ أن استعماله حرام.

كان والدي المرحوم يدرس الفقه والتفسير والهيئة والرياضيات إلا أنه لم يدرّس الفلسفة والعلوم الإلٰهية مع ما له من تبحّر فيها وكان يقول: يجب على طالب هذا العلم مطالعة سيرة المعصومين عليهم السلام بدقّة وأن تكون له معرفة واسعة بعلم الطب، ولا بد له من تزكية نفسه وترويضها عند تعلّم ذلك لقوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[1] ومن البديهي أن بعض معضلات علم الحكمة والفلسفة لا تحل سوى بالمكاشفة، وإذا انعدمت هذه الشروط لدى المتعلّم لا يجوز له دراسة هذه العلوم وقد تكون منشأً لانحرافه عن جادّة الشرع المقدس، وقال

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

بشأن علم الأُصول: قسم من هذا العلم واجب، والكثير منه إتلاف للعمر، وكما وصفه الملاّ محسن فيض الله رحمة الله عليه بالقول: إن هذا العلم على ثلاث شعب: أصول وفضول وغير معقول؛ فتعلم أصوله لازم، وفضوله مكروه، وغير معقوله حرام. وكان له أيضاً باع طويل في علم الطب والكيمياء والعلوم الغريبة.

جولاته:

حزم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني رحمة الله عليه أمتعته في عام ١٣٠٣ للهجرة القمرية، بسبب ما وقع له من حاكم أصفهان وما نتج عنه من معاقبة ذلك الحاكم عن طريق الأساليب النفسانية، وغادر مدينة أصفهان بمفرده وهو في سن الرابعة والعشرين مُيمِّماً وجهه صوب مدينة مشهد المقدسة. وكان ذلك أول سفر يقوم به لتلك المدينة المشرّفة بقصد زيارة المرقد الطاهر لسلطان الأولياء علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء. إلا أنه ضَلّ الطريق في أول أيام سفره وتاه قبيل غروب الشمس في الجبال والبراري، فالتجأ إلى التوسّل بثمن الحجج عليه السلام قائلاً: مولاي! أنت تعلم أنني قاصد لزيارتك إلا أنني ضللت الطريق وتهت في هذا الوادي وأنت قادر على إعانتي، فأعنّي وأنقذني مما أنا فيه. وبعد دقائق وإذا به يرى الخضر يحضر عنده ويرشده ظاهرياً وباطنياً، ويرى نفسه قد طوى الأرض بمدد المولى خلال عدة دقائق ودخل مدينة كاشان التي كانت تبعد عن ذلك الموضع بمسافة ١٨ فرسخاً.

لم يمكث في مدينة مشهد أكثر من سنة قضاها بأكملها في حجرة من حجرات الصحن الرضوي العتيق، ويبدو أنها كانت الحجرة الواقعة فوق باب سوق الحجّارين وكان خلالها مشغولاً بالرياضة وتزكية نفسه. ثم عاد

إلى أصفهان، وفي سنة ١٣٠٤ حزم أمتعته متّجهاً صوب النجف، وانهمك فيها أيضاً بدراسة العلوم الظاهرية وتزكية نفسه حتى عاد إلى أصفهان للمرة الثانية.

في عام ١٣١١ سافر إلى مشهد القدس الرضوي مرة أخرى وبقي فيها حتى سنة ١٣١٤، سكن خلال هذه المدة في مدرسة الحاج حسن وفاضل خان وكانت له غرفة أيضاً في الصحن العتيق يهتم فيها بالأمور المعنوية. وفي سفره هذا دأب على ختم القرآن في كل ليلة في حرم الإمام الرضا عليه السلام واستمرّ على هذه الحال لأكثر من سنة وفي النهار كان يحضر دروس علماء عصره لتعلّم العلوم الظاهرية.

وقد ذكر المرحوم: أثناء سفري هذا وحينما كنت مواظباً على رياضة نفسي في الصحن الرضوي الشريف، دخل عليَّ في أحد الأيام رجل مسنّ لا أعرفه وقال: يا شيخ إنني راغب أن أقوم بخدمتك أربعين يوماً. قلت: ليس لديَّ ما يستدعي أن تقوم به. قال: اِسمح لي أن أملأ لك الزير ماء ولو في اليوم مرة واحدة. ووجدت نفسي مضطراً للرضوخ أمام إصراره!

فكان يأتي صباح كل يوم ويقف عند باب الغرفة ويطلب منّي بكل أدب أن آمره بما أشاء، ولاحظت أنه لم يجلس قط خلال هذه المدّة. ولما انتهت مدة الأربعين يوماً قال: يا شيخ لقد خدمتك أربعين يوماً وأنتظر منك الآن أن تخدمني يوماً واحداً. تأمّلت في بداية الأمر فيما طلبه خشية أن يكون من عوام الناس فيرهقني بتكاليف شاقة لا قِبَل لي بها، ولكن بما أنه خدمني أربعين بكل إخلاص لبّيت طلبه على مضض.

أمرني الرجل أن أقف في باحة الغرفة وجلس هو في صدرها على السجادة وأمر أن آتيه بأدوات الصياغة ومعدّاتها من منفاخ وكورة وغيرها.

ومع أن هذا العمل كان ينطوي على مشقّة كبيرة بالنسبة لي، إلاّ أنني أنجزته لأجل ذلك الرجل العجوز. أمرني أن أشعل الكورة وأضع البوتقة على النار وأن أضع عدة قطع نقدية نحاسية في البوتقة. ثم أشار بأن أنفخ وأواصل النفخ حتى يذوب النحاس.

ولمّا ذاب أخبرته. قال: اللَّهُمَّ بحق الأساتذة الذين خدمتهم، حوّل هذا النحاس إلى ذهب، وأمرني أن أفرغ البوتقة في إناء وسألني: ماذا ترى في الإناء؟ قلت ذهباً ونحاساً مخلوطاً. لوما أخبرته قال: ألم تكن على وضوء ؟! قلت: لا. أمرني بالوضوء في نفس اللحظة، ووضعت النحاس في البوتقة ثانية ونفخت الكورة حتى ذاب وبعد قراءة الدعاء السابق أفرغت البوتقة في الإناء وفجأة رأيت أمامي ذهباً خالصاً. أخذته وذهبنا سوية إلى بعض الصياغ. وبعد التمحيص أكّدوا أنه ذهب خالص.

باع الرجل الذهب بالقيمة المتعارفة آنذاك وقال: هل ستقوم أنت بتوزيع هذا المال على المستحقين، أم أنا أقوم بذلك قلت: أنت أولىٰ به. وعندها ذهبنا إلى بعض البيوت ووزع المال على المحتاجين حتى آخر درهم، ولم يأخذ لنفسه ولا إعطاني شيئاً منه. ومن بعد ذلك افترقنا ولم أشاهده مرة أخرى.

عاد أبي المرحوم الشيخ حسن علي الأصفهاني إلى أصفهان مرة أخرى في سنة ١٣١٥ وبقي فيها مدة قصيرة ثم اتّجه إلى النجف الأشرف ومكث هناك حتى سنة١٣١٨ وفي سنة ١٣١٩ سافر إلى أصفهان مرة أخرى. وبعد مدة سافر إلى شيراز وأقام فيها فترة من الزمن حضر خلالها درس القانون لابن سينا حيث كان يدرّسه الطبيب المعروف في ذلك العصر المرحوم الميرزا جعفر الطبيب.

يقول والدي هنا: كنت أمضي أول نهاري في عيادة الميرزا جعفر لمعاينة المرضىٰ وكتابه الدواء لهم، أما آخر النهار فكنت أدرس على يده كتاب القانون لابن سينا.

كان جعفر الطبيب لا يعيّن أجرة محددة في معالجة المرضىٰ، وكان كل واحد يضع المبلغ الذي يرتئيه في علبة معيّنة، وإذا لم يدفع المريض شيئاً لا يطالبه بالدفع. ولم يكن دخله اليومي من العيادة يتجاوز ثمانية أو تسعة ريالات ولم يبدِ أي تذمّر من قلّة دخله. وفي أحد الأيام قال بعد دخوله العيادة: إلٰهي، لقد نزل عندنا ضيوف اليوم، فأمر ملائكتك لينزلوا عليَّ الرزق. فبلغ دخله في ذلك اليوم خمساً وثلاثين ريالاً.

ودعا ربّه في يوم آخر أن يأتيه الملائكة بمبلغ من المال لشراء العنب لغرض صنع الخل، فبلغ دخله في ذلك اليوم خمساً وأربعين ريالاً. أما في سائر الأيام فلم يطرأ أي تغيير محسوس على دخله، ولا كان هو يعرض حاجته.

خلال المدّة التي قضيتها في عيادته كشفنا على ثلاثة آلاف مريض وكتبنا لهم الدواء ولم تستدع حالة أحد منهم لمراجعتنا مرة ثانية، وتوفّي من جملة هذا العدد ثلاثة أشخاص كان الحاج قد أخبر مسبقاً بسوء حالتهم. كان الحاج ينظر في وجه المريض ويشخّص مرضه قبل أي فحص أو سؤال.

في نفس تلك السنة سافر المرحوم والدي إلى بوشهر ومنها إلى الحجاز بواسطة السفينة لزيارة بيت الله الحرام وبعد النزول من السفينة في جدّة ذهب إلى المدينة المنوّرة ماشياً، وأحرم فيها واتجه منها إلى مكة ماشياً أيضاً. وقد التقى أثناء سفره هذا في عام ١٣١٩هـ.ق، الذي

صادف الحج الأكبر، بالمرحوم الشيخ فضل الله نوري، والشيخ محمد جواد بيد آبادي اللذين كانا يسافران معاً. وحصلت أثناء هذا السفر حادثة لشريف مكّة سنذكرها في موضعها المناسب[1].

بعد أن أتمّ الشيخ فريضة الحج وزيارة العتبات المقدسة للأئمة الأطهار عليهم السلام، رجع إلى إيران ومكث فيها فترة قصيرة ثم سافر إلى النجف الأشرف مرة أخرى وأقام فيها عدة سنوات إلى أن عاد إلى أصفهان كرّة أخرى ومكث فيها عدة سنوات ثم غادرها إلى مدينة مشهد التي استوطن فيها إلى آخر عمره الشريف حيث توفي سنة ١٣٦١، ولم يغادرها إلاّ لسفرتين قصيرتين لأصفهان وأخرى لمنطقة سلطان آباد في مدينة آراك.

سنوات الإقامة في مشهد حتى آخر حياته:

كان الوالد المرحوم الشيخ حسن علي الأصفهاني أعلى الله مقامه، على أتمّ الاستعداد ليلاً ونهاراً لقضاء حوائج المحتاجين والمساكين. وفي أحد الأيام قلت له: ألا يستحسن تحديد وقتٍ معيّن لمراجعات الناس؟ قال: بُني، ليس عند ربّنا صباح ولا مساء، ومن يريد خدمة الناس في سبيل نيل رضى الله يجب أن لا يحدد وقتاً معيّناً.

كان أبي يهتم في أول الليل وبعد أداء الفرائض، بكتابة الردود على الرسائل التي ترده، والنظر في حاجات المراجعين ثم ينشغل بعد ذلك بالمطالعة. ويثابر من منتصف الليل وحتّى شروق الشمس على الصلاة والذكر والنوافل والتعقيبات، من بعد شروق الشمس يركن إلى الراحة بعض الوقت ليعود ثانية لمقابلة المراجعين والتحدّث معهم، وتهيئة أو تركيب الدواء للمرضى.

---

(١) راجع فصل الكرامات.

وأخيراً يتّجه عصراً للتدريس في المدرسة، ويجلس بعدها لقضاء حوائج المحتاجين والمساكين والفقراء. وفي جميع الظروف والأحوال كان يخلد للراحة بعض الوقت من بعد شروق الشمس أو بعد الظهر ساعة.

في عام ١٣١٤ أهداه أحد السادة الأشراف في مدينة مشهد سجّادة وفراشاً للنوم، فردَّ عليه قائلاً: أما السجادة فأقبّلها احتراماً لسيادتكم التي اعتبر حرمتها واجب عليَّ، أما فراش النوم فلا حاجة بي إليه لأنني لم أذق طعم فراش الراحة منذ خمس وعشرين سنة.

كان أبي (رحمة الله عليه) يعتبر الاستعانة بالأرواح الطاهرة لأئمة الهدىٰ عليهم السلام وبأرواح الأولياء رحمة الله عليهم أجمعين، من جملة شروط السلوك إلى الله. ولهذا السبب كان يبدي اهتماماً فائقاً بالاعتكاف وزيارة المشاهدة المقدسة للأئمة عليهم السلام والمراقد الشريفة للأولياء. وكان يواظب دائماً على أداء الفرائض اليومية في أول وقتها، والإتيان بالنوافل، والنهوض في الأسحار، والتهجّد، وإحياء ليالي الجمعة، والليالي الشريفة، والصوم في الأيام البيض، وخدمة خلق الله ولا سيما السادات منهم، وزيارة قبور الأنبياء والأوصياء والأولياء خاصة في ليالي وأيّام الجمعة، وفي أصفهان كان يقضي الكثير من الأيام في جبال «ظفرة» في الرياضة الروحية وتزكية النفس، ويكثر من ارتياد المساجد والبقاع المباركة أمثال مسجد «لنبان»، ومقبرة «علي بن سهل الأصفهاني»، ومحمد بن يوسف معدان البناء، وباباركن الدين، ومزار أستاذه المرحوم محمد صادق، وكذا جبل «صفّة» وهو الموضع الذي كان يتعبّد فيه أستاذه.

وفي النجف الأشرف كان يواظب على زيارة مسجد الكوفة، والسهلة، والمراقد الشريفة لكل من كميل بن زياد وميثم التمار (رضون الله عليهما).

وفي مشهد المقدّسة كان مقتصراً في أوّل أمره على العبادة والرياضة الروحية في الصحن الشريف، ثم أخذ يرتاد الجبال الواقعة في أطراف المدينة مثل جبل «كراخك» و«بازه غياث منصور» في جاغرق، وخادر، وحصار سرخ، وجبل «معجوني» قرب مقبرة شرف الدين علي كاسه گر. وكان أبي يهتم كثيراً بقبور أولياء الله من أمثال مقبرة أبي علي الفارمدي في فارمد، وعلاء الدين علي الماياني في مايان، ومقبرة الدرويش يحيىٰ، والدرويش شمس الدين ابني الشيخ جعدة الجاسبي وهي مقبرة تقع في إيوان طرق، وقبر عبد الله المبارك في جبل چشمه سبز (اكتشفه أبي شخصياً)، ومقبرة مير تقي خدايي في محلة نوغان وتقع في دار بجوار مدرسة ابتدائية، ومزار الشيخ محمد الكاردهي، وقبر الشيخ فضل الله السرابي الذي استشهد على يد الأفغان ولا وجود لآثاره حالياً، ومرقد الشيخ محمد المؤمن (قدّس سرّه) المعروف بگنبد سبز أي (القبّة الخضراء)، ولم يقطع زيارته لهذا المكان الأخير في عصر كل يوم خميس، وكان يقول: قرأت في كتاب خطّي ألّفه سيد جليل من أهل قزوين، وجده لأمه هو الشيخ بهاء الدين العاملي رحمة الله عليه، كتبه في سيرة جدّه وجاء فيه، لما وصل جدّي، الشيخ البهائي، إلى مشهد، رأى بعد ثلاث ليالٍ في عالم الرؤيا وكأنّه يزور النبيﷺ وقال له النبيﷺ بلهجة العتاب: لماذا لم تذهب حتى الآن للقاء زهرتنا الشيخ المؤمن؟ خرج الشيخ البهائي فجر تلك الليلة لزيارة الشيخ المؤمن، ووجد في طريق اثنين من أهل العلم فقصّ عليهما رؤياه، فرافقاه لزيارة الشيخ

المؤمن وعقد كل منهم نيّة لاختبرا مكانته وعظمته، فأضمر أحدهم في ذهنه كفناً، والثاني رماناً، والثالث رزّاً بالحليب. ولما دخلوا على الشيخ قال لهم: إنّكم لم تزوروني إلاّ بأمر من النبيﷺ، هل تريدون أن أخبركم ماذا قال في الرؤيا؟ أم تخبرني أنت؟ قصّ الشيخ البهائي رؤياه، فقال الشيخ المؤمن: يتبيّن من وصف النبي لنا بالزهرة إننا لم نثمر إلى الآن. ثم نهض واستخرج من خزانة له عمامة وصحناً فيه رمّان وإناءً فيه رز بالحليب ووضعها أمام الأشخاص الثلاثة وفقاً لما أضمروا.

ونقل أبي عن هذا الكتاب أيضاً أن أحد حكّام أصفهان أرسل مع ثلاثة من رجاله إلى مدينة بلخ أو مرو. وفي مدينة نيسابور عرضت للحاكم جذبة فاتّجه صوب البراري فيما واصل رجاله الثلاثة مهمتهم ونقلوا ما حصل إلى والي أصفهان. بقي ذلك الحاكم هائماً في الجبال القريبة من نيسابور إلى أن رأى في المنام في ليلة اليوم الذي ورد فيه إلى مشهد أن فيلاً يريد قتله إلا أن رجلاً مسناً أدركه ولطم الفيل لطمة وقع على أثرها أرضاً ونفق. وفي صبيحة تلك الليلة دخل الحاكم مدينة مشهد وسأل عن مفسّر للأحلام فدلّوه على الشيخ المؤمن، ولما وقع بصره عليه رأى أنّه نفس الشخص الذي أنقذه من الفيل، وقبل أن يقصّ رؤياه، قرأ عليه الشيخ أبياتاً من الشعر لخّص له فيها قصّته. ثم أن الشيخ رحمة الله عليه أخرج الحاكم من تلك الحالة ووجهه صوب مهمّته.

نقل «ولي قُلي بيك شاملو» في خاتمة «قصص الخاقاني» في إخبار الشيخ المؤمن ما يلي: «رجل سالك للمسالك الربانية، ساع وراء رضى الله سبحانه، تاج العرافين الشيخ المؤمن رحمة الله عليه. حطّ رحاله في مدينة مشهد المقدّسة في البقعة المعروفة باسم «پاي چنار» واعتكف في حانقاه لممارسة الرياضة الروحية، وكان (رحمة الله عليه) منذ مبدأ حياته

حتّى ختامها في سعي متواصل لتهذيب سلوكه وكان معروفاً بين جميع المشايخ بأخلاقه الحسنة، وقد اهتدى على يده خلق كثير فانتقلوا من دائرة اللعب واللهو إلى سبيل المعرفة، وأهل خراسان على معرفة تامّة بسيرة هذا العبد الصالح. وقد قام هذا الرجل الخيّر، يعاضده تلاميذه المخلصون، بتشييد الكثير من الأبنية في بلاد خراسان من مسجد، وبقعةٍ، ورباط، وجسر، وبئر، وما إلى ذلك. ولا توجد منطقة من توابع مشهد تخلو من آثار خيرات ومبرّات هذا الشيخ العارف.

من جملة صفات هذا الرجل الذي يعتبر قدوة لأهل السلوك، أنّه كان يقضي أكثر أوقاته، في الخلأ وفي الملأ، مشغولاً بالمناجاة والعبادة إلى أن لبّى نداء ربّه عام ١٠٦٣، فدفنه تلاميذه بموجب وصيّته في بقعة قرية «دستجرد» وهي من جملة الأماكن التي بناها في حياته[١].

كان أبي (رحمة الله عليه) يقول للمريض حين إعطائه الدواء: إنما نحن سبب ليس إلاّ، والشافي هو، لأنّ عالمنا هذا مبني على الأسباب: «أبىٰ الله أن يجري الأمور إلاّ بأسبابها» ولهذا يصبح لزاماً مراجعة الطبيب عند المرض. ثم يضيف قائلاً: أُصيب النبي موسى ـ على نبيّنا وعليه السلام ـ بالقولنج، ولما ذهب إلى جبل الطور لمناجاة رب الأرباب قال: «**إلٰهي لقد أصابني المرض فاكتب لي الشفاء من عندك**» فجاءه الرد: «**أن يا موسى اذهب إلى الطبيب**». فقال: «**يا إلٰهي وماذا أقول للناس إذا قالوا: أنت كليم الله تحيي الموتى وبترىء الأكمه ثم تذهب إلى الطبيب للعلاج؟!**».

---

(١) نقلاً عن استدراك كتاب تفسير محمد المؤمن (المشهدي) نقّحه وقدّم له علي المحدث طبع سنة ١٩٨٢م.

فقال له تعالىٰ: «**يا موسى إنّا ما خلقنا هذه الأعشاب لاعبين، ولم نلهم علم الطب للإنسان عبثاً، فهل تنتظر منا ـ يا موسى ـ أن نجعل ما خلقناه عبثاً ونشفي مرضك من دون سببك؟!**».

ومع أن والدي كان شديد المواظبة على العبادة والمجاهدة والرياضة والزيارة والاعتكاف في الأماكن المشرّفة، إلاّ أن جوهر كل هذه الأعمال يظهر في خدمة السادة من ذرّية الزهراءعليها السلام، ومن دون هذا الجوهر تبقى تلك الأعمال كالجسد بلا روح، فلا يترتب عليها أي أثر ولا تتمخّض عنها أيّة نتيجة.

السنوات الأخيرة من العمر الشريف

يتحدث ولده قائلاً:

أُصبتُ قبل ما يناهز السنتين من وفاة والدي بمرض عضال عجز الأطباء ويئِست من الحياة. ولما رأى والدي عجز الأطباء، أخذ بعضاً من التربة الطاهرة لسيد الشهداء أرواح العالمين له الفداء ووضعها في فمي وابتعد عن موضع منامي. فرأيت وأنا في تلك الحالة من الإغماء أني أطير في السماء وأن رجلاً نورانياً يودّعني، ولما بلغنا مسافة، ظهر فجأة رجل آخر وهو يهبط من الأعلى وقال لهذا الشخص النوراني الأبيض الذي كان معي: «جاء الأمر بردّ روح هذا الشخص إلى جسده لأنّه استشفىٰ بتربة سيد الشهداءعليه السلام» وفهمت حينذاك أنني قد متُّ وأن هذه روحي كانت تحلّق في السماء. وعلى كل حال رجعت مع ذينكما الشخصين إلى الأرض، وأفقت من غفوتي ورأيت متعجباً أن لا أثر لأي مرض في جسمي، إلا أنّ المحيطين بي كانوا في منتهى الحزن والقلق.

بعد بضعة أيام ذهبت إلى أبي في المدينة وقصصت عليه ما جرى،

فقال: «كان مقدّراً أن يترك أحدنا هذا العالم، ولو أنّك ذهبتَ لعمرتُ إلى خمسة عشر سنة ولمّا كان هدفي في هذه الدنيا خدمة خلق الله ليس إلاّ، لهذا رجّحت أن أحزم أمتعتي وأغادر لتعيش أنت مدة أطول بإذن الله فأنت لا زلت شابّاً. فاْعلم أني اخترت لنفسي الموت ولك الحياة وأرجو أن يكون هدفك على امتداد عمرك خدمة الناس قربة لله، ومتى ما غفلت عن هذا الهدف وتهاونت فيه، فذلك آخر عمرك.

قبل سنة من وفاة والدي شاهدت في عالم الرؤيا وكأن الوقت عصر وأنا خارج من المدينة ومتوجّه صوب قرية «نخودك»، وفجأة غربت الشمس فاعتراني الاضطراب وبقيت متحيّراً لسببين الأوّل هو ظلمة الجو، والثاني أن والدي كثيراً ما كان يؤكد عليّ أن أكون في البيت قبل حلول الظلام، ولا أدري بماذا سأجيبه، ولن يقبل عذري لو قلت له إن الشمس غربت على حين غرّة. كنت مستغرقاً في هذه الحيرة وإذا بالشمس تبزغ فجأة من المغرب على ارتفاع رمح، انتبهت أثناء مسيري أن بيدي سكّيناً كبيرةً وأن كلباً ضخماً يلاحقين. وفجأة ظهر رجل مسن طويل القامة وأخذ السكين من يدي، وأمسك الكلب بإحدى يديه، وقطع بالأخرى رأسه من غير أن يتلطّخ السكين بالدماء، ثم أعادها إليّ قائلاً: هل أسدي لك خدمة أخرى؟ فقلت: لا، وشكرته واختفىٰ عنّي فجأة.

وفي الصباح حدّثت والدي بهذا المنام فتأمل لدقائق وسألني: ألم تعرف من كان ذلك الرجل؟ قلت: لا. قال: هو الشيخ العطّار. ثم قال: هذه آخر سنة من عمري، وإنّك ستلاقي بعدي عنتاً ومشقّة، فقل لي ماذا ستفعل؟ قلت: ألتجىء إلى الله. وبعد شهرين قال لي عند زيارتي له في المدينة في أحد الأيّام: عندما نرجع إلى البيت عصر هذا اليوم، سأصاب

بمرض يكون مقدّمة لوفاتي وحصل ما قال فعلاً، إذ ما كدنا ندخل البيت، حتى أخذ يتهوّع ووقع طريح الفراش منذ ذلك الحين.

في تلك الأثناء فُقِدَت مسبحة عقيق كانت عنده، فقال: إن فقدان المسبحة علامة موتي، وإذا وُجِدت تَحسّنَت صحّتي. إلا أننا مع كثرة البحث لم نعثر عليها إلى أن وُجدت بعد شهر في غرفته، وفي أعقاب ذلك تماثل للشفاء، لكن المسبحة فُقدت مرة أخرى ولم نعثر عليها قط، فاشتدّ عليه المرض من جديد وبقي لمدة أربعة أشهر طريح الفراش، وخلال هذه المدة حدثني بالتفصيل عن حياته وحالاته منذ البداية وحتى تلك اللحظة، وعن أحوال أساتذته والشخصيات التي أدركها.

مضت مدة طويلة على ابتعاد أبي عن مدينة مشهد بسبب بعض الظروف، وكان يختار عادة السكن فيما جاورها؛ إذ سكن في بداية الأمر في قرية نخودك، وبعدها في قرية سمرقند. وفي أيام مرضه استدعاني بواسطة أحد الأشخاص قبيل الظهر من المدرسة حيث كنت أذهب إلى المدينة للدراسة وقال لي: لقد حلّقت روحي اليوم من جسدي وحظيت بشرف الحضور عند ثامن الأئمة عليه السلام ورأيت هناك أستاذي المرحوم الحاج محمد صادق تخته پولادي، وطلبت إليه أن يأذن الإمام بعودة روحي إلى جسدي لإقرار وصاياي، وقد أذن بذلك وعليك الآن يا ولدي أن تبقى إلى جانبي للاهتمام بأمري، ولا تذهب إلى المدينة.

تحسّنت حالة أبي بفضل جهود الأطبّاء، إلا أنّه لما رأى الفرح على وجه الطبيب المعالج قال له: إنَّ تحسّن حالتي لا يبعث على الفرح لأني صرت في عداد الموتى. فسأل الطبيب: وبماذا تأمر الآن؟ قال: إن مهمتك هي مواصلة الإجراءات الطبية ما دمت على قيد الحياة، وأنا أيضاً

ملزم بالاستماع لتوصياتك. وبقي على هذه الطريقة حتى آخر ساعات حياته.

وفي ذلك الوقت أيضاً ظل أبي كما هو الحال في سائر سنوات حياته يسهر الليل حتى الصباح.

وفي تلك الأيام أمر الطبيب المعالج بنقله إلى مستشفى (المنتصرية» في مشهد. ولا زلت أتذكّر أنني حينما كنت ذاهباً إلى المستشفى في أحد الأيّام وقع بصري على عربة يجلس فيها رجل وامرأة غير محجّبة. ولما وصلت إلى أبي قال: لقد اقتربت ساعتي، ولكن أنت يا ولدي لماذا لا تصون بصرك؟ قلت: لم أرتكب خطأً عن عمد. قال: أعلم ذلك، ولكنك ما دمت لا تبحث عن أحد في الشارع فلماذا ذهبت ببصرك إلى داخل العربة ليقع على امرأة أجنبية. وفي هذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**النظرة سهم مسموم من سهام الشيطان**».

ثم حدثني أنّه رأى في عالم الرؤيا الليلة البارحة، المرحوم الشيخ عباس المحدّث القمّي وكان يقول له: تعال نحن بانتظارك.

وفي أحد الأيام قال لمدير المستشفى: إن أجلي قريب وإذا حصلت وفاتي في هذا المستشفى فإنّ ازدحام الناس فيها سيخلق حالة من الاضطراب والفوضىٰ ولهذا قررت الخروج من المستشفى والذهاب إلى البيت. ولم يجد معه نفعاً إصرار المدير على إبقائه، وانتقل أخيراً إلى دار أحد مريديه واسمه عبد الحميد المولوي وبقي الشهر الأخير من عمره طريح الفراش في تلك الدار حتى لبّى نداء ربّه.

قبل رحيله بأسبوعين رأيت في المنام وكأنّي ذهبت لزيارة بقعة العارف الكبير الشيخ المؤمن، وهي الموضع المعروف حالياً في مشهد

باسم القبّة الخضراء ورأيت وكان أبي يتحدّث معه ولما دخلت طلب مني أبي أن يدعو لي بتوفيق التهجد وصلاة الليل، ولمّا أراد أن يقول شيئاً، قال له أبي: اصبر الآن حتى بضعة أيام أخرى.

ولما قصصت على أبي ما رأيته في المنام قال: نعم لم يبق شيء من عمري.

في منتصف الليل ساءت حالة وادي، وجاءه الأطباء وبعد إجراء الفحوصات أعلنوا أن المريض فارق الدنيا. ولكن من المدهش أن قلبه عاد ينبض من جديد بعد التوقّف. وفي اليوم التالي أكّد لي أحد الأطبّاء الذين أشرفوا على معالجته واسمه الدكتور السيد أبو القاسم قوام أن والدي توفي البارحة ولكن عادت إليه الحياة من جديد.

في اليوم التالي لتلك الحادثة، ولما خلا الجو من الأشخاص الغرباء قال أبي: البارحة فارقت روحي بدني وتشرّفت بالوفود على الإمام الرضا عليه السلام وطلبت من أستاذي الحاج محمد صادق أن يخبر الإمام بأنّي أريد إمهالي لمدّة أسبوع حتى أكمل وصاياي. فأَذِنَ الإمام إلاّ أنه حذّرني من أي طلب كهذا مرة أخرى. ثم قال لي: خلال هذه الأيام لا تبتعد عنّي ليلاً.

طرأ تحسن تدريجي على صحة والدي، إلا أنّ حاله تفاقم فجأة يوم الأربعاء وتورّمت يداه وتعجّب الأطباء من هذا التغيير المفاجىء، وعند ذاك لم يؤذن لأحد بزيارته سوى السادة.

واستمرّ الوضع على هذه الشاكلة إلى أن أعلن أنّ وفاته ستكون يوم الأحد. ثم أكّد وصاياه لي على النحو التالي:

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن

تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾[1].

بالتقوى بلغنا ما بلغنا، فإذا انعدمت التقوى في هذا الطريق فلا تجدي رياضة النفس ومجاهدتها ولن يجنىٰ منها سوى الخسران ولن ينتج عنها سوى الابتعاد عن الحق تعالى. قال علي بن الحسين عليه السلام: «**إن العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلا كفراً ولم يزدد من الله إلاّ بعداً**».

أي أن الإنسان إذا ارتاض أربعين يوماً وفاتته صلاة صبح واحدة عن وقتها، ستكون نتيجة تلك الرياضة لمدّة أربعين يوماً هباء منثوراً.

لقد فاتتني صلاة الصبح مرة واحدة طوال عمري صلّيتها قضاءً فمات طفلي مساء ذلك اليوم، وعند السحر قالوا لي إن لوعة الفقدان هذه جاءت جزاءً على فوت صلاة الصبح ولو أني تركت التهجّد ليلة، أبقىٰ أتوقع البلاء في صبيحتها. أي أن ارتكاب المكروه يبعث على هبوط مقام العبد عند الله، وبعكسه يؤدي الإتيان بالمستحبّات إلى رفع درجته. ومعنى هذا أنني إذا بلغت منزلة فالفضل يعود إلى إحياء الليل والمداومة على المستحبّات وترك المكروهات، إلا أنّ الأصل في كلّ تلك الأعمال وجوهرها هو خدمة ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله.

أوصيك يا بني بأمور هي:

أولاً: أن تأتي بالصلاة اليومية في وقتها.

ثانياً: أن تسعىٰ جهد المستطاع لقضاء حوائج الناس، ولا تتوهّم أن هذا العمل أو ذاك عمل كبير لا تقدر على أدائه؛ لأنّ العبد إذا سار على طريق الحق، أعانه الله.

وهنا قلت له: يا أبه، إن السعي لقضاء حوائج الناس يؤدّي أحياناً إلى الحطّ من كرامة الإنسان.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣١.

قال: وما أجمل أن تهتك كرامته في سبيل الله.

ثالثاً: أن تبدي للسادة المزيد من الإكرام والإجلال، وأن تبذل لهم كل ما لديك ولا تخش من عملك هذا فقراً ولا إملاقاً، وإذا افتقرت لا تكليف عليك من بعد.

رابعاً: لا تترك التهجّد وصلاة الليل، واجعل الورع والتقوى نصب عينيك.

خامساً: اكتسب من العلم ما يكفيك للانفكاك من قيد التقليد.

وهنا خطر على ذهني وجوب اعتزال الناس والانطواء في زاوية بعيداً عن كل صداقة ومعاشرة لأنّها تمنع من العبادة والرياضة وكسب العلوم الظاهرية والباطنية، إلا أنّ أبي فتح عينيه فجأة وقال: وأبعد عن نفسك الأفكار الوهمية فما تكليفك ورياضتك إلاّ خدمة خلق الله.

وأضاف قائلاً: إذا انتهى أمري صبيحة يوم الأحد، فقم أنت بتغسيلي وتكفيني ودفني إذا كانت حالتك تساعد على ذلك. كما وأوصىٰ أن يتولّى الدكتور حسن خان العاملي، وهو الطبيب المشرف على معالجته، توجيهه نحو القبلة وإجراء آداب الميت، وقال أيضاً للسيد «مرتضىٰ روئين تن» مدير صحيفة طوس: أنت أيضاً تعال صباح يوم الأحد، وأقرأ القرآن عند رأسي بعد ساعة من وفاتي.

وكان للسيد المذكور ظاهر قبيح لكن باطنه كان مثيراً للدهشة ويصدق عليه قول: إن أولياء الله غائبون في الأوباش.

امتنع الشيخ عن الكلام مع أي شخص اعتباراً من بعد ظهر يوم الخميس إلى يوم الأحد وهو اليوم الذي تنبّأ أنّ وفاته ستكون فيه، وكان على الدوام في حالة مراقبة. وفي ليلة الجمعة رفع رأسه فجأة وألقىٰ نظرة

على الباب وقال: «أيها الشيطان لن تجد إليّ سبيلاً فكل وجودي مليء بمحبّة علي عليه السلام».

ولمّا حلّ يوم السبت همس: لقد ضيّقوا علي في الذهاب ولهم معي عتاب يقولون فيه: أنت الذي كنت تتمنىٰ في هذه الدنيا الحضور بين يدي الرضا عليه السلام، فما الداعي في أن تضحك بين الحين والآخر؟! نعم، لا جرم «إن حسنات الأبرار سيئات المقرّبين».

وأخيراً حلّ صباح يوم الأحد والساعة الأخيرة من حياته، فذبحنا خروفاً بأمر منه كنذرٍ للزهراء عليها السلام، وتوفي قبل ساعة أو ساعتين من شروق الشمس ليوم السابع عشر من شعبان عام ١٣٦١ للهجرة القمرية، فأفلت شمس روحه من أُفق الحياة وأشرقت في عالم القدس: ألا إنّ أولياء الله لا يموتون بل ينتقلون من دار إلى دار.

لم تمض ساعة حتى شاع خبر وفاة ذلك العارف الكبير والعالم الرباني في كل أرجاء المدينة، وتوافدت الجموع الغفيرة إلى جنازته لتوديعه وإلقاء نظرة الأخيرة عليه، وأداء الشعائر الدينية الأخرى.

حُملت جنازة فقيد العلم والمعرفة على أيدي الآلاف من مريده الذين غشيتهم عاصفة من الحزن والألم، ابتداءً من محلة سعد آباد في مشهد مجتازة شوارع المدينة التي بدت وكأنها في حالة تعطيل عام حتّى بلغت قرية سمرقند حيث محل سكنه، وتمّ هناك تغسيله بماء جارٍ وفقاً لوصيّته.

انطلقت في تلك الأثناء جوقة من المعزّين الذين يلطمون على صدورهم ـ وهي ظاهرة كانت ممنوعة لسنوات عديدة ـ وحُملت الجنازة بين أمواج ثقيلة من الحزن وسارت صوب المدينة قاصدة ضريح ثامن الحجج عليه السلام، ومن بعد الطواف بالجنازة حول الضريح الشريف، دُفن في الصحن العتيق وفي نفس الموضع الذي أوصىٰ به.

ذكر أبي قبل سنوات خلت قائلاً: عندما قررت إلقاء رحال إقامتي في النجف الأشرف، كنت في أحد الأيّام في حالة رياضة روحية في أحد غرف الصحن الرضوي العتيق في مشهد، فرأيت وكأن أبواب الصحن الشريف أُغلقت وجاء النداء أن الإمام الرضا عليه السلام يروم إلقاء نظرة على زوّاره، فوضع له كرسي إلى جانب الإيوان العبّاسي ـ في نفس الموضع الذي فيه الآن مدفن والدي ـ فجلس عليه وأمر بفتح البابين الشرقي والغربي للصحن العتيق ليدخل الزوّار من الباب الشرقي ويخرجوا من الباب الغربي، فرأيت أثناء ذلك أن باحة الصحن قد ملئت بأصنافٍ شتّى من الناس حتى أن بعضهم كان على هيئة حيوانات مختلفة، وكانوا جميعهم يمرّون من أمام الرضا عليه السلام وهو يمسح بيد اللطف والولاية على رؤوس الجميع، وحتى على الذين كانوا على صور غير إنسانية. بعد ذلك السير والشهود المعنوي، ورؤية رأفة الإمام بالجميع قررت السكن في مشهد وتعليق الأمل على لطف وعناية حضرته.

بعد ذكره لهذه الواقعة، حدّد والدي موضع استقرار كرسي الإمام عليه السلام كم،فن له، وأوصى بذلك. وبمشيئة الله دفن في نفس تلك النقطة المباركة قبل آذان الفجر من يوم الاثنين. وقد وضع السيد ذبيح الله أمير شهيدي ـ وهو من مريديه ـ حجراً على قبره، وقد حفر عليه العبارة التالية: «تربة الكيمياء، وأثر مقتدىٰ أهل النظر المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني طاب ثراه، ١٧ شعبان ١٣٦١ للهجرة».

لا زال قبره إلى الآن مزاراً لمريديه، وللعرفاء، ولسالكي طريق الحق، يستلهمون العزم من روحه السامية ومن مقامه الشامخ.

ذكر الأنصاري في كتابه الذي يشرح فيه سيرة علماء أصفهان،

مقتطفات من سيرة هذا الرجل الكبير، جاء فيها: «الحاج اشليخ حسن علي، عالم زاهد، ومرتاض كبير، في مدرسة كاسه گران، وأمضى سنوات من عمره إلى جوار الأرض القدسيّة، وهو موضع احترام وإرادة العاكف والزائر، كثير التفقّد لأحوال المقيم والمسافر، وأوّل رجل ورع وعابد، وله باع طويل في العلوم الغريبة».

حشره الله مع أوليائه، وجعل روحه الطاهرة قرينة الروح والرحمة، وأفاض عليه من بحر مغفرته، وأدعوه تعالى لأن يوفّقني لأكون خَلَفَ صدقٍ له، بالنبي وآله صلوات الله عليهم وعلى الأنبياء والمرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

المرحوم الحاج محمد صادق تخت فولاذي (قدّس سرّه)

هو قدوة السالكين الحاج محمد صادق المعروف بـ «تخته فولاذي» من العرفاء الكبار في القرن الثالث عشر، ومن أساتذة المرحوم الشيخ حسن علي في السير والسلوك عاش في أواخر سلطة فتح علي شاه القاجاري. عمل في مطلع صباه بالصباغة وكان يدير مشغلاً للصباغة مستعيناً بعدد من العمّال والصنّاع، وكان من عادته أن يخرج عصراً مع عمّاله خارج المدينة للنزهة بالرغم من اضطراب الوضع الأمني آنذاك.

وفي أحد الأيام عندما كانوا عائدين هو وعمّاله من جهة بوابة شيراز إلى المدينة، وقعت أبصارهم حين مرورهم بمقبرة تخت فولاذ على رجل مسن وقد أطرق برأسه غاطاً في تفكير عميق، فقال الحاج لرفاقه: لا زال أمامنا متّسع من الوقت، فلنذهب إلى هذا الشيخ ونمازحه قليلاً ونعود من بعد الغروب إلى المدينة. اقتربوا منه وسلّموا عليه. رفع الرجل رأسه ورد التحية عليهم، وعاد مطرقاً. سألوه: ما اسمك؟ من أين أتيت؟ ما شغلك؟ فلم يجبهم. فلكزه الحاج بعصاً كانت بيده قائلاً: إنسان أنت أم جدار؟ مالك لا تكلّمنا؟ ولٰكنه واصل صمته. فقال لرفاقه: لنذهب فلا

فائدة من الوقوف أكثر من هذا. وما كادوا يبتعدون عنه خطوات حتى رفع رأسه قائلاً: يا لك من شاب! وا أسفاه على شبابك!! وصمت. ولمّا سمع الحاج محمد صادق تلك الكلمات رأى نفسه متسمّراً في موضعه ولا قدرة له على الحركة، فأعطى مفتاح الدكان لرفاقه وعاد إلى الشيخ وجلس عنده.

بقي الشيخ صامتاً لثلاثة أيام بلياليها ولا ينطق بشيء سوى أنّه يقول للشاب ما عندك هنا؟ قم واذهب إلى عملك.

بعد ثلاثة أيام قال ذلك الشيخ ذو الضمير الحي للحاج محمد صادق: ما عملك؟ قال صبّاغ. قال: إذن تذهب في النهار لكسب قوتك، وفي الليل تأتي إلى هنا. التزم الحاج بتنفيذ أمر الشيخ، فكان يذهب في النهار إلى عمله في الصباغة، وفي الليل يأتي ومعه كسب يومه إلى الشيخ الذي كان اسمه (بابا رستم البختياري)، وكان ذلك الشيخ ينفق جميع ذلك المبلغ على الفقراء، وحتّى معيشة الحاج أضحت بعهدته بعد مرور سنة قال له الشيخ: لم تعد هناك ضرورة لذهابك لدكّان الصباغة، بل تبقىٰ هنا. فبقي الحاج في الموضع المعروف اليوم باسم «تكية مادر شاهزاده» في مقبرة تخت فولاذ في مدينة أصفهان، وهو الموضع الذي فيه مزاره أيضاً.

قضى الحاج سنة كاملة في التهجّد والعبادة ليلاً، والرياضة نهاراً، بعدها قال له المرحوم بابا في يوم عيد الأضحى اذهب اليوم إلى المدينة، وأطرق باب الشخص الفلاني وخذ منه كبد الخروف الذي ذبحه، ثم اجمع حطباً أمام الناس وآتني به مع كبد الخروف.

لم تكن للحاج محمد صادق علاقة حسنة بالشخص الذي ذكره الشيخ ولذلك اضطر للذهاب إلى السوق واشترى كبداً من هناك وجمع مقداراً

من الحطب بعيداً عن أنظار الناس وأخذهما جميعاً وذهب إلى الشيخ بابا رستم، ولما رآه خاطبه بحدّة: لا زلت أسير أهواء نفسك، وترى الخلق، فالكبد اشتريته والحطب جمعته بعيداً عن أنظار الناس.

مرّت سنة أخرى، وفي أحد الأيام ذهب الحاج إلى المدينة لقضاء حاجة، وفي الطريق اشترى مقداراً من الكشمش وأكله، وبعد عودته قال له الشيخ بلهجة حادّة: لا زلت أسير هوىٰ نفسك.

يقول الحاج ولمّا رأيته على تلك الحالة قررت الابتعاد عنه عدة ساعات لعله يزول غضبه، ولٰكن ما إن تحرّكت حتى بدأ الحجر يتساقط عليّ من كل صوب، ثم صاح المرحوم باب بصوت عالٍ: لقد قاسيت من أجلك عامين فإلى أين أنت ذاهب؟ فرجعت لأفهم بعد ذلك أن ما تراءى لي في الظاهر غضباً، ما هو في حقيقة الحال سوى رأفة ومحبّة.

وفي أحد الأيّام قال المرحوم بابا رستم للحاج: اذهب إلى المدينة واشتري لنا لبناً، فعل الحاج ما طلب منه وأثناء عودته لقيه أحد فرسان الشرطة وأمره بحراسة ثيابه وفرسه حتى يسبح في النهر، فاعتذر منه الحاج وأكّد له على وجوب ذهابه سريعاً إلا أنّ الفارس خبطه بمقبض السوط على رأسه فشجّه، وانسكب اللبن، وبعد ذلك ذهب واشترى لبناً مرة أخرى وعاد فسأله بابا رستم عن سبب تأخّره فشرح له القصة، فسأله بابا رستم: وما كان رد فعلك؟ فأجاب: لم أقل شيئاً وإنما أسلمته لله ليجازيه على عمله. فقال له: لم تفعل خيراً، فهو قد شجّ رأسك وأنت تسلمه لله؟! اذهب فوراً وأغلظ له في القول. رجع الحاج من فوره إلاّ أنه وصل بعد فوات الأوان إذ كان الحصان قد ضربه على الأرض وقتله.

واصل الحاج رياضته الروحية لعدة سنوات عند المرحوم بابا رستم، فكان يمضي الليل حتى الصباح بالذكر والعبادة. وذكر أنّه كلما غلبه النوم

يقول له بابا رستم: يا صادق، هذا ليس بمحل نوم وإذا أردت النوم فٱرجع إلى دارك.

يقول الحاج إن رِجْل المرحوم بابا رستم قد شلّت من كثرة الوقوف للعبادة والصلاة، كما وأنّه فقد إحدى عينيه أيضاً بسبب السهر المتواصل، ولهذا فقد كان يناجي ربّه بلهجته المحلّية أن: يا رب لقد شللت رجلي، وأعميت بصري، فماذا تريد منّي بعد هذا؟

استمرّت الحالة على هذا المنوال لعدة سنوات إلى أن قال بابا رستم للحاج محمد صادق في أحد الأيّام: أتمنىٰ الذهاب للحج لكني لا أملك القدرة البدنية، ولا أستطيع السير. فقال له: أنا أحملك على ظهري وآخذك إلى مكّة، فوافق، واشتريا ثياب الإحرام من أصفهان، وحمله على ظهره وانطلقا إلى بيت الله الحرام. ولما وصلا إلى منطقة شاه رضا التي تبعد ١٤ فرسخاً عن أصفهان قال بابا رستم: لقد بلغ أجلي نهايته، سأموت هذه الليلة، فغسلني وكفّني وٱدفنّي بثياب الإحرام هذه، والزم قبري ثلاثة أيام وٱقرأ عليه القرآن، ثم ارجع.

نفّذ الحاج محمد صادق الوصية ورجع بعدها إلى أصفهان، وسافر في السنة اللاحقة لحج بيت الله نيابة عن المرحوم بابا رستم، وقد نقل الشخص الذي رافقه في السفر قائلاً: نزلنا قرب مدينة شيراز في نزل وكان الجو شديد البرودة وكثير الثلوج، لكن الحاج افترش جلداً خارج النزل وجلس هناك. قال له أهل القافلة إن الجو بارد، وهذا المكان تطأه الوحوش الكاسرة ومن الأفضل أن تدخل داخل النزل. إلا أنه رد عليهم بالقول: لا ماء داخل النزل، وأشار إلى ساقية ماء قائلاً: هنا أفضل لي. عند الغروب قال صاحب النزل للمسافرين: نحن عادة نغلق باب النزل ليلاً ولا نفتحه إلاّ في الصباح، وإن هو بقي في الخارج ربّما تعرّض

للضرر من البرد أو من الوحوش. وقرّر أعضاء القافلة حمل الحاج عنوة وإدخاله إلى النزل حرصاً عليه ورأفةً به.

أشار الشخص الذي روى القصة إلى أنّه أكّد لهم أن هذا الرجل ليس من الأشخاص العاديين، وإذا فعلنا شيئاً رغماً عنه فمن المؤكّد أن ذلك سيثير غضبه مما يؤدّي إلى إلحاق الأذى بنا، فعاد إليه مرة أخرى وأكّد له أن هؤلاء الناس لا يعرفون طباعك، ويريدون حملك إلى داخل النزل عن حسن نيّة، وأنا أعلم أنّهم إذا فعلوا ذلك سيتعرّضون للأذىٰ، فمن الأفضل أن تقوم من ذاتك وتدخل النزل، ولا تسمح أن يتأذّىٰ أشخاص لا تضمر سرائرهم إلاّ الخير.

سأله الحاج: وما سبب قلقهم؟ قال: السبب الأوّل هو برودة الجو التي يحتمل أن تؤدّي إلى هلاكك، والسبب الثاني هو وجود الحيوانات المفترسة في هذه الأرجاء. رفع الحاج رأسه وقال لرفيق سفره: ضع يدك عند صدري. يقول الرجل وما إن قرّبت يدي من صدره حتى شعرت وكأن قدراً يغلي وأحسست بالألم من شدّة الحرارة. ثم قال: قل لهم ألا يعطي ذكر الله حرارة بقدر الحرارة التي يحررها كيلو من الفحم؟! أما بالنسبة للحيوانات المفترسة فهي لا تضرّ من دون إرادة الله، وكل ما يجري إنما يجري بإذن الحق وبإرادته، وإنني لا أخشى الحيوانات.

رجع الرجل وقص على المسافرين ما شعر به وما سمعه. ولمّا كان الحاج يشعر بوعكة، فقد طبخ له أهل القافلة طعاماً. وتركوه عند سجّادته وذهبوا داخل النزل وأغلقوا بابه.

عندما فتحوا الباب صباح اليوم التالي لاحظوا أنّ ثلجاً كثيراً قد هطل، ولكن لا يوجد ثلج أمام سّجادته ويبدو أن الحيوانات التي كانت رابضة هناك طوال الليل حالت دون هطول الثلج في ذلك الموضع،

وشوهدت آثار أقدامها واضحة على الثلج، وقد ذكر الحاج أن أسداً جاء في الليلة الماضية مع أشباله وظلّ هناك حتى الصباح، وقد قلت له: إذا كنت مأموراً (بأكلي) فإنّي خاضع للأمر، ولٰكن من الواضح أنّه لم يكن مأموراً، وقبل الذهاب أكلوا شيئاً من طعامي وذهبوا.

بعد إتمام فريضة الحج رجع الحاج إلى أصفهان، وأقام في ذلك الموضع ظلّة ومكث هناك لمدة سنة كاملة، فكان يذهب في نهاره إلى جبل مجاور اسمه «نقطه جشمه» وفيه غار وعين ماء، وعند الغروب يعود إليها. وكان يعيش في تلك المنطقة رجل صالح يطبخ له في كل يوم مقداراً قليلاً من حساء العدس ليفطر به مساءً، وكان هذا طعامه الوحيد حتى مساء اليوم التالي.

إنّ لهذه الشخصية مكانة كبيرة عند فضلاء إيران ولا سيما فضلاء أصفهان، فقد كانوا يستلهمون من معينها الدافق العزم والإرادة وكان المرحوم الشيخ محمد علي النجفي الكبير من مريديه أيضاً، وكان يزوره كل ليلة جمعة وينهل من معينه العذب ويعرض عليه ما لديه من مشاكل علمية.

في أحد الأيام قال له الحاج: عندما تأتيني الجمعة المقبلة اِجلب لي ديكاً بنفسك نفّذ المرحوم النجفي ما أمره به وأتى له في ليلة الجمعة التالية بديك يحمله شخصياً تحت عباءته وهو راكب المركب بصحبة خدمه. وفي الطريق حاول الديك إخراج رأسه من تحت العباءة وهذا ما جعل الشيخ يمتعض خشية أن يراه الناس حاملاً ديكاً مع ما له من مكانة مرموقة، إذ كان يتصوّر أن هذا العمل يتنافىٰ مع ما له من منزلة بين الناس وهذا ما جعله يشعر بالحرج على طول الطريق، ولمّا وصل إلى الحاج وقدّم له الديك أخذه منه وقال: إنما أردت منك ديكاً، لا ديكاً مسروقاً!!

اندهش الشيخ النجفي من هذا الكلام وأكّد استغرابه من كلام الشيخ هذا مخاطباً إيّاه: إنّي قد أتيت بهذا الديك من منزلي، فقال له: وهذا ما يثير دهشتي لأنّ هذا الديك إذا كان من عندك، فعلى مَ هذا الامتعاض والخشية من رؤية الناس له؟! ظننتُ أنّه ليس منك! ولهذا لا تريد أحداً أن يعرف به.

أجل لقد كان غرض المرحوم إزالة دواعي التكبر والغرور عند الشيخ النجفي، وهكذا كانت سيرة الأكابر في تربية التلاميذ.

كان من جملة مريديه أيضاً مستوفي الممالك الكبير الذي كان يكنّ للحاج تكريماً لا نظير له، وكان كثيراً ما يسافر لأصفهان من أجل زيارته.

يذكر والدي المرحوم أن العلاقة قد ساءت بين ناصر الدين شاه وإمام جمعة أصفهان آنذاك المرحوم مير سيد محمد الذي كان يمتاز بالكفاءة وحُسن السياسة والتدبير، ولهذا السبب أرسل مستوفي الممالك إلى أصفهان ليأتيه بالسيّد. ولما وصل إليها وتحدّث مع السيّد إمام الجمعة رفض الأخير الذهاب وقال له: إنني أرفض الذهاب وإذا كنت مرغماً يمكنك أن تأخذني بالإكراه.

حسب مستوفي الممالك أنّ أخذَ السيّد بالإكراه قد يخلق له بعض المتاعب أو قد يؤدي إلى حصول صدامات، ولمّا ذهب إلى الحاج محمد صادق استشاره بشأن مهمته والمفاوضات التي دارت مع إمام الجمعة، فقال له الحاج: لا تعترضه اِرجع إلى طهران وقل لناصر الدين شاه إن إمام الجمعة رفض المثول إلى طهران ولم أرَ من الصلاح الإتيان به بالإكراه. وأخذ مستوفي الممالك برأي الحاج والتزم بقوله.

وكان قد صادف في تلك الأيام انفصال أفغانستان عن إيران، حيث كان ناصر الدين شاه مستاءً بمرارة مما حصل، ومن البديهي أن عدم

إطاعة إمام الجمعة له سيضاعف من استيائه، وفي تلك الليلة كانت أم الشاه تتقصّى أسباب ودواعي استياء ابنها، ولمّا سألته بيّن لها أن إمام جمعة أصفهان قد أكل الضرائب المستحصلة ولم يرسلها إلى طهران، وقد امتنع أيضاً عن المجيء إلى هنا. فقالت له أمّه: لا تحزن لذلك، تلك أفغانستان قد أخذها منك الأجانب، فما عليك لو تركت أصفهان بيد هذا السيّد، أثّر هذا الكلام في الشاه كثيراً وخفف من شدّة غضبه، وغضّ النظر عن مضايقة إمام الجمعة.

يذكر المرحوم والدي أن شخصاً انتهازياً قد اطّلع على إجلال مستوفي الممالك للمرحوم الحاج، فاستغلّ ذلك وزوّر من عنده كتاباً عن لسان الحاج لمستوفي الممالك لدفع راتب شهري لهذا الشخص قدره ثلاثة تومانات شهرياً وإعطائه طن من الحنطة سنوياً وزور ختم الحاج، وختمه به وقدّمه لمستوفي الممالك، فأمر له وفقاً لمفاد الكتاب. بعد مدة جاء جماعة للحاج وأخبروه أن الشخص الفلاني قد زوّر كتاباً باسمكم لمستوفي الممالك جعل لنفسه فيه تعييناً سنوياً، فاكتب له أن ذلك الكتاب كان مزوّراً وعارياً عن الصحة. قال لهم الحاج: دعوا المساكين يقتاتون من اسم وختم إنسان، فما الداعي لأن نفعل ذلك ونكون سبباً في قطع إرزاق الناس.

وذكر أيضاً أنه جاء في أحد الأيام ظلّ السلطان والي أصفهان آنذاك إلى الحاج محمد صادق وبعد التحية والسلام سأل الحاج: بماذا أنت منشغل فقال له: أدعو لعباد الله فسأله: وهل تدعو للشاه الكبير أيضاً؟ (ويقصد بذلك ناصر الدين شاه) فقال له: نحن ندعو لجميع عباد الله. فكرّر عليه ظل السلطان: وهل تدعو للشاه أيضاً؟ قال الحاج. لجميع عباد الله. وتكرّر هذا السؤال والجواب ثلاث مرات. بعدها ودّعه ظل

السلطان وركب فرسه ليذهب. ولم يسر خطوات إلاّ وألقاه الفرس أرضاً. نهض ورجع إلى الحاج وقبّله واعتذر قائلا: إنّه لم يقصد الإساءة إليه، بل مجرّد المزاح فقال له الحاج محمد صادق، والفرس أيضاً لم يقصد إلاّ المزاح وإلاّ لهلكت.

ومن بعد ذلك قدّم للحاج مبلغاً من المال، فرفضه، فقال له اسمح لي إذن بتوزيعه على الفقراء من جيرانك. فقال رحمه الله: لك ذلك، فقسم المبلغ على الفقراء واعتذر من الحاج ثانية وانصرف.

ذكر أبي أيضاً أنّه مرّ شتاء بردُهُ قارس وتخللته ثلوج كثيرة وفي أحد الليالي قالوا للحاج: أن هناك ثعلباً عند الحائط يرتجف من شدة البرد. قال لهم: إليّ به، فجلبوه. قال له الحاج: لدينا غرفة فيها عدّة دجاجات وديكة، يمكنك المجيء ليلاً والمبيت معها في تلك الغرفة وفي الصباح تذهب على وجهك. وقال لخادمه، خذ هذا الثعلب وضعه في غرفة الدجاج، فكان الثعلب يأتي كل ليلة ويبيت مع الدجاج حتى الصباح حيث يخرج من هناك. وبقي على هذه الحالة مدة من الزمن، وفي إحدى الليالي أكل دجاجة وخرج في الصباح على عادته ولٰكنّه لما عاد ليلاً لم يدخل بل نام عند الحائط. وعندما أخبروا الحاج بقصّته قال لهم: اجلبوه إليّ، فجلبوه، فقال له: لا ذنب لك ولكن غلبتك طباعك فعملت خلافاً لما تعهّدت به، اذهب الآن ونم في المكان الذي تنام فيه كل ليلة ولكن إيّاك أن تعود لمثلها.

بقي الثعلب على تلك الحالة لمدة شهرين يأتي ليلاً ويذهب صباحاً ولم يتعرّض لتلك الحيوانات إلى أن انتهى فصل الشتاء.

وعلى كل حال فإننا نختصر الكلام هنا لأنّ كلام أولياء الحق لا نهاية له.

كان الحاج قد دأب على تخصيص أول ليلة الجمعة لمقابلة العلماء، فكان يأتيه بعض العلماء الذين لديهم أسئلة ويستلهمون من فيضه. وكان قد خصّص صباح كل يوم جمعة لمقابلة سائر الناس، فكان يأتيه الناس ويعرضون حاجاتهم ويحصلون منه على جوابها، وفي ليلتي الاثنين والجمعة كان جدّي المرحوم الملاّ علي أكبر الأصفهاني رحمه الله يبقىٰ عنده حتى الصباح، وعندما يهم بالذهاب يكلّفه الحاج بحاجاته الأسبوعية فيشتريها له من المدينة ويأخذها معه في المرة اللاحقة.

عاش الحاج ٦٣ عاماً ولم يتزوّج حتى آخر حياته، لبّى نداء ربّه في ليلة الاثنين منتصف ذي القعدة الحرام سنة ١٢٩٠ للهجرة القمرية.

يُنقل أنّه أمر ليلة وفاته أن يحفر له قبر في موضعٍ سكنه في تكية «مادر شازده» ثم نام فيه ونهض بعد لحظات قائلاً: هذا ليس قبري وأمر أن يحفر له قبر في نقطة أخرى وهي مدفنة حالياً، فحينها قال: هنا قبري. وأوصىٰ أن يتولىٰ غسله وتكفينه ودفنه الشيخ محمد باقر النجفي وكان من مريديه ومن كبار علماء أصفهان.

يذكر والدي أنّه هطل يوم وفاته ثلج وفير. ولما أخبر المرحوم النجفي بوفاته هرع مع عدد كبير من محبّي المرحوم إلى تخت فولاذ وأخذ بغسله وكفنه. وبعد إتمام شعائر الدفن الفتت للحاضرين وقال: لا بد أن تمضي سنوات حتى يظهر درويش واصل ورجل كامل كالمرحوم محمد صادق بحيث تكون كل حركاته وسكناته وفقاً للشرع المقدس والسُنّة الطاهرة لسيد المرسلين خاتم النبيين صلى الله عليه وآله[1].

---

(١) الكلام ذكره صاحب سيماء الأولياء وكراماتهم

مِن كرامات الشيخ حسن علي الأصفهاني (قدّس سرّه)

الحكاية ١:

إن شخصاً اسمه «صنيعي» من أهل أصفهان وكان يرأس إدارة الهاتف في مشهد، حكى لي قائلاً: أصبت بألم حاد في رجلي فأرشدني اثنان من الأصدقاء واسمهما «حسن روستائي» و«شاهزاده دلوتشاهي» إلى الشيخ حسن علي الأصفهاني واصطحباني إليه لمعالجتي من ذلك الألم. ولما دخلت داره وجدته جالساً في غرفة من طين مفترشاً جلداً وسجّادة. فخطر في قلبي أن هذا الرجل يبغي التدليس على الناس من خلال هذه المظاهر.

وبعد الاستماع لحاجتي أشار إليّ أن أعود إليه بعد يومين، رجعت إليه بعد يومين ولا زال يخالجني نفس الشعور، ولمّا جلست أمامه حدّق فيّ بنظرة جعلتني أجد نفسي فجأة في مدينة آراك حيث كنت قد سكنتها لمدة من الزمن، وإني قد ذهبت إلى دار ابني ولٰكن قيل لي إنّه انتقل من هنا قبل مدة وأعطوني عنوان داره الجديدة، فذهبت لأبحث عنه ورأيت في الطريق عدد من الأصدقاء واتّفقنا على أن يأتوا لزيارتي تلك الليلة،

ولمّا وصلت دار ابني وطرقت الباب فتحته الخادمة ولمّا أردت الدخول، أفقت فجأة على صوت المرحوم ووجدت نفسي مبتلاً بالعرق وفي حالة من الإرهاق الشديد، فأعطاني تعليماته من الدعاء والدواء، ولكنني بقيت في حيرة من أمري بشأن تلك الرحلة من السير والسياحة.

بعد أيام وصلتني رسالة من ابني يعاتبني فيها بأنّك قد جئت إلى آراك ووصلت إلى باب داري ولم تدخل، ولماذا وعدت أصدقاءك وأخلفت الوعد، فجاؤوا ولم يجدوك؟ وأدرك لي في ختام الرسالة عنوان داره في نفس المكان الذي ذهبت إليه في تلك المكاشفة والسياحة.

الحكاية ٢:

نقل لي الميرزا علي الجابري الأصفهاني سنة ١٣٦٣ للهجرة القمرية قائلاً: عزمت على زيارة مدينة مشهد المقدسة، فأوصاني السيد محمد صادق خاتون آبادي وأكّد عليّ بضرورة زيارة الشيخ حسن علي الأصفهاني في مشهد. عند عودتي سألني السيد خاتون آبادي: كيف وجدت الشيخ؟ قلت: لا بأس به. قال: إنّك لم تعرفه حقّ معرفته، ولٰكن إذا واجهتك مشكلة فاتّجه إليه. مرّت على هذه الحادثة سنوات عديدة لم أر فيها الشيخ ولم أراسله إلى أن كانت أواخر سلطة رضا شاه حيث جاءت مجموعة من الناس إلى المحكمة تشكون أن جلاوزة الشاه قد غصبوا أملاكهم وألحقوها بأملاك الشاه. فكلّفت بمتابعة هذه القضية وتقديم تقرير بشأنها. إلا أنّ بعض المطّلعين على الأمور حذروني من مغبّة الحكم لصالح المدّعين لأنّ ذلك يعني إثارة عملاء الشاه ضدّي، وهذا ما يعرّضني للخطر، لكنني حينما ذهبت إلى ذلك المكان وشاهدت عن كثب الوضع المزري والفقر المدقع الذي يعيشه المدّعون لا سيما وأنّهم جميعاً ـ كما فهمت ـ من ذرية الزهراء عليها السلام، لم يسمح لي ضميري

بكتمان الحق وغضّ النظر عن تجاوز جلاوزة النظام. فأصدرت حكمي ضد البلاط ورجعت إلى أصفهان.

بعد عدة أيام أُخبرت بوجوب الذهاب إلى مركز الشرطة، لٰكنني وبدلاً من الذهاب إلى هناك ذهبت إلى دار أحد أصدقائي وتواريت فيها؛ لأنني توقعت أن أسجن إذا ذهبت إلى مركز الشرطة. ثم إني سافرت من هناك إلى شيراز ومكثت مختفياً في دار أحد أصدقائي. وفي أحد الأيام تذكرت حديث السيّد محمد صادق وما أوصاني به بأن أتوجّه إلى الشيخ حسن علي فيما لو وقعت في مأزق. فكّرت أوّل الأمر بمراسلته لكنني تصوّرت إن الرسائل خاضعة للرقابة في طهران ولو أني كتبتُ له رسالة لأوقعته في ورطة، ولهذا السبب صرفت النظر عن مراسلته.

بعد أيام جاء رجل إلى الدار التي كنت مختفياً فيها بشيراز وأخبر صاحب الدار أنّه يحمل رسالة من الشيخ حسن علي الأصفهاني إلى الميرزا علي الجابري على عنوان هذه الدار، ما كان صاحب الدار يعرف الشيخ حسن علي ولذٰلك ظل مبهوتاً لا يدري بماذا يجيب، وكنت أنا في غرفة مغلقة مجاورة اسمع كلامهما، فصرخت من مكاني: نعم، الرسالة لي. فتح صاحب الدار الباب وتسلّمت الرسالة من الرجل، وكان مكتوب فيها: لقد خشيت أن تكتب لي رسالة، أما أنا فلا أخشىٰ عملاً كهذا. وتضمّنت الرسالة تعليمات أيضاً عليّ القيام بها خلال ثلاثة أيام ليحصل الفرج بعدها بإذن الله.

واصلت الذكر والدعاء لثلاثة أيّام كما أوصاني، ومن بعدها وصلتني برقية من أصفهان تشير أن بلاط الشاه طلب حضوري وإنني سأحظى برعاية الشاه شخصياً. ذهبت من فوري إلى أصفهان ثم إلى طهران واتجهت إلى بلاط رضا شاه. كافأني الشاه وأجزل لي العطاء، ثم رجعت إلى محل عملي ورُقّيتُ فيه درجة.

الحكاية ٣:

ينقل الشخص المكلّف بإنارة المصابيح في صحن الإمام الرضا عليه السلام بأنّ مدير الإدارة في الصحن الشريف واسمه دولتشاهي عزلني عن عملي، وفي أحد الأيّام ذهبت إلى الشيخ حسن علي وحدّثته عن حالي، فأعطاني قطعة من السكر لأضعها في الشيا الذي يشربه دولتشاهي، قلت: لا يتيسّر لي ذلك، قال: اِذهب وستجده يسيراً، فذهبت من ساعتي إلى مكتب الإدارة، وقابلني خادمه الخاص قائلاً بدون مقدمة: إذا أردت وضع شيء في طعام المدير، فالوقت مناسب الآن، أعطيته قطعة السّكر فوضعها في شايه وأخذه له، أما أنا فقد خرجت من المكتب إلى باحة الصحن، ولم تمض لحظات حتى طلب المدير إحضاري، ولما حضرت أمرني بالعودة إلى سابق عملي.

الحكاية ٤:

نقل المرحوم السيّد أبو القاسم الهندي: ذهبت إلى الشيخ حسن علي في جبل «معجوني» المتاخم لمدينة مشهد. وفي تلك الأثناء ظهر قرب الجبل شخص يدعىٰ «محمد قوش آبادي» وهو رجل متمرّد، وقد زعزع الأمن في تلك المناطق، ووجّه لنا تحذيراً: إذا تحرّكتم سأقتلكم. عندها سألني الشيخ: هل أنت على وضوء؟ قلت: نعم. أمسك بيدي وقال: أغمض عينيك. بعد عدة ثوان، لم نكن مشينا لأكثر من خطوتين أو ثلاث حتى قال الشيخ: اِفتح عينيك. ولما نظرت وجدت أننا عند بوابة المدينة.

ذهبت إليه ثانية بعد ظهر ذلك اليوم، شاهدت إلى جانب الغرفة إناءً كبيراً مليئاً بالأعشاب. سألني عما في الإناء، قلت: لا أدري. وسألني أيضاً أسئلة أخرى أعلنت له عن عدم علمي بها. ثم سألني: هل أخبرت

أحداً بما جرى صباح اليوم؟ قلت: لا. قال: حسناً أنت مالك لزمام لسانك، ويجب عليك ألاّ تخبر أحداً بذلك ما دُمت أنا حياً، ولو حدثت به فسيكون سبباً لموتك.

الحكاية ٥:

بعد عدة سنوات ذهبت لزيارة الشيخ في «حصار سرخ» وكان حينها منهمكاً في رياضته الروحية، وفي اليوم الأخير عندما أردنا المجيء إلى مرقد الإمام الرضا عليه السلام وصلناه بنفس تلك الطريقة خلال ثوان فقط. وفي أثناء ذلك شاهدنا أفراد القافلة المتّجهة من مشهد إلى «حصار سرخ» إلى جوار الصحن الشريف عند طلوع الشمس، وأخبروا أهالي منطقة «حصار سرخ» بأنّهم قابلوا الشيخ قرب الصحن، وكان هذا سبباً في ا ستغراق ودهشة أهالي تلك المنطقة لأنّهم شاهدوه في ذلك الوقت في منطقتهم «حصار سرخ».

الحكاية ٦:

يذكر السيد أبو القاسم نفسه أنّه بالإضافة إلى الحالتين المار ذكرهما فإن الشيخ قد جعلني أطوي الأرض في ثلاث موارد أخرى؛ مرة لزيارة سيد محمد في سامرّاء، وذهبنا مرتين لزيارة ضريح سيد الشهداء في كربلاء. إلاّ أنه أخذ عليّ عهداً بأن لا أبوح بهذه الوقائع، وإلاّ فستكون تلك آخر سنة من عمري.

الحكاية ٧:

ينقل نفس هذا السيّد أيضاً أن الشيخ أمرني في أحد الأيام بالذهاب إلى مدينة «تربت» والمبيت على جبل «بيجك صلاة» وقطف كمية من الحشائش التي عيّن لي صفتها قبل شروق الشمس والإتيان بها إليه.

ذهبت إلى هناك لكن الأهالي حذّروني من المبيت في ذلك الجبل وقالوا إن فيه أرواحاً تؤذي الأشخاص الذين ينامون هناك، إلا أنني لم أُبالي لقولهم وذهبت إلى الجبل، وما إن حلّ وقت المغرب حتى بدأت تتناهىٰ إلى سمعي أصوات متباينة حتى أن فرسي صار لا يقر له قرار وكأنّه يريد الهرب من شيء. وصرخت فجأة: أنا مبعوث من قبل الشيخ حسن علي وإذا لم تكفوا عني فسأشكوكم عنده، وحينذاك انقطعت الأصوات ولم أتعرّض لأي أذيٍ وبتّ ليلتي هناك.

قبل شروق الشمس قطفت الحشائش كما أمر الشيخ وفكّرت مع نفسي بقطف المزيد منها عسى أن تنفعني يوماً ما.

ما كدت أمدّ يدي لقطفها حتى رأيت أحجاراً تتدحرج نحوي من أعلى الجبل فجفل فرسي وقطع لجامه وأراد الهرب لكني قبضته وأحكمت رباطه، تصورت في باديء الأمر أن سقوط الأحجار من الجبل حالة طبيعية. حاولت كرة أخرى قطف شيء من تلك الحشائش لكن الأحجار بدأت تتدحرج نحوي مرة أخرى، أدركت حينها أن الأمر غير طبيعي وكففت عن فعلي.

سارعت في العودة إلى مشهد ودخلت على الشيخ. لما وقع بصره عليّ قال: مالك وهذا الفضول؟ لماذا أردت قطف كيمة من الحشائش أكثر ممّا أمرتك؟ أدركت عند ذلك أن ذلك الرجل الفاضل كان يراقب تصرفاتي وأفعالي طوال فترة ذهابي لإنجاز المهمة.

الحكاية ٨:

كذلك نقل لنا السيّد أبو القاسم الهندي قائلاً: ذهبت أنا وأحد الأصدقاء بأمر الشيخ حسن علي إلى جبل «هزار مسجد» لجلب نوع من

الأعشاب. ولمّا بلغنا الموضع المحدد قطفت الأعشاب ورجعنا، فشاهدت أثناء العودة عشباً في الوادي لفت نظري فقطفت منه شيئاً وأحرقته ووضعت سكّة نحاسية فيه ونفخت فيه فأنقلب لون السكّة بعد لحظات. وجرّبت أيضاً نوعين آخرين من الأعشاب حول لون أحدهما إلى أصفر، وقلّب الآخر إلى أبيض.

جلسنا للاستراحة في أعلى ذلك الوادي وشعرنا بالعطش فأرسلت صاحبي إلى أسفل الوادي ليأتينا بالماء وبعد ساعة رجع خالي اليدين وقال: إن في أسفل الوادي ضجّة وقد ملأت الدلو عدة مرات لكنهم أخذوه من يدي وسكبوه لكني لم أشاهد أحداً. أخذت الدلو بنفسي ونزلت إلى أسفل الوادي وحصل معي نظير ما حصل مع صاحبي. فصحت مذعوراً وبصوت عالٍ: أنا مبعوث الشيخ حسن علي الأصفهاني، إذا تعرّضتم لي بالأذى فسوف أشكوكم عنده. تناهى إلى سمعي صوت ضحكة ولم يعد أحد لمضايقتنا، فأخذت الماء وذهبت.

لما دخلنا على الشيخ قال: لولا أنّك ذكرت اسمي لما استطعت أن تأخذ الماء. وأعلم أن المضايقة التي تعرّضتم لها كانت بسبب تصرّفك الفضولي. فما الذي دعاك لبطف الأعشاب واختبارها من غير إذن؟!

الحكاية ٩:

نقل لنا مجموعة من الأصدقاء عن رجل اسمه: الملاّ محمد وكان خادماً وحارساً على سطح بناء مرقد الإمام الرضا عليه السلام أنّه حكى لهم أن الشيخ حسن علي الأصفهاني كان يبيت ليالي الجمعة فوق سطح الحرم الطاهر للعبادة والتهجّد. استأذنته في أحد الليالي للذهاب خارج المدينة لحراسة بستان عنب لي هناك. فقال لي: لا تذهب ليلة الجمعة لمثل هذه

الأعمال والأفضل أن تبقىٰ هنا وإذا كنت قلقاً على بستان العنب فسوف أأمر بحراسته.

قضيت ليلتي تلك في الحرم وبعد صلاة الفجر وقبل شروق الشمس خرجت قاصداً بستاني، ولمّا وصلته وجدت رجلاً، ومعه خرج، جالساً على الحائط صحت: من أنت؟ لم يصدر منه أي جواب، اقتربت منه، لم يتحرك. سحبت رجله فسقط من أعلى الحائط، مرغت أكتافه إلى أن استعاد وعيه. سألته: من أنت؟ قال: في الحقيقة أنا جئت للسرقة، ولمّا تسورت الحائط اقتربت منّي قطة وصرخت في وجهي ب صوت مهيب أفزعني وجعلني أفقد وعيي، وبقيت على تلك الحالة حتّى استعدت وعيي الآن.

الحكاية ١٠:

يقول ابن رضيعة والدي واسمه عبد العلي: جئت أنا والشيخ من «ظفرة» صوب أصفهان وكنت أحمل على كتفي عنزةً. ولما رأت الحيوانة قطعان الأغنام في الطريق صارت ترفس بأرجلها وتثغو ثغاءً عالياً وآذتني كثيراً، سألني الشيخ: مالك تأخرت؟ قلت: هذه العنزة آذتني. قال: إليّ بها. جئت بها إليه، فهمس في أذنها، وقال: خلّ عنها. فكانت العنزة تسير وراءنا بقية الطريق لمسافة سبعة فراسخ حتى وصلنا إلى المدينة من غير أن تسبب لنا أي إزعاج أو تلتفت إلى سائر الأغنام.

الحكاية ١١:

نقل الكربلائي رضا الكرماني مؤذّن الروضة الرضوية المقدّسة أني كنت بعد وفاة الشيخ أذهب إلى مزاره كل يوم بين الطلوعين وأقرأ له الفاتحة، وفي أحد الأيام غلبني النوم هناك فرأيت في عالم الرؤيا أن

الشيخ يقول لي: لماذا لا تقرأ لي سورة ياسين وطه؟ قلت: أنا رجل أُمّي. قال: اِقرأ وتكرّر هذا الكلام بيننا ثلاث مرات. انتبهت من النوم وإذا بي حافظ لذينك السورتين ببركة ذلك الرجل الكبير.

وبقي إلى آخر حياته يقرأهما على قبره كل يوم.

الحكاية ١٢:

ذكر السيّد علي أكبر قوام زاده الكدكني: إن ابني ظلّ يعاني من مرض الأكزما لمدة عامين، وعجزت عن نفعه كل أنواع العلاج، فصعب علينا الأمر، وعليه ذهبت في أحد الأيام إلى مزار الشيخ وخاطبته قائلاً: يا شيخ كنت في حياتك خير نصير للمساكين، فكن في موتك كذلك ومُدّ لنا يد العون.

وفي نفس الليلة رأيته في المنام وكأنّه يقول لي: تأخذ مثقالين من ورق العنّاب وتغليه بالماء ويشربه المريض، تستمر على هذا لثلاثة أيّام. عملت بما رأيت في المنام، فشفي من ذلك المرض نهائياً ولم يعاوده ثانية.

الحكاية ١٣:

نقل الشيخ مختار الروحاني: في أحد الأيام التمستني امرأة علوية فقيرة عباءة ومقنعة، فقلت لها: ليس عندي الآن ما يسدّ حاجتك. وصادف أن ذهبت في ذلك اليوم إلى الشيخ حسن علي الأصفهاني وعرضت عليه حاجتي، ولما أردت الخروج من عنده، أعطاني مبلغاً من المال وقال: اشتري بهذا المبلغ عباءة ومقنعة لتلك العلوية، ثم أضاف إلى ذلك توماناً وحوالة لاستلام ثلاث كيلوغرامات من الرز لأقدمها لها.

بقيت مندهشاً متفكّراً كيف عرف الشيخ أن امرأة طلبت مني عباءة

ومقنعة. نهضت من عنده فخطر على ذهني أن لا أُعطيها التومان وحوالة الرز حالياً بل أرسلهما لها فيما بعد، ولكن تناهت إلى سمعي صيحة من الشيخ أن: اِفعل ما أمرتك ولا تتصرف من عندك.

الحكاية ١٤:

حكى لنا رجل يعمل في حياكة الحُصُر يقول: بعد أن وضعت زوجتي حملها ظلّت تعاني ثمانية أشهر من جفاف صدرها، فلم يكن فيه حليب لإرضاع وليدها. وكان ذلك يثير في نفسي الألم والقلق إلى أن نصحني أحد الأصدقاء بالذهاب إلى الشيخ. جئته صباح أحد الأيام فرأيت أن قد سبقني بعض الناس في انتظار دورهم وفجأة صاح الشيخ: ليأت الذي ليس عند زوجته حليب.

جلست بين يديه فناولني ثلاث تينات وقال: كل يوم تأخذ زوجتك واحدة منها وتقرأ سورة الإخلاص ثلاث مرات، وتصلّي على النبي ثلاث مرات أيضاً. ذهبت إلى البيت مباشرة وأعطيت زوجتي واحدة منها فلم تمض ساعة حتى أخبروني أن الحليب طفح من ثدييها وبلل ثوبها. لقد كان الأمر مثيراً للدهشة حتى أن نساء جيراننا لم يصدقن الخبر إلى أن شاهدنه عياناً.

والخلاصة أن زوجتي وعلى الرغم من جفاف صدرها لمدة ثمانية أشهر، إلاّ أنها صارت ذات حليب يُرضع إضافة إلى طفلها، أطفالاً آخرين أيضاً.

الحكاية ١٥:

نقل لنا السيّد محمد رياضي اليزدي، الشاعر المعروف، عن رجل اسمه الشيخ إبراهيم قال: جئت من جيلان لزيارة المشهد المقدس

وأنفقت كل مالي في تلك المدينة وبقيت بلا نفقة. وحسبت أني أحتاج إلى خمسمائة تومان للعودة إلى بلدتي.

ذهبتُ إلى الصحن الشريف وعرضت على الإمام أني أحتاج خمسمائة تومان كنفقة للعودة إلى مدينتي، وإني أنتظر رحمة الله. ولكن لم يحصل شيء حتى اليوم التالي. عاودت الذهاب إلى الصحن الشيرف وقلت: سيدي أنا متسوّل متكبر عرضت عليك حاجتي فلم تقضها، وها أنا أعرضها ثانية فإذا لم تنظر إليّ بعين الرحمة، فلن أعود ثانية ولن أقول شيئاً، ولكني سأذكر أن الإمام الرضا عليه السلام لا يكرم ضيفه.

لمّا خرجت من الصحن سمعت صوتاً من ورائي يُناديني، التفتّ وجدته شيخاً عرفت فيما بعد أنه الشيخ حسن علي الأصفهاني. قال لي: لقد أسأت الأدب في مخاطبا الإمام، وما هكذا الأدب في خطاب الأئمة، ثم سلّمني مظروفاً. تعجّبت كثيراً من اطلاعه على مكنونات باطني وعلى الكلام الذي قلته في صحن الإمام سرّاً.

جئت إلى البيت وفتحت المظروف وإذا فيه خمسمائة تومان. قررت الذهاب صباحاً إلى داره لأسأله كيف اطّلع على ما في قلبي ومن أين له هذا المال؟ ولكن رأيت في المنام أنه جاءني إلى باب منزلي وقال: اِسمع يا شيخ إبراهيم، كنت بحاجة إلى خمسمائة تومان فأعطيناك، أما كيف علمنا، ومن أين أتينا بالمبلغ؟ فلا شأن لك به، واْعلم أنك إذا أردت المجيء إلى دارنا للاستفسار عن ذلك فلن نستقبلك. استيقظت من النوم ولم أذهب إليه بل رجعت إلى جيلان.

الحكاية ١٦:

نقل رجل طاعن في السن يقول: كُنّا فيما مضى نقوم بعمليات السطو

أنا واثنان من رفاقي، وكنا نسكن في منطقة «محمد آباد»[1] وكنّا نخرج كل يوم بين الطلوعين ونسلب الناس.

كنا نرى كل يوم شيخاً مسدلاً عباءته على رأسه يمرّ من الطريق ويذهب إلى مكان مجهول. تصوّرنا أنه تاجر يسبق الآخرين للقاء القوافل والتعامل معها في البيع والشراء، ولهذا قررنا سلبه. وفي فجر اليوم التالي لاح لنا الشيخ كعادته فتبعناه، مال عن الطريق الرئيسي فازددنا فرحاً لخلوّ الجو هناك. بعد أن قطعنا مسافة في متابعته رأينا فجأة أنواعاً من الحيّات وقد همّت بالانقضاض علينا، فصحنا: يا شيخ أنقذنا فالحيّات ستقتلنا. استدار الشيخ إلى الوراء قائلاً: ما شأنكم وإياي؟ قلنا: أردنا أن نسألك سؤالاً. قال: ولماذا لم تسألوني على الطريق العام؟ بل كان غرضكم سلبي. فإذا تبتم الآن من عملكم نجوتم وإلاّ فإن الحيّات ستقضي عليكم.

أشار الشيخ على الحيات فغدت جامدة لا تتحرّك، تبنا من عملنا ذاك وأعلنّا ندمنا منه، ونجونا من شرّها. ولم يبق الآن من الثلاثة إلاّ أنا فصاحبيّ قد فارقا الحياة.

الحكاية ١٧:

ذكر لنا رجل اسمه حسن الإسلامي وكان يبيع الدواء قائلاً: أُصبت بمرض النواسير[2]، وكنت أرهب العملية الجراحية، وقد دلّني أحد الأشخاص على الشيخ حسن علي الأصفهاني فذهبت إليه واستنجدت به، فأعطاني عدة تينات وقال: تناول واحدة منها يوماً ثم عُد إليّ مرة أخرى لأعطيك دواء، إن الكثير من الأمراض دواؤها النسيان.

---

(١) «محمد آباد»: قرية متاخمة لمدينة مشهد المقدسة جنوباً، وأقيم فيها حالياً مطار المدينة.

(٢) «النواسير»: جراحة تجتمع في زاوية العين، وعند جذر السن، وعند المخرج.

تناولت واحدة منها واستأذنت منه. وخلال ثلاثة أيام نسيت بالمرّة كل ما كان بي من مرض وألم، إلى أن تذكرت حالتي بعد مدة ورأيت أن لا وجود للألم أو الجرح في ذلك الموضع، وقد مضت حتى الآن ثمانية عشر سنة ولم يعاودني شيء من ذلك المرض.

الحكاية ١٨:

سمعت عجوزاً تقول: كانت لي بقرة تدرّ عليّ لبناً وفيراً ولٰكنه بدأ يتناقص تدريجياً. ذهب إلى الشيخ حسن علي الأصفهاني وكان في «جاغرق» (من مصايف مدينة مشهد المقدّسة) يمارس رياضته الروحية، وشكوت له ما حصل لبقرتي. قال: أخبريني صباح الغد قبل أن تحلبيها. وفي اليوم التالي جاء على الموعد المقرّر ووقف قرب البقرة ومسح بيده على ظهرها، فيما أخذت أنا أحلبها، وكان الحليب من الكثرة بحيث ملأ دلو الحليب. فسألني. أيكفي هذا؟ قلت: نعم. واستمرّت تدرّ عليّ دلواً من الحليب يومياً.

الحكاية ١٩:

نقل لنا الحاج ذبيح الله العراقي وهو من الصلحاء أن القصة التالية بلغت حدّ التواتر وهي أن الشيخ محمد علي القاضي البازني العراقي نظم قصيدة في مدح سادن الروضة الرضوية المقدسة على أمل أن يقرأها عليه وينال منه صلة، لكن أحد الأشخاص نصحه أن ينظم بدلها قصيدة بشأن الإمام الرضا عليه السلام، تقبل النصيحة وترك القصيدة الأولى ونظم بدلها أخرى عن عظمة ومكانة الإمام الثامن، وقرأها في الصحن الشريف.

يقول الشاعر: بعد الانتهاء من قراءتها جاء شخص وأعطاني عشرة تومانات. فقلت مخاطباً الإمام: هذا المبلغ قليل، ثم عاودت قراءة

القصيدة مرة أخرى. فجاء شخص أيضاً وأعطاني عشرة تومانات أخرى. وهكذا كرّرتها ستّ مرات حتى حصلت على مبلغ ستين توماناً.

ذهبت صباح اليوم التالي إلى الشيخ حسن علي. فقال: يا شيخ محمد علي كنت البارحة تناجي الإمام الرضا عليه السلام وألقيت شعراً وحصلت على مبلغ ستين توماناً، فأعطني ذلك المبلغ. أعطيته الستين توماناً، فأعطاني بدلها مائة وعشرين توماناً وقال: تذهب صباح الغد إلى السوق وتشتري بغال تركمانية بعشرين توماناً، وتنفق عشرين توماناً أخرى على سائر مستلزمات السفر والهدايا، وعند وصولك إلى العراق تبيع البغال بقيمة أربعين توماناً تضيفها إلى مبلغ الثمانين توماناً المتبقّي لديك وتشتري بها بقرة ونعجة وتعمل بالزراعة وتربية الحيوان وستكسب رزقك منها، ولا ترتزق بعد ذلك على الحقوق الشرعية، ولا يفوتك أن تكون ممّن يبلّغ للدين ويحثّ على الالتزام بالأحكام الإلٰهية.

الحكاية ٢٠:

قال الحاج حسين الأزغدي وهو مصلّح ساعات: كان لي أخ مصاب بالصرع، فسقط في أحد المرّات وهو مصروع في ساقية الماء ومات، فأخذ الماء جسده حتى بلغ قنطرة فانحشر فيها وأغلق مجرى الماء، ولمّا جاؤوا للبحث عن سبب انقطاع الماء عثروا على الجسد تحت القنطرة بعد ساعة أو ساعتين. ولمّا أخبرونا جئنا وطرحنا الجسد أرضاً وغطّيناه بقماش.

في تلك الفترة كان الشيخ حسن علي الأصفهاني يسكن في قريتنا واسمها «حصار» ومشغول برياضته الروحية. ذهبنا إليه باكين وحدّثناه بما جرى، جاء ووقف على الجسد وأشار بإصبعه على جبهته ودعا بدعاء،

فعطس أخي من فوره وقام، على الرغم من بقائه في الماء تحت القنطرة ما يقارب الساعتين.

الحكاية ٢١:

سمعت من رجل يدعى أبو القاسم المجتهدي يقول: مضت عليّ فترة مديدة وأنا أعاني ألماً في قلبي عجز الأطباء عن علاجه. ذهبت إلى الشيخ وحدّثته بأمري، وكان شفائي على يده بأن مسح بيده الكريمة على جسدي فزالت كل آلامي.

الحكاية ٢٢:

حدثني محمد جواد الدرّي قائلاً: بينما كنت أقرأ الفاتحة يوماً على مزار المرحوم حسن علي (طاب ثراه)، إذ جاء رجل إلى ذلك المكان أيضاً وجلس عند المزار وأطال البكاء. فانهمرت دموعه بغزارة سألته عن سبب بكائه. قال: كان صاحب هذا القبر راكاً في سيارتي في أحد الأيام لأوصله إلى مدينة «تربت» وفي الطريق نفذ الوقود وتوقّفت السيارة، وكان عليّ أن أقطع مسافة فرسخين سيراً على الأقدام حتّى أبلغ طريق السيارات المارة بين مشهد وطهران، لآخذ منها كمية من الوقود. إلا أنّ الشيخ أمرني بتشغيل السيارة. قلت له: إنها خالية من الوقود. لٰكنه أصرّ على أن أشغّلها وأنا رفضت طلبه، إلا أنّ إصرار بقية الركّاب على التشغيل، وقولهم: ماذا عليك لو شغّلت لعل هذا الشيخ يعرف أمراً، أرغمني على أن أجلس وراء المقود، وشغّلت، فاشتغلت السيارة وسط دهشة بالغة. فصعد الركّاب ووصلنا إلى المدينة.

هنالك قال لي الشيخ: ما دام مخزن الوقود مغلقاً فلن تحتاج الوقود أبداً. بقيت أتنقّل بالسيارة من مكان إلى آخر وأنقل الركاب لمدة خمسة

عشر يوماً من غير أن أضع فيها الوقود. لكن الهواجس دفعتني في أحد الأيام لفتح مخزن الوقود لأرى ما فيه، فوجدته جافاً لا وقود فيه، ولٰكن مما يؤسف له أن سيّارتي لم تعد تتحرّك بلا وقود.

الحكاية ٢٣:

روى لنا أحد الحرّاس قائلاً: كانت زوجتي مريضة لمدّة مديدة، إلى أن آل بها الحال إلى البقاء طريحة الفراش لمدة ستة أشهر، بلا قدرة على الحراك. نصحني بعض الأصدقاء بالذهاب إلى الشيخ الأصفهاني، ذهبت إليه وشكوت له مما تعانيه زوجتي، ناولني تمرة وقال: كل. قلت: زوجتي هي المريضة! قال: كُل أنت التمر وهي تشفى.

تصوّرت في نفسي أن علاج زوجتي ميؤوس منه لكنه لم يشأ أن يردّني خائباً. ولمّا رجعت إلى داري وطرقت الباب، غمرتني الدهشة لمّا رأيت زوجتي المريضة قد فتحت لي الباب ورأيت بيدها مكناسة. سألتها مستغرباً: ما الذي جعلك تقومين من الفراش؟ قالت: شعرت قبل ساعة وكأن شيئاً ثقيلاً قد أزيح عنّي، وأحسست أني قد شفيت، فنهضت وبدأت أنظّف الدار.

يقول الحارس: لقد كان شفاء زوجتي تماماً في نفس اللحظة التي تناولت فيها التمر من يد الشيخ.

الحكاية ٢٤:

نقل لنا السيد إبراهيم شجاع الرضوي عن لسان خادم منزل المقدم نوائي مدير الشرطة آنذاك قائلاً: في إحدى الليالي ورد على دار المقدّم ضيوف من طهران. كتب مدير الشرطة رسالة وأعطانيها لأُوصلها إلى دار الشيخ حسن علي الأصفهاني. ذهبت وسلّمته الرسالة، وبعد أن فرغ من

قراءتها جاء معي إلى منزل المقدّم نوائي وبدأ يتحدّث مع ضيوفه، وكنت أسترق السمع من وراء الباب. كان محور الحديث يدور حول موضوع القدرة الإلهية حيث كانوا ينكرون ذلك.

بعد ساعة أمر الشيخ بأن تملأ جفنة (صينية) كانت على كرسي، بالماء، ثم أنه رفعها وتركها في الهواء فلم تسقط ولم ينسكب ماؤها، فخاطب الضيوف متسائلاً فيما إذا كان بإمكانهم إفراغ مائها، فحاولوا ذلك لكنهم لم يفلحوا حتى ولوا في إفراغ قطرة واحدة، وظلّت الجفنة معلّقة في الهواء.

بعد مشاهدتهم لقدرة الشيخ هذه رضخوا جميعاً لكلامه، وقبّلوا يده إكراماً وإجلالاً.

الحكاية ٢٥:

سمعت المرحوم أبا القاسم أوليائي المشرف على تدريس مادة الكيمياء في مدارس مشهد يقول: كنت أختلف كل جمعة إلى الشيخ حينما كان يسكن خارج المدينة. في أحد الأيام وأنا في طريقي إليه كنت أتأمل عبارة للشيخ ابن سينا، وتصوّرت أنّها غير تامّة، وعندما وصلت إلى الشيخ بادر ـ من غير أن أعرض عليه شيئاً ـ إلى قراءة عبارة ابن سينا وحلّ لي مشكلها. ثم قال: لا يصح أن ينسب الإنسان الخطأ إلى رجال العلم الكبار من أمثال ابن سينا، من غير تدقيق وتأمّل.

الحكاية ٢٦:

يقول السيّد مرتضى اللاريجاني: ذهبت إلى مدينة مشهد للزيارة وكانت ليلة جمعة فبقيت في الحرم الشريف حتى الصباح، ولما خرجت من الصحن الشريف قابلني محمد بن الميرزا عبد الله الچهل ستوني عند

الباب وقال لي: أن الشيخ حسن علي الأصفهاني يطلبك، اذهب لمقابلته غداً في الموضع الفلاني، قلت: لا أعرف هذا الشخص. قال على كل حال هو يعرفك، وقد أوصاني بانتظارك عند باب الصحن، وعند خروجك أخبرك بطلبه إيّاك، ذهبت في اليوم التالي كما أشار الرجل إلى ذلك المكان لمقابلة الشيخ فوجدت جمعاً غفيراً محتشداً فوقفت خلفهم.

دعاني إليه فجأة وقال: إنّك طلبت في ليلة الجمعة من الإمام حاجتين، وستقضي لك إحداهما، تعال غداً لنبحث ذلك. ذهبت إليه في اليوم التالي على الموعد المقرر وذهبنا سوية إلى مزار «پير بالاندوز»، وشرح لي هناك إحدى الحاجتين. وكان سؤالاً علمياً. ثم قال: أما حاجتك الأخرى فهي الانتفاع بمحضر أحد الفضلاء الكبار ولكن لم يظهر عنه شيء إلى الآن.

عدت إلى مدينتي، وبعد سنة ذهتب إلى مشهد، وعرضت حاجتي الأخرى عليه فقال: لم يتبيّن شيء وفي السنة اللاحقة ذهبت إليه أيضاً. فقال: لقد أُضيئت الآن في مدينة گلپايگان نار، وأنت ستدركه وتنهل من فيضه. فقلت: لماذا لم تخبرني قبل هذا؟ قال غاضباً: لماذا لا تفهمني، لو حصل أمر في مكان ما لاطّلعنا عليه، وهذا الشخص هو إمام جمعة گلپايگان، وكان إلى قبل ستة أشهر ينهل من فيض الآخرين، إلا أنّه غدا اليوم فيّاضاً. وأمرني بالسفر إلى گلپايگان.

انطلقت إلى گلپايگان بناءً على أمره، ولكن لما بلغت شساهرود صرت أفكّر كيف عرفني الشيخ، وعن أي طريق عرف بقدومي إلى مشهد، وكيف اطّلع على ما طلبته من الإمام الرضا عليه السلام. وعلى هذا فهو نفس ذلك الرجل الذي كنت أتمنى إدراك محضره، ولهذا السبب ما كان يقول: لم يحصل أمر هنا، وإنّما كان يقول: لم يحصل أمر في مكان ما.

وبالنتيجة أسفت بشدّة على غفلتي وقررت العودة. لكنني فكّرت في أن من الأفضل الذهاب أوّلاً إلى گلپايگان، ثم أذهب إلى الشيخ لاحقاً، ذهبت إلى گلپايگان وحظيت برؤية إمام الجمعة مرة واحدة حيث توفّي بعدها، ولم تمض فترة طويلة حتى سمعت بخبر وفاة الشيخ.

الحكاية ٢٧:

سمعت من الكثيرين أن الحاج كوچصفهاني - وهو من أعيان وملاكي كوچصفهان - ذكر لهم قائلاً: أُصبت بمرض السكر، وكانت الإصابة شديدة بحيث إن الضعف كان يستحوذ عليّ بين فترة وأخرى إلى أن سافرت إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام وفي الصحن الشريف اعترتني حالة من الضعف والانهيار، فأرشدني أحد خدّام الروضة الرضوية إلى الشيخ. ولمّا جلست عنده وشرحت له حالتي، أعطاني قطعة من السّكر وقال: تناول هذه فالكثير من الأمراض يزول بالنسيان.

تناولت قطعة السكر، بعد ثلاثة أيام نسيت مرضي، والتفتّ في ذلك اليوم إلى زوال كل آثاره. أخبرت الشيخ بحالتي. قال: لا تحدّث أحداً بهذا. ولكنني وبعد عشر سنوات كنت جالساً بين جماعة وحدّثتهم عن شفائي من ذلك المرض على يد ذلك الشيخ، فعاد عليّ المرض.

الحكاية ٢٨:

حدثني اثنان من كسبة سوق مشهد: أصابنا فقر مدقع، فذهبنا على أثره إلى الشيخ حسن علي الأصفهاني وكان قبلنا أناس آخرون ينتظرون دورهم، إلا أنّ الشيخ طلبنا فجأة من بين الآخرين وقال لأحدنا: عليك أن تؤدي عملاً ولكنك لا تؤدّيه، وقال للآخر: أما أنت فتقوم بعمل لا ينبغي لك القيام به، اذهبا وأدّيا ما عليكما حتى يصلح وضعكما.

واعترف أن أحدنا كان تاركاً للصلاة، والآخر كان يشرب الخمر.

التزمنا بواجبنا كما أوصانا الشيخ فحسنت حالتنا المعاشية.

الحكاية ٢٩:

أقمت مجلس فاتحة بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة والدي المرحوم الشيخ حسن علي الأصفهاني، ودعوت رجلاً اسمه الحاج علي البربري ليقوم بالطبخ وإعداد الطعام للحاضرين. وحينما كان منهمكاً بإعداد المرق رأيته يبكي بحرقة ويضع يديه بلا وجل في القدور التي فيها أطعمة تغلي. ولاحظت على العموم أنّه فقد اتّزانه.

سألته: مالك يا حاج تبدو قلقاً؟ فازداد بكاء بعد سؤالي إيّاه، وقال: ليكن ما يكن، سوف أنقل ما جرى، ثم أضاف: في كلّ سنة كنت أذهب إلى الحج، كنت أرى الشيخ في مواقف عرفة والعيد والأيام الأخرى وهو منهمك بالعبادة أو الطواف ظننت أوّلاً أن الشبه الظاهري لهذا الرجل مع الحاج هو الذي أوقعني في مثل هذا الخلط، ولأجل أن أقطع الشك باليقين تقدّمت إليه وسلّمت عليه وسألته هل أنت الشيخ الحاج؟ قال: نعم. قلت: لماذا إذن لا أراك قبل هذه الأيام ولا بعدها؟ والآخرون أيضاً لم يروك هنا لحدّ الآن؟ قال: هو كما تقول وإني سأطلعك على سر وأرجو أن لا تبوح به لأحد وإلاّ فسوف تكون تلك آخر سنة في حياتك. نعم تلك الكرامة رأيتها بأُم عيني. وقد رحل ذلك الرجل الكبير عنّا ولا أتصور أن البوح بذلك السر ينطوي على أيّة مشكلة.

حدثنا الحاج بهذه الواقعة في شهر رمضان، ومن بعد ذلك عزم على الذهاب إلى الحج فحزم أمتعته وسافر من مشهد إلى كربلاء، فكانت وفاته هناك.

الحكاية ٣٠:

حكى لنا الميرزا علي نقي القزويني: طلب مني أحد تجّار شاهرود أن يدعو له الشيخ (قدّس سرّه) بأن يرزقه الله غلاماً. ولما عرضت ذلك على الشيخ قال: لينذر نذراً، إذا صار له غلام يدفع مبلغ ثلاثين توماناً.

بعد مدة قصيرة رزقه الله غلاماً، إلا أنّه امتنع عن دفع المبلغ. أردت دفع مبلغ النذر نيابة عن ذلك الرجل من مالي، إلا أنّ الشيخ اطّلع على نيّتي القلبية فقال: من أراد الغلام هو الذي يدفع النذر، أما أنت فلا علاقة لك بالموضوع. طرحت الموضوع على الرجل مرة ثانية فكان جوابه إن الله شاء أن يرزقني غلاماً ولا علاقة لأحد بهذا الموضوع. وفي أحد الأيام جاء الشيخ إلى دكّاني لشغل خاص فأخبرته بكلام ذلك الرجل، قال: لا بأس، الولد لي، والمال له.

بعد أيّام وصلتني رسالة من ذلك الرجل ورد فيها: كان ولدي جالساً في حجري من بعد ظهر اليوم الفلاني، وفجأة سقط على الأرض ومات. ولمّا دققت في الموضوع وجدت أن ابنه قد مات في نفس اللحظة التي قال فيها الشيخ كلامه ذاك.

الحكاية ٣١:

ذكر الشيخ عبد الرزاق كتابفروش: كان الشيخ يدرس عصر أحد الأيام في الطابق الثاني لإحدى مدارس مشهد، وعلى حين غرّة لدغ عقرب أحد الطلاب فصرخ من شدّة الألم ـ سأله الشيخ: ما الخبر؟ قال: الألم، الألم. فقال له الشيخ: لا تتألّم، فانقطع الألم عنه فجأة.

بعد نصف ساعة رأيته يدخّن الغليون سألته: هل زال الألم؟ قال: نعم بمجرّد أن قال الشيخ لا تتألّم زال الألم فجأة.

الحكاية ٣٢:

سمعت من البعض أن السيّد باقر القاضي من علماء تبريز جاء في أحد الأيام إلى مشهد. وفي تلك الأثناء وصلته رسالة من مدينته جاء فيها: إن دارك في تبريز ستكون مشمولة بالتخريب لغرض شق شارع جديد. امتعض السيّد ثكيراً لسماع هذا الخبر وذهب إلى الشيخ الأصفهاني. وقبل أن يكلّمه بشيء، قال له الشيخ: لا تستاء كثيراً لما ورد في الرسالة، ستعوّض أضعاف قيمتها. ولٰكن إياك وبيعها لشخص غير مسلم، وإلاّ سينعكس عليك الضرر مضاعفاً، ولا بأس أن أبشّرك أن الله تعالى سيرزقك غلاماً.

والذي حصل فيما بعد أن دار السيّد قد هدمت وصار قسم من ذلك الزقاق على واجهة الشارع، فدفعوا له عوضها مبلغاً كبيراً. إلا أنّه نسي وصية الشيخ فباع الأرض إلى مصرف روسي. وكانت هذه المعاملة سبباً في انفضاض طلاّبه عنه ونتج عنها ضرر كبير بمكانته الاجتماعية.

وقد رزقه الله تعالى غلاماً كما أخبره الشيخ على أثره سمّاه «محمد علي».

الحكاية ٣٣:

ذكر الشيخ ذبيح الله العراقي: في مدينة آراك دارَ بيني وبين بعض الأصدقاء حديث عن مكانة وجلالة الشيخ حسن علي الأصفهاني وتقرر أن يذهب أحد الحاضرين واسمه «السيد حسين» إلى مشهد ويتحقّق من صحّة الأمر.

أخذنا له بطاقة سفر إلى مشهد بالسيارة، ولمّا حانت ساعة ذهابه اتّجهنا نحو موقف السيارات لتوديعه، وهنا وصلت برقية من الشيخ إلى

السيّد حسين يحذّره فيها من السفر في السيارة المرقّمة كذا، وهي نفس السيارة التي كان ينوي السفر فيها.

لقد كان وصول تلك البرقية مثار استغراب ودهشة الجميع وذلك لعدم علم الشيخ بما دار بيننا من حديث، وامتنع السيّد حسين من السفر في تلك السيارة بعد ثلاثة أيام وصلنا خبر أن تلك السيارة قد انقلبت في مدينة فيروزكوه في طريقها إلى مشهد وجرح نتيجة ذلك عدد من ركّابها.

الحكاية ٣٤:

ونقل نفس الشيخ ذبيح الله العراقي أيضاً: بعد عودة السيّد حسين من مشهد أُصبتُ بمرض عضال صعب على الأطباء في أراك وطهران علاجه فيئست من الشفاء واضطررت للذهاب إلى مشهد وحظيت بمقابلة الشيخ أعلى الله مقامه وقلت له: ادفع لك ما تشاء إذا شافيتني من هذا المرض.

تأثر الشيخ من كلامي هذا وقال: راجع طبيباً فأنا لست بطبيب، ولم يقبل بمعالجتي رغم شدة إصراري. إلى أن اتّجهت آيساً في آخر المطاف إلى الإمام الرضا عليه السلام. وفي إحدى الليالي رأيت في عالم الرؤيا أنني زرته وشكوت له حالي، فقال لي: راجع الشيخ. قلت: راجعته عدة مرات لكنه طردني.

قال: اِذهب إليه مرة أخرى، قلت: أعطني علامة لتكون لي برهاناً يرضىٰ به. قال: قل عالجني بدلالة طفل الجيران الذي مات وأعدته للحياة.

ذهبت إلى الشيخ ثانية بهذه العلامة، وما إن وقع بصره عليّ حتى قال غاضباً: ألم أقل لك راجع طبيباً؟ قلت: أرسلني إليك الإمام الرضا عليه السلام بهذه العلامة. ولمّا سمع ذلك الكلام مني قال: اسكت! ولا تُطلع أحداً

على هذا السر ما دمت حياً. ثم أنّه أعطاني تيناً، ولما تناولته شفيت بالمرّة.

الحكاية ٣٥:

أتذكر أني ذهبت يوماً مع والدي إلى الحمام، وبعد رجوعنا إلى البيت قال: إني سأكون مشغولاً بالدعاء في الغرفة، أغلق الباب عليّ. ثم أمرني أن أذهب إلى أحد الأشخاص وأبلغه رسالة منه. ثم قال: وليكن طريق عودتك من الطريق الذي تقع عليه مقبرة فلان، وحاذر من النظر والتحديق الطويل بشيء في الطريق.

امتثلت أمره، وأغلقت الباب وخرجت من الدار لأداء الواجب الذي كلّفني به، فذهبت إلى ذلك الشخص، وعند عودتي مررت بالمقبرة المذكورة، رأيت امرأة تضرب ابنها بقسوة في ممر دارها، نظرت إلى هذا المشهد لحظة ثم واصلت طريقي. وبعد برهة رأيت أبي قادماً نحوي وهو ينظر إليّ شزراً، وقفل راجعاً إلى البيت. واصلت أنا مسيري خلفه لكنه اختفى عن نظري فجأة.

جئت إلى الدار متحيّراً وسألتهم: أين أبي؟ قالوا: في غرفته. قلت: وهل دخل أحد الدار أو خرج منها أثناء فترة غيابي؟ قالوا: لا. ذهبت إلى الغرفة وجدت الباب مغلقاً كما تركته. بعد أن رغ أبي من دعائه خرج من الغرفة، ثم قال لي: لقد توفّي الحاج محمود الحلبي ولا بد أن نذهب لتشييع جنازته. قُلْت: لم يكن هناك خبر عن وفاته. قال: لقد مرّوا بجنازته الآن أمام ناظري.

خرجنا سوية إلى أن بلغنا الموضع الذي شاهدته فيه فنظر إليّ نظرة حادّة، وهنا قال لي: لماذا عصيت أمري، وعند عودتك نظرت إلى

موضع ما؟ أنكرت ذلك في بداية الأمر. فقال: ألم تنظر إلى المرأة التي كانت تضرب طفلها بالحذاء؟

واصلنا سيرنا حتى الصحن الرضوي العتيق، ولما دخلنا جاء رجل وأخبر والدي بوفاة الشخص الذي تحدث والدي في البيت عن وفاته.

الحكاية ٣٦:

كنّا نسكن مدة من الزمن خارج مدينة مشهد، وفي أحد الأيام خرجنا من المدينة بعد أداء فريضة الظهر قاصدين الذهاب إلى دارنا، وكان كلّ منّا يحمل بعض الحاجات والسلع التي نحتاجها في البيت. أردت منه الإسراع في مشيه لٰكنه لم يستطع ذلك بسبب كهولته وعجزه.

وفي الطريق قابلنا اثنان من السادة وبقيا يتحدثان مع أبي ما يقارب النصف ساعة ثم انصرفا. وطلبت من أبي ثانية الإسراع في مشيه بسبب تأخّرنا، وأبديت التبرّم من إضاعة الوقت في الحديث مع ذينك الشخصين. فقال: إنّهما سيّدان، ولم أرغب في إبداء الجفاء لهما. فقلت له: إذن فاستعجل المسير. قال: إني أحمل ثقلك وأتمهّل في سيري لأجلك، وسأسير الآن وإذا كانت لديك القدرة فحاول اللحاق بي. وفجأة رأيت ما يثير العجب إذ كانت الأرض تمرّ بسرعة تحت قدمي أبي وهو يخطو بشكل طبيعي، وأنا أرى الأرض والأشجار تمضي بسرعة وكأنّه راكب سيارة، ومهما أركض لا ألحق به. وبعد فترة التفتَ إلى حالتي فعادت الأرض إلى وضعها الطبيعي، ثم نظر إليّ وقال: أردت أن أفهمك أننا نحمل ثقلك أيضاً.

الحكاية ٣٧:

كانت ليلة الأول من شوال وكنّا نقطن مزرعة «نخودك» على أطراف

مدينة مشهد، وعند الغروب أراد منّي أبي أن أصعد فوق السطح وأستهلّ، لكن الغيم كان ضارباً على الأُفق بكثافة، فلم أر شيئاً، ورجعت إليه قائلاً: لا يمكن رؤية الهلال وسط هذه الغيوم الكثيفة. فقال بلهجة عتاب: ولماذا لم تأمر الغيوم بالتفرّق؟ قلت: ومن أنا يا أبة حتى أصدر أمراً للغيوم فتستجيب لي؟ قال: اِرجع، وأشر عليها بسبابتك وأمرها بالتفّق. فصعدت إلى السطح ثانية وأشرت على الغيوم بإصبعي وقلت: «تفرّقي يا غيوم». ولم تمض لحظات حتى خلا الأُفق من الغيوم وغدا صافياً ورأيت هلال شوّال واضحاً وأعلمت أبي برؤيته. رحمة الله عليه.

الحكاية ٣٨:

كنا نسكن مدة من الزمن في بستان بقرية «سمزقند»[١] وكنت أمارس صباح كل يوم رياضتي الروحية بأمرٍ من والدي، في غرفة تقع على سطح الدار والطريق إليها يمرّ من غرفته. وكنت أبقىٰ فيها ساعتين ونصف بعد صلاة الصبح.

ولمّا أردت النزول منها في أحد الأيّام شعرت أن والدي قد نام وأني لو حاولت المرور في غرفته فسأقطع عليه راحته وأوقظه من النوم. وكنت من جهة أخرى مضطراً للنزول لحاجة طارئة. لهذا طلبت من أهل الدار أن يضعوا لي سُلّماً على الحائط لأنزل بواسطته. وكان السلّم قصيراً والحائط مشبّعاً برطوبة أمطار الربيع. أوصلت رجلي إلى السلّم بصعوبة بالغة، ولٰكن وقعت اللبنة التي يستند إليها السلم، وصرت على وشك السقوط إلا أنني شاهدت السلّم يعود إلى مكانه من تلقاء ذاته، وكان ذلك مدعاة لدهشتي.

---

(١) سمزقند: قرية على أطراف مشهد.

لما استيقظ أبي ذهبنا سوية إلى المدينة وفي الطريق قال لي: ما الذي دعاك إلى استعمال السلم وعدم النزول من الدرج كعادتك يومياً؟ لقد سلبت راحتي في عالم النوم.

انتبهتُ عند ذاك إلى أن باطن والدي كان يحيطني بالرعاية والاهتمام على الدوام، وهو الذي حفظني في تلك الأثناء.

الحكاية ٣٩:

عندما احتل الجيش الروسي محافظة خراسان، كانت دارنا خارج مدينة مشهد في قرية اسمها «نخودك»، وكان أبي يذهب إلى المدينة مرة كل أسبوع لقضاء حوائج الناس وغير ذلك من الواجبات الأخرى. وفي أحد الأيّام خرجنا من المدينة قبيل الغروب فشعرت بشيء من الخوف وسألت والدي: لماذا تأخرت حتى هذا الوقت في المدينة على الرغم من حالة الاضطراب التي تسودها؟ قال: تأخرت من أجل أداء عمل خير لامرأة علوية.

قلت: إن الطريق محفوف بالمخاطر، ولا أمان في مثل هذه الطرق المحاطة بالبساتين، وإن قطّاع الطرق كثيراً ما يستغلّون مثل هذه الظروف لإيذاء الناس.

كان أبي في أواخر عمره يركب حماراً، وكان الحمار الذي يركبه في ذلك اليوم هزيلاً، فقال لي: اركب معي على الحمار. قلت: إن الحمار هزيل ولا يقوى على حملك وحدك، فكيف يقوى على حملنا معاً؟! قال: لا عليك، اركب، وسوف آُمره بالإسراع، فأطعت أمره وركبت. كنّا في تلك اللحظة على أطراف البساتين، وسمعنا المؤذن يؤذن توّاً لصلاة المغرب. ولما ركبت وراء والدي سألني: هل رأيت فلان؟ قلت:

نعم وفجأة وجدت أننا قد وصلنا إلى باب دارنا، فيما المؤذن لا زال يكبّر، فتعجّبت كثيراً من ذلك لأنّ وصول البيت كان يستلزم اجتياز البساتين والمرور على قرية تقع على طريقنا حتى نصل إلى قلعة «نخودك» حيث دارنا.

سألت والدي مدهوشاً: كيف وصلنا إلى هنا خلال لحظات؟ قال: لا عليك من ذلك، أنت كنت تريد ا لوصول بسرعة، وقد تحقق مرادك.

ازداد عجبي أيضاً لأنّني ما إن دخلت الدار حتى نسيت تلك الحادثة بالمرّة ولم أتذكّرها إلاّ بعد وفاة والدي.

الحكاية ٤٠:

اشترينا عام ١٣٥٩ للهجرة القمرية بستاناً في قرية «سمرقند» لنسكن فيه. وعند الاستلام ترك لنا البائع بعض الأشياء الضرورية في البستان مقابل مبلغ أربعة تومانات، وكان من جملة ذلك بندقية صيد قال إنها مفيدة هنا لطرد الحيوانات المؤذية التي تكثر هنا كالثعلب وأبي الحصّين وما شابه.

كانت الدار الموجودة في ذلك البستان أشبه ما تكون بلابرج وذات طابقين وأسوار عالية. وفي منتصف إحدى ليالي الشتاء أيقظني والدي ـ رحمه الله ـ من النوم وقال: لقد دخل البستان لص يريد تسلق سور الدار، قم وأطلق عياراً نارياً في الهواء ليهرب من قبل أن يدخل الدار ويستبب في إيذائنا وإيذاء نفسه.

قلت: كيف عرفت يا أبي بوجود اللص وأنت في هذه الغرفة المغلقة المحاطة بالأسوار العالية؟ وكيف فهمت أن يبغي تسلق السور؟ قال: اِصعد إلى سطح الدار وانظر، فهو الآن في وسط البستان مستند إلى

شجرة توت ويدخّن سيجارة. صعدت إلى سطح الدار وأَجَلْتُ النظر في البستان الذي بدت الأشياء واضحة فيه تحت ضوء القمر، ورأيت بكل دهشة ـ رجلاً مستنداً إلى شجرة التوت والسيجارة بيده.

نزلت وأطلقت عياراً نارياً ثم رجعت إلى غرفتي. وفي الصباح سألت والدي: إذا كنت قد رأيت ذلك الشخص في الليل من وراء كل تلك الحجب والموانع، وعرفت ما في نفسه، فلماذا لم تقم بعملٍ يصرفه عمّا قصد إليه؟ قال: إذن لماذا خلق الله البندقية؟ ما دام المرء قادراً على درء العدو بمثل هذه الوسائل، لا يجب اللجوء إلى الأساليب الأخرى نظراً لعدم توفر الأداة التي نكشف بها عن وجود اللص خارج السور، ونكشف بها عن نيّته، استخدمنا سبيل الغيب، ولكن بما أنّ الوسيلة لدفع شره موجودة، كان لزاماً علينا استخدامها. إن كل ما خلقه الله لم يخلقه عبثاً، بل لا بدّ من الانتفاع منه في الوقت المناسب «وقدرة الباطن لا ينبغي أن تكون موجباً لتعطيل الأسباب الطبيعية الظاهرية، لأنّ هذا يتنافىٰ مع الحكمة من الخلق.

الحكاية ٤١:

في أيام رأس السنة (النوروز) عام ١٣١٧ للهجرة الشمسية جاء إلى دارنا رجل اسمه: «محمد الكربلائي» وعمله بيّاع خضار، وقال: إنّه فقد ولده البالغ من العمر أربعة عشر عاماً، وذلك حينما أرسله صباح الأمس مع عربة يجرّها حمار ومحمّلة بخضار اشتراه من مركز بيع الخضار واتّجه به خارج المدينة، وعند العصر وصل الحيوان الذي يجرّ العربة إلى المحل ولٰكن الصبي لم يصل، وقد بحثنا عنه كثيراً ولم نعثر له على أثر، وطلب الرجل أن أعرض الموضوع على أبي، ولمّا عرضته عليه تأمل

لحظة ثم قال: قبل ظهر أمس عند عبور العربة من الخندق المجاور للمدينة مرّ على بركة فيها ماء أراد الحمار أن يشرب منها فزلّت رجله وسقط هو والحمل والصبي فيها، أما الحيوان فقد استطاع الخروج منها وأما الصبي فقد غرق فيها. اذهبوا اليوم قبل غروب الشمس بساعتين واستخرجوا الجسد من الماء في الموضع الفلاني.

الحكاية ٤٢:

ذكر رجل اسمه الأُستاذ أحمد المسجر أنه عندما فقد ولدي رضا بحثت عنه كثيراً ولم أعثر عليه. جئت إلى الشيخ وقلت له: فُقد ولدي. قال: اذهب إلى البوابة الفلانية للمدينة فجراً وقبل شروق الشمس وضع هذا الدعاء في كفّك وقل سبع مرّات: «يا معيد أعد لي رضا»، وعند طلوع الشمس يمرّ رجل معه عدد من الحمير، وسيكون ابنك راكباً على آخر واحد منها.

ذهبت وفعلت كما أمرني الشيخ، فعثرت على ولدي وأخذته معي.

الحكاية ٤٣:

في سنة ١٣١٢ للهجرة الشمسية قدم عدة أشخاص إلى دار والدي الشيخ حسن علي الأصفهاني أعلى الله مقامه، وذكروا أنّهم فقدوا طفلاً ولم يتمكّنوا من العثور عليه، تأمل أبي في الموضوع لحظة ثم قال لهم: ابنكم اختطفه جماعة من الجن وهو الآن في جبل يبعد ١٦ فرسخاً عن المدينة. بعد يومين تمرّ قافلة من هناك وسيكون الطفل معها.

بعد يومين رجع الأشخاص وقالوا: ذهبنا إلى الموضع الذي ذكره الشيخ وانتظرنا، فجاءت القافلة وكان الطفل راكباً على حمل البغل. أخذناه وسألنا أصحابها: من أين أتيتم بهذا الطفل؟ قالوا: وجدناه قبل

يومين بمفرده عند الجبل الفلاني، وبحثنا هناك فلم نجد شخصاً آخر، فاضطررنا إلى اصطحابه معنا.

الحكاية ٤٤:

كان أحد فلاّحي قرية «نخودك» ثري نسبياً، وفي أحد الأيام أقام حفلاً بمناسبة ختان ولده، ولم يتورّع عن إقامة الغناء والموسيقى والرقص. كان أبي في سفر آنذاك ولمّا رجع من سفره التقى بذلك الرجل في أحد الأيّام وعاتبه على ذلك الفعل، لٰكن الرجل أنكر أساساً مثل هذا العمل وأقسم أنّه لم يقم بمثل هذا الفعل. نظر إليه أبي شزراً وقال له: ومع إتيانك بهذا العمل تُقسم كذباً، ألا تخجل؟ ألا تستحي؟ وعلى الرغم من كل ذلك أصرّ الرجل على قوله، وعندها قال له أبي: ما دمت تكذب وتقسم بالله زوراً وبهتاناً ولا تستحي من ذلك، فاْذهب لا أبقاك الله!

لم يمض أسبوع على ذلك حتى وُجد ذلك الرجل ميّتاً بكل مهانةٍ إلى جانب أحد الطرق، وبعد يومين ماتت زوجته أيضاً. فقام أولاده بعد أسبوع من ذلك ببيع كل ممتلكاتهم وغادروا تلك القرية. فلم تمض عشرة أيام إلاّ والقرية خالية من أي أثر لتلك العائلة.

الحكاية ٤٥:

يقول الشيخ حسين آبكوهي: كنت أحضر درس الشيخ عصراً، وفي أحد الأيام قال لي: اِقلع شتلة التوت هذه واغرسها خارج المدينة في الموضع الفلاني، وأكّد عليّ أن لا أخطىء المكان وأزرعها في مكان غيره.

أخذت الشجرة خارج المدينة وفكرت مع نفسي أن مراد الشيخ أن أزرعها على هذا الطريق وليس بالضرورة أن أذهب إلى ذلك الموضع

بالذات؛ فتركت الذهاب إلى المكان الذي حدّده اشليخ وزرعتها في مكان آخر اخترته أنا. وعندما ذهبت إليه نظر إليّ وقال بمرارة: لماذا لم تطع أمري، ولم تغرس الشجرة في الموضع الذي أشرت إليه؟! اِرجع فوراً. ذهبت في الحال ولكني لم أجد الشجرة حيث غرستها فذهبت إلى المكان الذي حدّده الشيخ ورأيت بكل دهشة أن الشجرة مغروسة في نفس ذلك الموضع الذي حدده من قبل.

الحكاية ٤٦:

عندما كنت طفلاً ذهبت مع والدي إلى قرية «مايان» حيث كان مدعوّاً من قبل أحد مريديه، وفي أحد الأيام ذهبنا برفقة أقارب ذلك الشخص لزيارة قبر «علاء الدين المایاني» وكان يقع فوق جبل. في الطريق قال أبي: اِقرأ ما استطعت سورة الإخلاص واهد ثوابها إلى روح المرحوم علاء الدين.

لما بلغنا الضريح وقرأنا سورة الفاتحة، أمر بخروج الجميع من المقبرة والذهاب إلى سفح الجبل، وأن يأخذوني أنا معهم أيضاً وننتظره جميعاً حتى يأتي. وهكذا نزلنا جميعاً، ولمّا طال علينا الانتظار تسللت خلسة عن مضيّفنا وجماعته وذهبت إلى المقبرة لأرى ما يفعله أبي، ولمّا صرت خلف المقبرة سمعت أبي يتحدث بصوت عالٍ مع صاحب القبر، ويأتيه الجواب من قبل القبر أيضاً. عند سماعي لتلك المحادثة صحتُ بصوت مسموع، فالتفتّ أبي إلى وجودي خرج من هناك ونزل إلى الجماعة التي تنتظره عند سفح الجبل وتوجّه باللوم للمضيّف لأنّه سمح لي بالاقتراب من المقبرة.

على كل حال رجعنا من المقبرة وفي الطريق مررنا بقرية فدعانا

مختارها إلى تناول طعام الغداء عنده. وقال مضيف أبي: من الأفضل أن نلبّي دعوته لكيلا نخيّب ظنه. فلبّى أبي الدعوة إكراماً لمضيّفنا الذي كان علوي النسب.

لما دخلنا داره وضعوا الخوان وأتوا بعدّة آنية فيها لبن ومرق. قال أبي لمختار القرية: عند سفوح الجبال وفي البساتين قد تنطلق الأبقار ليلاً وترعىٰ في المزارع المجاورة التي قد تكون وقفاً أو مُلْكاً ليتيم، أرجو أن لا تكون بقرتك قطعت لجامها الليلة الماضية ورعت في المزارع المجاورة. قال المختار: بقرتي كانت مربوطة ولم يحصل مثل هذا. غمس أبي لقمة خبز في ذلك اللبن وجعلها في فمه وأخرجها فوراً وقال بغضب: لماذا تكذب أيها المختار؟ لقد فرَّت بقرتك البارحة من الحظيرة ورعت في المزرعة المجاورة وهي مُلْكٌ ليتيم، وهذا اللبن من حليب تلك البقرة.

لم يجد المختار بداً من الإقرار بذنبه والاعتراف بكذب ما قاله. فقام أبي وخرج من داره.

الحكاية ٤٧:

عند غروب أحد الأيام جاء إلى أبي عدّة أشخاص من أهالي طهران وقالوا له: إن أحد أقاربنا غضبت عليه حكومة رضا شاه، فخرج من إيران منذ سنتين ولا نعلم عنه شيئاً، وقد دلّنا أحد الأشخاص عليك لتجد لنا حلاً لهذه القضية.

تأمّل والدي ثم قال: أقاربكم هذا في لندن وسيصلكم خبر سلامته يوم السبت وسيرجع إلى إيران يوم الأربعاء. وفي يوم السبت جاء أولئك الأشخاص ثانية وقالوا: لقد وصلتنا صباح اليوم برقية من ذلك الشخص

وهو في لندن. وفي يوم الأربعاء أخبرونا أن أقاربهم ذاك قد وصل إلى طهران.

الحكاية ٤٨:

ذكر انتظام الكاشمري ـ الواعظ ـ قائلاً: قلتُ للشيخ حسن علي الأصفهاني: ادع لي بتوفيق التهجّد وأن يتيسّر لي أمري. فقال لي: لا تفوتك قراءة القرآن صباح كل يوم ولا سيما سورة (يس) وسيحالفك الحظ إن شاء الله.

رجعت إلى كاشمر وثابرت على قراءة سورة (يس) أثناء المشي صباح كل يوم، إلا أنني لم أحصل على النتيجة المرجوّة. وفي السنة التالية ذهبت إلى مشهد أيام العيد، وتوجّهت في ليلة ممطرة إلى دار أحد العلماء لقضاء حاجة عرضت لي، ولكني لم أجده في داره، وأثناء العودة دار في خلدي أن أمرّ على الشيخ حسن علي وأخبره بعدم وصولي إلى النتيجة المطلوبة.

دخلت داره وهذه الفكرة تراودني فوجدت جماعة جالسين في الغرفة يتداولون الكلام والموعظة، والباب مغلق. فقلت في نفسي ربما إذا دخلت الغرفة لا أجد مكاناً للجلوس، وقد يكون دخولي سبباً لقطع حديث الشيخ، لهذا جلست خلف الباب مستمعاً لحديثهم حتّى ينفضّ المجلس وأدخل على الشيخ، وفجأة غيّر الشيخ حديثه ليقول: البعض يطلبون مني أن أدعو لهم بالموفقية لإحياء الليل، وأن تتيسر لهم أمورهم، فأنصحهم بتلاوة القرآن، ولكنهم بدل قراءة القرآن بتدبّر واستقبال القبلة حين القراءة، يقومون بقراءة سورة (يس) في حال المشي، ثم يأتون شاكين من عدم حصولهم على أيّة نتيجة مما أرشدتهم إليه. إضافة إلى

ذلك يخرجون في ليلة ممطرة قاصدين دور الآخرين لقضاء بعض حاجاتهم المادية، ولمّا أخفقوا في ما قصدوا إليه جاء فكر الآخرة في أذهانهم، فقرروا المرور علينا، ومثل هذا العمل بعيد عن الإنصاف. من الأفضل لهم أن يذهبوا ويجلسوا كل صباح في استقبال القبلة ويقرؤوا القرآن بتدبّر لا مجرّد لقلقة لسان، وإذا لم يحصلوا على المطلوب يحق لهم حينذاك أن يأتوا ويشتكوا.

ولما انتهى من هذا الكلام عاد إلى موضوعه الأصلي وبعد أن انفضّ المجلس فُتح الباب ودخلت. سألني الحاج: هل لك حاجة؟ فقلت له: لقد تلقّيت الجواب. قال: وماذا تنتظر إذن؟ قمت وودّعته وخرجت.

بعد عدّة أيام عاودت عليه، فعرض عليّ أن أبقى عنده حتى الظهر. قلت: أنا اليوم مدعو إلى وليمة ومن المقرر أن يقدّم لي مضيّفي حساء حامضاً لأنّ حالتي الصحّية تستدعي تناول طعاماً مُسهّلاً. فقال: لا يوجد مؤشر على وجود وليمة هناك. قلت: هنالك موعد بيننا، فكيف لا توجد وليمة؟ قال: هو كما أقول لك.

بقيت الظهر عنده نزولاً عند رغبته، إلا أن تفكيري ظلّ متّجهاً نحو الموعد المقرّر الذي أخلفته. عند الظهر أتاني الشيخ بكمية من الجوز المسحوق والجبن والخبز. لمّا انتهيت من تناول الطعام قال لي: انهض وعجّل بالذهاب فقد حصل ما تريد. خرجت من هناك وما إن دخلت داري حتى صرت وكأنني تناولت دواءً مسهّلاً، فقضيت حاجتي وشعرت بالارتياح، وعندها عرفت سبب قوله: انهض وعجّل بالذهاب، وأُخبرت أيضاً أن مضيّفي لذلك اليوم قد قصد بيتي قبل ظهر ذلك اليوم وأعلمهم بأنّه يعتذر عن استقبالي ذلك بسبب عارض طارىء.

الحكاية ٤٩:

ونقل أيضاً انتظام الكاشميري يقول: كان يعيش في كاشمر سيد فقير وكان في نفس الوقت عاشقاً لبنت أحد العلماء المعروفين في تلك المنطقة، إلا أن والد البنت رفض زواج بنته من السيد بسبب فقره. وفي أحد الأيام جاء إلى الشيخ وأعلمه بقصّته. فصارت البنت ببركة الشيخ من نصيبه. بعد مدة صار ذلك السيّد يتردّد على شخص ممن يدّعون المعرفة إلا أنّه كان في الحقيقة شخصاً محتالاً.

في أحد الأيام وصلتني رقعة من الشيخ مكتوب فيها: اذهب إلى السيّد وقل له أن يكفّ عن سلوكه هذا وإلاّ فإن الزمن سيعرض عنه. أخبرت السيّد بالموضوع إلا أنّه أصرّ على موقفه. ولمّا دقّقنا النظر في الرسالة تبيّن أنّ الشيخ قد كتبها في نفس تلك الليلة التي ذهب فيها السيّد إلى ذلك الشخص المحتال وجعل نفسه من مريديه.

وخلاصة القول إن السيّد لم يرتدع عن موقفه ذاك، وبعد مدة وجيزة نكبه الزمن ومات في الغربة.

الحكاية ٥٠:

حكى لنا الحاج عباس فخر الدين وهو من ملاّكي مشهد، يقول: في أحد السنوات زرعنا مساحات شاسعة من الأراضي بالحمّص. إلا أنّ الجراد هجم على المزرعة وكاد أن يأتي على الزرع بأكمله لولا أني استنجدت بالشيخ حيث قال لي: إن للجراد رزقه أيضاً. فقلت: إذا بقي الأمر على هذه الحال فلن يبقى شيءٌ من الزرع. تأمّل الشيخ قليلاً وقال: سآمر الجراد من الغد أن لا يأكل من زرعك، بل يأكل الحشائش والأدغال فقط. لما رجعت بعد ذلك إلى القرية رأيت بكل دهشة أن

الجراد يأكل الأدغال فقط. وكان محصول ذلك العام وفيراً بسبب فناء الأعشاب والأدغال.

الحكاية ٥١:

يقول الشيخ عبد الحسين الحقير: استأجرت الأراضي المجاورة لقبر العارف الكبير «شاه قاسم أنوار» في ناحية «جام»(١) إلا أن كثرة الجراد كانت تهدد المزرعة بالفناء. ذهبت إلى الشيخ عارضاً حاجتي عليه، فقال: اهدم مقبرة شاه قاسم وأعد بناءها من جديد ليسلم زرعك من شر الجراد. فسارعت إلى ما أمر به الشيخ وما إن أعدت بناءها لم يبق أي أثر للجراد.

الحكاية ٥٢:

ذكر لنا الحاج «شعاع التولية» وهو من سدنة الروضة الرضوية المقدسة ومسؤوليها: كانت إحدى غرف الصحن الشريف تحت تصرّفي، ولمّا أردت السفر في وقت من الأوقات، أعطيت مفتاحها للحاج ملاّ هاشم وهو من فضلاء وعلماء مشهد. في تلك الأيّام جاء الشيخ حسن علي الأصفهاني للحاج ملاّ هاشم طالباً غرفة في الصحن العتيق ليقضي فيها أربعين يوماً في الرياضة الروحية. فأعطاه الحاج هاشم مفتاح غرفتي.

فصادف رجوعي من السفر مع حلول أيّام العيد حيث كان يتوجّب على كلّ من لديه غرفة في الصحن الشريف أن يبادر إلى تزيينها بالزينة والنشرات الضوئية. لهذا طلبت المفتاح من الحاج ملاّ هاشم فقال: إن المفتاح عند الشيخ الحاج حسن علي الأصفهاني. ولم أكن حينذاك على

---

(١) ناحية من نواحي مشهد واسمها «تربة جام».

معرفة بذلك الرجل ولم أعرف السبب الذي منع الحاج من أخذ المفتاح منه. وقد شعرت حينها بكثير من الاستياء لعدم قدرتي على تزيين الغرفة ليلة العيد.

ذهبت في اليوم التالي إلى الصحن وطرقت باب الغرفة ففتحها الشيخ لكنه لم يسمح لي بالدخول. قلت معاتباً: لماذا لم تسلّم المفتاح، وأغلظت له في الكلام إلا أنّه لم يتفوّه بكلمة واحدة، بل دخل الغرفة وخرج وبيده سجّادة فتصورّت أنه سيأتي بحمّال لنقل وسائله، فبقيت أنتظره ولكنه لم يعد.

اضطررت لدخول الغرفة، وجدتها خالية فأخذتني الدهشة كيف أمضى هذا الشخص كل هذه المدّة من غير وسائل وأدوات، وشعرت من جرّاء ذلك بالندم على ما بدر منّي.

في اليوم التالي قصصت القصّة على الحاج الملاّ هاشم، فتأثّر كثراً ولا مني على ذلك وقال: إنّك لم تعرف هذا الشخص وإلاّ لما تجرّأت عليه بمثل هذا، وربّما ستدفع ثمنه غالياً.

يقول شعاع التولية: بقيت أتحيّن الفرص، إلى أن واتتني الفرصة في أحد الأيام للاعتذار عمّا بدر مني. إلا أنني ومع ذلك بقيت أستشعر الخجل من فعلي ذلك لسنوات طويلة.

الحكاية ٥٣:

سمعت السيّد أبا الحسن المرتضوي ابن السيّد كاظم الأصفهاني يقول: كنت في مشهد عند الشيخ حسن علي الأصفهاني، فجاءه رجل وقال: كنت أقرأ الفاتحة على قبر الشيخ الطبرسي فلدغتني عقرب. سأله الشيخ: وماذا عن العقرب؟ قال: اختبأت في جحر. قال الشيخ: لقد ضلّت هذه العقرب جحرها، اذهب وضع رأسك عند الحجر وقل: يأمرك

الشيخ حسن علي بالخروج، وعندما تخرج أمسكها برفق وضعها على راحة يدك وخذها إلى مقبرة المحلّة عند انتهاء الشارع واتركها عند الجحر الفلاني، لكي تشفى يدك. وإذ فعلت ما أمرتك به ارجع إلينا وأخبرنا.

يقول ناقل القصة: لا زلت جالساً عند الشيخ حتى رجع ذلك الرجل الذي لدغته العقرب وقال: فعلت ما أمرتني فسكن الألم من تلك اللحظة، واندمل موضع اللدغة.

الحكاية ٥٤:

نقل السيّد محمد رضا الكشفي، ابن السيّد مهدي الكشفي عن أبيه أنّه قال: كنت أسكن في سنة ١٣٥٨ للهجرة القمرية في مدينة قم وذلك قبل إحداث شهر يور عام ١٣٢٠ للهجرة الشمسية، وكنت قد قررت مع نفسي القيام بختم دعاء سيفي لغرض تحسين الأوضاع الاجتماعية. في تلك الأثناء وصلتني رسالة من الشيخ حسن علي الأصفهاني كتب فيها: لا داعي للقيام بذلك الدعاء لأنّ إمام الزمان سلام الله عليه مطّلع على الأوضاع ويشاهدها، وسوف يقوم هو بتغيير الأوضاع متى ما رأى المصلحة تستلزم ذلك.

الحكاية ٥٥:

يقول عبد الرسول الأصفهاني: ذكر لي أحد أصدقائي من أهالي طهران يقول: ذهبت برفقة مقوّم السلطنة في مشهد إلى الشيخ رضوان الله عليه وطلبنا منه الدعاء لشفاء مريض في شيراز، فأعطاني تمراً لآكله ولما أكلته شفى المريض في شيراز.

الحكاية ٥٦:

ينقل السيد محمد رضا الكشفي أيضاً عن أبيه قوله: كنت أدرّس

كتاب «الكفاية»[1] في مدينة قم، وبعد يومين من التدريس وصلتني رسالة من الشيخ الأصفهاني كتب فيها: يكفيك يومين من تدريس الكفاية، واتركها.

الحكاية ٥٧:

ونقل السيّد علي الموسويان وكان من تجّار مشهد يقول: طلبت من الشيخ دواء لمرض ألمّ بي، فقال: أنت بحاجة إلى ترياق ورده أحمر. قلت: ومن أين لي بمثل هذا الدواء؟ قال: خذ بذور الخشخاش هذه وازرعها في حديقة منزلك لتحصل منها على الترياق المطلوب. قلت: مثل هذا العمل يتطلب أشهراً طويلة. قال: ازرعها وستعطيك ثمارها مبكّراً. أخذت البذر وزرعته فاخضرّ في غضصون أسبوع وأزهر ونضج. فأخذت عصارته وذهبت إلى الشيخ الذي وصف لي من ذلك الترياق دواء، تناولته فشفيت من ذلك المرض.

الحكاية ٥٨:

نقلت زوجة المرحوم الميرزا محمد صادق خاتون آبادي، وكان من كبار علماء عصره في مدينة أصفهان، عن لسان زوجها أنّه قال: ذهبت برفقة الشيخ حسن علي الأصفهاني إلى المقبرة المعروفة بمقبرة« تخت فولاذ» في أصفهان، وبتنا ليلتنا في تكية «مادر شاهزاده». فقال لي قبل إطلالة الفجر بقليل: أنا أخرج من التكية، أمّا أنت فلا تخرج منها حتى آتي. ولكن بعد خروجه بقليل وسوست لي نفسي بالخروج وراءه. لما خرجت من التكية رأيته واقفاً للصلاة ويصلّي خلفه نفر كثير يرتدون البياض.

---

(١) «الكفاية» كتاب في علم أصول الفقه للملاّ محمد كاظم الخراساني.

عند رؤية ذلك المشهد فقدت الوعي، ولم أعد إلى رشدي إلاّ والشيخ واقف على رأسي وهو يقول: ألم أنصحك بعدم الخروج من مكانك؟!

الحكاية ٥٩:

ذكر السيد أبو الفضل خاتون آبادي يقول: سافرت من أصفهان إلى مشهد لغرض الزيارة. كنت في إحدى الليالي ضيفاً عند الشيخ حسن علي الأصفهاني وبعد تناول الطعام رجعت إلى محل إقامتي في «مدرسة الحاج حسن»، وفي منتصف الليل شعرت بعطش شديد، ولم يكن في الغرفة ماء، فاضطررت لأن آخذ جرّة لأملأها من البئر المقابلة للمدرسة، وقد واجهت صعوبة شديدة في النزول إلى الماء بسبب ظلام الدرج.

ما كدت أصعد بها عدة درجات حتى بدا لي وكأن أحداً تناول الجرّة من يدي وسكب منها الماء. رجعت ثانية وملأتها وحصل معي أيضاً مثلما حصل أول مرة، وتكرّر هذا الموقف عدة مرات، فصرخت بصوت عالٍ: أنا ضيف الشيخ حسن علي الأصفهاني، وإذا تعرّضتم لي بالأذى فسأشكوكم عنده. بعدها لم يتعرّض لي أي أحد بالأذىٰ.

ذهبت إلى الشيخ عصر اليوم التالي، وقبل أن أحدثه بشيء بادرني بالقول: لو لم تذكر اسمي البارحة لما تركوك تأخذ الماء.

الحكاية ٦٠:

نقل أحد الأصدقاء وهو المقدّم عباس علي الميرزائي يقول: سافرت في أحد المرّات إلى مشهد ودخلت دكاناً لشراء قبّعة لي، وتطرّقنا في الحديث إلى ذكر الشيخ حسن علي الأصفهاني فذكر لنا بائع القبّعات يقول كنت في يوم وفاة الشيخ جالساً في محل حلاقة وكان هناك شخص

جالس على كرسي الحلاقة. ولما تناهى إلى أسماعنا صوت المشيعين تساءل ذلك الشخص: ما الخبر؟ فقال له الحلاق: هذا تشييع جنازة الشيخ حسن علي الأصفهاني، ولمّا سمع الخبر أخذ بالعويل والنياح حتى تصوّرنا أنّه من ذوي الشيخ. ولما استعلمنا منه الخبر قال: لست من أقربائه ولكن بيني وبينه قصّة وهي سبب انفعالي. ثم نقل لنا قصّته على النحو التالي:

كان والدي مختاراً لقرية «نخودك»[1]، وكنت أنا أعمل في شرطة الدرك. وفي أحد الأيام قال الشيخ لأبي: إذا كنت في غنىً عن المختارية فاتركها. فالتزم أبي بوصيّة الشيخ واستقال من ذلك العمل. ولمّا اطّلعت على الموضوع أضمرت للشيخ كرهاً شديداً، وقد ساهم جماعة آخرون في تأجيج مشاعر عدائي له حتى عزمت على اغتياله.

كنت كثيراً ما أُشاهد الشيخ يخرج من القرية في منتصف الليل عندما أعود من عملي، ولهذا رأيت من المناسب أن أرميه بطلقة في إحدى الليالي، وصادف أن رأيته في منتصف ليلة شتاء قارس وهو خارج من القرية. فقلت في نفسي أن الوقت المناسب قد حان ولكن من الأفضل أن أتابعه حتى يبتعد عن القرية لكيلا يسمع أحد صوت إطلاق النار.

بقيت أتبعه حتى أبتعد عن القرية، وما إن تناولت البندقية لأطلق عليه النار التفت إليّ فجأة وقال: إلى أين ذاهب يا حبيب؟! فقلت له لا إرادياً وأنا في حالة اضطراب شديد: إني قادم إليك. فقال لي: تعال نذهب سوية لزيارة أهل القبور. استجبت لطلبه فوراً واتّجهنا سوية لمقبرة القرية

---

(١) نخودك: اسم قرية على مشارف مدينة مشهد، أقام فيها الشيخ حسن علي الأصفهاني عدة سنوات، ولهذا يسمّيه البعض: بالشيخ حسن علي الأصفهاني النخودكي.

التي لا تبعد سوى مسافة قصيرة وقرأنا الفاتحة لأرواح الموتىٰ. ثم قال لي: ألا تحب أن نذهب إلى المدينة ـ أي مدينة مشهد ـ لزيارة الإمام الرضا عليه السلام؟ قلت: نعم. قال: اتبعني! لم نتقدم سوى خطوات قليلة حتى رأيت أننا عند باب الصحن الشريف.

كانت الأبواب مغلقة فأشار الشيخ فانفتح له الباب، لكني لم أشاهد أحداً فتحها. أمرني بالوضوء فتوضّأت واتّجهنا صوب الضريح المقدّس وهناك أيضاً كانت الأبواب مغلقة فانفتحت بإشارة من الشيخ ودخلنا وأدّينا الزيارة. وعند الخروج كانت الأبواب تغلق وراءنا الواحد تلو الآخر.

لما خرجنا من الصحن الشريف سألني: هل ترغب بزيارة أمير المؤمنين عليه السلام؟ قلت: نعم. ولم نَسر إلا قليلاً حتى وصلنا إلى صحن مرقد الإمام علي عليه السلام. وبما أنني لم أذهب لزيارة هذا المكان من قبل فقد بدا لي أول الأمر مكاناً غريباً. وكانت الأبواب مغلقة أيضاً فأشار إليها الشيخ فانفتحت، وأدّينا الزيارة وخرجنا، وعندها قال لي: يا حبيب لقد انقضى شطر طويل من الليل وأنت مرهق، فمن الأفضل أن نرجع إلى نخودك، قلت: ذلك لك يا حضرة الشيخ.

مشينا عدة خطوات وإذ بنا فجأة في نفس المكان الذي لقيته فيه. وهناك قال لي: إياك أن تحدّث أحداً بما رأيت في هذه الليلة وإلا فسوف تُصاب بالعمى، وأوصيك أن لا تأتي إليّ من بعد هذا، وإذا رأيتني سلّم عليّ عن بعد.

أفلا تستحق تلك الكرامات التي رأيتها من الشيخ أن أبكي وأنوح حزناً عليه؟ رحمة الله ورضوانه عليه.

الحكاية ٦١:

نقل لنا أحد الأصدقاء الثقاة يقول: رأيت يوم وفاة الشيخ حسن علي الأصفهاني امرأة مسيحية تلطم على رأسها وصدرها في مسير تشييع جنازته. فقلت لها: ألستِ مسيحية؟ إن هذا الرجل عالم دين مسلم! قالت: مرضت بنتاي هاتان اللتان معي مرضاً عضالاً لم ينفع معه طب الأطبّاء، حتى أن أطباء إحدى المستشفيات في أمريكا أعلنوا عجزهم عن معالجتهما. ثم تفاقم المرض عليهما تدريجياً حتى وصلتا إلى حدّ الاحتضار.

لما عاينت جارتي المسلمة ما أنا فيه من القلق والحيرة قالت لي: اذهبي إلى قرية نخودك واستعيني بالشيخ حسن علي الأصفهاني على شفاء هاتين المريضتين، تعالي وخذي ملاءتي وضعيها على رأسك واذهبي إليه، أخذتُ ملاءتها واتّجهت نحو القرية سائلة الواحد تلو الآخر حتى وصلت إلى الشيخ فوجدته جالساً عند الباب وحوله جماعة من أصحاب الحوائج، عرضت عليه مشكلتي من غير أن أصرّح له بديني. قال: خذي هاتين التينتين إلى جارتك حتى تطعمهما لبنتيك وهي على وضوء. قلت: هما عاجزتان عن الأكل، قال تحلهما في الماء وتقدمه لهما.

عدت إلى داري وأعطيت التنتين لجارتي المسلمة. فتوضّأت وأذابتهما في الماء وسقته لبنتيّ المريضتين. ولم تمض إلاّ عدة دقائق حتى فتحتا عيناهما وشفيتا. نعم لقد مضى من بيننا مثل هذا الرجل الصالح.

الحكاية ٦٢:

نقل المرحوم السيّد ذبيح الله أمير شهيدي عن المرحوم نجم التولية يقول: لمّا ذهبت إلى الشيخ وهو في «حصار سرخ» وجدته يصلّي عند تلٍّ

صغير. فجاءت امرأة تستغيث وتقول: قد لدغت ابني الحيّة فأعطني دعاء لشفائه، قلت لها: لا علم لي بهذا، اذهبي إلى ذلك الشيخ الذي يصلّي. اتجهت إلى الشيخ وعرضت عليه ما تريد. دعاني الشيخ إليه وقال لي: في ذلك الجانب من التل نبات بهذه المواصفات اذهب وائتني به، لكي تدقّه هذه المرأة وتضعه على موضع لدغة الحيّة.

ذهبت ووجدت النبات وجئته به، فأخذته المرأة واستعملته كما وصف لها فشفى ذلك الطفل من لدغة الحية. وكان مما أثار دهشتي هو أن الشيخ عرف بوجود ذلك النبات من غير أن يذهب إلى الجانب الآخر من الجبل.

الحكاية ٦٣:

ينقل سيد من عوائل مشهد المعروفة يقول: هاجرت من مشهد إلى طهران قبل حوالي أربعة عشر عاماً، ثم إني في عام ١٣١٧ ذهبت لزيارة مشهد فحمّلتني أختي زوجة نظام التولية أمانة لأوصلها للشيخ حسن على الأصفهاني في مشهد. وفي أول يوم من وصولي مشهد اتجهت صوب قرية «نخودك» وأوصلت الأمانة إلى دار الشيخ، وقلت إذا لم يكن هناك من أمر فإني أستأذنك في العودة إلى المدينة، إلاّ أنّه أمر بأن أدخل.

فكّرت مع نفسي أني شخص محمّل بالذنوب ومن غير المناسب أن أقابل الشيخ وكنت خجلاً من مواجهته، ولذلك قلت لهم: لا شغل لي معه، فإذا لم يكن له معي شغل فإنّي منصرف. وهذه المرة أيضاً أرسل إليّ شخصاً أخبرني أن الشيخ يقول: عندي شغل معك فادخل.

ظننت أن الشيخ قد توهّم بيني وبين أخي الذي كان يكثر التردد عليه، ولكن لما دخلت عليه سمّاني باسمي وسألني عن أحوال أخي، عرفت

حينها أنّه لم يشتبه. ثم أنه قال لي: لقد آن الأوان لأن تكف عن المعاصي وتتوب من الذنوب، لماذا تتوانىٰ عن صلاتك؟ يجب عليك من الآن فصاعداً أن تبدي مزيداً من الاهتمام لهذا الأمر. فوافقته على ذلك. ثم أضاف: ويجب عليك أيضاً تجنّب شرب الخمر، فقررت مع نفسي أن لا أشربها ثانية.

وأردف في كلامه: وعليك أيضاً أن تغض النظر عن النساء الساقطات إلا أنني لم أقبل رأيه بهذا الخصوص بسبب ولعي بهذه العادة القبيحة، وفكرت مع نفسي أنّه بإمكاني حل هذه المشكلة من خلال إجراء عقد المتعة معهن، إلا أنّ الشيخ فاجأني بالقول: إن النساء الساقطات لا يراعين العدّة ولهذا السبب فإنّ عقد المتعة معهن لا يحلّ المشكلة، وعليك الامتناع عن هذا الفعل، وارجع إلى المدينة واغتسل غسل التوبة واذهب لزيارة الإمام الرضا عليه السلام، وخذ من اليوم بطاقة السيّارة التي ستغادر إلى طهران غداً عصراً، وستجد في موقف السيارات حافلتان جاهزتان للذهاب إلى طهران، الأولى نظيفة وجديدة لا تركبها، واركب في الثانية التي تبدو أقدم من الأولى.

قلت له: إنني لم أزر مدينة مشهد منذ أربع عشرة سنة، وقد جئت البارحة ولم تسمح لي الفرصة إلى الآن بزيارة الأقارب والأصدقاء قال: من مصلحتك أن ترجع، وتأتي إليّ عصر الغد لأعطيك بعض التعليمات، واذهب من بعدها إلى طهران.

وجدت نفسي ملزماً بتنفيذ ما أمر به الشيخ، وذهبت إليه عصر اليوم التالي وأوصاني ببعض الأمور، وعند الغروب تحركتُ باتّجاه طهران في الحافلة الثانية، ولٰكننا ما كدنا نجتاز سبزوار بأربعة فراسخ حتى رأيت

الحافلة الثانية، ولكننا ما كدنا نجتاز مدينة سبزوار بأربعة فراسخ حتى رأيت الحافلة الأولى انقلبت وأصيب الكثير من ركّابها بجروح بليغة، وركب عدد منهم في حافلتنا وأوصلناهم إلى مستشفى سبزوار. وعند ذاك فهمت السر في تأكيد الشيخ على عدم ركوب الحافلة الأولى.

عند وصولي إلى طهران التقيت ببعض الأصدقاء الذين أخذوني معهم إلى حانة لشرب الخمر في وسط المدينة، وشربت معهم وخرجت من هناك عند منتصف الليل وقد أخذ مني السكر مأخذاً، ولمّا فتشت ولم أعثر على امرأة عاهرة، أخذت معي غلاماً فاسقاً إلى البيت، إلا أنني عندما وصلت البيت كنت في تعب شديد من فرط السكر فاضطجعت على السرير من دون أن أفعل أي منكر مع الغلام، وقبل أن أغمض عيني وجدت الشيخ واقفاً عند رأسي وهو يقول: ما هذا يا أبا القاسم! ألا تستحي! ألا تخجل! ألم تكن قد سبقت منك التوبة. وهل نقضت توبتك بهذه السرعة؟ وتريد الآن ارتكاب منكر أفظع من الزنا؟

أعادتني تلك الكلمات إلى رشدي، ففركت عيني وفتحتهما لأرى هل أنا في الحلم أم في اليقظة، لكنّي وجدت الأمر واقعاً وإن الشيخ واقف أمامي حقيقة، ويكلّمني بعنف. اضطربت من شدّة الخوف وبعد لحظات غادر الشيخ الغرفة وأغلق الباب وراءه بشدّة بحيث أن الغلام فزع من نومه من شدّة الصوت وسأل: ما الخبر؟ قلت: دخل الدار لصٌ، انهض وغادر البيت لئلاّ يصيبك مكروه.

بعد منتصف الليل بساعتين خرجت إلى الشارع واستأجرت عربة ودفعت الأجرة ليوصل الغلام إلى مركز المدينة، وأعطيت للغلام أيضاً بعض النقود، حاولت بعدها أن أنام ولكن لم يغمض لي جفن إلى الصباح.

مرّت على تلك الحادثة سنة لم أرتكب خلالها أيّة معصية، إلى أن جاءتني في أحد ليالي الشتاء امرأة أرملة كنت فيما مضى على صلة بها، وألحّت عليّ بالذهاب إلى بيتها. فرافقتها وكان الوقت آخر الليل وهناك خلعت ثيابي استعداداً للنوم، وفجأة رأيت الشيخ واقفاً إلى جانب السرير ويقول: ألا تستحي، ما هذه التوبة؟ وعند رؤيتي لذلك المشهد نهضت وخرجت من البيت بملابسي الداخلية وأنا في حالة من الدهشة حتى ظنتني المرأة قد جُننت. وذهبت إلى داري على تلك الحالة وتسورت الحائط ودخلت، وبعد عدة أيا جاؤوني بثيابي.

بعد فترة جاءني بعض الأصدقاء وأخذوني معهم في سيارتهم إلى مدينة كرج، وكانت معهم امرأة. وكنت قد حذرتهم أن لا يأخذوني معهم لأنّ ذهابي معهم سيوقعهم في بعض المشاكل، وفعلاً انقلبت السيارة في منتصف الطريق ولحقت بهم أضرار فادحة، ولهذا فارقتهم. وبعد عدّة سنوات لقيت امرأة في الشارع ليلاً وأخذتها معي إلى بيتي، إلا أنها بمجرّد أن دخلت البيت أصيبت بحمّىً شديدة وساءت حالتها الصحّية حتى رفعت يدي مبتهلاً إلى الله أن لا تموت المرأة في بيتي، وإني لن أعاود مثل هذه المعاصي.

لمّا أصبح الصباح تماثلت للشفاء، فأعطيتها بعض النقود وصرفتها. وهكذا ابتعدت عن جميع تلك الأفعال، لٰكن نفسي كانت تنازعني على الخمر بين الحين والآخر، إلى أن وقعت لي حادثة في صبيحة أحد أيام الصيف، إذ كنت نائماً وإذا بجرس الدار يدق فنهضت من النوم متثاقلاً ومستاء لأنجي تصورته منظّف الشارع قد جاء في هذا الوقت المبكّر وأردت الاعتراض عليه، ولمّا فتحت الباب وجدت شخصاً يرتدي ثياب المنظّفين وبادرني قبل أن أتفوّه بأي كلام، بقوله: يا حضرة السيد ما دمت

تدّعي إنك من مريدي الشيخ حسن علي الأصفهاني، لماذا ترتكب مثل هذه القبائح، وصار يعدد لي أعمالي القبيحة، وأنا مدهوش كيف يعرف هذا الشخص الغريب أعمالي الخفيّة هذه. ولمّا أتمّ كلامه قال: انتظر إذن أن تنزل بك نازلة لكي تستقم في حياتك، ثم ابتعد عدة خطوات واختفى عن عيني فجأة، فبحثت عنه هنا وهناك ولم أعثر له على أثر في الشارع الذي كان خالياً من المارّة في الصباح. فسألت البقّال المجاور: ألم تشاهد شخصاً بهذه المواصفات؟ نفىٰ الرجل رؤيته لمثل هذا الشخص.

مضت عدة أيام وبدأت المشاكل تنهال عليّ الواحدة تلو الأخرى واضطررت من جرّاء ذلك إلى الخروج من طهران لعدة أشهر، وقد حالفني الحظ في عدم ارتكاب أي ذنب، إلى أن بدأت تظهر علي تدريجياً معالم الصفاء الروحي. كتبت في أحد الأيام رسالة إلى ذلك الرجل الصالح سألته فيها: كيف سيكون موقفي أمام الله وكيف سينظر لي مع كل ما لدي من ذنوب ومعاصي. فكتب لي في الجواب: لا تخش مما علق بذيلك من الذنوب لأنّك من أصل طاهر ومن نسب حيدر.

الحكاية ٦٤:

نقل لنا محمد جعفر لؤلؤيان يقول: سكنت مدينة زاهدان مدة من الزمن، سافرت من بعدها إلى بلاد الهند. وذهبت في أحد الأيام إلى مقبرة السيّد جلال الدين حيدر، ومن هناك دخلت في تكية رأيت فيها درويشاً شاباً يجلس على أريكة ويقف بين يديه مائة شخص احتراماً له. لما سلّمت استقبلني الشاب الذي يبدو أنّه قطبهم وفسح لي مجالاً إلى جانب أحد الدراويش، وأمر أن يأتوني بشاي. لما أتوني بالشاي رأيت أنّه أخضر اللون، ففكرت مع نفسي أنّه لو كان شاياً أسوداً لكان أفضل،

عرف الدرويش بنيّيت فأمر فوراً أن يأتي لي بشاي أسود. وفي الليل عين لي غرفة وأمر بإكرامي.

لم يغمض لي جفن في تلك الليلة حتى الصباح وكنت ألوم نفسي وأقول لماذا جئت إلى هنا بدلاً من الذهاب إلى مشهد وزيارة الإمام الرضا عليه السلام، ثم إنني الآن صرت عند شاب لا أعرف أطواره.

في الصباح دعاني الدرويش الشاب وقال لي: إننا لم نأت بك وإنّما أنت جئت بنفسك، فلماذا أسأت الظن فينا الليلة البارحة؟ وأدركت من ذلك الموقف أن الشاب مطّلع على جميع خواطري القلبية. ثم قال لي: لماذا لم تذهب إلى الشيخ حسن علي الأصفهاني في مشهد؟ قلت: لا أعرفه. قال: إنه شيخنا وقدوتنا جميعاً.

بقيت في تلك التكية ثلاثة أيام وفي الليلة الرابعة توسّلت بالسيد جلال الدين حيدر. وعند الصباح قال لي الشاب: إنّك توسّلت البارحة بمقام أعلى، وقد خرج أمرك من يدي. ثم قال لي: اذهب إلى مشهد إلى الشيخ حسن علي الأصفهاني في «نخودك» وزره، ثم أردف قائلاً: ذهب ابنك مهدي اليوم من زاهدان إلى مشهد، وفي الطريق أخذ مساعد السائق حاوية طعامه، وأكل الطعام ورمى الحاوية في البر وقال له إن حاوية طعامك قد فقدت.

عند عودتي من الهند ذهبت إلى مشهد، ولما سألت ابني عن حاوية الطعام تبيّن لي صحّة ما قاله الدرويش. بعد أيام من وصولي إلى مشهد حصل سوء تفاهم بيني وبين زوجتي فخرجت من البيت غاضباً، وخطر على ذهني أن أذهب إلى نخودك لأزور الشيخ حسن علي. ولما وصلت إلى داره وطرقت الباب، كلّمني شخص من خلف الباب وسألني: ماذا

تريد؟ قلت: أريد مقابلة الشيخ. قال بعد لحظة من الصمت: هو ليس في الدار، لقد ذهب إلى المدينة. خامرتني بعض الهواجس والظنون أنّه موجود في البيت لكنه لم يشأ مقابلتي، فرجعت إلى المدينة.

بعد يومين جاء تاجر سيد واسمه: السيّد علي أصغر اعتمازاده وقال لي: الشيخ حسن علي الأصفهاني يدعوك لزيارته. سألته: ومن أين يعلم أن لي صلة معك؟ قال: لا أدري، هو جاءني اليوم صباحاً وأمرني أن أخبرك بالذهاب إليه غداً في نخودك. فنفّذت أمره وذهبتفي اليوم التالي إلى نخودك وحظيت بمقابلته. وبعد التحية والسلام قال لي: من يريد أن يذهب لزيارة صديق لا بد وأن يكون على قدر من الارتياح والاستقرار. أما أنت فقد تشاجرت مع زوجتك في البيت، وجئت لزيارتنا وأنت في حالة من الغضب، ولما لم تجدنا ظننت أننا في البيت ولم نستقبلك.

أخذتني الحيرة من هذا الكلام، وبعد أن تحدثت معه لبعض الوقت، قال لي: اذهب الآن إلى دارك بأسرع ما يمكن وأجمع كل ما لديك من أوراق ورسائل وأحرقها وأجمع الرماد في صرّة وألقها في بئر. سألته: ولماذا؟ قال: مصلحتك في هذا؛ لأنّ رجال الشرطة سيداهمون دارك بعد ساعة.

نهضت من ساعتي وجئت إلى المدينة على عجل ونفذت ما أمر به الشيخ بعد برهة داهم رجال الشرطة الدار بغتة وفتّشوها لكنهم لم يعثروا على شيء، فنجوت من ذلك الخطر.

وفي الليل شاهدت في عالم الرؤيا أن مجلساً لذكر الحسين عليه السلام قد أقيم في دارنا والإعلام الخضر ترفرف فيها، وفجأة دخل جماعة وأخذوا الأعلام وذهبوا.

ذهبت في اليوم التالي إلى الشيخ وقصصت عليه الرؤيا. تأمل لحظة وقال: لقد أحرقت التوصيات والذكر التي أعطاها لك ذلك الدرويش في الهند مع سائر الأوراق والرسائل. وعند رجوعي إلى الدار فتشت كل زواياها بحثاً عن تلك الورقة التي أعطانيها الدرويش فلم أجدها، وفهمت أنني قد أحرقتها خطأً ـ بسبب اضطرابي ـ مع سائر الأوراق.

الحكاية ٦٥:

قال لنا السيّد مهدي الهزّاوي: ذهبت قبل عدة سنوات إلى مدينة مشهد، وكنت بعد زيارة الضريح المقدّس للإمام الرضا عليه السلام أمر على قبر الشيخ حسن علي الأصفهاني وأجلس عنده ساعة وأقرأ الفاتحة لروحه الطاهرة وأستغفر له. وفي تلك المرة رأيت شخصاً وقف على قبره وصار يقرأ له الفاتحة بكل خشوع وإجلال ويبكي على فقده. أثارت وضعية ذلك الرجل اهتمامي ودفعتني إلى الوقوف هناك حتى ينتهي مما هو فيه، ولما همّ بالذهاب استوقفته وسلّمت عليه وسألته قائلاً: يبدو أن سبب هذا البكاء والنحيب أمر استثنائي؟ فأجاب بقوله: نعم، هو كذلك. فقبل عدّة سنوات أُصيبت زوجتي بجرح الخنازير، وفضلاً عن أنني صرفت عليها كل ما أملك، فقد اضطررت إلى الجلوس في البيت والاهتمام بأمرها ورعاية أطفالنا الأربعة، وهكذا تركت العمل وأصبحت في حالة يُرثىٰ لها من الفقر والتعاسة.

وفي أحد الأيام دلّني أحد الأصدقاء على الشيخ حسن علي رحمة الله عليه. وبعد الدخول عليه عرضت عليه معاناتي، لكنه كان مغمضاً عينيه حتى بدا وكأنّه لم يلتفت لكلامي أبداً. شعرت باليأس وحاولت الخروج من عنده إلا أنّه فتح عينيه وقال: تأتي في آخر يوم أربعاء من السنة وتأتي

معك بمقدار من التمر. فقلت: وماذا أفعل من الآن حتى آخر السنة؟ قال: مثلما كنت تفعل حتى الآن.

جئته في اليوم المحدد ومعي كمية من التمر، أخذ منه سبع تمرات بكفّه وقرأ شيئاً ونفخ عليها، وأعادها إليّ قائلاً: تأكل المريضة تمرة واحدة كل يوم، ولا تأكل التمر بعدها طوال حياتها. استأذنته وذهبت إلى البيت. لم تمض ثلاثة أو أربعة أيام وقبل نفاد التمرات شفت زوجتي، وبدأنا حياتنا من جديد، ولله الحمد والمنّة فأنا وأسرتي نعيش الآن بمنتهى الرفاه والسعادة، ثم أضاف: ألا ترى أنّه يحق لي البكاء ما بكيت على فقدان هذا الرجل الجليل.

الحكاية ٦٦:

ذكر الشيخ محمد مهدي تاج وهو من كبار الوعاظ في طهران، بأن أحد تجّار طهران المعروفين اشترى بستاناً في منطقة شميران وكان خالياً من الماء ولم تكن أنابيب الماء موجودة آنذاك. ولهذا السبب اضطررنا لحفر بئر عميق في داخل البستان لأجل أن نستخرج منه الماء بواسطة المضخّة لسقي البستان. وحفرنا في عدة أماكن من البستان إلا أنّنا لم نصل إلى الماء ولم نحصل على أيّة نتيجة رغم ضخامة المبالغ التي صرفناها. وفي تلك الأثناء قررت الذهاب في أحد الأيام إلى مدينة مشهد لزيارة ثامن الحجج الإمام الرضا عليه السلام، وهناك ذهبت أيضاً لزيارة الشيخ حسن علي الأصفهاني لسابق معرفة بيننا، ونقلت له ضمن حديثنا قصة البستان والآبار المتعددة التي حفرت فيها، وحجم الخسائر التي تحملناها وطلبت منه العون لحل هذه المشكلة.

فقال: سأقدّم لكم بعض التوصيات إذا عملتم بها تصلون إلى الماء

أينما تحفرون، وإذا حفرتم بئراً فلن ينضب ماؤه ويكفي لجميع أغراضكم على شرط أن تمدّوا طنبوراً منه خارج البستان لكي ينتفع منها المارّة والجيران. وافقت على الشرط المذكور، فتناول رقعة ورق كتب عليها أدعية وأعطانيها وقال: احفروا أينما شئتم وقبل ذلك ضعوا هذه الورقة في ذلك الموضع ثم ابدؤوا بالحفر، وإذا ظهر لكم الماء ألقوا هذه الرقعة في البئر.

عدت إلى طهران وفعلت كما أشار سماحته، فظهر لنا الماء في أول موضع حفرناه، ومرّت سنوات ونحن ننتفع بذلك البئر مع كثرة ما نسحبه منه من الماء بواسطة المضخّة في فصل الصيف، ولم يظهر على مائه أي نقصان.

وقمنا كذلك بتنفيذ وصيّته في مد طنبور ماء خارج البستان لينتفع منه عامّة الناس.

الحكاية ٦٧:

ونقل لنا الشيخ محمد مهدي تاج أيضاً: أحكي لكم قصّة سمعتها متداولة بين الناس في مختلف الأرجاء وهي قصة إبراهيم الترك، ووردت هذه القصّة أيضاً في كتاب «التقوىٰ وما أدريك ما التقوىٰ» الذي يتحدّث عن سيرة المرحوم الشيخ محدم تقي البافقي اليزدي رضوان الله تعالى عليه، ونقلها هو أيضاً في كتاب التوسّلات أو «طريق الآملين».

خلاصة القصة هي أن شخصاً اسمه الشيخ إبراهيم الترك وفد على مدينة مشهد لزيارة ثامن الحجج الإمام الرضا عليه السلام ولتقبيل ضريحه المبارك. وأقام هناك مدة طويلة إلى أن أنفق كل نقوده حتى لم يبق لديه شيء لنفقة الطريق وشراء الهدايا لأهله. يقول الرجل: فكرت مع نفسي

في نظم قصيدة في مدح أحد الشخصيات الكبيرة في المحافظة (المحافظ) لأنال منه جائزة. ونظمنها فعلاً، ولكن خطر على ذهني فيما بعد لو أني نظمت قصيدة بحق الإمام الرضا أتلوها إلى جوار قبره لكان أولى، ومن غير اللائق أن أمدح إلى جوار قبره شخصاً آخر، أو أن أطلب منه حاجة، فاستغفرت الله ونظمت قصيدة بحق الإمام الرضا عليه السلام ودخلت الصحن الشريف وقلت بعد الزيارة: مولاي أني نظمت قصيدة بحقّك وأنتظر منك الجائزة.

ثم بدأت بإنشاد القصيدة إخفاتاً، واقتربت من الضريح الشريف وقبّلته وعرضت حاجتي، وانتظرت هناك لبرهة من الزمن إلا أنني لم أحصل على نتيجة ولم تأتني أية جائزة أو صلة. شعرت عند ذاك بالاستياء، فقلت: مولاي لو أني قرأت هذه الأشعار لغيرك لكان نوال الجائزة مؤكّداً، ولكن لا نتيجة من قِبَلك.

خرجت من الضريح الشريف وأنا فاقد الأمل، ولمّا كنت على وشك الخروج من باب الصحن قابلني شيخ جليل اقترب مني وصافحني وقال: خذ جائزة الإمام هذه ولا تعودنّ لمخاطبة الإمام بهذه الوقاحة. وبعد المصافحة رأيت مظروفاً في يدي وقد منعتني هيبة الرجل من الكلام، فأخذت المظروفو واصلت سيري ولمّا فتحته وجدت فيه مبلغ مائة وعشرين توماناً كانت كافية لسد جميع نفقاتي للعودة والهدايا.

بعد دقائق من هذا الموقف اقتربت من الصحن الشريف وسألت أحد الخدّام ـ وكان شاهداً للموقف ـ عن ذلك الرجل الفاضل وقلت له: من كان ذلك الرجل الجليل الذي صافحني؟ قال: إنّه الشيخ حسن علي الأصفهاني، وهو على صلة مباشرة بالإمام الرضا عليه السلام.

الحكاية ٦٨:

يذكر الشيخ تاج أيضاً: في أحد الأيام ذكرت على المنبر شيئاً من كرامات الشيخ حسن علي الأصفهاني رحمه الله وعند نزولي من المبنر دنا مني شخص وسألني: وهل كنت قد رأيت الشيخ؟ قلت: كلا. قال: أما أنا فقد كنت زرته، وعندي حكاية عن لقائي به، وهي أنني ذهبت أنا وجماعة من أصدقائي إلى مشهد لغرض الزيارة. بعد دخول مشهد أعلن بعض الأصدقاء أنهم يرغبون بزيارة الشيخ حسن علي الأصفهاني، ولأجل قضاء بعض الحاجات، ودعوني للذهاب معهم؛ ألا أنني قلت لهم: من يقصد الإمام الرضا عليه السلام لا ينبغي له أن يقصد غيره. وامتنعت عن الذهاب إلا أنّهم ألحّوا علي بأن أذهب ولا أطلب منه شيئاً. فوافقت على طلبهم وذهبت معهم. ولما دخلنا عليه، عرض أصدقائي عليه بعض حاجاتهم وتلقّوا منه الجواب. أما أنا فوقفت عن بعد وبقيت أُلاحظ ما يجري.

في تلك الأثناء دعاني الشيخ وهمس في أذني قائلاً: ومن قال إن زيارة الشيخ تتعارض وزيارة الإمام الرضا عليه السلام؟

الحكاية ٦٩:

أتذكر أن شخصاً جاء من طهران وقصد أبي وقال له: دخل داري لص وسرق كل ما فيه من أثاث. تأمل قليلاً ثم قال: اذهب اليوم إلى طهران، وفي يوم الأربعاء قبل طلوع الشمس تقف في ميدان حسن آباد في الجهة الشرقية من الشارع، وسيمر عليك ثلاث جماعات الأولى مؤلفة من أربعة أشخاص، والثانية خمسة، والثالثة سبعة، بفواصل متفاوتة. الشخص السابع من الجماعة الثالثة ويحمل تحت إبطه صرّة هو سارق دارك. ينقل هذا الشخص لاحقاً أنّه نفّذ ما أوصاه به الشيخ وقبض على السارق واسترد أمواله.

الحكاية ٧٠:

شخص في طهران تعرض منزله للسطو وسرقت كل أمواله وأثاثه؛ فراجع الشرطة ولم يحصل على نتيجة، فدلّه أحد أصدقائه على الشيخ فكتب إليه رسالة يشرح فيها قصّته ويطلب منه العون، فكتب له الشيخ: إن حل مشكلتك بيد «جناب». وما يدريني من هو جناب، وأين ومتى أذهب إليه؟

لمّا أراد الشخص وضع السرالة في صندوق الرسائل كان في حالة شديدة من الاضطراب والدهشة فكان يمرّ على صندوق الرسائل ولا يلتفت إليه، وبعد أن تردّد من هناك عدة مرات، لفت إليه أنظار أحد رجال الأمن الذين كانوا يشددون الرقابة على الناس في عهد رضا خان، ولما أراد وضع الرسالة في الصندوق أمسك به رجل الأمن وشدّد في مساءلته: من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟ فقال له الرجل: ومن أنت؟ قال: أنا جناب ومن رجال الأمن.

عندما دقق الرجل المذكور نظره إلى رجل الأمن وجد أنّه يرتدي ثيابه. فقال له: لقد كنت أبحث عنك، وأمسك أحدهما بالآخر، وتشاجرا ووصل بهما الأمر إلى مديرية الأمن، فقال رجل الأمن لمديره: لقد شككت في أمر هذا الرجل، ولما أردت الإتيان به إلى هنا، أمسك بي وصار يقول: كنت أبحث عنك ولن تفلت مني.

لما استفسر مدير الأمن من الشخص المذكور عن حقيقة الأمر، قال له: قل لهم أن يأتوا برسالتي من صندوق الرسائل لتطلّع على حقيقة الأمر. أمر مدير الأمن بالإتيان برسالته من دائرة البريد، وقرأها، وسأل رجل الأمن عن اسمه فقال: اسمي جناب.

واصل الرجل الذي سرقت داره شرح قضيّته لمدير الأمن قائلاً: وعندما كنت قرب صندوق الرسائل حائراً في أمري، جاءني هذا الرجل فرأيته مرتدياً ثيابي ولذلك أمسكت به. واستفسر مدير الأمن من رجل الأمن عن هذه الثياب من أين اشتراها: قال له: اشتريتها من محل لبيع الملابس الجاهزة وعين لهم عنوان المحل المذكور.

أمر مدير الأمن بإحضار صاحب المحل فوراً، وبعد التحقيق معه تعرفوا على السارق وقبضوا عليه وأعادوا المال المسروق إلى صاحبه.

الحكاية ٧١:

نقل محمد تقي البخارائي وكان ممّن هرب من بخارى عند قيام الثورة البلشفية في روسيا، يقول: حامت حولي بعض الشبهات في زمن رضا شاه فألقوا القبض عليّ ونفوني إلى كاشمر، وأودعوني بعدها السجن. وفي السجن فكرت بالاستعانة بالشيخ حسن عليّ الأصفهاني وذلك بأن أكتب له رسالة. إلا أنّني غيّرت رأيي خشية أن تؤدي الرسالة إلى إيجاد بعض المتاعب لي وللشيخ.

بعد أيّام وصلتني رسالة من الشيخ يقول فيها: إن كنت قد خشيت من كتابة الرسالة فإنني لم أخش منها. وكت لي في الرسالة أيضاً بعض التعليمات التي أقوم بها لأتخلّص من السجن. وفعلاً قمت بتنفيذ جميع التعليمات الواردة في الرسالة، وبعد عدة أيام أطلق سراحي.

الحكاية ٧٢:

ونقل كذلك محمد تقي البخارائي يقول: إن الشيخ كان يقول لمن يراجعه من المحتاجين أو الذين يواجهون بعض المعضلات: قدموا النذور للسادة الهاربين من بخارى، ثم يقدم لهم بعض التوصيات فتحل مشاكلهم.

في أحد الأيّام قال لي تاجر: لديّ كمية من الجلود ولا أحد يشتريها منّي، وأريدك أن تطلب من الشيخ دعاء يعجل بيعها، وسأقدّم للسادة مئة تومان ولك عشرة تومانات. جئت إلى الشيخ وعرضت عليه الأمر، فقال: قل له تباع بضاعتك بعد أربعين يوماً. بعد عشرين يوماً رآني التاجر فقال لي: لم يحصل أي تغيير حتى الآن.

قررت الذهاب إلى الشيخ لأستعلم منه الأمر، وفي تلك الليلة رأيت في المنام أني ذهبت إلى الشيخ فوجدته يصلّي تحت شجرة، فسألني شخص كان عنده عن حاجتي فعرضت عليه المسألة؛ قال: انظر إذا كان اسمك على أحد أوراق الشجرة فحاجتك تنقضي. نظرت إلى أوراق الشجرة فرأيت اسمي عليها، وانتبهت من النوم.

بعد تسع وثلاثين يوماً واجهني التاجر وقال: لم يبق إلاّ يوم واحد ولم يحصل أي تغيير. قلت له: اصبر حتى الغد وإذا لم يأتِ أحد لشراء الجلود فسأُراجع الشيخ.

وفي صبيحة اليوم الأربعين جاء تاجران من أهالي ألمانيا، من طهران إلى مشهد وراجعوا التاجر واشتروا منه جميع ما لديه من جلود. وفي نفس ذلك اليوم وصلتهم برقية من طهران تؤكد أن هذه الكمية تكفي فلا تشتروا بعدها آية جلود. فأخذوا بضاعتهم وذهبوا إلى طهران، ووفىٰ التاجر بنذره.

الحكاية ٧٣:

بعد مرور عدّة سنوات على وفاة والدي (قدّس سرّه) جاء إلى دارنا في أحد الأيام شخص مريض في عربة يجرّها حصان، وجاء معه إلى الدار سائق العربة أيضاً وقال: كنت أرغب بمقابلتكم منذ سنوات لكن

الحظ لم يحالفني، وكان هذا المريض سبباً لرؤيتكم اليوم وكان غرضي من لقائكم هو أن أنقل لكم القصة التالية:

كان من عادة المرحوم الدكتور الشيخ حسن خان العاملي[1] عندما يركب في العربة أن لا يقول لسائق العربة مقصده، بل كان يوجهه من خلال القول إلى اليمين أو إلى اليسار. وفي أحد الليالي مررت بعربتي في وقت متأخر من أمام عيادته فرأيته واقفاً هناك. فأشار بيده إليّ لأتوقّف، ولمّا ركب قال: تحرّك.

بعد أن سرنا مسافة أدركت أنّه يريد الذهاب خارج المدينة. التفتّ إليه وقلت: أيها السيّد الدكتور أنّ عربتي ليس فيها مصباح، وإذا كنت تريد الذهاب خارج المدينة فمن الأفضل أن تركب عربة أخرى. إلا أنّه تجاهل كلامي قائلاً: واصل طريقك. بقيت أسير حتّى وصلنا إلى بوابة المدينة وهناك أشار لي بالتوجّه إلى بساتين تكثر فيها حفر القنوات المتروكة.

قلت له ثانية: سيدي الدكتور، الوقت ليل والجو مظلم وليس لدينا مصباح ومن المؤكّد أننا سنقع في حفرة، أرجو أن تعفيني من هذا. ولم يزد على كلامه إلا أن قال: واصل طريقك، أنت لا تدري إلى أين ذهب.

استسلمت للأمر الواقع وواصلت مسيري، وفجأة سقط الحصان داخل بئر مفتوح من آبار القناة المهجورة، وكانت العربة أيضاً تهوي داخل البئر إذ صرخت: لقد وقعنا يا دكتور! إلا أني سمعت الدكتور يقول في تلك اللحظة الحرجة وبكل برود: لا تخف لن يحصل شيء.

لم تمض إلاّ لحظات حتى رأيت وبكل دهشة أننا نخرج من البئر فكنت أنا وإيّاه نجلس في مكانينا بشكل طبيعي. فأخذتني الحيرة وسألت

---

(١) هو الدكتور الشيخ حسن خان العاملي، من مريدي والدي المرحوم وطبيبه.

الطبيب: ما هذا؟ قال: ألم أقل لك لا تخف؟ لأنّنا ذاهبان إلى نخودك لزيارة الشيخ حسن علي وهو يحفظنا.

واصلنا طريقنا حتى بلغنا نخودك، وبقي الدكتور عند الشيخ إلى ما يقارب آذان الفجر ثم رجعنا إلى المدينة. وبقيت أنا منذ ذلك الوقت أفكر كيف وقعت هذه الحادثة، وكيف خرجت العربة من البئر بعد ما وقعت فيه، ومن الذي أنقذنا، وكيف أننا لم نصب بأي أذىً؟ ولا زلت حتى الآن أجهل ذلك.

الحكاية ٧٤:

نقل لنا نظام التولية سادن الروضة الرضوية المقدّسة يقول: كنّا فيما مضى نتناوب الخفاوة ليلاً على الروضة المقدّسة. وفي إحدى ليالي الشتاء كانت نوبتي وكان الجو شديد البرودة، والثلوج تتساقط بغزارة.

وفي أول الليل جاءني خدّام الصحن الشريف وقالوا: لا يوجد أي زائر في الضريح بسبب برودة الجو وتساقط الثلوج، هل تسمح لنا بإغلاق الأبواب، فسمحت لهم وأغلقوا الأبواب وجاؤوني بالمفاتيح. ثم جاءني الشخص المسؤول عن سطح الضريح وقال: إن الشيخ حسن علي الأصفهاني يصلّي على السطح من أول الليل حتى الآن، وهو منذ فترة في حالة سجود، وقد جئته عدة مرّات فوجدته على نفس تلك الحالة، هل تأذن لي أن أقول له إننا نريد إغلاق الأبواب؟ قلت له: كلا، اتركه وشأنه، وخذ كمية من الحطب وضعها في الغرفة الكائنة فوق السطح لكي يستخدمه متى ما فرغ من صلاته، وأغلق باب السطح أيضاً.

وقام الشخص المذكور بكل ما أمرته به وانصرفنا جميعاً إلى بيوتنا. وتواصل سقوط الثلج تلك الليلة بغزارة. ولما أتينا قبيل الفجر لفتح

الأبواب، قلت لخادم السطح اذهب وانظر الشيخ في أية حالة هو. ذهب وعاد بعد دقائق ليقول لا زال على نفس تلك الحالة من السجود وقد استوى ظهره مع سطح الثلج.

كان من الواضح أنّه بقي على حالة السجود من أول الليل إلى السحر ولم يشعر بالبرد الشديد في تلك الليلة، ولم يفرغ من صلاتهتلك إلاّ عند آذان الفجر.

الحكاية ٧٥:

نقل لنا السيّد محمد دعائي الزارجي وكان من وعّاظ يزد المعروفين قال: تعرّفت على الشيخ حسن علي الأصفهاني بواسطة صديق لي اسمه الملاّ حيدر في مدينة أصفهان. وفي أحد الأيام أخبرته أن أبي قد ذهب لزيارة العتبات المقدّسة ولا نعلم عنه شيئاً حتى الآن. تأمّل الشيخ لحظة ثم قال: إنّ والدك الآن في خمين وقد نزل ضيفاً على علي أكبر السردار، وهو جالس الآن تحت شجرة مشمش ويشرب لبن البقر.

تعجبت من المقطع الأخير من كلام الشيخ لأن والدي لا يشرب لبن البقر أبداً. وفي اليوم التالي خرجت لاستقبال والدي عند بوابة مدينة أصفهان وقابلته فعلاً هناك، وسألته عن أوضاعه في اليوم الماضي ووجدتها مثلما قال الشيخ تماماً. ولما سألته: لماذا شربت لبن الجاموس بالأمس، وأنت لا تشربه عادة؟ قال: خرجت من الحمام وكنت في عطش شديد، مما اضطرني إلى أن أشرب منه.

الحكاية ٧٦:

ونقل لنا أيضاً السيّد محمد دعائي أن الملاّ حيدر ذهب يوماً إلى ظفرة وعقد هناك مناقشة مع أبناء الملاّ محمد علي المختار وغلبهم،

فاستاء المختار من ذلك الموقف كثيراً وأمر بربط الملاّ حيدر على شجرة وضربه بالعصا. بعد هذه الحادثة جاء الملا حيدر إلى أصفهان وحدّث الشيخ بما جرى له، فكتب الشيخ إلى الحاج نور الله بن المرحوم النجفي رسالة يقول فيها: يجب أن تعزل الملاّ محمد علي من عمله وتربطه على شجرة وتضربه بالعصا، وتعيّن بدله الملاّ حيدر كمختار للمنطقة، لكن الحاج نور الله رفض تلبية طلب الشيخ.

في اليوم التالي قال لي الشيخ: إذا أردت أن ترى ما سيجري فتعال معنا. كنت في تلك اللحظة أزور زيارة عاشوراء فأشرت لهم أن ينتظروني، وبعد إتمام الزيارة توجّهنا سوية صوب ميدان الشاه، وفي تلك الأثناء مرّ الحاج نور الله من هناك بالعربة. قرأ الشيخ ذكراً وأشار بيده وفجأة بدأت الأحجار تتساقط على عربته ووقع سائقها بعيداً. وشُجَّ رأس الحاج نور الله. اجتمع الناس مدهوشين لما حصل ورتّبوا العربة من جديد وركب فيها الحاج نور الله وهو مذهول. ولما أراد الخروج من الميدان اقترب منه الشيخ وقال: إذا لم تُبعد كلبك من ظفرة ولم تنفّذ ما أمرتك به، سيجري عليك مثل هذا كلما تخرج من البيت.

رجعنا مع الشيخ إلى المدرسة وبعد ساعة جاءه خادم الحاج نور الله واسمه: «أبو الفقراء» وقال للشيخ: إن الحاج نور الله يريد مقابلتك. فقال له الشيخ: لا شأن لي معه، وإذا كان له شغل معي فليأتي إلى هنا، وقل له إن موقفي هو كما قلت له. رجع الخادم وأبلغ الحاج نور الله بقول الشيخ، فما كان منه إلا أن نفذ أمره، وعزل الملاّ محمد علي وربطه بشجرة وضربه بالعصا، وعيّن بدله الملاّ حيدر كمختار للمنطقة.

بعد عشرة أيام أرسل الشيخ خبراً للملا حيدر يقول له فيها: هذا يكفي، قدم استقالتك من هذا العمل وارجع إلى طلب العلم.

الحكاية ٧٧:

ونقل السيد محمد دعائي أيضاً: كانت بين يزد وأصفهان خصومة وعداء استغرق مدة من الزمن، فليس بمقدور أحد من الناس السفر بينهما. وأنا أيضاً انقطعت عنّي أخبار والدي الذي كان يعيش آنذاك في مدينة يزد وكنت قلقاً عليه، ولهذا ذهبت إلى الشيخ وأخبرته بحالتي، فقال: اليوم أأتي إليك عصراً وادخّن عندك الغليون.

عندما جاءني عصراً جلس خلف طاولة صغيرة وبقي يفكر لعدة دقائق ثم أعطاني قطعة من سكر المكعّبات وقال: إن أباك وأختك جالسان الآن يتناولان الشاي، وقطعة السكّر هذه أراد والدك أعطاءها لأختك فسقطت منهما وأخذتها أنا، وكلاهما صحيح ومعافى. وكان شكل قطعة السكر مربّعاً ومشابهاً تماماً للسكر الذي يستعمله أبي. وبعد مدة التقيت بأبي وحدّثته بما جرى ذلك اليوم، فأكّد صحّة الكلام وقال: لمّا وقعت قطعة السكّر من يدي ضاعت كلياً ولم نعثر عليها.

الحكاية ٧٨:

وذكر السيّد محمد دعائي أيضاً: في السنة التي اجتمع فيها العلماء في قم، قررنا الذهاب إلى كربلاء مع عدد غفير من الزوار، لكن السيد أبا الحسن الأصفهاني منعنا من الذهاب، لهذا اتّجهت إلى مشهد لزيارة الإمام الرضا عليه السلام وفي سبزوار التقينا بالسيّد محمد الخرونقي الذي توجّه معنا إلى مشهد أيضاً.

كنت خلال الطريق منهمكاً بقراءة بعض الأدعية والأوراد وإذا بي أرى شيخاً مرّ من جانب فرسي وهو يسير على قدميه، وبما أنني لم أشاهد الشيخ منذ سنوات طويلة لذلك لم أعرفه في بداية الأمر، ولمّا دققت

النظر فيه عرفته وأردت أن أترجّل لكنه أقسم عليّ أن أواصل مسيري على ما أنا عليه وقال: أرغب في أن أسير معكم مشياً على الأقدام.

وصلنا إلى نُزُل أهالي هرات وأخذنا قسطاً من الراحة، ثم قلتُ للسيد الخرونقي أن يستعد للزيارة إلا أنّه عاد إليّ بعد دقائق وقال: إني غير مستعد للزيارة لأني فقدت في الطريق كتاب المفتاح وفيه جميع وثائقي وأوراقي الرسمية.

في هذه الأثناء قال الشيخ: لا بأس عليك، سيكون الكتاب مع ما فيه من مستندات وأوراق رسمية، عندك بمجرّد ما إن تبدأ بالزيارة. فارقنا الشيخ وذهبنا نحن إلى الحمام واغتسلنا واتّجهنا بعد ذلك إلى الصحن الشريف. وعندما شرعنا بالزيارة رأينا الشيخ قدم علينا فجأة وأعطى الكتاب للسيد وذهب. ولمّا فتح السيد كتابه وجد فيه جميع المستندات والوثائق. بعد أداء الزيارة توقّفنا عند الرأس الشريف لإداء صلاة الزيارة ولاحظنا أن الشيخ قد جاء، فتعلق السيّد مهدي بردائه ليعلمه أين كان كتابه. قال له الشيخ: لقد أخرجت الكتاب[1] من بين وسائلك في أول نُزُلٍ على طريق يزد في الغرفة التي جلستم فيها للاستراحة، ووضعته على الرف، لكنك نسيته عند مواصلتكم المسير ثانية.

الحكاية ٧٩:

ونقل لنا السيّد محمد دعائي الزارجي أيضاً يقول: سُجنتُ في عام ١٣١٨ في مدينة يزد لانتهاكي للقانون الذي يمنع الوعظ والتبليغ. وعند حلول وقت آذان الظهر، أخذت أُأذّن، إلا أنّ حارس السجن ضيّق عليّ ومنعني من ذلك. فقلت له: الآن وقت آذان، ويجب أن يتلىٰ هذا النداء

(١) كتاب المفتاح: كتاب جامع للأدعية والزيارات.

في مثل هذا الوقت في كل مكان. إلا أنّه تشدّد في منعي فضربته، فأمروا بسجني في زنزانة انفرادية.

بعد أربع وعشرين ساعة بدأت تظهر أعراض المرض على مدير الشرطة ـ شاهزادة دولتشاهي ـ فجاء واعتذر منّي، ثم أرسلني بحجّة المرض إلى مستشفىٰ الشرطة ووضعوني هناك في غرفة خاصّة مرتّبة ونظيفة وسمح لأصدقائي بزيارتي.

مرّت عليّ سنة وأنا في السجن حتى جاء أحد الأصدقاء لمواجهتي في أحد الأيام وقال: إني أريد السفر إلى مشهد، فهل لديك من عمل أؤديه عنك هناك؟ فطلبت منه أن يدعو لي وقلت له أيضاً: إذا ذهبت إلى مشهد عرّج على الشيخ حسن علي الأصفهاني وقل له: السيّد يسلّم عليك ويقول: أنت قادر على تغيير الوضع الذي أنا فيه، فلماذا لا تفعل لكي يطلق سراحي من السجن.

بعد شهر رجع صديقي إلى يزد وجاء لمقابلتي وقال: ذهبت كما أوصيتني، بعد وصولي إلى مشهد، ذهبتُ إلى الشيخ، فقالوا: أنّه يأتي من خارج المدينة يوم الأحد قبل الظهر ويذهب إلى مدرسة «خيرات خان». ذهبت صباح يوم الأحد إلى مدرسة خيرات خان وبقيت أنتظره هناك برفقة جمع كثير من ذوي الحاجات.

قبيل الظهر دخل الشيخ من باب المدرسة، لم أكن أعرفه، إلا أني أدركت من هجوم الناس عليه أنّه هو الشيخ حسن علي الأصفهاني.

فكّرت مع نفسي أني سأبقىٰ هنا ساعات طوال حتى تنفض هذه الجموع الغفيرة ويصل الدور إليَّ. وكان الشيخ يجلس على دكّة في الغرفة والناس من حوله.

وفجأة رفع رأسه وقال: ليتقدم الشخص الذي جاء من يزد ومعه وصيّة. فقمت فوراً وتقدّمت إليه وسلّمت عليه، وقبل أن أتكلّم بادرني هو بالقول: ب لّغ سلامي إلى السيّد محمد وقل له: لا داعي للتدخل في أُمور لا تعنينا، و«الأب الكبير» هو الذي يستطيع تغيير الأوضاع متى ما شاء، وقل له إنّه سيُطلق سراحه بعد شهرين.

يقول صديقي: ولم تعد لي ساعتها أية قدرة على الكلام فنهضت من عنده، ولكن بعد هنيهة فكرت مع نفسي لو سألني السيد محمد: من هو «الأب الكبير» بماذا سأُجيبه؟ فرجعت فوراً وقلت للشيخ: لو سألني السيّد محمد: من هو «الأب الكبير» بماذا أُجيبه؟ قال: قل له: الإمام صاحب الزمان عليه السلام مطلع على جميع الأمور، ومتى ما شاء يستطيع تبديل الأُمور، ومثل هذه المسائل لا تتعلّق بي وبك.

يقول السيد محمد دعائي: وهكذا أُطلق سراحي من السجن بعد شهرين كما قال الشيخ.

الحكاية ٨٠:

وذكر لنا أيضاً السيّد محمد دعائي الزارجي يقول: ذهبنا أنا والملاّ حسين الأشكذري إلى مشهد لزيارة الإمام الرضا عليه السلام، وهناك دعانا الشيخ حسن علي الأصفهاني إلى داره في أحد الليالي، وبعد تناول العشاء أعطاني قطعة من السكر المضغوط (قند) مخروطية الشكل وقال: إذا وصلت إلى خرونق، أعطي هذا السكر إلى السيّد مهدي الخرونقي وقل له: أتتزوج من غير أن تخبرنا، لكننا اطّلعنا على الخبر، وهذه حلوى زواجك.

عند عودتي من مشهد وصلت إلى خرونق، ودخلت دار السيّد مهدي

الخرونقي. وأثناء ما دار الحديث بيننا ليلاً أبلغته بوصيّة الشيخ الأصفهاني وقدمت له السكر الذي تكرّم به الشيخ عليه. فسألنا السيّد مهدي: في أية ليلة كنتم في داره؟ فأخبرته بتاريخ تلك الليلة وتبيّن أنّه قد تزوّج خفية في تلك الليلة ولم يعلم أحداً بخبره.

عندما كنّا نتكلّم أنا والسيّد في تلك الليلة صادف أنّه زوجته كانت وراء الباب وتسمع حديثنا، ولمّا دخل هو إلى الغرفة لقي عتاباً مريراً من زوجته الأولى.

الحكاية ٨١:

حكى لنا والدي المرحوم الشيخ حسن علي الأصفهاني قائلاً: عندما كنت طالباً للعلم في أيام شبابي، كان عندي كتاب أمانة وفقد منّي، فقلت للأُستاذ: كان لدي كتاب أمانة وفقدته، وقد لا يقبل صاحبه عذري ويتصوّر أنني لا أُريد إعادته له.

قال الأُستاذ: سأدلك على طريقة إذا عملت بها ترى موضع الكتاب في المنام. فعملت كما أوصاني الأُستاذ، فرأيت في المنام ليلاً أن الكتاب تحت كتب أحد الطلبة في إحدى غرف المدرسة. وفي الصباح قصصت رؤياي على الأُستاذ، فقال لي: راقب هذا الطالب ومتى رأيته يخرج من غرفته اذهب وخذ الكتاب ولا تعلم أحداً حتى لا تخدش كرامته، ففعلت كما أمرني.

كما وذكر أيضاً، يقول: بعد مدة ذهبت إلى دار العالم العارف السيّد حسين نائب الصدر خاتون آبادي للمشاركة في مجلس العزاء الذي يقيمه في العشرة الأولى من شهر محرم الحرام حزناً على مصيبة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وكان عنده مشير السلطنة الذي كان يعمل معاوناً لظل

السلطان، فقال للسيد: لقد فُقد صندوق الجواهر المتعلق بظل السلطان من غرفة نومه، وقد قام الآن بسجن جماعة من الناس وتعذيبهم، وهو يقول: إذا كنت عاجزاً عن حفظ أموالي فكيف لي بالمحافظة على أموال الناس؟ ولا زال بعض الناس يعذبون في السجن لأجل هذا الموضوع.

قلتُ لمشير السلطنة أن يخبر ظل السلطان إذا كان مستعداً لعدم المطالبة بالسارق، فأنا سوف أدلّه على ماله. وفي اليوم التالي جاء مشير السلطنة إلى الشيخ وقال: أعلن ظل السلطان عن استعداده لقبول هذا الأمر.

قلت له: يجب أن يتعهّد ظل السلطان خطيّاً بأنّه لن يطالب بالكشف عن السارق، لأنّه قد يطالب ـ بعد العثور على المجوهرات ـ بالكشف عن السارق.

وفي اليوم التالي جاء مشير السلطنة وبيده تعهد من ظل السلطان كتبه بخط يده. فقلت له: أخبره بأن يخرج خارج المدينة، ويذهب إلى الموضع الفلاني من القناة المهجورة، ويحفر داخل البئر وسيعثر على الجواهر هناك.

بعد العثور على المجوهرات بأيام جاء مشير السلطنة وقال: إن ظل السلطان يقول: أريد السارق. ومن المؤكد أن هذا الشيخ كان شريكاً للسراق ولما رأوا أننا على وشك الكشف عن الحقيقة وإعلانها للناس لجؤوا إلى هذه الخدعة، ولا سبيل لهم سوى الكشف عن السارق. يقول مشير السلطنة! وكلّما سعيت لثنيه عن عمله هذا لم أفلح في مسعاي. وشعرت بأن أصابع الاتهام ستوجّه إليّ أيضاً فيما إذا تماديت في الدفاع عنكم. ولهذا فمن الأفضل أن تذهب أنت إليه وتكلّمه.

ذهبت في اليوم التالي إلى دار الحكومة وقابلت ظل السلطان وقلت له: أنت ابن ناصر الدين شاه ملك هذه البلاد، وأنت حاكم أصفهان فكيف إذن تسمح لنفسك بنقض عهدك وتوقيعك؟

قال ظل السلطان: إنني لا أفهم هذا الكلام، وأريد السارق.

قلت له: لقد شرطتُ من بداية الأمر أني لا أستطيع الدلالة على السارق ووافقت أنت على ذلك، وأعلمك الآن أيضاً أنني لست قادراً على ذلك.

قال ظل السلطان: سأصدر أمراً بجلدك حتى تعترف من السارق. ثم أمر الفراشين بالإتيان بخشب كثير، وقال لهم: خذوا هذا الشيخ إلى باحة الدار واضربوه. ولمّا رأيت الأمر وصل إلى هذا الحد قلت: إذا تقرر أن يكون هناك ضرب فأنت أولى به. لذا أمرت أن يؤخذ ظل السلطان إلى باحة دار الحكومة وأن يربطوه ويضربوه، وقد حاول الخدام والفرّاشون هناك الإسراع للذبّ عنه إلا أنّهم لاذوا بالفرار بعد أن أخذوا نصيبهم من الضرب.

بعد ذلك خرجت من حديقة دار الحكومة واتّجهت مباشرة إلى مشهد لزيارة الإمام الرضا عليه السلام وطلبت من أحد أصدقائي أن يذهب إلى البيت ويخبر والدتي بذهابي إلى مشهد.

أخبرنا أحد الأشخاص المعروفين في أصفهان فيما بعد بأن مشير السلطنة قال: كان ظل السلطان يُضرب لمدة نصف ساعة ولا يجرؤ أحد على الاقتراب منه، إلى أن تركه الموكّلون، وبعد ساعة عاد إلى رشده، وسأل: أين الشيخ؟ قلنا: لا ندري أين ذهب.

قال مشير السلطنة: ومن تلك الحادثة فصاعداً كلما أتى شخص

معمم، كان ظل السلطان يقول: اهتمّوا بأمر هذا الشخص وأنجزوا عمله. فكنّا نقول له: ليس كل شخص هو ذلك الشيخ. فكان يقول: أجل، ولكن احتاطوا.

الحكاية ٨٢:

نقل لنا والدي يقول: لما وصلنا إلى الحجاز لأداء فريضة الحج لم يكن معنا من المال ما نستطيع به دفع الضريبة التي يفرضها شريف مكّة على كل حاج، فعمدنا أنا وجماعة آخرون ممّن لم يشاؤوا دفع تلك الضريبة إلى سلوك طريق فرعي من جدّة إلى مكّة. وصادفنا رجال الشرطة في الطريق ومنعونا من الذهاب وأمرونا بالبقاء في ذلك الموضع إلى أن يأتي جباة الضرائب، وقالوا بعد دفع الضريبة يمكنكم مواصلة طريقكم، وإلاّ فلا يحق لكم دخول مكّة. جلسنا جميعاً تحت ظلال النخيل بانتظار قدوم جباة الضرائب وأحضر كل من معي النقود التي سيدفعونها كضريبة، وقالوا لي: أنت أيضاً هيّء الضريبة. قلت: ليس معي نقود. قالوا: إذا طمعت في أن ندفع لك مالاً فلن نفعل، وإذا لم تدفع الضريبة لا يمكنك الوصول إلى بيت الله. قلت: لا طمع لي فيكم، بل طامع بعون الله.

قالوا: وكيف يعينك الله في هذه الصحراء القاحلة. قلت لهم: جاء في حديث عن رسول الله ﷺ إن من أعان الناس لله لا لأجر، يأتيه عون الله في البر كالسيل العارم لينجيه من أية مضيقة.

بعد ساعة أعادوا عليّ نفس الكلام، وأعدت عليهم نفس الجواب. فقالوا مستهزئين: يبدو أن هذا الشيخ حشاش ليتفوّه بمثل هذا الكلام، وإلاّ فلا أحَدَ سوانا يعينه في هذه الصحراء، ونحن لن نقدّم له أيّة مساعدة.

لم تمض ساعة حتى تصاعد الغبار من بعيد فقلت لمن معي: هذا خير قادم إليّ. ولكنهم سخروا منّي. بعد لحظات انجلت الغبرة عن فارسين يقودان معهما فرس ثالث اقتربا منّا وقال أحدهما: من منكم الشيخ حسن علي الأصفهاني؟ فأشار جماعتي إليّ. فقال: أجب دعوة الشريف.

ركبت الفرس وذهبت برفقة الفارسين نحو مقرّ شريف مكّة. ولمّا دخلنا عليه وجدت عنده الشيخ فضل الله النوري والشيخ محمد جواد البيد آبادي اللذين كانت تربطني معهما صلة مودّة قديمة، وكانت لشريف مكّة حاجة قضيتها له ـ بإذن الله ـ وتبيّن فيما بعد أن الشريف كانت له حاجة فعرضها على الشيخ فضل الله النوري، فقال له: إن قضاء حاجتك بيد شخص بهذا الاسم، ولو أمرت بالبحث عنه لَوُجِد بين المشاة. ومن هنا أمر الشريف بالبحث عني في جميع الطرق الفرعية والإتيان بي إليه.

الحكاية ٨٣:

ذكر لنا المهندس فرزانه يقول: عزمنا أنا وأحد أصدقائي قبل خمسة عشر عاماً على الذهاب إلى مشهد لبناء مصنع هناك. فقال صديقي إن له صديق اسمه لهراسب الزرداشتي يسكن في كندا ويجب أن يشاركنا في المشروع.

ركبنا الطائرة سوية وذهبنا إلى مشهد، وقبل النزول من الطائرة سألني الرجل الزرادشتي: من هو «النخودكي» في مشهد؟ فأجبته: أعرف الشخص الذي تقصده، لقد انتقل إلى رحمة الله، ولكن قُل لي ماذا تريد منه؟

ترجلنا من الطائرة ونزلنا في الفندق، وبعد الاستراحة سألته ثانية: ماذا تريد منه؟ فقال: يعيش إلى جوارنا في كندا عقيد أمريكي متقاعد،

وقبل السفر إلى إيران مررت عليه لتوديعه وأخبرته بنيّتي في السفر إلى إيران ومشهد، فأكّد عليّ أن أزور «النخودكي» في مشهد، ولما استفسرت منه عن السبب قال: لما كنت قبل سنوات برتبة رائد، كنت منتدباً لمأمورية في مشهد من قبل الحكومة الأمريكية وكنت أُقيم أيضاً في مستشفى الأمريكيين هناك. وقد أُصبت بمرض عضال عجز حتى الأطباء الأمريكيين عن معالجتي.

بقيت في حالة غيبوبة لمدة طويلة. ولما زارنا شخص في أحد الأيام ورأى قلق زوجتي قال لها: إذا كنت تريدين شفاء زوجك فلا بد من الذهاب إلى الشيخ في نخودك. فذهبت زوجتي برفقة طبّاخة المستشفى إلى نخودك، وعند مقابلة الشيخ سألها: هل أن المريض وهو رجل مسيحي مؤمن بدينه؟ قالت له: إنّه كان يذهب في أيام سلامته إلى الكنيسة في كل يوم أحد.

ناول الشيخ تمرة لطباخة المستشفى وقال تأكلين أنت هذه التمرة فإن المريض سيشفىٰ. وبطبيعة الحال لم تكن زوجتي على قناعة بذلك بل عادت إلى المستشفى يائسة، ولمّا وصلتني رأتني جالساً على السرير معافاً ولمّا استفسرت منّي أخبرتها أن المسيح قد جاءني وقال لي: لقد شفيت وصرت على خير ما يرام. بعدها أفقت من حالة الإغماء فوراً ووجدت نفسي سالماً ومعافاً ولما اطّلع طبيب المستشفى على حالتي قال: لا بد وأن معجزة قد حصلت، وإلاّ فإن هذا المريض كان في عداد الموتى.

الحكاية ٨٤:

نقل لنا الگرگاني أن الشيخ محمد عبدة قال: لمّا دخل الروس إلى إيران كان ابني غائباً عنّا وهذا ما جعلنا في قلق بالغ عليه، ولهذا السبب توجّهت إلى ضريح ثامن الأئمة عليه السلام بمشهد، ثم من هناك ذهبنا بدلالة

أحد الأصدقاء إلى الشيخ الأصفهاني. وبعد أن عرضنا عليه أمرنا قال لا تقلق فإن ولدك سالم وأطلب من الإمام الرضا عليه السلام، مثلما فعلت زوجك بشأن ولدها، وعلّمني كيفية الطلب. فقلت له: إن زوجتي في طهران. قال: وصلت مشهد قبل ساعة وهي الآن في الحرم الشريف.

تعجّبت من قوله كثيراً لأنّه ما كان من المقرر أن تأتي زوجتي إلى مشهد. استأذنت من الشيخ وتوجّهت إلى الحرم فوجدتها هناك ولما سألتها عن سبب مجيئها إلى مشهد قالت: عيل صبري فجئت إلى الإمام أطلب منه العون في العثور على ولدنا فكان طلبها من الإمام هو نفس ما ذكره لي الشيخ.

الحكاية ٨٥:

ينقل السيّد إبراهيم شجاع الرضوي: أصبت في شبابي بمرض الحصبة، وقد ساءت حالتي نتيجة تجاهلي لشروط الحمية، وهذا ما جعل الطبيب يعلن عجزه عن معالجتي وبلغ بي الحال إلى حدّ الإغماء فطلب والدي من الشيخ الأصفهاني أن يحضر عندي ولمّا حضر الشيخ عند رأسي، رأيت نفسي في تلك الحالة وكأني فوق سطح الحرم الشريف، وكأن الإمام الرضا عليه السلام جالس على سرير، والشيخ واقف إلى جانب السرير، وكأن الإمام عليه السلام قال لي: يا سيد إبراهيم، إذا كنت تريد الشفاء، فإن الشيخ قد أخذ شفاءك مني.

وما إن استعدت الوعي حتّى وجدت جسدي مبتلاً بالعرق، وحالتي جيدة، وكان الشيخ جالساً عند رأسي.

الحكاية ٨٦:

عندما أُصيب باكروان محافظ إقليم خراسان، وسادن الروضة الرضوية المقدسة بحالة شديدة من الإرق حتى عجز أطباء مشهد عن

معالجته، اقترح عليه بعض أصدقائه إرسال شخص إلى الشيخ حسن علي الأصفهاني، فاستحسن الفكرة وأرسل أحد مقرّبيه إلى الشيخ. فكتب له دعاء في إناء من الخزف وقال: يغسل الدعاء المكتوب بالإناء ويشربه ثم يضع الإناء تحت رأسه وينام.

بعد أن عمل بإرشادات الشيخ غطّ في نوم عميق استغرق ٢٤ ساعة لم يوقظوه خلالها إلاّ لتناول الطعام.

كما ذكر معاونه أيضاً أنه أصيب بعد هذا بأيام بإسهال دموي شديد لم ينفعه دواء ولا علاج الأطباء فقرر الذهاب إلى طهران للمعالجة. ولكن في تلك الأيام كانت هناك رحلتان جويتان في الأسبوع فقط بين مشهد وطهران، وكان عليه الانتظار ليومين آخرين.

جاء لعيادته حينذاك جماعة من وجهاء مشهد ولما شرح لهم حالته، أشاروا عليه بإرسال شخص إلى الشيخ للاستعانة به.

يقول راوي هذه القصة: استدعاني المحافظ باكروان وقال لي: اذهب إلى الشيخ حسن علي الأصفهاني واشرح له حالتي، وآتني بما يأمر به. فسارعت من فوري بالسيارة إلى الشيخ وأعلمته بحالة باكروان. صمت الشيخ لعدة ثوان ثم قال: اذهب إلى باكروان وقل له إذا أراد هذه المرة قضاء الحاجة يضع يده على بطنه ويقول: «الشيخ» يقول: «ارجعي سالمة»، وسيشفى إن شاء الله رجعت إليه فوراً وكان الجماعة لا يزالون عنده فأبلغته أمر الشيخ. تعجب من قولي وأنصت وكأنه غير مصدق لما يسمع.

مضت عدة دقائق شعر بعدها بالحاجة للتخلّي، فذهب وعاد بعد برهة والتفت إلى الأشخاص وقال: وضعت يدي على بطني وقلت: الشيخ

يقول: ارجعي سالمة. سكن الألم شيئاً فشيئاً وانقبضت بطني. وبهذا شفي تماماً وهذا ما جعله شديد التمسّك بالشيخ، وهو ما دفعه فيما بعد إلى إرسال طلب إلى والدي عن طريق عبد الحسين المعاون وهو من كبار شخصيات مشهد يقول فيه: أرجو أن تزورني لا لكوني محافظاً بل لكوني سادنا للروضة الرضوية المقدسة، وربما كان في هذا الجانب يتحرز من الشاه قليلاً لأنّه كان يعلم أن رضا شاه ما كان يبدي أي ارتياح لزيارة المسؤولين الإداريين. ولبّى المرحوم والدي طلبه وقال: إن الشيخ المؤمن هو الذي مرَّض هذا الرجل لأجل أن يراجعني فأقول له أن لا يهدم قبر الشيخ لأنه قد قرر هدم قبره.

وفي إحدى الليالي ذهب والدي لزيارته، وهناك رجاه أن يطلب منه شيئاً فقال له أبي: لا تهدم قبر الشيخ، بل عليك أن تبنيه.

كان مدير بلدية مشهد آنذاك واسمه: محمد علي روشن، ممن يترددون على والدي وقد ذكر لنا أن باكروان كثيراً ما كان يقول بعد تلك الواقعة: حسناً فعلنا إذ لم نهدم هذا المكان، ومن قبل هذا كنت أنا أعارض هدمه بأمر من الشيخ. ولكن بعد مرور شهرين جاء سعيدي الكرماني مدير حسابات الروضة الرضوية المقدسة وبيده رسالة مغلقة ومختومة وقال: لقد أمرني باكروان بتسليم هذه الرسالة بيد الشيخ شخصياً، فأخذها منه وقرأها، وكان مكتوب فيها: تمّ التصديق على هدم هذه القبة في وزارة الداخلية، ويجب أن يشقّ من هناك شارع، وسوف يأتي الشاه رضا بعد عدة أشهر إلى مشهد لغرض افتتاحه، فقال أبي: قل له لا تهدم القبة لأنّه بعد عدة أشهر لن يكون الشاه رضا في إيران، ولا أنت في مشهد.

يقول سعيدي الكرماني: رجعت وأبلغته قول الشيخ، فسألني: وهل كان هناك أحد غيرك؟ قلت: لا. قال: إذن لا تذكر هذا الخبر لأحد لأن في ذلك خطر على حياتنا. وأخيراً وقع ما أشار إليه الشيخ إذ جاءت بعد ذلك بعدة أشهر أحداث «شهريور» التي تمخّض عنها زوال حكم الشاه وذهاب باكروان، لكن قبر الشيخ المؤمن وبعد مرور خمسين سنة بقي على حالته حتى الآن.

الحكاية ٨٧:

ذكر لنا المرحوم الميرزا محمد آل آقا ابن المرحوم آية الله الحاج الميرزا عبد الله چهل ستوني بأنه كان هناك شخص لديه محل لبيع الأسلحة في الزقاق المؤدّي إلى مدرسة خيرات خان، وقد ظهرت غدة كبيرة في رأسه ورقبته. كنت في أحد الأيام متجهاً برفقة الشيخ نحو نخودك، وقد جاء ذلك الرجل يسير في أعقاب اليخ ويردد بين الفينة والأخرى يا شيخ إما تشفيني وإما تقتلني! وهو لا يجيبه إلى أن وصلنا منتصف الطريق رأيت الشيخ رجع إلى الوراء وهمس في أذنه، فقال الرجل بصوت مسموع: أوافق على ذلك وأتعهّد به. فقال له الشيخ: إذن سوف أقتلك فقال ارجل: اقتلني ترجل الشيخ عن مركهب وأمر الرجل بالجلوس إلى حفرة كانت إلى جانب الطريق، وأخرج من جيبه سكيناً وشقّ الغدة عند الرقبة فخرج منها دم وقيح كثير، ثم مسح عليها بصفحة السكين حتى خرج ما بقي فيها من القيح وتفل على موضع الجرح ومسحه بالسكين وقال: ضع لفافة على موضع الجرح، وبعد أيام زالت آثار الجرح تماماً.

مضت سنوات على هذه الحادثة وبعد وفاة الشيخ رأيت ذلك الشيخ

وقد عاد عليه مرضه، فسألته: ماذا همس الشيخ في أذنك ذلك اليوم وأنت قلت له أتعهد بذلك؟ قال: كانت لي صلة غير شرعية بنساء متزوجات، وقد شرط عليّ الشيخ ترك مثل هذه الأعمال حتى يعالجني، وذكر لي أيضاً أنني إذا عاودت ارتكاب مثل هذا العمل سيعود عليّ المرض ويكون سبباً في موتي، فوافقت على شرطه، وبعد سنوات أغواني الشيطان، ودفعني لارتكاب تلك المعصية، فعاد عليّ المرض، وأعرف أنه سيؤدي إلى موتي، وفعلاً توفي بعد فترة وجيزة.

الحكاية ٨٨:

كما وذكر لنا المرحوم الميرزا محمد آقا يقول: ذهبت في إحدى السنوات إلى مشهد، ومضت عليّ فترة من الزمن وما من خبر عن عائلتي. وفي ليلة من ليالي الجمعة كنت عند الشيخ في قلعة نخودك وكنت أشعر حينها بقلق بالغ. عند حوالي منتصف الليل سألني الشيخ: هل ضاق صدرك على عائلتك؟ قلت: نعم. قال: كل هذه القطعة من البطيخ، وما إن أكلتها حتى وجدت نفسي فجأة في بيتنا عند رأس زوجتي فأيقظتها من النوم ونهضت لأشرب الماء من قارورة موضوعة إلى جانب الشباك فوقعت من يدي وانكسرت. انتبهت على صوت كسر القارورة فوجدت نفسي جالساً عند الشيخ فقال لي: هل انفرجت نفسك؟ قلت: نعم.

لما رجعت إلى طهران وجدت زوجتي غاضبة وتقول: أنت في طهران وتقول إنك ذهبت إلى مشهد، وتأتي عند منتصف الليل وتوقظني من نومي وتكسر القارورة وتبعث الرعب في الدار. فهل أنت في شكّ منّا لتقوم بمثل هذا العمل؟!

الحكاية ٨٩:

ذكر صدر الرشتي وكان من أفاضل مدينة مشهد ووعّاظها يقول أصبت بمرض البواسير، وكان يخرج مني دم غزير، وكان شهر محرم على الأبواب. جئت إلى الشيخ وبيّنت له أن شهر محرم سيهلّ علينا وأنا لا أستطيع اعتلاء المنبر بمثل هذه الحالة، لأن الدم الذي يسيل مني يلوّث المنبر. قال: تأتيني في آخر يوم أربعاء من شهر صفر لكي أعالجك. قلت: وهل ستكون حياتي في أمان خلال هذين الشهرين، لأصبر حتى نهاية صفر، ثم إن ما بي من مرض يعيقني عن صعود المنبر. فقال: وماذا أفعل أنا؟ قلت له: لا أدري! أنت أعرف مني. فقال بلهجة حاسمة: اذهب فلن ينزف منك الدم بعد هذا. قال: شفيت بعدها بالكامل ولم يخرج مني أي دم.

الحكاية ٩٠:

ذكر لنا ظفر السلطان وهو من وجوه أهالي نهاوند يقول: ذهبت إلى الشيخ وذكرت له أن زوجة ابني ليس لديها أطفال، وقد أزيل مبيضها والأطباء يقولون إنها لن تنجب فقال: إن كنت تريد لابنك أولاداً لا يهمك إن كان لزوجته مبيض أم لم يكن، ثم أعطاني دعاء وتمراً فمنَّ الله عليهما بعدّة أولاد.

الحكاية ٩١:

نقل لنا شخص بأنه شاهد في طهران بعد وفاة الشيخ طفلاً يحمله أبوه عند دكان بقال، والطفل كثير الشبه بالشيخ المرحوم، وهذا ما لفت نظري إليه وجعلني أطيل التأمل في ملامحه، فلاحظني والده وسألني عن سبب تركيز انتباهي على طفله فذكرت له أنه كان هناك رجل صالح في مشهد

اسمه: الشيخ حسن علي الأصفهاني، وهذا الطفل يشبهه إلى حد بعيد.

قال: كلامك صحيح فأنا وزوجتي قد كبرنا في السن وما كان ليصبح لدينا أطفال بالطرق الطبيعية، فذهبت إلى الشيخ وذكرت عنده أننا كنا نرغب كثيراً في أن يكون لنا أطفال لكن الله لم يرزقنا طفلاً، أما الآن فقد كبرت أنا وزوجتي وانقطع أملنا فقال: إذا كنت تريد أطفالاً لا تهتم كثيراً لكون زوجتك يائساً، فأعطاني دعاء وقال: سيرزقك الله غلاماً فسمّه حسن علي، وهذا هو الطفل الذي رزقنيه الله بفضل كرامة الشيخ.

الحكاية ٩٢:

في السنة الأخيرة من حكومة الشاه رضا بهلوي، جاء في إحدى الليالي ثلاثة من طلبة العلوم الدينية إلى أبي وأخبروه أن الشيخ محمود الكلباسي ألقي القبض عليه بأمر من مدير الشرطة وهو الآن رهن الاعتقال، ومن المقرر أن يرسل في الغد إلى طهران وفي ذلك خطر على حياته، وأن زوجته هي امرأة علوية ـ في قلق عميق عليه ولم تكف عن البكاء والنحيب، وبما أن مدير الشرطة من مريديك يمكنك أن تأمره بإطلاق سراحه، فقال لهم والدي: اذهبوا أنتم وسأفكر أنا في الموضوع.

في صباح اليوم التالي حينما كنت أهمّ بالذهاب إلى المدرسة في المدينة، قال لي أبي: اِذهب إلى دار الشيخ صالح شايسته وقل له أن يذهب إلى نصرة الملك ملكي، ليذهب بدوره إلى جليل الملك رئيس مكتب مدير الشرطة ويقولوا له: أن يخبر مدير الشرطة نقلاً عني أن الشيخ يقول: أطلق سراح هذا الشخص فذهبت وعملت بما أوصاني به.

بعد ثلاثة أيام جاء إلى والدي المدعي العام لإقليم خراسان، المرحوم گنابادي، وكان من تلاميذه ومريديه، وقال: قبل ثلاثة أيام

طلبني مدير الشرطة العقيد (وقار) إلى مديرية الشرطة وأخبرني قائلاً: خلال أسبوع واحد وصلني من طهران كتابان وبرقية وفيها أمر بإلقاء القبض على الشيخ الكلباسي وإرساله إلى طهران، فقبضنا عليه بالأمس وهو اليوم قيد الاعتقال وأدرج اسمه في سجل السجن، وقد أمر الشيخ بإطلاق سراحه اليوم، فما رأيك؟.

يقول گنابادي: قلت له تعال نذهب سوية إلى الشيخ ونعرض عليه القضية ونقول له: لو أنه أمر بشيء قبل ا لاعتقال لكان من الممكن عدم إلقاء القبض عليه، أما الآن فكيف يمكن إطلاق سراحه وقد ورد اسمه في السجل وحيث صار إطلاق سراحه ينطوي على مسؤولية إدارية؟ يقول گنابادي: فرد عليّ العقيد (وقار) قائلاً: أنا منذ ساعة أفكر فيما ينبغي عمله وقد قررت إجراء أمر الشيخ وإطلاق سراحه. فقلت له: وماذا سيكون جوابك للعاصمة طهران لو سألوك عنه؟ قال: اِذهب إلى الشيخ وأقول له: لقد أطلقت سراح الرجل استجابة لطلبك، وأنت تتكفل أيضاً بالإجابة لو تعرضت للمساءلة، ولكني أعلم أنه ما دام قد أمر بإطلاق سراحه فلن أتعرّض لاستجواب.

وبادر فوراً إلى استدعاء الشيخ من السجن وقال له: تخرج من هذه المدينة الساعة، وتذهب إلى محافظة أخرى، فذهب الرجل ساعته إلى شيراز، وكما توقع العقيد وقار لم تتمخض عن ذلك أية مشكلة.

الحكاية ٩٣:

نقل لي الحاج السيّد عباس الكلالي يقول: كانت لي قبل الحرب العالمية الثانية أرض في تربة جام قرب الحدود الأفغانية وكنت أزرعها وأسكن فيها أيضاً، وكانت بيني وبين شخصين من أقاربي خصومة وهما صارم الكلالي وهزبر الكلالي.

ظهر سارق في تلك الأيام كان يخطف الناس الأغنياء ويحتجزهم بين الجبال حتى يحصل على فدية من ذويهم ويطلق سراحهم. عرضتْ عليَّ إدارة شرطة الدرك هناك التعاون معها لإلقاء القبض عليه إلاّ أنني رفضت التعاون معها لعلمي أن شرطة الدرك حينذاك كانوا على صلة وثيقة باللص وشركاء له في سرقاته. بعد مدة قتل ذلك اللص.

استغلّ خصماي حادثة قتله وقدّما رشوة لشخصين ووعداهما بتقديم المزيد من العون لقاء أن يذهبا إلى الشرطة ويدّعيا أن عباس الكلالي قدم لكل واحد منا ألف تومان وسلاح لنقتل ذلك اللص، فذهبنا وقتلناه وأخذنا ما كان معه من المال وكان مائة ألف تومان وأعطيناه لعباس. ذهب الرجلان وفلا ما قيل لهما وكانت النتيجة أن طلبتني المحكمة العسكرية للمثول أمامها في مدينة مشهد، فذهبت قبل يوم وقصدت دار أمير تيمور الكلالي وشرحت له قضيتي لكنه لم يعرني أي اهتمام بسبب الصلة الأقرب بينه وبين صارم الكلالي وهزبر الكلالي وغناهما المادي بالمقارنة مع فقري، ولم يكن لي في مشهد شخص آخر ألتجىء إليه، وما كان أمامي سوى المثول في اليوم التالي أمام المحكمة.

كنت أسير مع أحد أصدقائي في زقاق أرك وكنت في غاية الاضطراب والرهبة، إذا صادفنا فجأة الشيخ حسن علي الأصفهاني فقال لي صاحبي: ها هو الشيخ الأصفهاني، أسرع وأعرض حاجتك عليه. تقدمت نحوه وسلمت عليه وشرحت له قصتي، فقال: انذر أن تختم القرآن اثنا عشرة مرة تهديها لأرواح المؤمنين المدفونين في وادي السلام في النجف، وستحلّ قضيتك، إلا أنني كنت في حالة من اليأس جعلتني أمد يدي وأتعلق بعباءته قائلاً: سيحاكمونني غداً، والوقت لا يسع لمثل هذا العمل ولن أتركك ما لم تقضي لي حاجتي. سحب عباءته من يدي

وقال غاضباً: اذهب يا سيد فقد حلت مشكلتك، اذهب وكن في أمان تام. لم يكن ذلك الكلام مقنعاً بالنسبة لي وحاولت قول شيء آخر لولا أن صاحبي أمسك بيدي وقال: اسكت. وأخذني بعيداً عن الشيخ. واصل الشيخ طريقه بينما أخذ صديقي قول: عندما يقول لك الشيخ انتهت قضيتك، كن على أتم الاطمئنان.

على أية حال بقيت أسير مع صديقي وأنا في غاية الاضطراب والحيرة. وفي صباح اليوم التالي عند حوالي الساعة العاشرة لقيت صديقاً لي من أهل مشهد.

بعد التحية والسلام فاجأني بقوله: طلبني قائد الفرقة قبل ساعتين وقال: لي حاجة عند السيّد عباس الكلالي الساكن في مدينة «تربة جام»، ائتني به بأسرع ما يمكن. فقلت له: إن السيّد عباس ليس في مشهد حتى آتيك به على وجه السرعة. قال: لا أدري، أريدك أن تأتي به غداً صباحاً، فسألته: أولم يخبرك ما حاجته عندي؟ قال: لا.

في السابعة من صباح اليوم التالي ذهبت برفقة ذلك الشخص إلى قائد الفرقة ودخلنا عليه وقدّمني صديقي إليه، فأبدى لي الرجل مزيداً من الاحترام على الرغم من عدم وجود سابق معرفة بيننا.

أشار لنا بالجلوس ثم قال: يا سيد عباس، لي عندك حاجة، قلت: إني مطيع لما تأمر به. قال: وحاجتي ليست بالمجان بل أعطيك بالمقابل خمسمائة تومان لقاء ما تبذله من جهد، ثم أضاف هناك ضابطان من صنف الهندسة سيمضيان في ضيافتك أسبوعاً في محل سكنك في تربة جام وأريدك أن تكرمهما، وقبيل الغروب من كل يوم تصطحبهما إلى حدود إيران وأفغانستان لإعداد خريطة للحدود بين البلدين. قلت: أنا

تحت أمرك، ولكن عليّ محاكمة في ا لمحكمة العسكرية. فاستدعى رئيس المحكمة في الحال وأمره بإجراء المحاكمة فوراً وإبلاغه بالنتيجة.

ذهبت برفقة رئيس المحكمة إلى غرفته، وجيء بالشخصين اللذين اتهماني وسألهما، فأعادا عليه نفس أقوالهما السابقة، ثم التفت إليّ وقال: تكلم ودافع عن نفسك، التفت إلى الشخصين وقلت لهما: أقسم عليكما بالعباس عليه السلام هل أنني قابلتكما وتحدّثت معكما بشأن الشخص المقتول، فأطرقا برهة ثم قالا: إن كل ما اعترفنا به كان افتراء وكان بتحريض من قبل صارم وهزبر الكلاليين لإلصاق هذه التهمة بسيد عباس الكلالي فلا الرجل أعطانا مالاً أو سلاحاً ولا نحن قمنا بهذا العمل.

وبطبيعة الحال ثبتت براءتي بعد اعتراف الشخصين، وجاء رئيس المحكمة شخصياً بحكم براءتي إلى قائد الفرقة.

التفت إليَّ قائد الفرقة وقال: اذهبوا لأداء مهمتكم تصحبكم السلامة.

وسلمني مبلغ خمسمائة تومان ورجعت إلى تربة جام برفقة الضابطين المهندسين.

الحكاية ٩٤:

ذكر لنا المرحوم أمير شهيدى ان الشاه رضا بهلوي غضب على وزير المواصلات آنذاك السيد عباس خان آريا وأمر بحبسه ومنع مقابلته فأوصى إليَّ من السجن بواسطة أحد الأصدقاء لأستعين بالشيخ حسن علي الأصفهاني لحلّ مشكلته، وأنا أيضاً أبلغت وصيته للشيخ بواسطة أحد المسافرين. فقال الشيخ: أخبروه أن يختم القرآن مرتين، واحدة لمؤمني النجف، والأخرى لمؤمني مشهد، وبعد الانتهاء منهما يطلق

سراحه يقول المرحوم أمير شهيدي: ولمّا وصلني هذا الخبر لم يكن هناك من وسيط ليوصل له أمر الشيخ، والصديق الوحيد المشترك بيننا هو العقيد غفاري، إلاّ أنه كان علمانياً، فقلت له: ليس من شأني أن تكون مؤمناً أو علمانياً ولكن هل بإمكانك إيصال رسالة ودّية إلى صديق؟ قال: نعم. فقلت له: إذهن بلغ أمر الشيخ إلى آيا في السجن. فأوصل له الخبر وعمل به. قال المرحوم آريا لاحقاً: بدأت بقراءة القرآنبينما لم يكن هناك من أمل بالنجاة، ولم يكن أحد قادراً على الشفع لي عند الشاه وكان احتمال قتلي كبيراً.

بعد عدة ليال كنت على وشك إكمال الختمة الثانية للقرآن عند حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، ولمّا أكملت قراءة سورة قل أعوذ برب الناس فتح باب الغرفة ودخل ضابط وقال: انهض واجمع وسائلك لنذهب. أيقنت حينها بالهلاك، لأنهم حتى لو كانوا يريدون اتخاذ أي إجراء لصالحي لاستدعوني بالنهار. حملت القرآن وثيابي وأنا في يأس تام من الحياة وذهبت مع الضابط إلى غرفة ضابط خفر السجن، وسلّمت عليه فقال لي: لقد اتصلوا بي الآن من البلاط لأطلق سراحك، وأنت الآن حر ويمكنك الذهاب إلى دارك، فإذا كانت لديك سيارة في البيت، هات رقم الهاتف لأتصل بهم وتأتيك السيارة، وإلاّ سنوصلك بسيارة السجن. قلت سيارتي في البيت. واتصلت بهم وجاءتني سيارتي سريعاً وذهبت إلى بيتي، وحتى أنني حظيت فيما بعد بتكريم من الشاه.

الحكاية ٩٥:

نقل لنا أحد كبار موظفي البلدية يقول: طردت من وظيفتي لأسباب معيّنة. وذهبت إلى الشيخ فقال لي: صلِّ الفرائض في أول وقتها وستحلّ

مشكلتك بعد أربعين يوماً. انقضى شهر ولم يطرأ أي تبدّل، فراجعته ثانية، قال: قلت لك انتظر أربعين يوماً. ولكنني كلما تأملت في الأمر لم ألاحظ أي بريق من الأمل.

في اليوم الأربعين كنت جالساً في الشارع قرب إحدى المقاهي، فمرّت من هناك عربة كان يجلس فيها مدير بلدية مشهد الأسبق، فنهضت وسلّمت عليه، أوقف العربة وسألني عن سبب جلوسي هناك، فقصصت عليه قصتي، فقال: تعال معي. ركتب معه في العربة وذهبنا إلى مبنى المحافظة وأمر برفع التهمة عني وأعادني إلى الوظيفة. وبذلك صدر حكم إعادتي إلى عملي قبل ظهر اليوم الأربعين كما وعدني المرحوم الشيخ الأصفهاني.

أوردت صحيفة «إطلاعات» الأسبوعية في العدد ١٣٩٠ ليوم الجمعة ٢٨ من شهر تير عام ١٣٤٧ للهجرة الشمسية ما يلي:

كتب أبو القاسم فرزانه في الصفحة الأولى وتحت عنوان بارز عن أسرار الموت والروح والحياة، ومن أين جئنا، وإلى أين مصيرنا:

كان في خراسان رجل يرى الأرواح بالعين المجرّدة ويعرف عنها.

بعد أن يتطرّق كاتب المقال إلى أن علامة الكمال في القديم هي كشف القبور، وبعد حديثه عن سيرة ومنزلة الشيخ البهائي، والسيّد محمد كيسو دراز، والسهروردي كتب ما يلي:

وفي الوقت الحالي أيضاً كان هناك أشخاص نظير الشيخ البهائي والسهروردي، ومما لا ريب فيه أنه يوجد حالياً من يماثلهم إلاّ أنهم يرفضون الكشف عن أنفسهم. وكان من بينهم رجل جليل القدر كان يسكن في مدينة مشهد، وقضى السنوات الأخيرة من عمره في قرية

«نخودك» وتوفي قبل ما يقارب العشرين عاماً، عندما أذكر اسم نخودك فإن عشرات الآلاف من أهالي خراسان ومدن إيران الأخرى وحتى طهران ـ ممّن شاهدوه، وجموع غفيرة ممّن شفوا على يده من أمراض وآلام مستعصية عجز الأطباء عن علاجها ـ يعرفون من أعني. وهذا الشخص الذي عرف في خراسان وطهران وسائر المدن الأخرى باسم الشيخ النخودكي، كانت له قبل أربعين عاماً مقدرة روحية هائلة، إلا أنه كان يأبى الكشف عن نفسه بشكل لم يسبق له مثيل من قبل، ولم يكن يعرف مكانته في ذلك الزمن سوى أشخاص قلائل.

وفي نهاية المطاف انتقل في السنوات الأخيرة من حياته، من مشهد إلى قرية نخودك، حيث أزاح الستار عن نفسه إلى حدّ ما، وتمكّن الناس من رؤية جوانب من مكانته الفريدة.

كان لي في مطلع الشباب شرف زيارته ومشاهدته عن قرب بشكل متواصل ولمدة سنة كاملة في مدينة مشهد، وكان مرد ذلك هو أن أحد أقربائي وهو الشخص الذي كان يتولّى أمري آنذاك، كان من جملة الأشخاص المعدودين الذين لم يكن الشيخ ليخفي أمره عنهم.

ولمّا كنت ـ كما هو شأن الكثير من الناس في ذلك الزمن ـ لا أعرف عن الأفعال الخارقة للعادة «سيراتيزم» شيئاً سوى معلومات متناثرة إلاّ أنني شاهدت بأم عيني حادثة ما كنت في تلك الأيدام أدرك مغزاها بشكلص حيح، ولما اّطّلعت على أصول هذا العلم بشكل عام فهمت حقيقة ذلك الأمر إلى حد ما، والقصة هي على الغرار التالي:

كان الشيخ كلما يمرّ على أحد الحمامات ينقلب حاله حتى تظهر معالم التغيير واضحة على حياه، ويضطرب فجأة، والعلامة الأخرى

لتغيير حاله الإكثار من الاستغفار، وتكرار قول لا إلٰه إلاّ الله وبلهجة توحي بالضجر والاستياء، ولما سئل عن سبب ذلك التغيير المفاجىء في حاله قال: إن صاحب هذا الحمام مات قبل مدة إلا أن روحه كانت دنيئة وكان شديد التعلق بالدنيا، وهو إلى الآن لا يعرف مكانه ولا يدري أنه فارق الدنيا، وما انفكّ يطيل البكاء والعويل عند الحمام، ويشكو من استحواذهم على أمواله. وكلّما مررت من هنا تسؤوني حالته.

ذكر أحد أهل العلم يقول: ذهبت برفقة الشيخ إلى مقبرة لقراءة الفاتحة، فقال لي الشيخ: انصت أتسمع الصوت الصادر من هذا القبر؟ سمعت على أثر انتباهه صوتاً يأتي من القبر يقول: «خيار أخضر» خيار طازج ورخيص، ثم أشار إلى قبر آخر فسمعته يقول، «لا إلٰه إلاّ الله». فقال لي: القبر الأول كان صاحبه بقّالاً، ومع أنه فارق الدنيا منذ عدة سنوات إلا أنه لا زال يتصوّر أنه حي ويبيع الخيار. أما الثاني فكان من أهل الذكر والمعرفة، وهو يذكر الله في ذلك العالم.

بعض رسائل الشيخ (قدّس سرّه)

١ـ كتب الشيخ هذه الرسالة لحفيد آية الله الميرزا حسن الشيرازي الكبير أعلى الله مقامه الشريف:

«السيّد الأورع الأتقى العالم العامل. . .»

أسأل المحب الأوحد، وخالق الليل والنهار ومحرّك الفلك الدّوار أن يجعلك في سلك الأبرار والأخيار ويحشرك مع شهداء دار القرار والمعتصمين بآثار الأئمة الأطهار بحقّ الحق والنبي المطلق. إن قلبي لفي قلق عليك، واهتمام بك أكثر من غيرك والشاهد على ذلك قلبك الشريف.

أوصيك بأن ترفع نفسك عن هذه الدنيا الدنية فإنها ليست بدار القرار ويجب عنها الفرار، ولا تكن ممّن أراد الله أن يرفعك، وتريد الخلود، فإنه تعالى قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[1] وأسأل الله أن يريك حقيقة الدنيا حتى تفرّ منها فراراً ولا تطلب منها قراراً، وصر صاحب الهمّة العالية، فإذا رافقتك الهمّة لا تنظر إلى هذه الخسائس الرواجس. إن أصحاب الهمم العالية لا يشغلون أنفسهم بالأمور الدنيئة،

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

ويرون أنفسهم أرفع منها. واقتد بآبائك الطاهرين وأسأل الله أن يدخلك في الصراط المستقيم ويجعل كتابك في عليين. قال أبو عبد الله لولده إسماعيل: يا بنيّ اجتهد في تعلم علم السر فإن له بركة كثيرة أكثر مما يُظن، يا بني من تعلم علم العلانية وترك علم السر يهلك ولا يسعد، يا بني إن أردت أن يكرمك ربك بعلم السر فعليك ببغض الدنيا واعرف خدمة الصالحين واحكم أمرك للموت، فإذا اجتمعت فيك هذه الخصال الثلاثة يكرمك ربك بعلم السر».

٢ـ نسخة من جوابه على رسالة السيد صدر الدين وصال الشيرازي:

«أسأل واهب العطايا وخالق البرايا أن يوفّقك على الدوام بتوفيقه الأجل، ويؤيدك بتأييده الربّاني. وصلتني رسالتك التي يُستشعر منها سلامة مزاجك فالحمد لله على ذلك. يقول سعدي كل نَفَس يصعد يمد الحياة، وكل نفس ينزل يفرج عن الذات، إذن ففي كل نفس نعمتان.

الحقيقة أنه كلما بلغتني سلامة أحد الإخوان أرى وجوب النعمة والشكر؛ فالشكر يوجب المزيد من النعمة. ذكرت في رسالتك أن كانت لديّ حاجة، روي أن روح الله المسيح قال للحواريين: «لي إليكم حاجة» قالوا: طوع أمرك، ويتّضح من قرينة الكلام أنهم عندما جاؤوا من مسيرهم، أحضر عيسى الماء وغسل أرجلهم الواحد تلو الآخر، فقالوا له: كان الأولى أن نغسل نحن رجليك. فقال لهم عيسى: في الموضوع نقطة مهمة وهي أنكم ستكون لكم الرئاسة على الناس بعد وفاتي، وغرضي من هذا أن أبيّن لكم أن لا تتوقعوا من أحد خدمة، بل أن تكونوا أنتم خدم للناس.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «وأرح

الإخوان في الله» ولهذا فإني أكره أن أكلّفك بشيء من أمور الدنيا، وإذا كان ذلك على سبيل الصحبة، فإني أشير إلى أنه تعالى قد أمرنا بقوله:

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾[1].

أدعو الله أن يثبتك على الصراط المستقيم، وأن تهتم بأمر الصلاة فهي قرّة عين الرسولﷺ، وأن لا تغفل عن ذكر الله في كل حال.

٣ـ وهذه الرسالة ردّ على رسالة وصلته من أحد مريديه:

وصلتني رسالتك وفهمت مغزاها. قراءة هذه الآية وهذا الدعاء تنفع في العودة إلى المناصب الصورية وكذا في بلوغ العوالم المعنوية. الكل ينادي يا الله ولكلّ غاية نصب عينيه، فواحد يريد الدنيا ويقول يا الله، وآخر يريد العاقبة وينادي يا الله. لكل مطلوبه والطالب هو نفس المطلوب. لا بد أن تكون الهمّة رفيعة وأن تطلب شيئاً إذا نلته وفقدت ما سواه تكون قد نلت كل شيء، لا أن تطلب شيئاً إذا نلته كأنك لم تنل شيئاً. فإن المؤمن يطير بهمته كما أن الطائر بجناحيه.

ذكرت في رسالتك أنك قدمت استقالتك، فإذا استطعت بلوغ مقام منيع أعانك الله وهداك. أما حول موضوع طهران فلم يكن في الأمر خيار بل كنت مكرهاً عليه، وقد تحرّكت على عجل ولم تسنح لي الفرصة رؤية أحد وهذا ما حمل الجميع على العتاب، لكنني أعلمت الجميع أني كنت مرغماً. أما بشأن الذكر، فأذكر في بداية الأمر الصلاة على النبي وآله، ثم أستحضر قلبك وأبدأ بالذكر.

٤ـ كتب الشيخ هذه الرسالة ردّاً على رسالة وطلب أحد مريديه:

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣١.

«بسمه تعالى. يا أخي ورفيقي ويا صاحبي وشفيقي، قد قرأت كتابك وفهمت خطابك وعلمت مرجعك وإيابك فطفقت بالجواب ولم يهيء لي الأسباب حتى يكون توافقاً بين الوسيلة والجواب، فأقول مستعيناً بالله: أيها الراكب برذون أبي عصام. والمكتري من مكار كأنه دق باللجام تفكر في ابتلائك بالأراذل واللئام فإن سببه ما كان إلاّ كفرانك صحبة الأخيار والكرام، فابتلاك الله باللئا حتى تعرف قدر صحبة الكرام، وما شفاء غليلك بالخيار ففي ذلك أيضاً: نكتة التعلم أن الحرارة التي حصلت في المزاج من مصاحبة الأشرار لا تطفىء إلا ببرد صحبة الأبرار والأخيار.

وأما قولك إن ساعدت الاستخارة أما سمعت قول القائل الذي كان من الأحرار: أن لا استخارة في عمل الخير.

وأما قولك طفقت في أكل الخيار بالاختيار فأعلم أن هذا الاختيار عين الاضطرار، فإن الحرارة قد اضطرتك إلى أكل الخيار فتفكّر واعلم أن هذا الاختيار عين الاضطرار فترق مثل البقة من هذه المرتبة الثقة، واللقة إلى مرتبة حقّة وانظر بعين بصيرتك لا بعين بصرك فتفكّر في جولان نظرك.

فإذا قطعت هذه المفاوز والفيافي والتلال والوديان تفوز بعالم وسيع وتجوز من المهالك والضيق والفظيع، فترى الحدائق والأشجار وتصل إلى العيون والأنهار ولن تصل إلى حقائق الشقائق وشقائق الحقائق حتى تنقطع عن هذه العلائق والعوائق وتقطع نفسك عن العلائق والعوائق.

فما دام نظرك إلى الرقيقة ناظر فأعلم أن صفقتك خاسرة ومبانيك دائرة ووجهك في القيامة باسرة تظن أن تفعل بها فاقرة. فجاف جنبك عن هذه الدار الدائرة وتوجّه إلى الدار الآخرة حتى يصير وجهك ناظرة وإلى

ربك ناظرة. وفي هذا المقام يصحّ الكلام أن تقول الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن. فكرر في هذه الوريقة بصرك وحول في معانيها بصيرتك ونظرك لعلّك تصل إلى بعض ما حققته ورقمته لك لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً، وتفكّر في التماس دعائك أن لا يكون مثل باقي أدعائك بل دع اللفظ وادع المعنى فإن المعنى من كل لفظ هو المعنى. وفي هذا المقام جف القلم وسكن القدم فإن تك أهلاً ففي هذا كفاية والحمد لله أولاً وآخراً. والسلام على من اتّبع الهدى. كتبه العبد الجاني الفاني حسن علي الأصفهاني في غاية العجلة».

٥ـ هذه الرسالة أيضاً خطها الشيخ بقلمه المبارك رداً على رسالة وردته من أحد شيوخ العرب في الكاظمين، وقد غضب عليك الملك فيصل، فلجأ إلى الاستعانة بالشيخ:

«السلام عليك يا شجرة الطور والكتاب المسطور، إكسير فلزات العرفاء، ومعيار نقود الأصفياء، ورحمة الله وبركاته، ثم السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين سيما الأخر الأعزّ الكريم، عبد الكريم.

وبعد فقد بلغني كتابك وفهمت كلامك وبلغت مرامك، فأسأل الله العظيم ثم نتوسل بنبيه الكريم وآله الأمجاد أن يصلح أموركم ويرجعكم إلى دوركم ويمنّ عليكم بنعمه الظاهرة والباطنة، كما وعد في كتابه الكريم وخطابه الجسيم ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[1] ثم لا يخفي على جنابكم أن استعينوا في كل الأمور الصعبة بأربابها وأتوا البيوت من أبوابها، وكلام سيد الأولياء أرواحنا له الفداء: استعينوا على حوائجكم بالكتمان، أن

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥.

يكون أمركم مكتوم عن كل أحد حتى خلص إخوانكم، ففي إظهار الأمور مفاسد عظيمة. ثم اعلم يا أخي كتبتم أن لي يداً في الروحانيات، ليس هكذا. قال سيد الموحّدين عليه سلام رب العالمين: «إلهي كم من قبيح سترته، وكم من عثار وقيته، وكم من ثناء جميل لست أهلاً له نشرته» هذا فعل رب العالمين وظن إخواني المؤمنين، وإلا لسان حالي ومقالي إلى سيدي ناطق بهذه الفرد «والعبارة وردت باللغة الفارسية ومعناها»: لست أنا إلا كلب برذالته ودناءته، ولا شرف لي سوى كوني في هذه الدار. وليس في غير هذا. ثم اعلم أن الله تعالى أمر بإتيان بابه، ثم قال: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[1] فوجب على جنابك أن يتوسل إلى أئمتنا وإني أساعدكم بقولي علماً وعملاً، أما عملاً: فكتبت لكم دعاء وأرسلته إليكم أن يكون معك. والثاني أن جنابك قد علمت وسمعت أن المرحوم المبرور «قدّس سره» السيد مرتضى الكشميري كان من علماء النجف حين وقوفي بها، وقد استفدت عند جنابه وهو سيد جليل بارع في العلم، وكان فريداً في عصره مستجاب الدعوة، وسمعت اليوم أن أولاده كانوا في عسر شديد، وكان اليوم ابنه الأكبر سيد محمد حفظه الله في غاية الزهد والتقوى، وتوسّل إلى جنابه ليتوسّل إلى جده سلطان الأولياء ليرد سلطنتكم ثم وابعث إليه شيئاً بعنوان النذر والهدية لأنهم سمعت كانوا في غاية العسرة، ثم توسل إلى سيدتنا المظلومة المعصومة، وكلما تبعث إلى السيّد محمد كان بعنوان النذر للحضرات الفاطمية، وتوسّل كل ليلة جمعة أو اثنين بساعة قبل طلوع الفجر بركعتين المنسوبة إليها، الأولى: بعد الحمد مائة مرة سورة القدر، والثانية سورة التوحيد، وبعد الصلاة تسبح

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

تسبيحها، ثم الصلاة مائة مرة ثم تسجد، وتهدي ثوابها إلى روحها وتقول: إلٰهي بحق هذه المظلومة، ارفع عنّا هذا الظلم، ثم تقرأ كل يوم بعد صلاة الصبح مائة وعشرين مرة يا قاهر العدو، وفي كل شهر أو شهرين تبعث أحداً إليه وتكتب إليه وتسأله التوسّل إلى جده وتنذر له نذراً: إذا أصلح الله أموركم تبعث إليه، فإن شاء الله يصلح أموركم، وترجعون إلى مقامكم ودوركم إن شاء الله».

٦ـ وهذه أيضاً رسالة أخرى من الشيخ يخاطب بها أحد سالكي وادي الطلب:

«أعرض على جنابكم بأنني أسأل الله بلطفه أن يوصل الحائرين في وادي الطلب إلى ما يقصدون إليه. فهو تعالى قد قال ولنعم القائل:

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١].

وأشير أولاً إلى أن ذلك الباب مغلق اليوم، والطريق السابق مسدود بالمرّة. لكن التكليف اليوم هو أولاً: الصلاة في أول وقتها، وثانياً: الاهتمام بحضور القلب عند الصلاة، وأن هذا العمل كالخط في الكتابة لا يصلح بيوم أو يومين بل يستلزم وقتاً طويلاً، وبعد الفراغ منه تأتي على النهوض قبل الصباح.

٧ـ لما وردت الشيخ رسالة من أحد وجهاء مشهد يطلب منه فيها الالتفات إلى أحد الأعيان هناك وقد وقعت له مصيبة ردّ عليه بالقول:

هو يا على مدد

«أدعو من الله أن تكونوا في أتمّ الصحة والسلامة. قرأت ما ورد في

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

رسالتكم بشأن الالتفات إلى حال انتظام الملك، وأشهد الله أني أعتبر نفسي أحقر وأذلّ المخلوقات بأجمعها، ولا أستحق أن يعرض عليّ طلب إلاّ بسبب حسن ظن المؤمنين، وقول سلطان الأولياء روحي وأوراح العالمين له الفداء: «إلٰهي كم من قبيح سترته، . . . وكم من ثناء جميل لست أهلاً له نشرته» ولكن بالمضمون الوافي للهداية ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾(١) والحديث البليغ الوارد: يا داود لو علم المدبرون عني كيف انتظاري لهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً وتقطّعت أوصالهم من محبّتي» وأُشير هنا إلى أنه لو أصلح ما بينه وبين ربّه وألزم نفسه بالرأفة على الضعفاء والمساكين، بل وأن يقطع على نفسه عهداً إذا كتب له الله الغلبة على أعدائه أن يصفح عنهم في سبيلالله، وإن شاء الله سيكون له الظفر والغلبة، وأنا أيضاً لن أقصر في الدعاء على قدر طاقتي مع أني لست أهلاً لذلك، والملائكة أيضاً سيلهجون بالدعاء.

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾(٢).

فإذا ألزم نفسه بذلك أعلموني والسلام عليكم وعلى من اتّبع الهدى.

أقل الفقراء والطلبة حسين علي».

والرسالة المذكورة مسطورة بخط يده وقد كتبها رداً على الرسالة التالية: «لا بد وأنكم سمعتم بما جرى على فضيلة انتظام الملك، وموقف أعداءه منه، فهو لا زال يتورع عن إراقة دماء المسلمين، بينما يصرّ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٧.

أعداؤه على إيذائه، نأمل منكم الالتفات إليه لتكون له الغلبة على أعدائه، ويكون النصر حليفه ليعمل على رفع الظلم عن الفقراء».

وكتب انتظام الملك ردّاً على ما جاء في رسالة الشيخ (قدّس سرّه) ما يلي: «هو الله تعالى. أتعهد بالالتزام بجميع ما سطرتموه في رسالتكم. أدعو من الله التوفيق لخدمة عباده، وأن لا يعينني عى موجبات الظلم والفسوق بأي حال من الأحوال، بمنّه وحوله، وأسألكم الدعاء».

٨ـ كتب الشيخ هذه الرسالة ردّاً على شخص كان قد طلب علم الكيمياء: يا طالب طريق الله! ويا سالك طريق الهدى! إن البحث عن الكبريت الأحمر مضيعة للعمر، التفت إلى التراب الأسود فهو كله كيمياء.

يا أخي كن على ثقة أن قنطار الذهب الأحمر ليس له مقدار ذرة من النفع والتأثير لمن يدخل من هذا العالم إلى ذلك العالم. وإذا فرضنا أن أحداً قضى عمره في البحث عنه وناله، ثم جاءه الأمر بالانتقال إلى ذلك العالم، فبعد الذهاب من هنا لا ينفعه هذا العلم هناك مقدار ذرة. إذن فعليك البحث عن إكسير ينفعك في ذلك العالم أيضاً، وذلك الإكسير أنزله الحق على نبي الحق محمد بن عبد الله ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[1].

وعلى الإنسان البحث أولاً عن مقدمته ألا وهي الخشوع، ثم ينطلق منها لإيجاد ذلك الإكسير، ولا شك أن من يكسب ذلك المقام يفلح، ولكن يكفيك أن تعلم أن من يطمح إلى أن يصير خطاطاً، لا يتيسر له ذلك بسهولة بل عليه أن يتحمّل المشاق وأن يثابر في جهده لكي يستقيم خطه،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

فذلك مما لا يتيسر إدراكه منذ الخطوة الأولى. وكذا الحال بالنسبة لحضور قلب الإنسان إذ هو في مستهل الأمر صعب، وعليه التقيّد بأداء الصلاة في أول وقتها، ولغرض أداء الصلاة في أول وقتها يجب عليه الكفّ عن أي عمل، ثم عليه إدراك معاني كلمات الصلاة ثم يلتفت إلى ما فيها من نقاط ومزايا أخرى، وعليك كذلك أن تسعى لفهم معنى الصلاة جيداً والالتفات إلى المفاهيم التي تحملها تلك الكلمات، وأرى أن الأصل في جميع الأعمال هو الانتباه لمعنى الصلاة، وتأتي بقية الشؤون في المرتبة اللاحقة.

٩ـ وهذه الرسالة كتبها الشيخ (قدّس سرّه) جواباً إلى أحد مريديه:

«. . . بعد المقدمة أشير إلى أنكم ذكرتم أنه لولا وجود القبح العقلي لفعلت ما كان ينبغي لي فعله، فمن الواضح أن الحالة قد بلغت غاية الاضطرار، وهذا الاضطرار هو الذي يؤدّي إلى الإجابة: «أمن يجيب المضطر إذا دعاه» إذن ينبغي استشعار أقصى درجات الوجد من حالة الاضطرار هذه. فإن معراج خليل الرحمن ويونس النبي كان في النار والماء، وذلك وإن بدأ وكأنه من مظاهر المشقّة والنقمة، إلا أنه كان يحمل بين طياته معاني النعمة والرحمة.

آملاً أن يتحوّل الهمّ والغمّ إلى فرح وبهجة من خلال التدبّر في هذه النقاط ولتأمل فيها، وإذا كنت تبغي مرحلة أرفع فلا بد لك من انتظار الصدمات من المحبوب، وفي هذا قالوا: «ضرب الحبيب لا يوجع» ولطالما كان الابتلاء، دلالة على الرعاية. إلاّ أن هذه المرتبة في غاية الشموخ ولا تدرك بهذا الكلام بل تستلزم وقتاً طويلاً ومجاهدة مريرة، ولنعم ما قال: «دع الدعوى فما بالرقي ترقى إلى وصل رقى» لكننا نأمل

في هذه العجالة أن يكون التدبر في هذه النقاط مدعاة لهدوء البال وسكون الفكر.

إنني آسف للإطالة وإضاعة وقتكم: «لأن الحبيب إذا كان طالباً للكلام فلا يمكن الصمت. واختم حديثي هذا بأبلغ الكلام لسلطان الأولياء: «يا من أزمة الأمور طرا بيدك، ومصادرها عن قضائك».

أرجو من جنابكم الشريف الالتفات إلى ما ورد في هذه النقاط تارة، والالتفات إلى الشخصيات التي تنتسبون إليها تارة أخرى، لأن آباءكم وأجدادكم كانوا من الشخصيات الجليلة الفاضلة.

١٠ـ كتب الشيخ أعلى الله مقامه هذه الرسالة إلى إحدى الشخصيات البارزة في مدينة رفسنجان.

«نسأل الباري تعالى أن يشملنا برعايته، وبمضمون الآية الشريفة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(١) ويعين الحائرين في وادي الطلب على بلوغ منازلهم والتحرر من قيود الحيرة والمشقّة.

وصلتني رسالتكم الكريمة ووقفت على مراميها. وعليك أن تعلم أولاً: أن شؤون العالم من بداية الخليقة وحتّى اليوم على صنفين: النور والظلمة، والحق والباطل، والرحماني والشيطاني.

ففي كل عهد يكون لكل موسى فرعون، لكن السائرين في خط الرحمٰن لا يرتكبون عمل الشيطان مطلقاً، ولا يصدر من اتباع الشيطان أي فعل رحماني. بعضهم اتّخذ هذا الأسلوب سلوكاً ومنهجاً، ويظهرون أنفسهم وكأنّهم بشر والحقيقة أنهم ليسوا بشراً. أما قولك إن كل من يحمل عن امرءٍ وزراً فلا بد وأن يكون إنساناً صالحاً، فاْعلم أن هذا لا

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

يصحّ إلاّ إذا كان قصده حمل العبء عنه، ولكن من لا يسير في خط الرحمن لا يصدر منه عمل رحماني إلاّ أن يتصنّع على هذه الصورة لإغواء الآخرين. فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال ما معناه أن الشيطان يدل الإنسان على تسع وتسعين طريقاً للخير لكي يضلّه في المرة المائة، ولهذا قيل: أكثر ما يكون إبلس على صورة الآدمي.

أما قولك إنك تركتهم لمدة خمس سنوات، فالمرء إذا كان طالباً للحق، واشتبه عليه الأمر في وقت ما، ودخل في غير طريق الحق، فإن الله يدله على سواء السبيل بمضمون الآية الشريفة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ ولا شك أنه ينصرف عنه بمجرد أن يلاحظ وجود مراده فيه. أما بالنسبة للشيخ... والشيخ... فلا واحد منهم طالب لطريق الله، لأنهم مجرد ما لاحظوا أن الرئاسة تحققت لـ.. وأن ابنه مع ما يتّصف به من الحماقة والتفاهة ستكون له الرئاسة من بعده، دخلوا في ذلك السلك. ثم انتبهوا إلى أنه أحكم الأمر لابنه، ومن بعد موته... اصطحب معه.. ابنه الأصغر، وبقي في جدال متواصل مع الشيخ... لمدة عامين. ثم لاحظ أنه مخرب عنيد فجعله شيخ المشايخ وارتاح، ثم أن... لاحظ أنه تحمّل المشقّة وغيره قطف الثمرة، ولذا فبعد... جاء... وعاد مخرباً من جديد. وإلاّ فإن سالك طريق الرحمن لا يطلب طريق الشيطان، والعكس صحيح أيضاً. إلاّ إذا لاحظ سالك طريق الشيطان أن الناس اليوم متّجهون إلى طريق الرحمن، لذلك تراه يظهر أنه سائر في طريق الرحمن. لأجل أن يدرك الرئاسة وهي مطلوبة مثل الخليفة الثاني.

أما قولك إن الكذب أسوأ الذنوب، فأنت تعلم أن الكذاب عدوّ الله، ولا يقال للزاني أو اللواط أو شارب الخمر أنه عدوّ الله. وأما ما

ذكرته بأنه ليس لي من غاية سوى الله، فلا بد أن تكون غاية كل امرىء الله، ولكن بما أن العالم هو عالم الأسباب وأنه تعالى قد جعل الأمور بأسبابها فلا مناص إذن من اتّخاذ الأسباب. فنبيّنا صلوات الله عليه وهو الشخص الأول في بيت الله ولم يأتِ موحد مثله، كان يدفع للكفار بعض المال لتأليف قلوبهم، أو أنه كان يعد الأسباب والمستلزمات حسب الظاهر لغرض الدعوة للإسلام وفتح الأمصار.

وبعث الله سبحانه وتعالى النبي موسى عليه السلام إلى شعيب عليه السلام وبقي عنده مدة عشر سنوات لأن العالم عالم الأسباب. إلا أن الموضوع هو ما سبق بيانه، وهو أن من يبتغي الله. فهو تعالى شأنه يهديه إلى الطريق للعهد الذي قطعه على نفسه إذ قال: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾ فإذا ما وقع في أي ورطة فغايته كفيلة بإنقاذه وإيصاله إلى ما يبغي.

أرجو أن تعينك هذه الإيضاحات على بلوغ غايتك. أما أنا فقد شاهدت منذ مستهلّ طفولتي إلى أوائل تكليفي اثنين أو ثلاثة من كبار الفضلاء ولمست صفاتهم الجليلة وفضائلهم بنفسي، ولكن لم يكن لي حظ في ذلك، فأحدهم فارق الدنيا وكنت في العاشرة من عمري والآخر قابلته في منطقة شاه رضا في أصفهان عند قدومي إليها من مشهد قاصداً زيارة كربلا. وقلت مع نفسي أذهب لزيارة كربلاء وأعود إليه ولكن جاءني خبر وفاته عندما كنت في كربلاء. ولم أشاهد أحداً من بعده.

قد يدّعي البعض أنه طالب لطريق الله، أمّا أنا فأقول إني لا أرى نفسي لائقاً لهذا المنصب، إلاّ امتثالاً للرأي الذي يعرضه الفقهاء في حالة كون الشخص في بلد لا مجتهد فيه ولا يمكنه الوصول إلى مجتهد. أمّا إذا كان شخص قادراً على تدريس وشرح الجامع العباسي للشيخ البهائي

أو حديقة المجلسي، فتكليف الناس هو أن يأخذوا المسائل عنه ما دامت أيديهم لا تصل إلى شخص مجتهد.

وتحت هذا العنوان أقوم أنا أيضاً في بعض الحالات ببيان الأمور التي سمعتها من كبار الفضلاء وإيضاحها لبعض الأشخاص الذين ألتمس فيهم رغبة لسلوك الطريق إلى الله حينما تقصر أيديهم عن بلوغ شخص آخر. وإلاّ فإنني لا أرى في نفسي الكفاءة للإرشاد والهداية، وقد صرّحت بهذه الحقيقة لكل من خالطني وهي أنني لست أهلاً لهذا المقام، ولكن بما أنني لا أرى عند شخص آخر الأهلية اللازمة لأذهب إليه، أو أدلّ الآخرين عليه وبسبب معرفتي أن الأشخاص الذين يدعون ذلك إنما يدعون باطلاً، لذلك أجد نفسي مضطراً لأعرض عليه ما سمعته من تلك الشخصيات الجليلة.

أما بخصوص التماس الدعاء فإني أسأله تعالى أن لا يجعلني مقصراً في الدعاء لسالكي طريق الحق، لأنني طالب لسلوك هذا الطريق، وأعلم حال الطالب مثلي، وعليه فلن أقصر في ذلك. وأرجو منكم أيضاً عدم التقصير في الدعاء لي. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» وأستمحيكم عذراً إذا كان هناك أي تقصير لأن الوقت ليلاً وقد غلبني النوم.

١١ـ وأخيراً، كتب الشيخ رسالة لأحد طلبة سبيل الحق جاء فيها:

«طريق التقوى طريق العظام ومنهج الرجال الأفذاذ. فقد أنزل الباري تعالى بيد جبرائيل على المصطفى من أبناء الخليل قوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾(١) وللتخلّص من شر النفس جاء قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾(٢) وهذا يكفي إذا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

كان في الدار من سميع. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نورد فيما يلي مقتطفات مختارة من عدة رسائل كتبها الشيخ (قدّس سرّه) إلى حد السادة العلماء من أهالي دزفول:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

أسأل الله أن تكونوا ممّن يشملكم بلطفه ويحيطكم برعاية الأولياء ولا سيما حضرة ظلّ الله في العالمين. وصلتني رسالتكم الكريمة، ولكن لا أدري ماذا أكتب لكم.

نقف في كل يوم خمس مرات بين يدي بارىء الخلائق وفي كل مرة نكرر «اهدنا الصراط» مرتان. وقد أرسل ١٢٤ ألف نبي، وربما كان في إزاء كل نبي عشرة أولياء على أقل تقدير، وكلهم جاؤوا للهداية إلى الطريق.

يقول أحد الأنبياء في مناجاته: «ربي أين الطريق إليك» فجاءه الرد: «دع نفسك وتعال». لقد كانت تدور في ذهني بعض الأفكار عند دخول الروضة المقدسة، لكنني رأيت أن اهتمامكم في موضع آخر، ولنعم قول من قال:

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى　　وإنـي وإيـاه لـمـخـتـلـفـان

ولكن بعد مدة اتّضح لي مصدر ذلك البلاء. إن الشهرة التي حصلت عليها اليوم وأحمد الله عليها إنما كانت بمضمون: «كم من عثار وقيته وكم من ثناء جميل لست أهلاً له نشرته»، وقد ستر على عيوبي بمضمون الحمد الذي أردده يومياً: الحمد لله الذي ستر عورتي ولم يفضحني بين الناس ولذلك صار الكثير من الناس ينسبون أنفسهم إليَّ فهناك شخص كذاب يدّعي بعض الأعمال ويقول: أخذت هذا عن فلان، فيقول بعض الأصدقاء: لو قال له فلان، لكان الأولى أن يقول لنا. ولما صارت سالبة

بانتفاء الموضوع ويعمد مثل هذا الشخص إليَّ الأكاذيب لترويج بضاعته، فما هي التأثيرات الوخيمة التي تنجم عن ذلك، لكن الله تعالى هو الحافظ منها.

والمثال الثاني هو أن شخصاً توفي فذهب صهره إلى فلان ليأخذ عنه العلم، وكان فلان يدّعي ذلك وأعطاه نسخة، وبقي المسكين منشغلاً بها لمدة سنة كاملة لكنه لم يحصل على أية نتيجة فعاد إليه مرة أخرى وأخذ بعض التوصيات ورجع. وبعد سنتين من الجهد لم يحصل على شيء. أراد الرجوع إليه ثالثاً لكنه توفي.

أما أنا فلدي نسخ بخط الأساتذة قد يبلغ عددها حوالي أربعمائة نسخة وكذلك نسخ بخط غير صاحب العمل لكنها نسخ صحيحة ويقرب عددها من ثلاثة آلاف نسخة، ولكن عندما ألاحظ أن هذا العمل ليس في ناصية الشخص الذي يطلبه، أو إذا كان موجوداً لم يحن وقته بعد، وأعلم حينذاك أنني إذا قلت له شيئاً، أضيّع وقته وماله أيضاً لذا ألتزم الصمت، لكن الناس يتصورون ذلك بخلاً مني، والله يشهد أن الأمر ليس كذلك.

لما رأوا أحوال الناس على هذه الشاكلة قالوا: هذا زمان السكوت وملازمة البيوت، لأن صفة الناس في هذا الزمان التصرف وفقاً لأهواء الناس، حتى الواعظ والخطيب والمفتي.

ورد في الحديث أن الله سبحانه وتعالى يقول: «لا تجعل بيني وبينك عالما قلبه...». «وسئل النبي عيسى عليه السلام: من نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيدكم في العلم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله» إلاّ أن الناس يطلبون من يدلهم على الدنيا ويوصلهم إليها. ومثل الناس مثل البقّال الذي مات أبوه فذهب ليجد من يصلّي ويصوم له بالأجرة. وكان لديه دبس سقطت فيه فأرة وماتت، فاتفق مع رجل أن يصلّي ويصوم

عن أبيه لمدة سنة ويعطيه في المقابل ذلك الدبس كأجرة له.

وبعد ذلك لما قدّم له البقال الدبس وأراد أن يظهر التنسّك فقال له: إن الدبس الذي قدّمته لك مقابل الصلاة، كانت قد وقعت فيه فأرة فأرجو أن تحللني وتهبني. فقال له الشخص المذكور: لقد حللتك ووهبتك ولكن بشرط أن تحللني أنت أيضاً وتهبني. فسأله: وعلى م؟ قال: في هذه الصلاة التي تعهّدت بأدائها كنت كلما ركعت تخرج مني ريح ولم أكن أعرف سببها، والآن قد عرفت ذلك.

هؤلاء الناس يبغون واعظاً يتماشى ورغباتهم الدنيوية، ثم يكون كمرحلة أخرى مفيداً أيضاً لآخرتهم. والأمور اليوم كما تشاهدونها تسير على هذا المنوال، فظهرت شتّى الحيل، وكثرت أساليب التهافت على الدنيا ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾[1].

منذ أوائل مرحلة تكليفي حيث فرض علي صوم الأيام البيض، وقراءة آية «قل إنما» وترديد هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾[2] ثلاثة آلاف مرة خلال هذه الأيام الثلاثة على هذا القلب القاسي إلاّ أن هوى اللقاء لم يفارق ذهني إلى الآن. فلا بد من ترك الرغبة في الدنيا ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾[3].

يقول النبي عيسى عليه السلام: إن الزق ما لم يتخرّق أو يبخل يوشك أن يكون وعاء للعسل. مثل الجنة التي وعد المتّقون، فيها انهار من ماء غير آسن، وانهار من لبن لم يتغير طعمه، انهار من خمرة لذة للشاربين، وانهار من عسل مصفى. فيا إخواني عليكم بموعظة الشيخ حتى تحيي قلوبكم الميتة واعملوا عملاً صالحاً لعلّ الله يرزقكم لقاءه.

---

(١) سورة الملك، الآية: ٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ١.

ابذلوا أرواحكم يا عاشقين　　أن تكونوا في هوانا صادقين
تهون علينا في المعالي نفوسنا　　ومن طلب الحسناء لم يغلها المهر
فالروح أول نقداً تأتي بها　　وفي وصلنا إن كنت من خطابنا

لقد أكّدت لك مراراً بأن الباب قد أغلق اليوم، وأنت تقول إن السالكين ذهبوا وبلغوا منازلهم، والأمر ليس كذلك، ونعم قول القائل:

كذبتك عينك أم رأيت بواسط　　غلس الظلام من الرباب خيالا

لقد مضت مدة وأنا لا أرى الناس إلاّ على طائفتين لا ثالث لهما: طائفة المحتالين: وهي منهمكة بحيلها، والطائفة الأخرى هم الناس المخلصين الصادقين الذين يظنون السراب من قبل أن يرونه ماء، ويظنون المسك المغشوش مسكاً خالصاً، لكنني لم أر شخصاً بلغ غايته حقاً، إلاّ أن هذا لا يجب أن يؤدّي إلى ترك السلوك، لأنّ هناك فرق شاسع بين الناس الجالسين خلف هذا الباب وبين الذين فقدوا في البراري كفرق السماء والأرض، وذلك لأن الفئة الأولى يعلمون أن معشوقهم في هذه الدار إلاّ أنه أغلق الباب بوجوههم، بينما الفئة الثانية لا يعلمون في أي بئر سيقعون في نهاية المطاف في هذه الصحراء أثناء الليل المظلم.

أجل، الفرق شاسع بين من يعلم أن الطريق الذي يسلكه هو الطريق القويم، ولكن من غير المعلوم متى يبلغ غايته، وهو يعلم أيضاً أنه لو أدركه الموت فقد وقع أجره على الله، وبين من هو حائر في صحراء الضلالة يتّجه يوماً شمالاً ويوماً جنوباً، ولا يدري في أي بئر يسقط في آخر المطاف.

وذكرت أيضاً أنه لا علاقة لك بالآخرين فأعلم أن لكل أمر ملاكات متعددة، فأحياناً إذا أنقذ الإنسان إنساناً، ينقذه الله من المهالك، وأحياناً

يأتي الحكم بأن: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾[1] ويقال: «لا تجعل رقبتك للناس جسراً» أي أن القبض والبسط من مستلزمات الطريق، لكي يعلم أن كل الحسنات منه، وكل السيئات منّا، إذ ورد في الحديث: «أنا أولى بحسناتك».

على كل حال أشير إلى أن الباب مغلق اليوم، ولا فتوحات كالسابق، ولكن هذا لا يعني أن يترك المرء الطريق وينام.

ثابر ما استطعت على الصلاة في أول وقتها، وعلى حضور القلب أثناء الصلاة، وعلى تلاوة عدة آيات في الأسحار والتدبّر في معانيها.

لا أعلم في أي وقت صار العمل والموانع الداخلية والخارجية حائلاً تحول بيننا وبين الغاية والمقصود. وأؤكد هنا أن بعض المواضيع لا يمكن الإفصاح عنها كتابة. لكنني أعرض على جنابكم قضيتين، الأولى: هي أن على الإنسان بذل قصارى جهده للتأكد من أن الطريق الذي يسلكه طريق الحق، وإذا ما اتّضحت له حقيقة الطريق ولم يفتح له الطريق خلال عدة أيام فلا ينبغي له الاستياء من ذلك، ولا يجوز له دخول الطريق من غير معرفة فيبقى في ريب من أمره حتى النهاية ولا يدري أهذا هو الطريق الحق أم لا؟ وهل هذا الدليل صادق أم كاذب؟ والثانية: هي أن الإنسان إذا أدّى ما عليه فإن الله يعينه في أي زمان وفي أي مكان ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾[2].

تعمق في باطن الصلاة، وطالع كتاب أسرار الصلاة للشهيد الأول، وتأمل في آيات القرآن، وأقرأ صباح كل يوم واحدة من المناجاة الخمسة عشر، وعند الانتهاء منها ابدأ من الأول، وأكثر من قراءة الآية الشريفة:

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾[1] مع التدبّر في معانيها، ونرجو أن يكون في ذلك الصلاح بإذن الله.

أوصيك أن تظهر للأعزاء بأن طريقة فلان هي غير الطريق الذي سمعتم به، وليعلم الجميع أن طريقتي تراعي فيها جميع الجوانب الشرعية على أتمّ وجه، خلافاً لسائر الطرائق الأخرى التي لا تعير للشؤون الشرعية الاهتمام المطلوب. كأمثال السيّد حسن المرتاض الذي قال: حتى إذا قال المعصوم إن صيام الأيام البيض حسن لا أصغي إلى كلامه. أما في طريقة العبد الفقير فهناك اهتمام بالغ وخاصة بالصلاة، إذ عليكم بذل كل اهتمامكم بها، واعلموا يرحمكم الله أن مدار الأمر يدور على ثلاثة أشياء: السهر، وأكل الحلال، والتوجّه في الصلاة وحضور القلب فيها.

وأنوّه هنا إلى الأدعية التي أرسلها إلى الأحبّة، عليهم بقراءتها. إن الجميع يشكون بأن الحاج الشيخ لا يعطينا توصيات بالذكر القلبي. والحقيقة أنه لا يروقني التصريح ببعض الأمور إذا اعتبر الطريقة المعهودة لديهم سابقاً مغلوطة ومضطر للقول بوجوب الانطلاق من جديد. إنني في الحقيقة لست أهلاً لذلك إلا أن الإذن صادر من شخص كامل، فلذا حينما أصدر الوصايا لأحد فإنما مرادي كلام ذلك الرجل الجليل.

وأؤكد هنا تمام التأكيد على الصلاة لأنها معراج المؤمنين، وليس المهم عندي أن يرى الإنسان في المنام رؤيا لمرة أو مرتين أو أن يشاهد وقت الذكر نوراً بل يتلخّص جوهر الأمر في قضيتين، إحداهما: الطعام الحلال، والثانية: الانتباه في الصلاة: فإذا صلحت هاتان صلح ما سواهما. ولبّ اهتمامي هو إصلاح القلب، وما ذكر «يا حيّ يا قيّوم» في الأسحار إلاّ لهذا الغرض، ولكن الأصدقاء غير مطّلعين على طريقتي،

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٢.

فهم يعرفون الطرائق المتعارفة المتداولة اليوم، أمّا أنا فلا أعتقد بذلك أبداً، ولهذا السبب كثيراً ما تطرح عليّ الاعتراضات. ولو أنهم التفتوا إلى الأمر عدة أيام لاتّضحت لهم حقيقة الحال.

أرجو لكم التأييد والموفقية الدائمة. إن الموضوعات واضحة، لكنك ذكرت بأنك كتبت في رسالتك السابقة أن الذين ذهبوا يشكّلون حائلاً ومانعاً، إلا أنني كنت قد كتبت: أولاً أن البعض قد ذهبوا، فدعك عنهم. كنت أرغب في الاطلاع على أطوار السابقين لأرى كم كانوا يقرعون هذا الباب أو ذاك. نلاحظ اليوم أن البعض قد فتح له دكاناً ونصب فخاً، فإذا كان الصيد هزيلاً لا لحم فيه فهو تمهيد لصيد أكثر لحماً ويقولون إن المريد لا بد وأن يكون مروّضاً للغزلان، أي أن يوقع الناس في شباكنا بشتى سبل الكذب والإغواء، فهو لحلوائهم هاضم ولدينهم حاطم. نفسي لك الفدى، هؤلاء هم الذين كتبت لك عنهم: قد ذهبوا فدعك عنهم. وقد بيّنت لك مراراً بأن عيني قريرة اليوم بك وبأمثالك لأنكم على هذه الدرجة من العفّة، ولا أدري إن كانت كل عباراتي هذه تساوي شيئاً أمام وسوسة واحدة!؟

أمسك النبي موسى عليه السلام في المرة الثانية بالخضر عليه السلام ورفعه وضربه باورض وجلس على صدره ورفع قبضته ليضربه على رأسه قائلاً: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾[1]؟ ولما أجابه الخضر عليه السلام: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[2] قام عنه موسى عليه السلام واعتذر إليه، ولم يقل له الخضر عليه السلام شيئاً. ولكن عندما قال موسى عليه السلام: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٤.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٥.

﴿أَجْرًا﴾[1] قال له الخضر عليه السلام: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[2] قال: هذه طريقة الإجراء لا منهج العشّاق، فلا تقرن العبادة بالأجر كالمتسولين.

طالما أكّد كبار الفضلاء على اجتناب مجالسة المنكرين، وقالوا إن الضرر الناتج عن وسوسة واحدة لا يمكن إزالته بعد سنوات متمادية. ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾[3].

ذكر أهل الفضل حكاية بنت كيخسرو وعشاقها الذين افترشوا الرماد، فيا ليت شعري أن يكون إخلاصي لأهل البيت كذلك، وأدعو الله الثبات على هذا الإخلاص، إلاّ أن مستلزمات الطريق من نمط آخر، والحقيقة أنني لست أكثر من خادم. من المؤكد أن الرفض أو القبول إنما هو عمل آخر ليس من شأني. فعندما كتبت لك أن هناك شخصاً كان يدّعي السلوك ويعتبر نفسه سالكاً للطريقة، رأيت في إحدى الليالي شخصية كبيرة تنادي عليه ببيت شعر هذا معناه: «أيها الأعرابي لن تبلغ الكعبة فالطريق الذي أنت فيه يؤدّي إلى تركستان».

كتب مؤلف كتاب مرآة المحققين يقول: إن النطفة على كثرة عددها لا يخصب منها سوى عدد قليل، أما البقية فتكون سقطاً، ومن هذه أيضاً لا يولد إلاّ القليل، وسواهم يموتون في مرحلة الطفولة، فكم من هؤلاء يبلغ سن التكليف، وكم منهم يطلب طريق الله، وكم منهم يذهب إلى أن يدخل واحد منهم في طريق الله ويسلك هذا السبيل. ومن الواضح أن الشروط التي يتطلبها السلوك كثيرة ومتعددة.

لا أري ما الذي حصل فلم يبق شخص واحد يعرف كلمة واحدة عن

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٧.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٨.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٧٨.

شروط السلوك، وليس لدى الناس إلاّ الإعلان عن رغبتهم في طلب هذا الطريق. والسلام عليكم.

على كل حال أسألكم الدعاء أن لا يجعلنا الله في موضع الابتلاء، وفُرَّ من الناس فرارك من الأسد والأفاعي.

نفسي لك الفداء، إننا نعيش اليوم في عهد آخر زال فيه الصدق والإخلاص. ولا يتصوّر الناس تلك المثل سوى أساطير ويسمون الداعي إليها سفيهاً لا عقل له، كان الناس فيما مضى من نمط آخر، فقد سأل شخص عن حديث: «**علماء أُمتي كأنبياء بني إسرائيل، أو أفضل من أنبياء بني إسرائيل**» فأعطي الجواب، وطبع ذلك ونشر. أنتم تعلمون أنهم أتوا بأفعال تفوق إحياء الموتى بكثير. فقضية إحياء النفس كانت قائمة، ولكن هناك أفعال وأنوار فوق ذلك.

وعليك أن تعلم بأن مثل هذه العناوين لا يستطيع مثلي بلوغها. فأنا أرى اليوم أن الطريق مغلق، وما أقوله لك هو عين الواقع. كانت في ذهني فكرة عن جنابكم وهي أن يكون هناك شخص مثلي مجيب إذا سأله شخص مثلك ومن طلاّب هذا الطريق يقدم له مثل ما أعرضه على جنابك. لكنك سألت عن كيفية سلوك أودية الفقر السبع، فقلت لك إن الطريق مسدود. أما إذا كان الغرض أن أنسب هذه المواضيع إلى نفسي فإنني لا أفعل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾[1] ومرادي من القول بانسداد الطريق هو هذه الأودية السبعة التي كانوا يقطعونها فيما مضى. وأما مرادي من القول إنه كانت في ذهني فكرة عن جنابكم فهو أن أعرض عليك سلوكي، ونعم قول من قال: «هوى ناقتي وقدامى الهوى».

أشرت إلى أن جوهر طريقتي يتلخّص باستحضار القلب في الصلاة

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

والتركيز على معانيها وما تشتمل عليه من نقاط شيئاً فشيئاً. أي أن الأشخاص الذين يرغبون بأتباع طريقتي عليهم أولاً فهم المعاني الصورية للصلاة، ثم التأويلات المعروضة ومن بعدها النقاط الأخرى، بنفس النحو الذي ذكر عن الإمام الصادق عليه السلام في تكرار عبارة «إياك نعبد» حتى غشي عليه. لا أن يتجاهل المرء الأحكام الشرعية ويركز كل همّه على الأذكار. فالحقيقة لا بد وأن تستقى من الشريعة.

إنني طالب لهذا المقام وسالك لهذا الطريق، وعليكم أن تبيّنوا لمن يريد السير على هذا لطريق أن الحقيقة التي نسعى إليها نستقيها من هذه الشريعة لا من موضع آخر، وبنفس الطريقة التي سار عليها الأئمة عليهم السلام وبلغها مشايخنا. إن الطريقة التي يتّبعها الآخرون تختلف عمّا لدينا، وما نحن بسائرين عليها. والله يعلم أن رأيي فيكم هو غير ما تصوّرتم. لأن كل ما لدي إنما كسبته بهذه الطريقة. وليس إلاّ الصبر إزاء ما لم يقضيه الله.

كن عن أمورك معرضاً　　　وكل الأمور إلى القضا

نفسي لك الفداء، هذه هي طريقتي ودع تصرفك جانباً، وكل أمرك إلى الله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[1] أدعو الله بتعجيل الفرج، ولكن عليك أن تضع تصرفك جانباً، لأن التوكّل يعني إيكال الأمر إلى الله.

سبق وأن كررت القول إن هذا الكلام ليس من عندي بل من قبل شخص جليل، وهو نفس الشخص الذي قال لك في المنام: «أنت أيضاً ذهبت» أما بالنسبة للإذن بكتابة الدعاء فقد أذنت لك بما يتعلّق بي منه. إلاّ أن ما يتعلّق به فقد قلت لك وقلت لا أريد. ولا شيء سوى ذلك بيدي، فالنسبة لي أبديت إخلاصي إلاّ أن جنابك رفضت.

لقد بيّنت لك أن حوالي ٢٠ أو ٣٠ شخصاً كانوا قد عقدوا عليك

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

العزم وسلكوا الطريق بحرارة بتشجيع منك، إلاّ أنك أوقعتهم في الحيرة نتيجة لكلام تلفظ به شخص آخر، مع أنني ذكرت لك بأني رأيت في المنام قبل عدّة أشهر بأن هناك شخصاً كان يكثر الادّعاء والتبجّح فجاءه شخص كبير وقال له بيتاً من الشعر خلاصته: أنك لن تصل إلى القبلة أيها الأعرابي فالطريق الذي تسلكه يؤدي إلى تركستان.

ومع كل هذا فقد اتبعته، ولما استرشدتني قلت لك: إنني لست أهلاً لذلك لكنني فضلت أن أعرض عليك شيئاً لكي تنشغل به ولا تشعر بالفراغ، وعندما يتاح لك العثور على شخص كامل، تعمل بتوصياته وتترك ما سواها. فإذا وصلت إلى الشخص الكامل لا يتبقى لك أي شأن معي.

إذن فمن الأفضل أن تنشغل بهذا، ولا حاجة لأي إذن جديد.

أما عن المشاكل التي تعصف بهذا العصر، فلا تغفل عن نحس الأيام. ولا أدري إن كنت قد جرّبت السير في الصحراء أثناء هبوب ريح معاكسة لاتجاهك فتمنعك من المسير. لقد تعرّضنا في إحدى الليالي لمثل هذا الموقف وكانت الريح شديدة وتحثو الرمال في الوجوه، فلا الناس كانت لهم قدرة على الحركة ولا الحيوانات. وهكذا الأمر اليوم حيث أضحت الريح المعاكسة حائلاً دون مسير السالكين. أضف إلى أن القبض والبسط هما اللذان يصقلان السالك، فكلما امتدّ القبض يمتدّ في إزائه البسط.

يجب على الإنسان الدقّة أولاً ليكون على يقين من أحقّية الطريق الذي يسلكه وحينما يدرك أن الطريق سالك لا عثار فيه لا يغتمّ بعد ذاك إذا ما تأخّر في بلوغ هدفه: فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(1).

---

(1) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

هناك مثل شائع يقول: «ماذا يبغي الأعمى؟ عينين بصيرتين». لكن القضية المهمة في هذا الطريق هي عدم جدوى «قلتم وقلنا» وليس غرضي أن يبقى الإنسان ساذجاً يصدق كل ما يقال لأن هذا قبيح أيضاً، لا سيما في هذا الزمن الذي كثرت فيه القوالة.

خليلي قطاع الفيافي إلى الحمى كثير وإن الواصلون قلائل

على المرء أن يتحرّى الدقّة في مستهلّ الأمر، لكيلا يقع ضحية للمحتالين ومن هم ليسوا أهلاً، ولكن بعد أن يفهم أن الدليل أهل لذلك عليه أن يترك «قلتم وقلنا» ويهتم من بين كل الأمور بجانبين مهمّين، هما: حلية الطعام إذ ينبغي عليه إبداء منتهى الدقة في ذلك، لكن لا بالقدر الذي يقيد كل نشاطه وعمله، بل بالقدر المستطاع، والآخر هو حضور القلب في الصلاة وأدائها في أول وقتها لأن: «الصلاة عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها» لقد فقدنا ظواهر الشرع تدريجياً، وكلما استحكمت الطريقة الأصولية وهنت في مقابلها طريقة الاحتياط حتى بلغ الأمر إلى ما بلغ فعليكم بالتقيّد بالظواهر والمستحبّات والاحتياط ولكن بالنمط الأوسط.

قسّم فترة ما بين الطلوعين إلى أربعة أقسام: الأول للأذكار والتسبيح، والثاني للأدعية، والثالث لقراءة القرآن، والرابع للتفكير في أعمال اليوم الماضي، فإن كنت قد وفّقت للطاعة فاْشكر، وإن كانت قد صدرت منك ـ لا سمح الله ـ معصية فاستغفر. ثم عليك أيضاً أن تتصدّق كل يوم ولو بالقليل، وفكر في الليل بتفاهة الدنيا وعدم دوامها ولاحظ كيف تسير مع أهلها.

يقال إن للإنسان ثلاثة أنواع من الأصدقاء: الأول كالغذاء يحتاجه يومياً والآخر كالدواء لا يحتاجه إلاّ مرة في العام، والثالث كالسم لا يحتاجه مطلقاً.

عليكم أن تؤدوا غاية الشكر هذه الأيام التي اقتلعت فيها ريح الغضب الإلهي جذوع الأشجار القديمة ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[1].

لقد وفّقكم الله تعالى للذكر، فعليك بالصبر والتضرّع ففي ذلك الصلاح إن شاء الله.

«إن لربكم في أيام دهركم نفحات» إن الأعزّاء يكثرون الشكوى من الهواجس النفسية، فأوصهم بالتدبّر في الآيات الأخيرة من سورة الفرقان التي تبدأ بـ ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[2] فانظر كيف يبيّن الباري جلّ شأنه صفات الأشخاص الذين ينسبهم إلى نفسه. فتأدّبوا بهذه الآداب ما استطعتم ولا تفرطوا بوصية والرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام والمشايخ الكرام وهي التقوى.

نعم هذا الزمن هو زمن التقدم، فقد ارتقى مشايخ هذا الزمن حتى صاروا أعلى من الأئمة عليهم السلام وبدأوا يعطون الإذن لمريديهم بالاستحواذ على أي مال وأينما كان، بينما لم يصدر من الأئمة مثل هذا الحكم قطّ بأن نأذن لكم بالاستحواذ على أي مال كان.

كان قطب الأقطاب الشيخ صفي الدين الأردبيلي الذي يعتبر بحق شمساً لا بديل عنها، يؤكد على هذا الجانب بشدة إلى حدّ أنه حينما التقى مع علاء الدولة السمناني في مجلس السلطان، ولم يتناول الشيخ من الطعام شيئاً، قال له السلطان إذا كان طعامي حراماً فلماذا أكل منه علاء الدولة؟ وإذا كان حلالاً لماذا لا تأكل؟ اعتذر الشيخ بأن علاء الدولة بحر والبحر لا يتنجس. وحتّى أنه ردّ على أحد مريديه الذي اعترض على الشيخ على أساس أنه أكل من مال القبيلة الفلانية وهم

---

(١) سورة القمر، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

لصوص، قائلاً: يا ولدي ومتى وافقت أنا؟ ولم يقل: أنا قطب ولا إشكال في أن آكل ما أشاء.

إنني ومنذ مطلع سني لم أخالط الناس، ولم أكن قد بلغت حد الحلم حتّى قرأت في أحد الأيام في كتاب مجمع البحرين حديثين، أحدهما: أن معروف الكرخي قال للإمام الصادق عليه السلام: أوصني يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: «اقلل معارفك» فقال: زدني، قال: «أنكر من عرفت». لا أدري فحوى هذه الحكاية، فالباري تعالى يقول: «يا داود تريد وأريد ولا يكون إلاّ ما أريد» وعندما أردت الزواج بيّنت لأحد أصدقائي: عليَّ أن أبذل غاية الاحتراز والحيطة في هذا الأمر مع يقيني أنه إذا كان هنالك بئراً قد حفر لي فسيكون مثل هذا الاحتراز تمهيداً لسقوطي فيه. فسألني: وماذا يعني الاحتياط مع وجود هذا التصوّر؟ قلت: أمر وأنا ملزم بالاهتمام به وأدائه على خير وجه، وهناك حديث منقول عن الرسول صلى الله عليه وآله بهذا الخصوص يقول فيه: «**ما أخاف على أُمتي الفقر ولكن أخاف عليكم سوء التدبير، فعليكم بحسن التدبير**» وكلما حاولت أن أبيّن له هذا الموضوع لم أفلح ورأيته يحمل هذه الترهات على التوكّل ولا يلتفت إلى هذا الطرح. مثلما أن مسائل الطهارة والسهو والشكوك والقراءة يجب أن يؤديها أهلها، فكذا المعتقدات بطريق أولى. ولكن اليوم كل من تستطلع معتقداته تجده قد نسج معتقداته من وحي خياله.

ففي الأمور الدنيوية تراه قادراً على كل شيء متّبعاً في ذلك شتّى الحيل والخدع، أما في الشؤون الأخروية فكل اعتماده على الله، ويعتبره رحيماً غفاراً. ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾. على الإنسان أن يحترز بشدة ومع أن كل شيء واقع تحت قلم التقدير ولكن ينبغي بذل أقصى درجات الجهد والمثابرة، ومع هذا فاعتبروا يا أولي الأبصار.

يذكر المرحوم والدي رحمة الله عليه: عندما كنت في النجف عند المرحوم السيد مرتضى الكشميري قلت له: لقد ثبت لي عن طريق المكاشفة والباطن ومن الدلائل الظاهرية بأنني من نسل فاطمة الزهراء عليها السلام فأجابني بقوله: من الأفضل لك أن تحتاط في هذا ولا تأخذ شيئاً من أموال الصدقات. وذكر أيضاً: كنت أكتب للمرحوم السيد مرتضى، وكانت أجرة كتابة الألف سطر آنذاك ثلاث تومانات، ولمّا كانت كتابتي خالية من الخطأ فقد كان السيّد يعطيني أربعة تومانات، وقد بقي لي مبلغ من المال عنده.

ذهبت إليه وقلت: لم أتناول طعاماً منذ أسبوع وأفطر بالماء وحده، إذا سمحت أن تعطيني جزءً من طلبي. فقال لي: ليس عندي من النقود التي يجب أن تأكلها أنت. فذهبت إلى صحن أمير المؤمنين عليه السلام وشكوت حالي قائلاً: يا سيدي لم أتناول طعاماً منذ أسبوع، فحصلت حالة من المكاشفة وظهر لي عليه السلام وقال: ألا تستحي، وهل جئت لتشتكي عدم تناول الطعام لمدة أسبوع، فيما نحن حفظناك في عدة مواقف ومعاصي. وذكرها لي بكل مواصفاتها. يقول: فاستحوذت عليّ حالة شديدة من الخجل، حتّى أنني امتنعت من زيارته لمدة أسبوع خجلاً. هذه الرسالة بخط يده وعثرنا عليها بين أوراقه، ويفهم منها أنه كتبها إلى المرحوم السيّد مرتضى بناء على توصية منه ورغبة في الحصول على عمل وأن السيّد قد أمره بكتابتها، وقد ورد فيها:

الرسالة الأولى:

روحي فداك:

سلام من الرحمن نحو جنابكم فإن سلامي لا يليق بباكم

نسأل الله تعالى أن يمدّ ظلكم العالي على رؤوس الداني والعالي،

بل نسأل أن يُستدام حتى يستدام علينا أنعامه بحق الحق والنبي المطلق.

وبعد فاْعلم يا سيدي إني بعد التسليم عليكم والدعاء لكم ما أردت من هذه العريضة إلاّ كشف حالي لديكم وقد قال جدي عليه السلام:

وإذا طلبت إلى كريم حاجة فلقاؤه يكفيك والتسليم
وإذا رآك مسلماً ذكر الذي حمّلته فكأنه ملزوم

فاْعلم يا سيدي إني وإن أتلفت شطراً من عمري في بيداء الجهالة وانقضى شبابي في فيافي الغواية، ولكن لقد منّ الله عليّ قبل إشراف شمس الشباب على الأفول وتمكّن كواكب القوى في زوايا الخمول، فأبصر عيني بنور العناية وهداني إلى طريق الهداية، فشمرت عن ساق الجد والطلب وصرفت عناني نحو العلم والأدب وتركت في طلبه الأقارب والأباعد، ورفضت في تحصيله الأماثل والأماجد وتخلّيت بالي عن كل همّ يزاحمه وأخرجت عن قلبي كل غمّ يصادمه.

ولكن بقي لي هم يزاحمني أشدّ التزاحم وغمّ يصادمني أصعب التصادم، وهو همّ الكتاب، والأسباب الذي حار لعدمه أولو الألباب، فشكوت حالي إلى الله ثم إليك وجعلته في دفع همي شفيعاً لديك.

شفيعي إليك الله لا شيء غيره وليس إلى رد الشفيع سبيل

فالمسؤول في جنابكم أن تقرر لي شهرية تدفع بها الهموم ويرفع منها الغموم، واشتغل فراغ البال بالدعاء والتحصيل والدعاء لكم. كيف وقد أنار نورك الأقارب والأباعد وأسنى ضياؤك الداني والأماجد، وأفاض فيضك على القديم والجديد سيما طلاّب العلوم، ولا سيما أهل بيت النبي المعصوم.

هذه الأشعار أرسلها لي المرحوم حجة الإسلام الحاج سيد حسن

المفيد وكان من علماء دزفول وقد كتبها في رثاء المرحوم الشيخ.

فكان نشر عبيرها أخلاقها ... هو عين أرباب العلى إنسانها
من شاد أعلام الهدى فخراً ومن ... لعلاه دانت إنسها أو جانها
غوث الورى حسن العلى أوحى له ... فصل القضا رحمانها
طال الكواكب في ذرى أفلاكها ... وسعا مقاماً دونه كيوانها
وهدى العباد إلى الرشاد رشاده ... وبه ولا فخر رسى إيمانها
مقدامها منعامها مطعامها ... قوامها علامها مّانها
كهف الأماجد حصنها وعمادها ... حامي حماها عزّها وأمانها
طود المفاخر من له خضعت على ... قنن الرواسي شمها ورعانها
هو حجة الله الذي قامت به ... عمد الطريقة واستوت أركانها
يا عين أرباب العلوم كم ارتوت ... بنميرك العذب الروى أعيانها
لله علمك كم وكم وضحت به ... سنن الهدى حتى اهتدى حيرانها
كم من مشكورة لك في الورى ... ضاف نداها سابغ إحسانها
كم حكمة أودعتها وسرائر ... مكنونة لم يدرها لقمانها
ملأ العوالم نور علمك مثلما ... ملأ العوالم درّها وجمانها
أعيى الخلائق وصف فضلك مثلما ... أعيى الخلائق وصفها وبيانها
ذات تكوّنت الجواهر وانجلت ... منها تعالى عن مثال شأنها

سيرة العارف الشيخ آية اللّٰه العارف الشيخ محمد البهادي (قدس سره)

آية الله العارف الشيخ محمد البهادي

ولادته:

ولد في مدينة بهار من توابع مدينة همدان الإيرانية للميرزا محمد وهو من العلماء الربانيين والعرفاء الصالحين، هاجر أولاً إلى بروجرد ليحضر حوزة آية الله الميرزا محمود البروجردي والد آية الله العظمى السيد حسين البروجردي، وبلغ مرتبة الاجتهاد وهو ابن اثنين وثلاثين عاماً هاجر بعدها إلى النجف ليحضر حوزة المولى الهمداني السلوكية وأصبح من أخصّ تلامذته في السير والسلوك حتى قال عنه أستاذه الهمداني: (إن الحاج الشيخ محمد البهاري هو حكيم أصحابي)[1].

بقي الشيخ البهاري ملازماً لأستاذه الفقيه الهمداني إلى حين وفاة الأخير في الحضر والسفر، وقد اختاره أستاذه وصياً له في مدرسته السلوكية، فتابع منهج أستاذه في هداية طلاب الحق عزّ وجلّ في السير والسلوك إليه تبارك وتعالى، توجّه إلى مشهد المقدسة لزيارة الإمام الرضا عليه السلام في أواخر عمره الشريف وبعد أن أتمّ الزيارة عزم على العودة

(١) راجع الذريعة ٤: ٤٦، نقباء البشر ٢ ٦٧٧.

إلى النجف الأشرف إلا أن المرض اشتدّ به فرجع إلى مسقط رأسه مدينة بهار وتوفي فيها يوم التاسع من شهر رمضان سنة (١٣٢٥هـ)، ودفن فيها وتحوّل مرقده الطاهر إلى مزار معروف ظهرت منه الكثير من الكرامات للخواص والعوام[1].

(١) لاحظ كتاب: توحيد علمي وعيني للسيد محمد حسين الطهراني: ١٧ الهامش، الطبعة الفارسية، انتشارات حكمت.

رسائل سلوكية من رشحات
آية الله العارف الشيخ محمد البهاري

في بيان منهج عملي في السير والسلوك إلى الله ومجموعة من الحقائق والوصايا السلوكية في إزالة العقبات

منهج عملي في السلوك إلى الله

معرفة مسؤولية العبودية:

إن ما تلزم الشيخ أحمد ضرورتُهُ، أن يتفكّر بدقةٍ وبصورةٍ سليمة ليعرف: ـ هو هو عبدٌ أم حر[1]؟ فإن رأىٰ نفسه حراً فهو أعرفُ بحاله فليفعل ما شاء، أما إذا عرف أنه عبدٌ وله مولىٰ وسيد وليس حراً في فعلِ ما يشاء، حتى لو حرك يده فإنه مسؤولٌ عن ذلك وعليه أن يقدم الجواب

(١) مستفادة من موعظة الإمام الكاظم عليه السلام الشهيرة التي أدّت إلى تحوّل أساسي لدى بشر الحافي نقله من حياة المجون إلى حياة الزهد، وملخّص قصته أن الإمام عليه السلام كان ماراً بالقرب من دار لبشر في المدينة وأصوات اللهو تعلو من الدار وصادف أن خرجت جارية من الدار لحاجة فسألها الإمام عن سيدها هل هو حرّ أم عبد فاستغربت السؤال وقالت: بل هو حر، فقال لها: صدقت لو كان عبادً لاستحىٰ من مولاه، فلما رجعت الجارية وأخبرت بشر بقول الإمام عليه السلام انقلب حاله إذْ أدرك مقصوده، فذهب إليه وتاب على يديه. راجع كتاب الهجرة والجهاد للشهيد المطهري: ٧ من الترجمة العربية.

الصحيح، حينئذٍ يجب أن يكون سعيه في الحصول على رضا مولاه حتى لو أسخط الآخرين عليه، ولا سبيلَ له إلى رضا مولاه الحقيقي جلَّ شأنه إلاّ باكتساب التقوىٰ؛ ولن يتحقق الغرض الأصلي من خلقه إلاّ بالمعرفة والمحبّة بين العبد والمولى. وأن تحصيل التقوى يستلزم توفر عدة أمور لا غنى له عنها:

سبل تحقق التقوى: معرفة المعاصي واجتنابها بمراتبها المختلفة

الورع عن المعاصي؛ فعليه أن يتعرّف أولاً على تفصيلات المعاصي ويجتنب كل منها في محله، ومن المعاصي ترك الواجبات، لذا عليه أن يقومَ بالواجبات بمقدار وسعه وحسب مواردها بعد أن يتعلّم أحكامها. ولا يخفىٰ أنه لا سبيل إلى محبته ومعرفته جلّ شأنه مع البقاء على المعاصي بل قد يصبح هذا سبباً للعداوة لا المحبة.

وإذا قال الشيخ أحمد: إني لا أقدرُ على ترك المعاصي بالكامل، لا بد من وقوعي في بعضها! فالجواب هو: لكنك تقدرُ على التوبة بعد المعصية، وإن «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[1]، فباب التوبة يبقىٰ مفتوحاً أمامه ويمكن أن تقبل توبته، ومولاه قادرٌ أن يرضي خصومه من معدن وجوده جلَّت قدرته.

الورع عن المكروهات والعمل بالمستحبات:

وثانياً: الورع عن المكروهات قدر الإمكان والعمل بالمستحبات قدر استطاعته، فلا يستصغر المكروه ويقول: (كل مكروه جائز)، فربما كان ترك أحد المكروهات أو العمل بأحد المستحبّات البسيطة أفضل من كل عملٍ في التقريب من المولىٰ جلّ وعلا، وهذا أمرٌ يتّضح من التفكّر في الحالات المعروفة.

---

(١) تقدم في فصل آداب التوبة.

الورع عن المباحات وما يشغل عن المولى جلّ وعلا

ثالثاً: الورع عن المباحات إلاّ بمقدار الضرورة، فالشارع المقدّس جلّ وعلا وإن كان قد أباح الكثير من الأمور للأغنياء، لكنه لا يحب لعبده الانشغال عنه بغيره من الشؤون الدنيوية، لذا فمن الجدير بالعبد أن يترك كل هذه الزخارف الدنيوية أو بعضها ـ وإن لم تكن محرمة ـ احتراماً لما يحبّه مولاه واقتداءً بالنبيين عليهم السلام وتأسّياً بالأئمة الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين[1].

رابعاً: أن يترك كل ما سوى الله جلّ شأنه، فلا يسمح لغيره سبحانه أن يجد إلى قلبه سبيلاً، كما قال الخاجة:

لا يوجد على لوح قلبي سوى ألف جمال الحبيب

فماذا أعمل ولم يعلمني أستاذي كلاماً غيره[2].

وإذا قال الشيخ أحمد: وكيف يمكن الإعراض عمّا سوى الله وإخراج ذكره غيره تعالى من القلب مع الابتلاء بأمور المعاش والعيال والأصدقاء؟ إن تحقق ذلك بعيد ومحال حسب الأوضاع المتعارفة!

الانقطاع إلى الله والانقطاع عمّا سواه تعالى

فنقول: المقدار الذي ينبغي لك الالتزام به هو أن لا تترك مجالسة

---

(١) حتى ما لا بد منه من شؤون الدنيا يمكن أن يصبح عبادة إذا أتىٰ به الإنسان بنية القربىٰ لله تبارك وتعالى، كأن يأكل وينام للاستقواء على العبادة أو يكدّ على عياله استجابة للوصايا الشرعية بأن لا يكون الإنسان عالة على الناس. أجل من الضروري الانتباه إلى أن ذلك لا ينبغي بحال من الأحوال أن يشغله عن الذكر والعبادة بالمعنى الخاص؛ بل يقوم به وهو ذاكر لربه عاملاً بالآداب الشرعية الخاصة بكل عمل من هذه الأعمال.

(٢) ترجمة نثرية لبيت بالفارسية.

مَن يذكرك بالله جلَّ شأنه، وأن تجتنب ـ قدر المستطاع ما يزيد عن مقدار الواجب والضرورة من مجالسة من يصدّك عن ذكره تعالى، يقول نبي الله عيسى على نبينا وآله وعليه السلام ـ [في جواب الحواريين وقد سألوه: مَن نجالس]: «مَنْ يذكركم الله رؤيته»[1].

وملخّص الكلام هو: أن على الذي يريد الله حقاً أن يقطع ـ تدريجياً ـ أنسه وتعلّقه من كل شيء، ويكون ذاكراً له تعالى بٱستمرار، ويجتنب كل ما سواه إلاّ ما كان معيناً له على ذكره فمجالستهم لا تنافي ذكره تعالى بل إن محّبتهم هي من فروع المحبة الإلهية فلا تعارضها.

التدرّج في طي منازل السلوك

وإذا قال الشيخ أحمد: إن كل هذا حقّ ولكني لا أستطيع القيام به لأنّ شياطين الإنس والجن قد أحاطت بنا وهي توسوس لنا بٱستمرار وتصدّنا عمجا تقول فلا نستطيع إزالة هذه العقبة بالكامل. كما أننا لو انقطعنا عن الجميع لاختلّ علينا أمر المعاش بل وهذا ما لا نطيقه حتى لو لم يختلّ أمر المعاش، فأين نحن من هذه المراتب العالية؟!

فنقول في الجواب: إذا كان المطلوب تحقق هذا الأمر دفعةً واحدة فهو كما تقول صعب لا يُطاق، بل هو أعظم مما تقول، كالجبل الذي يبدو عظيماً في عين الإنسان في النظرة الأولى [فيستصعب صعوده. ولكنهم لم يكلفونا بما لا يُطاق إذْ أمرونا بالتدرّج، ومعه لا يكون التكليف شاقاً، والناس يروضون النسر والصقر وباقي طيور الصيد بالتدريج فتصبح طوع أمرهم.

---

(١) بحار الأنوار ١: ٢٠٣.

إذن، نخلص إلى القول: إنك في أي مرتبةٍ كنت وبالقوة التي تملكها ـ مهما كانت ضعيفة ـ يمكنك العمل بما تقدر عليه بيسر فإذا عملت ولم تتهاون ازدادت قوّتك أيضاً فضلاً عن تحقق ما تريده في تلك المرتبة، لأنه [تعالى يدعوك في الحديث القدسي فيقول]: «. . . **مَن تقرب إليّ شبراً، تقربتُ إليه ذراعاً . .**»[1]. **ولكنك لو تهاونت في العمل فإنك بذلك تعرض ما لديك من قوة للزوال أيضاً.**

مثلاً، كنت تريد إحياء الليل بالعبادة لكنك نمت حتى طلع الفجر، فماذا تفعل؟ ما دمتَ انتبهتَ والصبح في أوله، فقم ولا تتهاون فإن عدم النوم بين الطلوعين هو بحدِّ ذاته فيضٌ مستقل وتوفيق من الإلٰه جلَّ جلاله، فلا تحرم نفسك من هذا الفيض بالتهاون، ولا تصغ لوساوس الشيطان وقوله: لا زال الوقت لأداء صلاة الصبح متّسعاً فنم قليلاً! فلا يخفىٰ عليك مراده من هذه الوسوسة.

ومثال آخر؛ إن كنت قد جلستَ في مجلسٍ تحدثت فيه بالكثير من اللغو وفضول الكلام فاَسوّد قلبك، لكنك تستطيع تركه قبل نصف ساعة من موعد انحلاله باللجوء إلى حسن التدبير ولطائف الحيل، فاغتنم نصف الساعة هذا، قم واترك المجلس، ولا تقل: ما الفائدة من ذلك وأنا منشغل بذلك منذ الصباح؟! كلا لا تقل مثل هذا، فإنك تستطيع بهذا الموقف البسيط إصلاح الكثير من أمورك. إن شاء الله.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٨: ٦٧ ضمن حديث، راجع منتخب الأحاديث القدسية: ١١٢، من إصدارات منظمة الإعلام الإسلام في إيران.

تنظيم الأوقات اليومية وتخصيص كل وقتٍ للعمل الذي يناسبه

إذن وجب على الشيخ أحمد العمل على وفق الترتيب الذي أكتبه له فيما يلي:

أولاً: لا ينبغي له أن يضيع أي مقدار من وقته، ليخصص لكل أمرٍ وقتاً ويقسم أوقاته، وقتاً للعبادة لا يقوم فيه بغير العبادة، ووقتاً للكسب وأمور معاشه، ووقتاً لمتابعة شؤون أهله وعياله، ووقتاً للنوم ووقتاً للطعام، ويلتزم بنظم هذه الأوقات ويحفظه لكي لا تضيع أوقاته جميعاً. ليجعل أول الليل ـ قدر الإمكان وقتَ نومه فلا يسهر دونما مسوغ فيفوته الاستيقاظ آخر الليل. وليحرص على أن يغلبه النومِ وهو ذاكرٌ لربه، وأن ينام وهو على طهارة[1] بعد أن يتلو الأدعَية المأثورة [عن المعصومين عليهم السلام] قبل النوم لا سيما تسبيح السيدة الصدّيقة الطاهرة عليها السلام. وليجتنب الجماع ببطنٍ مملوءة. وليكن استيقاظه قبل الفجر، ويسجد سجدة فور استيقاظه، وإن لم يكن يقدر على الاستيقاظ من تلقاء نفسه فليهيىء أسباب إيقاظه؛ وبعد سجدة الشكر يجيل نظره في أطراف السماء ويتلو بتدبّر الآيات المباركة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2]. ثم يعمد إلى التطهر والوضوء والسواك والتعطّر ويجلس على مصلاّه ويتلو دعاء: «إلٰهي غارت نجوم سمائك...»[3].

---

(١) من فعل ذلك؛ النوم وهو ذاكر لله وعلى طهارة؛ عرج بروحه إلى العرش وكتب مصلياً إلى أن يستيقظ. منهاج النجاة للفيض: ٨٢، وفي ثواب الأعمال للصدوق عن الصادق عليه السلام: «مَن تطهر ثم آوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده»، ثواب الأعمال: ٣٥.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٩٠ـ ١٩٤.

(٣) هذا الدعاء مروي في كتاب مفتاح الفلاح للشيخ البهائي رحمه الله: ٢٣٥ من طبعة منشورات الرضي من القطع الجيبي.

الاهتمام بالتهجّد والتفكّر في الأسحار والفجر

ثم يقومُ لصلاة الليل على وفق الترتيب الذي ذكره الفقهاء ـ رضوان الله عليهم ـ مثل الشيخ بهاء الدين عليه الرحمة في مفتاح الفلاح وغيره في المصابيح وغيرهم، فيعمل به بمقدار ما يسعه وقته من الاختصار في الأعمال أو الإطالة، وعلى أي حال يخصص وقته إلى طلوع الشمس للعبادة فلا يشتغل بغيرها من الأعمال. بل يقضي هذا الوقت بالأذكار والأوراد المشروعة إذا لم يبلغ مرتبة أهل التفكّر، أما إذا بلغها فليتفكر بالأمر الذي بين يديه خلال هذا الوقت فإذا رأى تفكّره يجري بيسر فليتابعه بدلاً من الأوراد والتعقيبات[1]، أما إذا رأى فكره جامداً ليترك التفكر ويتوجّه للذكر، فيلاحظ أي عمل يؤثر فيه أكثر فيقدمه على جميع الأوراد، سواء كان تلاوة القرآن أو المناجاة أو الدعاء أو الذكر أو الصلاة أو السجود.

إدامة ذكر الله في مختلف الأحوال

ثم يرتب أمور المنزل ويجلس مع أهل بيته بمقدار الضرورة ثم يذهب إلى السوق، فلا يزيد على السلام في التحدّث مع مَن يرى في طريقه ويشتغل بالذكر حتى يصل السوق، فيقرأ الدعاء الوارد عند دخول السوق، ثم يبسط بساط عمل ويشتغل بعمله وهو في حالة الذكر، فإن

---

(١) وردت أحاديث كثيرة في مدح التفكّر وأنه خيرٌ من قيام ليلة أو عبادة سنة أو سبعين سنة والاختلاف هو ـ على ما يبدو ـ في الثمرا التي يوجدها المتفكّر وطبيعة الأمور التي يتفكّر فيها، والمهم هو ملاحظة المرء لحاله واختيار الأوقات المناسبة للتفكّر بما يؤهله للحصول على ثمار أفضل، وقد ورد النهي عن التفكّر في ذات الله إذ لا سبيل للإنسان إليها فهو تفكّر عقيم في حين ورد الأمر بالتفكّر في صفاته ومظاهر ربوبيته ورحمته بالعباد. وكذلك التفكّر في قوى النفس وما تكشفه للإنسان معرفتها من معرفة ربها، وكذلك التفكّر في حالات الإنسان وما يصلحه والتفكّر بالموت ومبدأ الإنسان ومعاده... وعلى أي حال لا ينبغي للإنسان أن يغفل عن التفكّر بالمرة والذكر أحياناً يعينه على التأهّل للتفكّر النافع.

للذكر في السوق ثواب عظيم، إذْ أنّ الذاكر في السوق كالمصباح في البيت المظلم[1]، ويجتنب التدخّل دون مبرر في شؤون الناس الدنيوية ولا يجمع الناس حوله، بل وحتى لا يعظ، أجل لو رأى منكراً من أحدٍ فلينهاه عنه بالتي هي أحسن إذا استطاع، أم إذا لم يؤثر نهيه فيه أو زاده عناداً، فليعرض عنه ولا يتعرّض له.

حفظ الطهارة وأوقات الصلوات

وعليه أيضاً رعاية أوقات الصلوات، وليكن على وضوء في أغلب أوقاته، ويستغفر مائة مرة بعد صلاة الفجر، ويهلل بكلمة التوحيد مائة مرة ويتلو سورة التوحيد إحدى عشرة مرة، وينبغي أن لا يترك ذكر «اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعجّل فرجهم» مائة مرة، ويتلو الاستغفار الخاص في تعقيب صلاة العصر[2] مع تلاوة سورة القدر عشر مرات.

عدم الغفلة عن الصيام المستحبّ ورعاية البدن دون إفراط ولا تفريط

وليحرص ـ ما أمكنه ذلك ـ على عدم ترك الصيام [المستحب]، لا سيما الأيام الثلاثة من كل شهر: الخميسين الأول والأخير من كل شهر والأربعاء في وسطه[3]، وذلك إذا كان مزاجه مساعداً على الصوم، وإلاّ فرعاية المزاج أولىٰ، لأنّ البدن هو مركب الإنسان فإذا تضرر البدن هوى

---

(١) راجع باب استحباب الدعاء بالمأثور عند دخول السوق، وباب استحباب ذكر الله في الأسواق من أبواب كتاب التجارة من الوسائل ١٧، ٤٠٦ وما بعدها.

(٢) تجده في مفاتيح الجنان: ١٧ نقلاً عن مصباح المتهجّد وهو المروي عن الجوادعليه السلام ـ في قراءة سورة القدر عشر مرات.

(٣) يؤكد آية الله الشيخ حسن علي النخودكي رضون الله عليه ـ في تعليقة له على هذه الفقرة من كتاب تذكرة المتّقين على صيام الأيام البيض من كل شهر (١٣ـ ١٥) منه بنية الاقتداء بعمل سيد الشهداءعليه السلام بوصية رسول اللهصلى الله عليه وآله المروية في كتاب الدروع الواقية للسيد ابن طاووس، ويؤكد الشيخ النخودكي أن صوم هذه الأيام الثلاثة لم يكن يتركه أهل الرياضات الشرعية لعظيم فوائده.

بصاحبه، ولكن لا ينبغي ـ في الوقت نفسه ـ التمادي في الاستجابة لرغبات البدن فيطغىٰ ويتمرّد على طاعة صاحبه؛ بل إن خير اومور أوسطها وهذه قاعدة عامة تجري في جميع الأمور، فلا الإفراط صحيح ولا التفريط ففي كل مرتبة الخيرُ بما أوصوا عليهم السلام به: «عليكم بالحسنة بين السيئتين»[1].

الاهتمام بالسجدة الطويلة وحضور القلب في الذكر

وليأت ـ في أي وقتٍ من الليل استطاع ـ بسجدةٍ طويلة إلى المقدار الذي يتعب معه بدنه ويكون ذكره فيها هو الذكر المبارك: «سبحان ربي الأعلىٰ وبحمده». وليكن كل ما يتلوه بحضور قلبٍ ما وجد لذلك سبيلاً، فلا يكون فكره شارداً إلى أماكن أخرى، كما أنّ عليه أن يديم العملَ حتى يصبح عادةً وملكة له فلا يتركه.

ولا يتّسع المقام لأكثر مما تقدم، فهذه كلمات سطرت على نحو الاختصار، وإذا استدعىٰ الأمر فربما ستُسطر كلمات أخرى لاحقاً ـ إن شاء الله تعالى ـ .

حرره محمد البهاري الهمداني

(١) في تفسير العياشي في وصية الباقر لولده الصادق عليهما السلام: «يا بني عليك بالحسنةِ بين الثيئين (السيئتين) تمحوهما)، تفسير نور الثقلين ١٥٩/٣.

مجموعة رسائل تشتمل على وصايا
وتنبيهات تربوية لحالات شتى يمر بها السالكون

بقلم آية الله الشيخ محمد البهاري

الرسالة الأولى

وصايا في العمل الإصلاحي الاجتماعي

تعليقة كتبها للحاج السيد «آقا» سلمه الله تعالى عند توجهه إلى بومباي[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

يا قمري الكنعاني، لقد أصبح عرش مصر لك.

فقد حان الأوان لكي تودع السجن[2].

---

(١) اكتفىٰ جامع الكتاب بهذا التعريف بالمرسل إليه ويبدو من مضمون الرسالة أن الشيخ البهاري كتبها لأحد تلامذته وهو يتوجّه للقيام بمهام عالم الدين في إحدى المناطق فضمن الرسالة ما يعينه على ذلك.

(٢) ترجمة نثرية لبيت بالفارسية صدّر به الرسالة وفي البيت إشارة إلى ظهور علامات مبشّرة بالخير للمخاطب بها ولكن تحقق هذا الخير مشروط بالأمور التي تضمّها الرسالة فالمهمة التي يتوجّه إليها تعود عليه بالخير الوفير ـ المعنوي خاصة ـ لو عمل بهذه الشروط.

ولكن بشروط عدّة: ـ

الأول: أن تقطع حبائل الطمع بكل شيءٍ لا سيما الطمع براحةِ النفس ودعتها، وأن لا يكون لك هدف من حركتك سوى إصلاح العباد وخير المسلمين وتحمل جفاء المخلوقين، أما إذا كان هدفك المال والجاه والشوكة فلن يتحقق منها شيءٌ ولن تصل إلى مقصدك. وقطع حبائل الطمع يمكن أن يتيسر لك ويصبح ملكة فيك إذا جعلت الموتَ نصبَ عينيك في كل حينٍ ولم تغفل عنه ولا لحظة وقلتَ لحقيقة القلب: ـ

إن المرقد الأخير لكل إنسان هو حفنة تراب لا أكثر.

فما ينفعك أن ترفع إيوان قصرك إلى عنان السماء؟![1].

الثاني: أن يكون عمله[2] بتأنٍ مستعيناً بالاستشارة دون استعجالٍ ولا استبداد بالرأي، فإن العجول المستبدّ برأيه يقع كثيراً من حيث لا يشعر في مهالك لو اجتمع عقلاء العالم كافّة لما استطاعوا إنقاذه منها، وهذا أمر واضح.

الثالث: أن تُخضع القوة الغضبية للقوة العاقلة، لكي لا يصدر منه الغضب في غير محله لأن غبارَ الغضب يستر وجه العقل ويعميه ويحجبه عن الحق بمراتب متنوّعة؛ ولذا يجب اجتناب التعرّض لأحد ولو بالموعظة وقول الحق حتى يسكن الغضب[3].

---

(١) ترجمة نثرية لبيت بالفارسية.

(٢) الشيخ بدّل الخطاب هنا إلى توصية الغائب بدلاً من مخاطبة الحاضر، فالتزمنا بذلك في الترجمة أيضاً.

(٣) وله في ذلك أسوة حسنة بمولاه أمير المؤمنين عليه السلام عندما أعرض عن قتل عمرو بن عبد ود بعد أن أغضبه ثم قتله بعد أن سكن غضبه وعندما سألوه عن ذلك قال: «قد كان شتم أمي وتفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي ثم قتلته في الله» مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٥.

الرابع: أن يكون كتوماً للأسرار، يخفي سرّه والمراد من السر، الأمر الذي لا يعرفه طائفة من الناس ولو أخبرتهم به، فإما أن يكون إخبارك لهم لغواً [لعدم قدرتهم على إدراكه] أو أنه يؤدّي إلى فساد عقيدتهم ولو مستقبلاً، وهذا الأمر يختلف حسب الأشخاص والبلدان.

الخامس: أن لا يعتبر نفسه ناصحة له ومشفقة عليه، بل يتهمها ويراها خائنة خاصة إذا رآها تصرّ كثيراً على أمرٍ ما، فليعرف أن وراء إصرارها غرض مشبوه فلا يغفل!

السادس: ينبغي أن تكون أعماله منظمة مرتبة، فيخصص لكلٍ منها وقتاً، لكي لا يفقد مجال الخلوة مع النفس ومحاسبتها. أي أن يكون حاله الالتزام بهذا النظم دون تخلّف عنه، فيقوم بكل عمل في وقته المخصص لا في أي وقتٍ كان، فإن في نقض ذلك مفسدة عظيمة.

السابع: أن لا يتّكل في أي أمرٍ على حوله وقوّته، بل يكون في جميع الأحوال متكلاً على صانعه وخالقه جلّ شأنه. ولا يتّسع المجال لأكثر ممّا تقدم.

حرره محمد البهاري

الرسالة الثانية[1]

لا خوف ولا حزن للمتوسل بأهل البيت وبالرحمة الواسعة

شيخنا جعلك الله جلّ جلاله ممّن تناله الرحمة من فرقه إلى قدمه.

وصلني كتابك، وكشفَ عن صحة مزاجك خطابُك، وقد اشتكيت من سوء حالك وتفرق إخوانك وقلة أعوانك. لا تخف ولا تحزن إن الله

---

(١) لم يذكر جامع الكتاب المخاطب بهذه الرسالة.

تبارك وتعالى نعم الرب، وإن محمداً ﷺ نِعْم الرسول، وإن علياً وأحد عشر من أولاده نعم الأئمة، من تمسك بأذيال جلالتهم جروه بقوة ـ ولو كان ضعيفاً ورغماً عنه ـ إلى حضيرة القدس!

من هنا، فما من صغير متوسل بهم. وتركوه في مرتبته، بل هم ينقلونه من الحضيض إلى الذرىٰ لا سيما إذا استعان بالتوكّل على الله لدنياه وبالتقوىٰ لأُخراه، واستصحب الوقر والعفّة واتّخذ القناعة هي الحرفة وزين فقره بصبره وغناه بشكره، وأوجز في كلامه وطعامه ومنامه، لا في سلامه وابتسامه، ونسي حظ نفسه وحفظ سيئة أمسه، وشاور إخوانه وداری أعوانه، وكان في حوائجهم من الساعين، ولهم بأجمعهم من الداعين، ووظّف أوقاته[١]، ولا يضيع بالملاهي والتأخير صلاته خصوصاً صلاة الليل، وأمر نفسه بالمعروف بعدما نهاها عن المنكر. فهو لا يرىٰ نفسه شيئاً حتى لو رأى فيها الكثير من الصفات الحسنة فهي ليست منها ولم تكتسبها هي بل، هو جلَّ شأنه ولي التوفيق والنعم.

وأرجو ـ يا شيخنا ـ أن يجعل ـ جلّ شأنه لك اليسر بعد العسر، والعزّ بعد الذلّ، والغنى بعد الفاقة، فلعلك تكون من المفلحين إن شاء الله تعالى[٢].

لا أدري ما هو سبب هذا التشتت في البال والأفكار، هل تطهّرت وذهبت إلى «الخرابات»[٣] فلم يأذنوا لك بالدخول؟ وهل دخلتَ من باب

(١) أي جعل لكل وقت من أوقاته عملاً نافعاً خاصاً به بنظم وترتيب.

(٢) من بداية الرسالة إلى هنا جاء في الأصل باللغة العربية؛ وقد تقدم في نصوص الكتاب موارد مشابهة توسّطت فيها مقاطع بالعربية المتن الفارسي.

(٣) «الخرابات» في مصطلح العرفاء والصوفية، هو المقام الذي تخرب وتزول من السالك العادات النفسانية والصبغة الحيوانية، وتظهر فيه الأخلاق الملكوتية، أي يتحرر فيه السالك من أسر الحالات النفسية ويصل إلى حقائق المعارف الإلٰهية.

الصدق فأخرجوك؟ ما هذا التواني وما هذا التحير؟ أليس بابه للداخلين مفتوحاً وخيره للطالبين مبذولاً؟ ألم يقل: **مَن تقدم إليّ شبراً أقدم إليه ذراعاً**»[1]؟! **أليس من كلامه: «ول علِمَ المدبرون كيف اشتياقي لهم لماتوا شوقاً**»[2] **ألم تسمع أنّ «الراحل إليه قريب المسافة**»[3]؟! **ألم يقولوا بلسان الحال**:

عاود التوبة وعاودها مهما كنت كافراً أو يهودياً أو وثنياً.

فلا محل لليأس في هذه الحضرة القدسية، عاود التوبة حتى لو نقضتها مائة مرة[4]!

﴿هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[5]، فلماذا اليأس والتهاون، وأي معنىٰ للتحير؟! ازحفْ إليه بخشوع دون استحياء وبكل تعبك واطلبه بصدق[6].

هل كلفكَ بما لا طاقة لك به؟! هل طلب منك عبادةً لا تُحتمل؟! هل عنفك على رؤوس الأشهاد؟! هل نقص وضاق إنعامه عليك وإحسانه لك؟! فلماذا هذا الدلال؟!

لا يليقُ الدلالُ إلاّ بمن كانت طلعته مزهرة كالورد.

---

(١) منتخب الأحاديث القدسية: ١١٢ عن صحيح مسلم والحديث مروي في مصادر عدّة.

(٢) المحجّة البيضاء ٦٢٨ من مناجاة الله لداوود‌عليه السلام وفيه: «يا داوود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً إليّ وتقطّعت أوصالهم من محبّتي، يا داوود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي في المقبلين عليّ».

(٣) اقتباس من مقطع من دعاء أبي حمزة الثمالي المروي عن الإمام السجّاد‌عليه السلام لأسحار شهر رمضان، راجع مفاتيح الجنان، أعمال أسحار رمضان: ١٨٧.

(٤) ترجمة نثرية لأبيات بالفارسية.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.

(٦) ترجمة نثرية لأبيات بالفارسية.

وأنت ليس لديك مثل هذه الطلعة المزهرة فاحذرْ من أن تضيف لذلك سوء الخُلق[1].

من العيب أن تحدق البصر بعين عمياء، ومن القبح أن يظهر الدلال ذو الوجه القبيح[2].

فتبصبص إليه جلَّ جلاله تبصبص[3] الكلب الجائع فلعله ينظر إليك نظرة الرحمة والرضوان. إن شاء الله.

لا أدري ما الذي أكتبه أكثر من هذا، ولكنْ إن كنت عطشاناً يكفيك قليلٌ من الماء (وإن كان في البيت أحد، كفتْ كلمةٌ واحدة)[4].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد البهاري

الرسالة الثالثة

السلوك إلى الله يحتاج إلى جد ووعي وتطهير وإخلاص وتواضع

كتبها إلى سفير بغداد[5]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

يا محمود الخصال وحُسن الفعال، أراك تذكر هذا العبد الحقير بهدوء ضمن مراسلاتك للآخرين، فإنْ لم يكن لديك ورقة فاُطلبها من الجيران!

---

(١) ترجمة نثرية لأبيات بالفارسية.

(٢) ترجمة نثرية لأبيات بالفارسية.

(٣) في تحف العقول لابن شعبة: ٣٧٧، ضمن مناجاة الله عزّ وجلّ لعيسىٰ ابن مريم عليه السلام: «يا عيسىٰ أطب لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات، واُعلم أن سروري أن تبصبص إليّ، كن في ذلك حياً ولا تكن ميتاً».

(٤) ترجمة نثرية لشعر بالفارسية يجري مجرىٰ الأمثال.

(٥) اكتفىٰ جامع الكتاب بهذا التعريف للمخاطب بهذه الرسالة، ولعلّ المقصود هو السفير الإيراني في بغداد أو يكون رمزاً لأحد العلماء يقيمُ في بغداد.

إما أن تعرض عن التسابق بالحمار مع الفرسان وإما أن تملأ بيتك من الطعام والحرص[1].

رغم أني مُنذ مدة مديدة لا علم لي بصورةٍ كاملة بحالاتك الشريفة إلاّ أني ـ أنا الحقير ـ أسمع؛ بهدوء أيضاً، أنك ملتَ إلى العرفان ودخلت في زمرةِ العرفاء والدراويش، فينبغي أن تكون قد عرفت أولاً أنه:

ليس كل صوفي نقياً من الغش فربما كانت الخرقةُ مستوجبةً للنار[2].

وثانياً أن لطالب المعرفة شروطاً لا بد من مراعاتها:

فيجب في البداية أن يكون سليم المزاج ولا ينبغي له العلاج، سواء كانت علّته غالبة السوداء عليه فيتوهّم أن بعض الحركات السوداوية هي من علامات تأجج العشق فيغترّ بها[3]، أو كانت الصفراء والحرارة قد غلبت على مزاجه فإنها تؤدي إلى يبوسة الدماغ وخفقان القلب وسوء الخلق الشديد؛ أو كانت الأخلاط والبلغم قد زادت عنده وهي تؤدي إلى الضعف عن فهم الأمور الدقيقة.

فلا بد من اعتدال المزاج، وأن يكون متأدّباً بآداب الشرع ومتألماً للمعاصي وتاركاً لها، وأن يكون عفيفاً صدوقاً معرضاً عن الفسقِ والفجور والغدر والخيانة والمكر والحيلة؛ فإن الأخلاق الفاضلة هي مقدمة المعارف بعد علم الفقه، ولا ينبغي ترك أي ركن من أركان

---

(١) ترجمة نثرية لبيت بالفارسية والمقصود منه الإشارة إلى ضرورة أن يتحلّىٰ بالجدية والاجتهاد مَن يريد دخول مضمار السير والسلوك إلى الله فلا محلّ في هذا المضمار لمن لا يهيىء أسباب السير فيه بجد.

(٢) ترجمة نثرية لبيت بالفارسية يشير إلى ضرورة عدم الانخداع بكل مدَّع للعرفان الإلٰهي.

(٣) السوداء في اصطلاح الطب القديم أحد الأخلاق الأربعة للبدن الذي يؤدي إلى فساد الفكر والخلط والتوهّم لأمور لا واقع لها فيتعلّق بأمور بصورةٍ يتصور أنها من علامات العشق. راجع مثلاً قاموس عميد (بالفارسية) ٢: ١٢٤٤.

الشريعة، ولا تأويل ظواهرها، بل ينبغي العمل بجميع واجباتها كلٌّ في محله، فإن ادعاء تارك الصلاة بل تارك النوافل للعرفان هو انحرافٌ في انحراف[1].

وعلى أي حال، ينبغي لطالب المعرفة أيضاً أن يكون فارغ البال من أمر المعاش إما بالتموّل أو بالقناعة والتوكّل[2]، فالذي ينصب فكره باتجاه الخبز الرقيق يسيل لعابه للبطيخ، فلا ينبغي أن يدخل من باب المعارف فضلاً عن أن يجعلها آلةً لتحصيل معاشَهُ، فلن يرىٰ أبداً أي نور، إذْ أن الحرفة غير المعرفة، والتحايل للوصول إلى الشهوات غير الرغبة في الآخرة وهما ضرتان متباينتان ولا تجتمعان[3]، فإذا كان القلب فرحاً ضاحكاً فلن يحصل على حظٍ من المعارف الحقّة. وأن يكون كتوماً للأسرار إن حصلت له.

---

(١) مثلما تؤكد الأحاديث الشريفة على السعي في طلب الرزق الحلال تؤكد على الإجمال في طلب الرزق وعدم الانشغال به بأكثر من الاستجابة للأمر الشرعي بالسعي فإن الرزق مضمون من مقسم الأرزاق يقول الصادق عليه السلام: «لو كان العبد في جحر لأتاه رزقه فأجملوا في الطلب» وسائل الشيعة ١٧: ٤٦ من الطبعة ذات الثلاثين جزءً وراجع بابي استحباب الإجمال في طلب الرزق، واستحباب الاقتصاد في طلب الرزق من كتاب التجارة أبواب مقدماتها من الوسائل.

(٢) في الحديث ا لقدسي: «إن أدنىٰ ما أصنع بالعالم إذا آثر شهواته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي، يا داوود لا تسألن عني عالماً قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبّتي أولئك قطاع الطريق على عبادي»، المحجّة البيضاء ١: ١٣١، وقد استفاضت الأحاديث الشريفة في نهي العالم عن أن يستأكل بعلمه، والعالم الذي يقع في ذلك لن يكون وعاءً صالحاً لنزول المعارف الإلهية النورانية الحقّة التي لا يمسّها إلاّ المطهرون.

(٣) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه، أوسع شيءٍ صدراً وأذلّ شيء نفساً، يكره الرفعة ويشنأ السمعة، طويل غمه، بعيد همه، كثير صمته، مشغولٌ وقته، شكورٌ صبورٌ، مغمورٌ بفكرته...»، أعلام الدين في صفات المؤمنين للديلمي: ١٣٠، نهج البلاغة ٣: ٢٣٢.

ولمخص الكلام أن: (ثمة آلاف خصال أخرى ينبغي توفرها غير الحسن والجمال)، والورقة لا تتّسع لغير ما تقدم، والشروط المذكورة هي قطرة من بحار وقبضة من بيدر، ولكن إذا رأيت توفرها في أحدٍ فتابعه وإلا أنتم سالكون ما أسلك ولا أنا سالك ماسلكتم لكم سِلككم ولي سلكي!

بيد أني لم أقصد الوعظ حتى أجعلها موعظة وافية وشافية، كما لم أقصد كتابة عريضةً لكي أكتبَ على وفق عباراتي المعهودة، بل هما كلمتان حضرتني بداهة فكتبتهما دونما ارتباط. (فإن لم تعجبك فغيِّرْ القضاء)!

محمد البهاري

الرسالة العاشرة

من العقبات الصادرة عن الانقطاع إلى الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مَن يحمل كلامي إلى أستاذ البيان
فيحمل قطرة الماء إلى بحر عمان والكمون إلى كرمان!
أين ريح الصبا يحمل لنا أريج الأزهار
ويحمل نوحي ونحيبي إلى آلاف من النائحين مثلي
ويقول لهم: نوحوا بحرقةٍ من أجل اللقاء والوصال
وليبكِ بحرقةٍ كل مَن حمل غم الهجران والفراق[١].

فديتكم، ما الذي جرىٰ عليكم؟! فكلماتكم المفعمة بالوجد تكشف عن عمق الألم والحسرة! ألستم ممّن يؤيد به الدين وتُشيد به أركان الشرع

---

(١) ترجمات نثرية لأشعار بالفارسية.

المبين؟! ألستم ممّن انغمر في الطاعات والتقوىٰ ووفّق للقربات والزلفىٰ؟! أجل:

ألستم خير من ركب المطايا — وأندىٰ العالمين بطون راح

فلماذا تبكون أنتم؟ (دعوني أنا الجدير بأن أبكي مثل هطول المطر في الربيع)[١]، إذ أني أنا المتخلف عن أقراني، أنا الضعيف في عقلي وأركاني وقد فسدت طاعتي وحسرت بضاعتي وخسرت تجارتي، ذهبت أيامي وبقيت ذنوبي وآثامي، ما تزوّدت من حياتي وقرب حين مماتي. ولا أدري ما الحل وما العلاج: (مثل السماء تحيط بالأرض القاسية)[٢]، فلا من رفيق ولا صاحب شفيق، ولا من ناصر ولا نصير، ولا من أنيس ولا مؤنس، حيثما أتوجّه لا أجد سوى جهلاً فوق جهل، وظلمات في ظلمات، وعند كل مَن أجالس أجد الغفلة فوق الغفلة، فرأيت في التعرّف على الأغيار الضرر المحض، وكل مَن اعتبرته صديقاًوجدته عدواً لدوداً، يشغلني بآستمرار سؤال: ألا من سبيل، ألا من سبيل؟، ويطرق ذهني على الدوام سؤال: ألا من طريق، ألا من طريق؟ فأنا في درسي حيران وفي مباحثاتي نادم:

فيا بريد الحي أخبرني بما — قاله في حقنا أهلُ الحمىٰ

هل رضوا عنا ومالوا للوفا — أم علىّ الهجر استمروا والجفا

ستقولون بلا شك: لا خبرٌ جاء ولا وحي نزل. أما عليه نعم وأما منه لا!، العجب كلُ العجب، إذا كنتم أيضاً تشكون وتضجون بهذه الصورة، فما الذي يجب أن نفعله نحن؟! ولقد قيل:

---

(١) ترجمات نثرية لأشعار بالفارسية.

(٢) ترجمات نثرية لأشعار بالفارسية.

أرىٰ البلبل يضجّ بالبكاء وهو جالسٌ عند الأزهار.

فكيف لا أبكي أنا البعيدُ عنها؟![1]؟!

لا يمكنني أن أقارن حالي أنا الحقير بحالكم، لوجوهٍ عدّة من التمايز، فلا أقدر أن أقول إنكم قد تخلّفتم عن الركب، وانقطعتم عن أمير القافلة ـ نستجير بالله ـ بسبب ميلكم إلى الدنيا والاشتغال بلهوها ولعبها، ولطولِ أملك واتّباعك للهوىٰ وغير ذلك! [وكيف أقول ذلك وهو ما تدفعه أمورٌ عدة]:

الأول: أنكم ألفٌ وأنا واحد! فبمقتضىٰ قوله: «عبدي أطعني حتى أجعلك مثلي»[2]، فإن جميع القوىٰ ونقاط الأرض تعينك، وليس لي مثل ذلك، وما أحسن قول القائل:

مرة أخرى جاء روح القدس بفيض الإمداد المبارك

ليفعل الآخرون ما كان يفعله المسيح[3]

الثاني: أن تغيير المعتاد من حياة الدّعة أصعب الأمور عليّ وأيسرها عليك.

الثالث: أنني أهتمّ بالكامل بالأمور الاعتبارية، هكذا كان حالي في السابق ولا زال، أما أنت فلم تكن ولن تكون من القائلين بالتالي الباطل فإنك قد تعلمتَ جيداً معنىٰ: «لا تأخذك في الله لومة لائم»[4].

الرابع: أن الابتلاء بأمر المعاش قد أرهقني وهو يضطرني إلى ألف

---

(١) ترجمات نثرية لأشعار بالفارسية.

(٢) حديث قدسي، مشارق أنوار اليقين: ٦٩، وكلمة الله: ١٤٠.

(٣) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

(٤) اقتباس من الآية ٥٤ من سورة المائدة.

حيلة وتزوير ونفاق من أجل القرش الأسود، أما حضرتك ففارغٌ من كل ذلك لأن طعامك عشب القفار وشرابك من مياه الأنهار، تبيتُ وليس لك هم، وتصبحُ وليس لك البلوى[1].

الخامس: الابتلاء بأمر الزوجة والأطفال وأنت لا خبر عندك عن كل ذلك.

السادس: أن هوى الحب والجاه قد ملأ رأسي مُنذ الطفولة ولا زال فخرب عقلي بالكامل، ولا من معالج ولا طبيب، وعلى العكس حال وجودك المكرم.

وعلى أي حالٍ فإني: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2].

إن كتاب آلام قلبي ليقطع أنياط قلب الجبل

لو سقطت ورقة منه على الجبل أو الصحارى[3].

اللهم إني أشكو إليك غربتي وبعد داري وقلّة زادي ومعرفتي وهواني على الناس وأنت أرحم الراحمين.

فأرحمني أنا المسكين وأغنني.

لكي لا أطرقَ باستغاثتي باب غيرك.

فحاشا أن أضجّ يوماً من ظلمك لي

فقد حصلتُ على الحرية في اليوم الذي أصبحتُ أسيرك[4]

حرره محمد البهاري

---

(١) كان غالب قوت كليم الله نبتَ الأرض وأوراق الأشجار فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء. [تعليقة من جامع الكتاب الشيخ إسماعيل تائب التبريزي].

(٢) سورة يوسف، الآية: ٦٨.

(٣) ترجمة نثرية لأشعار فارسية.

(٤) ترجمة نثرية لأشعار فارسية.

الرسالة رقم (١١)

في انتظار لقاء الحبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد بشّرونا بأنك ستمرُّ علينا لا ترجع عن نية الخير، فهذا الفألُ مباركٌ[١].

منذ مدة مديدة وعهد بعيد للغاية ونارُ الشوق المتأججة في قلبي للقاءِ وجودكم المكرم، قد طفحت من كل وجودي وما من أحد يستطيع إطفاءها، فكنتُ أحترق بها وأتكيّف معها وأسلي قلبي بعشقِ طلعتك:

أعلل نفسي وأخادعها بأن الحبيب سيأتي قريباً وأبعثُ فيها السرور عند سماع صوت كل قدم[٢]!

لكني لم أرَ في طالعي أني سأحظىٰ بيسرٍ بمسِ أذيال جلالتكم، ورغم ذلك فقد مضى الزمان وقلبي يقولُ إنك آتٍ، ولكن بحكم: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾[٣]، فإني بقيتُ حياً بفضل هذا الأمل الضعيف وإن كانت الساعات تمر ثقيلةً على قلبي، ولكن ماذا أقول؟!

فراق الأحبّة يجعل قويَّ العقلِ كالرامي الذي انكسر قوس رمايته[٤]

و«أنت تعلمُ جيداً أنّ كل ما أصابني هو من جذب الماسك بالطرف الآخر: (فكل هذه الأنغام آتية من الملك)[٥]، حيث إنّ المعشوق يجذب العاشق من حيث لا يعلم ولا يأمل بل ومن حيث ما كان يخطر على باله

---

(١) ترجمة نثرية لأشعار فارسية.

(٢) ترجمة نثرية لأشعار فارسية.

(٣) سورة النجم، الآية: ١١.

(٤) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

(٥) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

أصلاً، ولا يظهر من تلك الجذبة أثرٌ في العاشق إلاّ الخوف الممزوج باليأس ولكن مع دوام الطلب فإن:

رغبة المعشوقين خفيةٌ مستورة ورغبة العاشق جهرية مسموعة[1]

في أحلى ساعة وأفضل وقت إذْ لم أكن نائماً ولا يقظاً ولا مخموراً ولا صاحياً، وصلت بشارة تحرك الركب الملوكي فقلت دون اختيار:

يا رب هل هذا كلام أم هو من السحر الحلال وهل جاء بهذا الخبر هاتف أم جبرئيل[2]

أجل، لقد تغيّر حالي حينئذٍ حتى لم أعد أميّز ـ لشدة شوق اللقاء ـ بين قدمي ورأسي، فشددت عمامتي على قدمي ووضعت الحذاء على رأسي وقمتُ مترنماً:

غنِّ لي يا منيتي لحن العراق   أبركي يا ناقتي تمّ الفراق
ابلعي يا أرض دمعي قد كفىٰ   اشربي يا نفس ورداً قد صفىٰ
عدت يا عبدي إلينا مرحباً   نعم ما روحتِ يا ريح الصبا

وحصيلة الأمر أن الصبر قد نفذ فذهب بالوقار وجرّ الفضيحة، وقد انتبه أهل البلدة إلى الحال، فعمد أهل التقوىٰ والدين إلى أنواع العتاب لتصوّرهم أن تلك الأفعال اختيارية، فلم يفطنوا إلى أن (الأمة العاشقة ليست كسائر الأمم)[3]، هذا أولاً وثانياً، لم يلتفتوا إلى أن:

إذا دخل العشق إلى جوف القلب ألقىٰ العقل رحله خارج القلب[4]

---

(١) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.
(٢) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.
(٣) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.
(٤) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

وعلى أي حال، لم أستطع أن أتحرك إليك رغم كثرة ما حاولت، إذْ لم أجد مَن يعينني على ذلك من جوارحي لا قدمي ولا رأسي! في حين لم يطق قلبي صبراً على فراقك:

قد تحيّرت فيك خذ بيدي يا دليلاً لمن تحير فيك[١]

فإن قلتَ: إن المثل المشهور يقول: (إن كان قلبك معي فأنت معي وإن كنت في اليمن)[٢]، لذا فلا معنى للاضطراب والاستعجال، قلت: رغم أن القلب معك دوماً، لكنْ ليس للعين حظاً من رؤية طلعتك البهية، ولا للأذن نصيباً من سماع لطائف كلامك. ولا يوجد بديل لذلك!

فالكلام الذي يأخذ بالقلوب هو كلامك والبسمات التي تحيي الأرواح بسماتك

فإن سألتني كيف حالك سمعت النداء: البشارة كنتُ لك[٣]

فها أنا ذا على هذه الحال أنتظر قدومك المبارك يا روح العالم:

أملي في الليل المظلم متعلق بفجر طلعتك البهية وقد تُفتش عين الحياة في الظلمات

عشقي لك لا تحدّه أيام العمر الخمسة، بل وجدتَ رائحة الودّ إن شممت رفاتي[٤]

والسلام، محمد البهاري

---

(١) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

(٢) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

(٣) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

(٤) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

الرسالة رقم (١٢)

لواعج في فراق الحبيب

بسم الله الرحمٰن الرحيم

فديتك من فرقك إلى قدمك.

قلتَ، أعطيكَ أمنيتك وأسلب روحك قلتُ أخشىٰ أن تعطيني أمنيتي ولا تأخذ روحي[١]

عرضت كراراً ومراراً على الصباح العبودية في مقام البروز والظهور ولكن دون الفوز بشمول الألطاف غير المتناهية رغم أن ليست ثمة شروط خارجية في سعة الرحمة، فلا أدري ما الذي جرىٰ فأنجرّ الأمر فجأةً إلى الاحتجاب!

لقد أفرطت الزهرةُ في التنعّم فتجلّى لها بكرمك، إذ أن شجرة الصفصاف بخيلاء قد شمخت والله لا يحب الخيلاء[٢].

أجل، لأني ـ أنا البائس ـ لا أحرّك ساكناً في السعي خارجاً، وقع التوهّم بانقطاع حبل المودّة والألفة؛ وإن كان هذا التجاذب الجيّاش مألوف بين المحبّ والحبيب وبين العاشق والمعشوق، لكن علائم الصدق ظاهرة أيضاً، وأثر المودّة ساطع البرهان:

إذ كنت تشك في نقائي فأختبر فلا يوجد مثل المحك ما يشخص الذهب الخالص[٣]

---

(١) ترجمة نثرية لأشعار فارسية.

(٢) ترجمة نثرية لشعر بالفارسية، وفيه إشارة إلى ما يقع فيه السالك إذا أُعجب بعمله وشمخ بسببه، وقد ورد في الحديث القدسي: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمَن نازعني فيهما قصمت ظهره»، راجع الكافي ٢: ٣٠٩، ومن طرق العامة كنز العمال ٣: ٥٣٧

(٣) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

ماذا أقول، ولا يحق لي أن أشكو لك، والله المنتقم القهّار جلت هيبته وقدرته (قد ابتلىٰ الفراق بفراقك، فسالت عيون الفراق دماً لفراقك)[1]! ولا أدري:

مَن جاء بالفراق والهجران إلى هذا العالم يا رب سوّد الله وجه الهجران وأيام الفراق[2]!

وعلى أي حال يظهر أنه إذا كان قد حصل بعض التهاون فهو من القصور لا التقصير، فلم يبق شيءٌ لي أنا أيضاً:

سلبتني القرار زهرتا السنبل بعطرها الفوّاح وقتلتني تلك العينان النرجسيتان بكحلهما[3]

فديتك، لا ينبغي أن تتوقع من فاقد العقل ذكاء وصبراً واستقراراً، ولا يوصل التدبير والحيل فاقد السمع والبصر والجناح إلى أي مكان، لم يبق له معينٌ ولا مغيث، فهو متعب ميت عاجز عن أي عمل، لم يحصل على شيء، سقط من عين المحبوب وسمع أنواع العتاب، لا مال له ولا مليك ولا عقار ولا قوة ولا ذهب ولا عزّ ولا جاه، فهو نائحٌ، متحيرٌ، مسكين حزين، مهموم، مغموم!

عندما يتذكر حلاوة رفقة ذاك الحبيب تتناثر منه الدموع تناثر الجراد المنتشر[4]

حاله عجيبة غريبة كل مَن يراه يقول شيئاً:

فهذا يقول كم هو كئيب وذاك يقول: بل هو أخ الميت[5]

---

(١) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

(٢) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

(٣) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

(٤) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

(٥) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

وأقول صادقاً:

لا يألف قلبي سواك فحاله مثل البلبل الذي لا يألف القفس[1]

ولكن ما العمل وما حيلتي؟

عجيب هو مرض العشق فكلّما اجتهدت في علاجه ازداد سوءً[2]

لولا العقبات الخارجية لألقيت نفسي على عتبة بابك المباركة حيثما كنت ولكنّ العقبات سدّت عليّ الطريق كالجبل فإن ذلك يستلزم أولاً أن أترك الدرس ولذلك مفاسد كثيرة من وجوه كثيرة، أولها: قطع الخبز عني، والثاني يؤدّي إلى أن لا يعبأ بي أحدٌ من عامة الناس. وثالثاً: أن يتقدم عليّ أقراني ورابعاً: أن أفقد القدرة على التأثير في الأعيان فتتعطل الأمور الشرعية وخامساً: أن إدارة أمور الملكية ستصعب عليّ فتأمّل.

والثانية من العقبات، أن لي بضعة أطفال صغار يَصدّني التعلّق بهم عن ذلك.

والثالثة: أن تغيير العادات ابدنية أمرٌ صعب.

والرابعة: أن جماعة من أهل الهند اعتنقوا الإسلام حديثاً، وهم يحتاجون أحياناً إلى بعض الفروع الفقهية، لذا أخشىٰ ـ إن تركتُ هذه الديار ـ من أن يعجز علماء البلد من تلبية هذه الاحتياجات الدينية أو لا يلبوها بصورة صحيحة أو لا يكونوا متواجدين في البلد عند الحاجة إليها أو يحدث لهم حادث يمنعهم من تلبيتها، وفي ذلك انكسار للإسلام وهذا ما لا أرضاه[3].

---

(١) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

(٢) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

(٣) وكيف يرضىٰ العارف العاشق بانكسار الدين وهو حبل حبيبه إلى عباده.

وثمة عقبات أخرى أخجل من ذكرها، فقس على هذا أوزان فعلل وتفعلل!

حرره محمد البهاري

الرسالة رقم (١٣)

من شروط وصول العاشق للحبيب

بسم الله الرحمٰن الرحيم

عزيزي

لقد أصبح قلب العاشق المتألم دامياً من محبّتك فلا أنت تقتله بسيف هجرك، ولا أنت تهبه الوصال[١]

مرّت أعوامٌ علي أنا البائس بأصباحها ولياليها دون أن يصلني من الحبيب الوفي رسولٌ ولا سلام ولا رسالة ولا نداء. فلا أدري هل أُعطي لهذا البدن الخالي من الروح صبرُ أيوب أم عدوّه بعمر نوح؟! أقضي يقظتي منتظراً فلا أسمع منك خبراً، وأنامُ فلا أرىٰ أثراً، لأي صوب أركض لا أصل إلاّ إلى السراب، ومن أي قاصد أسأل لا أحصل على جواب، ونار الهجران النمرودية في ازدياد وازدياد. ولنعم ما قال القائل:

إنما هجرك ريحٌ صرصر أرسلت في يوم نحس مستمر
فإذا ما غبت عني ساعة كانت الساعة أدهىٰ وأمرّ

وليت شعري: -

هل من سبيل للتلاقي فلقد طال اشتياقي
وسقاني البينُ كأساً طعمها مرٌّ المذاقِ
ودموعي فوق خدي في انكباب واندفاقِ

---

(١) ترجمة نثرية لشعر فارسي.

وعجبتُ من قولك أن للقلب إلى القلب سبيل كيف هذا؟ وقلبي محترق بالغمّ وقلبك نشطٌ ومبتسم[1]

فإن قلتَ: العجبُ كل العجب من قلة التحمّل وضعف الصبر وسوء الخلق والأدب وخشونة القول، والحماقة في الحركات والسكنات، فما أنت والعشق؟! إن العاشق يجب أن يكون واسع الصدر قلبه بحر، متحلياً بكامل الأدب، فإن كل أطراف العشق آداب، وصاحبه يتدفقُ بحسن الخلق ولين الكلام وسعة الصبر. ألم يقل القائل:

لا يمكن الجمع بين ادعاء العشق والشكوىٰ من الحبيب فمثل هذا العاشق جدير بالهجران[2]

أنت تريد راحتك وتطلب الدعة والعيش على وفق رغباتك فٱذهب فإنه:

ليس لأسير الدعة والراحة مِن سبيل للحبيب، . . على العاشق أن يكون على نهج الرجال المتحملين للصعاب[3]

فعليك أن تجمع عدّة جوزات عصفورية وكعاب تلهو بها وتلعب مع الصبيان! لأنك لم تدرك بعد أن أول ما يبذل العاشق والطالب الصادق هو أنسه وراحته، ثم ما يملكه وما يتعلّق به حتى عرضه وما بيده زمامه، ثم يبذلُ روحه ويصل إلى خدمة حبيبه مع خطر عظيم وهول جسيم، فأنىٰ لك تحصيل هذه المراتب العالية المهولة الصعبة. هيهات هيهات.

إن قلت كل هذا، أجبتك: نعم الأمرُ كما زُبر إن كان لك ميلٌ إلى إفحامي!

---

(١) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.
(٢) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.
(٣) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

ولكن الجميع يعلمون أن علاج من أصابته السوداء أن يصبر ولكن ما العمل وهو لا يقدر عليه؟![1]

وأنا الحقير ألتمسك دوماً قائلاً:

يسيرٌ عليّ أن أسقط من أعين لاناس جميعاً فلا تسقطني أنت إذْ لا ناصر لمن خذلتَ[2]

ولكن إذا أردت الجواب الواقعي، فاْعلم أن هذه: (ليست أول قارورة كسرت في الإسلام)!

لست وحدي من يشكو من الحبيب فكل مَن رأيت كان مبتلى بهذا الداء[3]!

وإن لم تصدق فمَّرْ بطلعتك الوضّاءة وقدّك الحسن في السحر على الرياض لكي ترىٰ وتسمع عن قرب ضجيج العشاق، ولا تقصر نظركَ على الفراشة التي استولىٰ عليها ولهُ الشوق الهادىء فقدمت روحها بسرعة قرباناً للمحبوب إذْ ألقت نفسها في النار المحرقة، فعلةُ ذلك ـ على التحقيق ـ شدة ضعفها وصغرها إلى درجةٍ لم تستطع معها تحمل نار الهجران ولا الجمع بين القشر واللب ولم تعلم أنه: (يطيب للعشاق البكاء والنوح)[4] فهو ألذّ عند المحبوب من جميع الملذات، وما أبعد العشق عن الصبر: (ألف فرسخ بين العشق وبين الصبر)[5].

فإن قلت: أليس كتمان الحب أمرٌ مستحسن في الشرع الأنور وله أجر الشهيد، فكان سيد العشّاق أصبر الصابرين، ألم تسمع قول القائل:

---

(١) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.
(٢) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.
(٣) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.
(٤) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.
(٥) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

(إن المحبة سرٌّ من أسرار الله، جعل محله قلب الإنسان كي لا يلتفت إليه أحدٌ غيره)[١]، إلى غير ذلك من المنهجيات؟!

قلتُ: هل تتلو عليّ الأخبار؟ ألم تسمع:

مذهب العاشق غير الملل الأخرى ومذهب العشّاق ولمتهم هو الله[٢]!

هذا أولاً وثانياً فأنا تركي ولا أعرف غير ذلك.

ليهبني الله إياك أجراً لي في هذه الدنيا وليحرمني إن شاء الولدان المخلدين في جنة الآخرة

كيف أبخل بديني وقلبي في سبيلك أنت في حين أن شيخ صنعان لم يبخل بدينه من أجل فتاة[٣]

وتوضيح الكلام بعباراتنا المتداولة: (ليكن نصيبنا الحبيب ونصيبكم جميع نعم الفردوس)[٤]!

صحَّ عند الناس أني واله غير أنْ لم يعلموا حبي لمن

حرره فلان

الرسالة رقم (١٤)

الهجرة إلى الله تتطلّب هجر النفس والجهد والاجتهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

فديتك! أتعلمُ أنْ لا قرار لي بدون رؤية طلعتك فلا طاقة لي على فراقك طوال هذه الأيام[٥]

---

(١) راجع كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس من المحجّة البيضاء ٨: ٣ وما بعدها.
(٢) ترجمة نثرية لأشعار فارسية.
(٣) ترجمة نثرية للأشعار بالتركية.
(٤) ترجمة نثرية لشعر فارسية.
(٥) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

العجب كل العجب مما يُقال إن عمر الدنيا ثمانية آلاف سنة! كيف يكون الحال كذلك وقد مرّت عليّ خلال هذه المدة المديدة ثمانون ألف سنة بل وأكثر وأكثر ولا زلت في أيام الفراق الأولى! والدليل أن نوحَ شاهد الطوفان مرة واحدة بعد ألف عام، وأنا رأيتُ الطوفان آلاف المراتٍ وإبراهيم عليه السلام شاهد النار النمرودية مرَّة واحدة في عمره، وأنا احترقت بها آلاف المرات، ولم يمر موسى عليه السلام بأكثر من صعقةٍ واحدة أما أنا فإن لي كل يوم صعقة أخرىٰ ورغم كل ذلك فليس لي إلاّ النوح فلا خبر عندي عن «الخلّة» ولا المودّة. يُحيطني من جهة تواتر لوم الناس لي، والفقر والفاقة من جهة ثانية ومن جهة ثالثة إعراضك عني، وأمر الأولين سهل لأنّ:

لم آت بالمكر لكي أرحلَ باللوم ألوذُ بالعبودية إنْ فقدتُ عزة الإكرام[1]

لكن الذي يُحرق القلب ويقطع ما في الأحشاء هو الأخير:

لا يوجد شيءٌ أشد مرارة من فراقك فليس للخارج من حصنك غير الضياع[2]

* * *

خُذْ الروح ما دمت لا تفتح باب حضرتك لي الروح بدونك ميتة لو ظلت حية[3]!

ويبدو أن التفصيل في هذا الباب زاد عن الحد:

---

(١) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.
(٢) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.
(٣) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

ولو قلت إن تلك الشروح معتبرة فٱعلم أن ذلك المختصر كافٍ إلى يوم القيامة[١]!

وإن كنتُ أحياناً أقول:

لتنقضي هذه الأيام بأمرٍ من السم فستأتي بعدها أيامٌ أحلىٰ من الشكر[٢]

فبعد كل عسر يسر، وبعد كل نزول صعود، ولا بد من وجود حكمة في ذلك، وقد قال الكاتب:

اغسل اللوح أولاً بالكامل ثم اكتب فيه الحروف بعد ذلك

والدموع المهانة تدمي القلب وتكتب عليه الأسرار الخفية

فإذا وضعت أسس البيت الجديد أزاحت أسسا البناء الأول

يكون لجهالة الأطفال ولأنّهم لا يعرفون سرّ الأمر[٣]

لكن الطفل المفطوم من اللبن لن ينسىٰ آلاف الأساطير من أيام الرضاعة، فإن قلت: هل المنزل بعيد، وهل جهلت محله؟ هل وضعوا حجاباً يصدّون الناس عن ساحة القرب؟ ألم ينادِ المنادون بأن كل مَن له حاجة فليأتِ؟ ألم يعلن المقرّبون أن لا حدّ للإنعام والإحسان؟! ألم يُعلن السفراء أنّ حتى العاصي يشمله الجود والكرم؟! ألم يعلن الأطباء أنهم على استعداد لمعالجة كل مرضٍ ومداواة كل جرح؟ ألم يصرّح الحكّام بأنهم غوث كل مظلوم وعون كل صريع؟ ألم يقل العلماء بأنهم يجعلون كل مجنون عاقلاً وكل ناقصٍ كاملاً؟ فممن تشكو وأنت جالس في ظل

(١) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.
(٢) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.
(٣) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

نفسك؟! قلتُ: نعم الأمرُ كما تقولُ وفوق ما يقول القائلون إلا أن نجد به أمراً آخر هو:

بدون جذبة من المعشوق لن يبلغ سعي العاشق المسكين غايته(١).

فحصول الأمور المذكورة يحتاج إلى توجّهات خاصة وهبات مخصوصة. فإن قلت: نعم الأمر كما تقول، ولكن هذه التوجّهات الخاصة تتطلب خدمات وآداب خاصة من سهر الليالي وصيام الأيام والنوح الشديد واصفرار اللون وخفقان القلب واعتقال اللسان واضطراب المفاصل والأعضاء وتحمّل جفاء الناس ومراعاة آداب التعامل مع المعشوق وبذل المال والنفس والحرية إلى غير ذلك من الشروط، فبأي منها عملت لكي تتوقع أن تصبح أميناً على الأسرار وأهلاً للهبات الخاصة؟ اذهب وتوقّع مثل ذلك من النوم الهنيء في الأسحار والطعام الشهي في أول الليل ومن غفلة النهار ومن معاشرة الغافلين، ومن أتباع الأهواء والرغبات. أجل ما لم تضع رأسك على تلك الأعتاب فلن يضعوا عندك الأسرار، وما لم تسلم زمام أمرك إليهم فلن يجعلوك فاعلاً لما تشاء، وما لم تقطع حبالة التعلّق بالكائنات فلن يوصلوك بحبل المودّة. ولذلك قيل:

حرامٌ على أهل الدعة سفر العشق فحرام أن تخلو أي خطوةٍ منه من خطرٍ جديد.

كل مَن جاء بعزةٍ حصل على عزة وكل مَن جاء بالسكر حصل على حلاوة اللوز(٢).

قلت: لقد هيّجت أحزاني وزدت في دائي! **والسلام**

---

(١) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

(٢) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

الرسالة رقم (١٥)

الوصول إلى الله يحتاج إلى جذبة منه تعالى وصدق في الطلب من العاشق

بسم الله الرحمٰن الرحيم

ليس لدائنا من دواء، الغوث الغوث وليس لهجرنا انتهاء، الغوث الغوث[١]

على أي حالٍ كنا، وأي عملٍ عملنا، وأي قولٍ قلنا، فقد وقع ما وقع وكان الذي كان:

لقد ألقينا بالمسكنة السلاح فالغوث يا روح الأرواح الغوث[٢]

يا مغيث الجميع، تعلمُ أننا غرباء في هذه الديار وفقراء في هذه المملكة، فيا غريب الحسن رفقاً بالغريب، فليس المقام مقام البحث وعرض الإشكالات فقد ملكت القلب ملكاً دائماً، فإن شئتَ فٱعدل وإن شئتَ فاظلم، فالوسيلة هنا هي الاستجداء والتكدّي والالتماس عسىٰ أن تأخذ بيد هذا المعدم، فقد عُدم هذا البائس من كل شيء، ليس له كرامة في بلاط الجلالة، ولا تصل يده إلى عروة وثقىٰ، لم يبق عنده إقبال على الضراعة لكي يستحق أن يُترحّم عليه. فهو مبهوت متحيّر تائه، وحيد فريد، مضطرب، منكسر، عاجز متفجّع، يجلس مطرقاً صامتاً تارةً، وأخرىٰ يتوجّع ويطلق الآهات والزفرات، وثالثة يتذكّر أيامه السالفة خاصة تلك الأيام التي يمسح رأسه على تلك العتبة فتحيطه الألطاف المتنوّعة، ويتحسّر عليها، أين ذهبت؟

---

(١) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

(٢) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

ذاك السماع منك وذاك الإصغاء وتلك البسمات التي تنشط الروح

وذاك السماع أو بعض السماع مني هو سلوة روحي الوضيعة

وقلبي النائح كما عرفته، إذا قبلته أصبح سليماً كالنقد الصقيل(١)

أجل، كلّما تذكرتُ تلك الصفات الفاضلة والكمالات غير المتناهية، انطلقت من أعماقي الزفرات، ولكن ما العمل: (ويدنا قصيرة والرطب في أعلىٰ النخلة)(٢)، يُضاف لذلك ظهور عقبات كبيرة، فإليك المشتكىٰ من نفسي وأقربائي وأصدقائي وجيراني وأهل بلدتي وأهل ملّتي، فإنهم كلهم قد اتّفقت كلمتهم عليّ، ولا يوجد مَن أستعين به في أمري غيرك، فإن كنتَ مترحماً فالآن وقت الترحّم، فخذ بيدي يا منقذ الغرقىٰ ومنجّي الهلكىٰ.

فإن قلتَ: أيها الشقي الكذاب ذو اللحية البيضاء والقلب الأسود، إلى متى تبقى تحوك هذه الأكاذيب والأوهام وإلى متى تبقىٰ هذه الانحرافات السلوكية؟! ممَّ شكواك، تقدم خطوة واحدة بصورة جدية حتى تسيطر على جميع الكائنات. فلا يمكن إصلاح الأمر بالمكر والخداع. قُلْ لي من أي صنفٍ من الناس أنت؟! هل أنت عالم أم كاسب أم متعبّد أم عارف أم ذو فتوةٍ، أم درويش؟! فمهما كان عمل المرء عليه أن يراعي شروطه، وأنت لم تعمل بأي شرطٍ. فإن كنت من أهل العلم أين عملك وحلمك وتواضعك وزهدك؟! وإن كنت كاسباً فأين أمانتك وتفقّهك وتديّنك؟! وإن كنت متعبداً فأين توكّلك ومناجاتك فيالخلوات وتهجّدك في الأسحار، وأين صومك في أيام الصيف وأين

(١) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

(٢) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

نوحك في أطراف الليل والنهار؟! وإن كنت عارفاً فأين معرفتك وتسليمك ورضاك وانقطاعك عن كل ما سواه تعالىٰ؟ وإن كنت ذا فتوة فأين فتوتك ومروءتك وصفحك وإعانتك للضعفاء، وأين شواربك السميكة التي تساوي كل شعرة منها الدنيا وما فيها؟! وإن كنتَ درويشاً فقد قالوا إن قلنسوة الدرويش تشتمل على أربعة تروك كل منها يكشف عن الآخر: ترك الدنيا وترك الآخرة وترك المولىٰ وترك الترك، فبأي منها عملت؟!

إن قلتَ ذلك قلتُ أنا: إني (لست قاضياً ولا مدرساً ولا محتسباً ولا فقيهاً)، ولستُ من أيٍّ من تلك الأصناف المذكورة فقد قلتُ سابقاً إني: متكدٍ، ولا يستلزم التكدي توفر شروط، فهو طلب الأمور بالمجان ولم يطلبوا من المتكدي أن يقدم خدمة في المقابل!

فإنْ قلت: عليك كحدٍ أدنىٰ أن تكون صادقاً في الطلب وتجتهد فيه بجدية قدر المستطاع. قلتُ:

لقد قلت مراراً وأكرر القول لا يكون العشق إلا بجذبٍ من المعشوق[1] إلى آخرهما.

الجاني محمد البهاري الهمداني

الرسالة رقم (١٦)

استغاثات عاشق وله

بسم الله الرحمن الرحيم

فديتك

قلتَ لي: أخبرني عن حالك في فراقي، أنا كما ترىٰ وأكثر مما تتوقع[2].

---

(١) ترجمة نثرية لشعر بالفارسية.

(٢) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

أجل، فقد سلبني الرجاء في وصلك القلب والعلم (ولك المنّة عليّ)، أطوفُ مضطرباً كالمجنون في الأزقّة والأسواق أتصفّح وجه كل شيخ وشاب، أسلّي القلب بأحجار الأطفال حيناً وحيناً آخر بتعريض المنافسين والأغيار ولمزهم وتجريحهم لي! فأنا حسب قولك: (الضائق ذرعاً بالجميع، فأنا من نفس الملائكة)، شكراً لك، وأتابع القول فأقول: وحيناً أجول في الصحارى، وحيناً أجلس على سواحل البحور، وحيناً أصعد الجبال، وحيناً أنزلُ إلى الأعماق! ولكن دون أن يسكن قلبي أو يطمئن فؤادي، فيا له من عجب وأي عجب! إذا صدقتُ أخطأتُ، إذْ أنك قد نفذت إلى أعماق قلبي فأنت نصب عيني في كل حين: (إذا نظرت إلى الصحراء رأيتك ولم أرها)[1]!

إن قلتُ أنت قريبٌ مني، فلماذا أجول هنا وهناك بلا لبّ وأناديك من كل مكانٍ لعلك تسمع ندائي؟! لا يخفىٰ أن الهدف من هذه المقالات ليس إنقاذ نفسي بل المراد تقوية العلاقة:

ليس الظلم أن تأسر في سجنك صيداً بل الظلم أن تحرره من أسرك[2]!

ولكن المقدار الذي لا ريب فيه هو أن حالي جدير بالترحّم، فترحّم عليّ، لا أهلية عندي للحضور، فغذّني قليلاً، أنا كسير الجناح فأغثني. إن لمْ يكن الهدف من إبعادي معاقبتي على الأفعال الشنيعة وسوء الأدب، فها هي يدي وها هي أذيالك، أسألك بحقِ المودّة والقرابة أن لا تحملني ما لا طاقة لي به.

---

(١) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.
(٢) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

وإذا كان الهدف امتحاني فلا خير في ذلك إذْ لم أكن في أي وقتٍ أهلاً للامتحان. وإن كان المراد تكميلي وتطهيري حتى يتّضح قدر الوصال! فالذي يبقىٰ إلى سن الخمسين عاماً نائماً في مزبلة البعد دون أن ينتبه إلى هذه الحقيقة لا فائدة تُرتجىٰ منه بعد ذلك أيضاً. وإن كنت ترغبُ في سماع نوحي وضجيجي فقد ارتفع صوتي واستغاثاتي، إذن فاسمع:

إنني لستُ بالذي يبكي منك ظلماً فأنا غلامٌ مؤمن يطلبُ أن يكون عبداً في حضرتك(١)

وإلا، فتلك أو هذه:

حلفت أن تحرقني بغمِ هجرانك لا بأس من ذلك، فأحرقني فأنا مستعدٌ للتكيف معه(٢)!

أرجو أن يصل جواب رسالتي سريعاً لكي يتّضح التكليف. فإن قلتَ: يا عديمَ الإنصاف أنت تظلمُ نفسك بنفسك، وإلاّ فمتىٰ قصرتُ في حقك وغفلتُ عنك؟ أما وجدتك يتيماً فآويتك، ووجدتك ضالاً فهديتك ووجدتك عائلاً فأغنيتك؟ ألم ترَ كيف رعيتك يومَ كنت مريضاً؟ وكيف خلّصتك بتدبير دقيق يومَ كنت ذليلاً بأيدي الأعداء وكيف خلّصتك يومَ أرادوا فضحك علانيةً فأقنعتهم بالعدول عن ذلك؟! وكيف وفّرتُ لك وسائل الراحة وإلى اليوم؟! أي شيءٍ طلبته مني ولم أوفّره لك؟ هل قصّرتُ في رعايتك حيناً من الليل أو النهار؟ لقد كنتُ أبقىٰ يقظاً أرعاك عندما كان ينام خدمك، عندما سقط حافظك وحاجبك أنا الذي حفظتك، لم يعبأ بك أولادك وعيالك فكنت أنا أُعدُّ لك الطعام، ومع ذلك أراك تشكو مني؟!

---

(١) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

(٢) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

قلتُ: جزاك الله خيراً، وقد نبّهتني لشيءٍ كنتُ غافلاً عنه بالكامل. فقد كنتُ أظن أن مثل هذه الأمور تجري بالأسباب ولم أكن أعرف أنها من مسبب الأسباب. فإن كان الحال هو هذا فقم بأحد أمرين:

إما أن تطلبني أنا المتخلف إلى قربك وفاءً وإما أن تطلب من ربك ـ وأنت الطاهر ـ موتي[1]!

أيُ الأمرين اخترتَ فأمرك مطاع.

حرره محمد البهاري

(١) ترجمات نثرية لأشعار فارسية.

سيرة العارف المرحوم
سيد حسن المسقطي (قدس سره)

سيرة العارف المرحوم سيد حسن المسقطي
الشجرة المباركة(١)

وأما نسبه الشريف فيرجع إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام وهاكم الشجرة المباركة: سيد حسن ابن سيد أسد الله ابن سيد محمد باقر ابن سيد أسد الله ابن سيد محمد باقر الشهير بحجّة الإسلام ابن سيد محمد تقي ابن سيد محمد زكي ابن سيد محمد تقي ابن سيد شاه قاسم ابن السيّد الأمير أشرف ابن سيد شاه قاسم ابن سيد شاه هدايت ابن السيّد الأمير هاشم ابن السلطان السيد علي القاضي ابن سيد علي ابن سيد محمد ابن سيد علي ابن سيد محمد ابن سيد موسى ابن سيد جعفر ابن سيد إسماعيل ابن سيد أحمد ابن سيد محمد (نقيب طوس) ابن سيد أحمد المعروف بالمجدور ابن سيد محمد ابن سيد قاسم الملقّب بالأعرابي ابن سيد أبي القاسم حمزة (الكوفة) ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق

(١) كتاب «طبقات أعلام الشيعة» (القسم الأول من الجزء الثاني) ـ الكرام البررة من القرن الثالث بعد العشرة ـ تأليف الشيخ محمد محسن آغا بزرك الطهراني، المؤلف الشهير لكتاب «الذريعة ف ي وسائل الشيعة» ـ تعليقات فضيلة العلاّمة الحجّة السيّد عبد العزيز الطباطبائي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٤ هجرية ـ صفحات ١٩٢ـ ١٩٦ (السيّد محمد باقر المعروف بحجّة الإسلام الأصفهاني ـ جد جد السيدين حسن المسقطي وحسين العالم) ـ وصفحات ١٢٤ـ ١٢٦ (السيّد أسد الله الأصفهاني).

ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين السبط ابن الإمام علي زوج فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد رسول رب العالمين عليهم أفضل الصلاة والسلام.

نبذة من حياة سيد حسن الشخصية

ولد في العراق في مدينة كربلاء حوالى سنة ١٨٩٧ ميلادية، وتوفي في الهند في مدينة حيدرآباد دكن حوالى سنة ١٩٤٨، ويوجد قبره الشريف في مقبرة المؤمن في حيدر آباد، وهو أول قبر على اليمين عند دخولك بوابة المقبرة، مكتوبة عليه هذه الآية الكريمة: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[١].

ولقد تتلمذ على علماء كثيرين آخرهم عالم الأخلاق والحكمة السيّد علي القاضي. وكان لهذا العالم الفذّ، والولي المرشد، والعارف الربّاني الكامل المكمّل، أثر كبير في حياته، ألهب فيه نار العشق الإلٰهي، فهام بالله هياماً وكان العشق الإلٰهي هو المذهب الغالب عليه وعلى جميع وجوده وملّته المتميّزة لا يميل عنها قيد أنملة. وما أكثر ما علّمه أستاذه العظيم هذا الدعاء: «إلٰهي ارزقني حبك وحب ما تحبه وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني إلى حبك واجعل حبك أحبّ الأشياء إليّ». ولله در الشاعر:

وعن مذهبي في الحب ما لي مذهب
وإن ملت يوماً عنه فارقت ملّتي
هو الحبّ إن لم تقض لم تقض مأرباً
من الحب فاختر ذاك أو خلّ خلتي[٢]

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٧.

وهاجر بكل وجوده إلى أستاذه كما هاجر لوط عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام وأصبح فانياً في أستاذه كما فعل لوط عليه السلام. هذا الأستاذ الذي منحه علماً نافعاً ألا وهو ميراث وعلم النبيين والصدّيقين، وأجلى له في مرآته الحقيقة الساطعة التي طالما كان يفتقدها وكانت ضالّته في حياته. فورد التلميذ سبيل الأُستاذ وشرع في تطبيق تعاليمه السامية على نفسه. وصدق الشاعر حيث قال:

منحتك علماً إن ترد كشفه فرد
سبيلي واشرع في اتباع شريعتي
جنى ثمر العرفان من فرع فطنة
زكا باتباعي وهو من أصل فطرتي
فإن سيل عن معنى أتى بغرائب
عن الفهم جلت بل عن الوهم دقّت
بمرآة قولي إن عزمت أريكه
فأصغ لما ألقي بسمع بصيرة[1]

فعاش بقية حياته عاشقاً ولهاناً، لا يرى إلاّ الله، ولا يسمع إلا كلامه، ولا ينطق إلاّ بلسانه، يعيش في الانقطاع الكلّي إلى الله، والتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود ـ كما جاء في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت بصره الذي يبصر به، وسمعه الذي يسمع به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، وقدمه التي يسعى بها، فبي يبصر وبي يسمع وبي ينطق وبي يبطش وبي يسعى، وإن استعانني أعنته، وإن دعاني أجبته».

---

(٢) التائية الكبرى المسماة بنظم السلوك لابن الفارض.
(١) التائية الكبرى المسماة بنظم السلوك لابن الفارض.

ولقد تزوج السيّد حسن من نرجس بنت السيد محمد تقي ـ المرجع الديني في الهند ـ وأنجبت له مصطفى (الذي يقيم الآن في الولايات المتحدة الأمريكية) ـ وكان قد أقام برهة في طفولته في مطرح مع والده ـ ثم أربع بنات من بعده: صديقة وزكية وطاهرة ورضية. وتزوج ثانية من إحدى العمانيات واسمها سكينة (حفيدة ملياني خديجة)، أثناء إقامته في مطرح، إلا أنه لم ينجب منها ذرية.

من هو أستاذ سيد حسن المسقطي في الطريقة والعرفان

كان أستاذه في العرفان ومربيه في السير والسلوك إلى الله هو السيّد علي بن السيّد حسين القاضي، وينتهي نسبه الشريف إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. ولد في تبريز في ١٣ ذي الحجّة ١٢٨٢ للهجرة، وهاجر إلى النجف الأشرف في سنة ١٣٠٨ للهجرة (حسب خطه الشريف) ـ كما ذكره نجله السيد محمد حسن[١]، وانتقل إلى رحمة الله ليلة الأربعاء السادس من ربيع الأول سنة ١٣٦٦ للهجرة، ودفن في وادي السلام قرب مقام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشريف). ومنذ ذلك اليوم لم يخرج من العراق إلاّ مرة واحدة وذلك إلى المشهد المقدّس في إيران. فلقد ذكر نجله السيّد محمد حسن[٢]: «ومما يذكر بهذه المناسبة تمسّكه وتعشقه بوطنه الجديد النجف الأشرف، أنه منذ أن دخل المدينة المقدسة لم يخرج منها إلا لزيارة سائر العتبات المقدسة كربلاء والكاظمين وسامراء، وذهب مرة واحدة إلى زيارة مشهد الرضا عليه السلام،

(١) صفحات من تاريخ الأعلام في النجف الأشرف صفحة ١٨.
(٢) صفحات من تاريخ الأعلام في النجف الأشرف صفحة ٧٩.

حوالى سنة ١٣٣٠ للهجرة، وبعد تشرّفه بالزيارة عاد إلى طهران، ومكث في مدينة (ري) المعروف بشاه عبد العظيم برهة يظهر أنها كانت قصيرة».

وقد وصفه العلاّمة محمد حسين الطهراني[١]: «كان المرحوم القاضي في تهذيب النفس والأخلاق والسير والسلوك في المعارف الإلٰهية، والواردات القلبية، والمكاشفات الغيبية السبحانية، والمشاهدات العينية، فريد عصره ووحيد دهره وسلمان زمانه وترجمان القرآن.

لقد كان كالطود الشامخ الذي حوى نبع الأسرار الإلٰهية، يقوم بتربية الطلاّب في هذا المجال. يتحلقون حوله في المجالس الخاصة التي كان يقيمها في منزله لأيام وكانوا يستمعون نصائحه ومواعظه وإرشاداته لساعة من الزمن.

وبيمن تربيته في المراحل المختلفة، استطاع أفراد كثيرون أن يتقدموا في مسير الحقيقة، ليصبحوا من أصحاب الكمالات والمقامات، ويدخلوا في الصالحين والأحرار والأطهار، ويتنوروا بنور معرفة التوحيد، ويردوا إلى الحرم الآمن، طاوين بساط عالم الكثرة والاعتبار».

ولقد كان السيد القاضي يصرّح في كل مناسبة بأن أستاذه الأول في التهذيب الأخلاقي والسلوك العرفاني هو والده السيد حسين القاضي. فلقد كان رحمه الله متفرغاً للعبادة ومنصرفاً إلى الله سبحانه وتعالى، وقد تتلمذ في العرفان وتربّى في المعارج الروحانية على يد (إمام قلي) والذي كان بدوره تلميذ السيد قريش.

وقد ذكر العلاّمة السيّد محمد حسن نجل السيّد علي القاضي[٢]: «بل

(١) كتاب «الشمس الساطعة» صفحة ٢٦ـ ٢٧.

(٢) في كتابه «صفحات من تاريخ الأعلام في النجف الأشرف» صفحة ٢٩٠ـ ٢٩٦.

كان يذكر أن الذي وضعه على الطريق هو السيّد حسين القاضي والده المعظم، الذي كان قد تتلمذ على آية الله العظمى السيّد ميرزا حسن الشيرازي (قدس سره الشريف) في الفقه، وقد تتلمذ في العرفان على (إمام قلي) الذي كان بدوره تلميذ السيّد قريش...

إلى أن يقول: قال السيّد (محمد الحسين الحسيني الطهراني): السيّد حسين القاضي التبريزي، تلميذ آية الله العظمى السيّد ميرزا حسن الشيرازي زعيم الشيعة الإمامية، والذي اتّخذ مدينة (سامراء) مركزاً لزعامته، وهو غني عن التعريف لكثرة مآثره وخدماته الجليلة للتشيّع، وتلاميذه البارعين الكثر في فنون الفقه والتشريع الإلٰهي وأصوله.

أحبّته في العرفان سيد هاشم الحداد

كان السيّد هاشم الحدّاد من أقرب الناس إلى السيّد حسن، وكانت تربطهما زمالة التلمذة وصداقة معنوية حميمة لسنوات طويلة. فلقد كتب العلاّمة السيّد محمد الحسين الحسيني(١): «وباعتبار أن المرحوم السيّد حسن الأصبهاني المسقطي، وكان من أعاظم تلامذة المرحوم القاضي وله علاقات ممتدة وحسنة جداً مع السيّد الحدّاد، قد رحل عن (النجف) سنة ١٣٥٠، فيتّضح أن المرحوم السيّد هاشم قد اكتسب من فيض المرحوم القاضي أكثر منه بستّ عشرة سنة. فكم ـ يا ترى ـ أفاد المرحوم المسقطي من محضر المرحوم القاضي؟ لو كانت الإجابة ١٢ سنة لاتّضح أن رفيقي الطريق هذين قد تشرّفا في الحضور في محضر المرحوم القاضي في زمن واحد، أما إذا كان ذلك أقل من ١٢ سنة، فإن السيّد الحدّاد سيكون قد سبقه في الإفادة من محضره».

أما عن كيفية تعرف السيّد هاشم مع السيّد علي القاضي، فلقد ذكر(٢): «نعم، لقد قال السيّد هاشم: كنت مشغولاً في كربلاء بالدروس العلمية وغيرها من دروس الطلبة، فقرأت إلى «السيوطي» وحين تشرّفت

(١) في كتابه «الروح المجرد» صفحة ١١٠.
(٢) الروح المجرد صفحة ١١٤ـ ١١٦.

بالذهاب إلى النجف للتحصيل، لأفيد من محضر السيّد المرحوم القاضي ولأقوم بخدمة المدرسة (المدرسة الهندية: محل إقامة المرحوم القاضي)، ما إن دخلت هناك حتى رأيت أمامي سيداً جالساً أحسست بانجذاب نحوه بلا إرادة، فذهبت وسلّمت عليه وقبّلت يده، فقال المرحوم القاضي: وصلت!

ثم اتخذت غرفة هناك لنفسي، وبدأ منذ ذلك الوقت ومن هناك باب المراودة مع السيّد. وصادف أن كانت غرفة السيّد الحدّاد هي غرفة المرحوم السيّد بحر العلوم. وكان المرحوم القاضي يتردد عليها كثيراً، وكان يقول له أحياناً: أخل الغرفة الليلة! أريد أن أبيت هنا لوحدي!

وكان السيّد يقول: وبعد عودتي إلى كربلاء كنت أحياناً أتشرّف بالذهاب إلى النجف في أوقات الزيارة وغيرها ـ غير الأوقات التي كان السيّد القاضي يتشرّف فيها بالمجيء إلى كربلاء ـ فذهبت يوماً من كربلاء إلى النجف الأشرف وأخذت للسيد خمسين فلساً (جزء من عشرين جزءً من الدينار العراقي) وكان منزل السيّد في محلة الجديدة (الشارع الثاني) وكان الجو حاراً، فعلمت أن السيّد نائم، فقلت في نفسي: إن طرقت الباب استيقظ السيّد. فجلست على الأرض جنب باب البيت، وكنت تعباً لدرجة أن النعاس سرعان ما غلبني. ثم استيقظت بعد ساعة فرأيت السيّد وقد خرج إليّ ولاطفني كثيراً ودعاني إلى الدخول، ثم قدمت له الخمسين فلساً وعدت».

ويذكر عنه أيضاً[1]: «وكان الرفقاء من الكاظمين يقولون: لقد جئنا يوماً مع السيّد الحدّاد من كربلاء إلى الكاظمين في سيارة باص صغيرة، فجاء مساعد السائق في الطريق ليجمع الأجرة من المسافرين،

---

(١) كتاب الروح المجرد صفحة ٧١ـ ٧٣.

فسأل: كم عددكم؟ أجاب السيّد الحدّاد: خمسة أشخاص.

فقال: كلا، أنتم ستة أشخاص! فكرر السيّد العد وقال: بل نحن خمسة! ولقد كنّا نعلم أننا ستة أشخاص لكننا تعمّدنا عدم قول شيء ليتضّح أمر السيّد الحدّاد. قال مساعد السائق من جديد: أنتم ستة!

إلى أن يقول: قال (مساعد السائق): يا سيد! أنت ما تحسب نفسك؟!

وكان الرفقاء يقولون، ولقد كان عجيباً أن السيّد الحدّاد بقي مع ذلك لا يلتفت إلى نفسه، ومع أن معاون السائق يقول له: إنك لا تعدّ نفسك، إلا أنه كان غارقاً في عالم التوحيد والانصراف من عالم الكثرة للحدّ الذي عجز معه ـ مع هذا ـ أن يلتفت إلى لباس البدن فيعده ضمن الركاب ويضيفه إلى مجموعهم.

ولقد قال السيّد الحدّاد بنفسه للحقير: لم أستطع في تلك الحال بأي شكل أن أعد نفسي، فقال الرفقاء لي أخيراً: أيها السيّد! عد نفسك أنت أيضاً، فهذا الرجل صادق فيما يقول حين يريد منّا أجرة ستة أشخاص. وهكذا فقد أعطيته أجرة ستة أشخاص بغير يقين مني بكلامه ولكن تعبداً بقول الرفقاء. ثم ترجّلنا من السيارة للصلاة في مسجد (براثا) وهناك رأيت إمام المسجد الشيخ علي صغير هو الآخر يتشدّق بالحديث عن التوحيد والمناداة بنداء: لا هو إلا هو!

وحين قدمنا إلى الكاظمين وذهبنا إلى المغاسل العمومية للتضوؤ، رأيت أنني أجهل التوضؤ. فيا إلهي لماذا أجهل كيفية الوضوء؟! بل إني لا أميّز وجهاً ولا يميناً ولا شمالاً. فما العمل والصلاة لا تجوز بغير وضوء؟! قلت في نفسي: فلأسأل عن كيفية الوضوء من هذا الرجل المشغول بالتوضؤ، ثم قلت في نفسي: ما الذي سيردّ عليّ يا ترى؟!

ألن يقول لي، أيها السيّد العجوز، ألا تعرف الوضوء وقد انقضى من عمرك ستون سنة؟!

ثم أحسست وأنا أتّجه نحوه أن الوضوء جاء تلقائياً، فقد مددت يدي إلى الماء بلا اختيار ولا علم فغسلت وجهي ثم يديّ ثم مسحت المسحين فرأيت ذلك الرجل المنهمك في وضوئه يقول لي حالما لمحني: أيها السيّد! الماء هو الله، الوضوء هو الله، لا يخلو من الله مكان!

وكان السيّد يقول: كنت أحسّ أحياناً بخفّة الوزن وفقدان الأثر، تماماً مثل قشة من التبن الدائرة مع الهواء. وكنت أحس أحياناً بالتجرّد من بدني، تماماً كما تفعل الحية حين تبدّل جلدها وأصبح شيئاً آخر، ولقد كان بدني وأعماله أشبه بجلد حية يظهر بشكل كامل كأنه حية واعية يخيّل لمن رآه من البعيد أنه كذلك لكنه في الحقيقة ليس إلاّ جلداً للحية.

وكان يقول: ولقد تكرر كثيراً أن أذهب للحمام، فأخرج منه وقد ارتديت الدشداشة (اللباس العربي الطويل) مقلوبة.

ويضيف: وكان صاحب الحمام يقف دوماً خلف الصندوق فيستلم من الواردين نقودهم وودائعهم فيسلمها إليهم عند خروجهم. فذهبت يوماً للحمام ودفعت نقودي عند دخولي لصاحب الحمام الواقف خلف صندوقه، فلمّا خرجت وأردت استرجاع ما استودعته كان مساعده يجلس خلف الصندوق فسأل: أيها السيد، كم تبلغ وديعتك؟

قلت: دينارين! فقال: لا، يوجد هنا ثلاثة دنانير فقط!

قلت: لم تؤخرني؟ خذ واحداً منها لك وأعطني دينارين لأذهب. فلمّا سمع صاحب الحمام كلامنا سأل مساعده: ما الأمر؟! قال: هذا السيّد يقول إن لديه دينارين، وهنا ثلاثة دنانير.

فقال له لقد استلمت منه ثلاثة دنانير بنفسي، هذه الدنانير الثلاثة له، ولا تصغ أبداً إلى كلام هذا السيّد لأنه غالباً مضطرب وحاله ليس على ما يرام!

لقد كان السيّد الحدّاد يقول: لقد كنت آنذاك في حال لا يمكنني معه أن أتأخر هناك لحظة واحدة لأتكلم معهم، ولو عطّلوني قليلاً لتركتهم وذهبت.

وكان يقول: إن علوماً في غاية العمق والبساطة والكلية تمر عليّ في كل آن، وحين أحاول الالتفات إلى أحدها في اللحظة التالية أشاهد أنها ـ ويا للعجب ـ قد ابتعدت عني فراسخ عدّة».

وسئل يوماً عن الآية الكريمة: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ ما المقصود بالقول الثقيل، وهل أريد به هبوط جبرئيل؟ فيجيب على ذلك (قدّس سرّه): ليس لجبرئيل ثقل أمام عظمة رسول الله لعيبر عنه بالقول الثقيل، بل إن المراد بالقول الثقيل هو: «لا هو إلا هو»!

ويقول السيّد محمد الحسين الحسيني[1]: «فخطر ببالي في شارع العباسية البيت الذي كتب على باب مدخل سرداب قبر محيي الدين (بن عربي)، وهو من أبيات محيي الدين نفسه:

ولكل عصر واحد يسمو به ... وأنا لباقي العصر ذاك الواحد

وكان يقول: لقد قرأت هذا البيت هناك، فما أعظمه من ٱدّعاء ادعاه محيي الدين!

قال حضرة السيّد (هاشم الحدّاد): «لا عجب في الأمر مطلقاً، فقوله هذا قول عادي ومعهود ولا اختصاص له بمحيي الدين وحده، بل إن كل من وصل إلى عرفان الله وفني فيه صارت هذه نغمته. وذلك لأنه لا وجود لمحيي الدين في عالم الفناء بل الله هو الذي يتكلّم، وجليّ أن الله سبحانه لا اختصاص له بزمن دون زمن، فقد كان موجوداً دوماً وسيبقى دوماً».

---

(١) الروح المجرد صفحة ٤٢٥ـ ٤٢٧.

ونظير هذا المعنى، معنى بيت ابن الفارض وهو آخر بيت من تائيته الكبرى، لكن محيي الدين يعدّ نفسه الفارس الوحيد في ميدان التوحيد لجميع العصور اللاحقة، في حين أن تلميذه ابن الفارض يعدّ نفسه كذلك لجميع العصور السابقة، فيقول:

ومن فضل ما أسأت شرب معاصري

ومن كان قبلي فالفضائل فضلتي

وأقول: ويحمل على هذا الأساس كلام الكثير الذين صدرت منهم جملات وعبارات كمثل «أنا الحق»، أو «ليس في جبّتي سوى الله»، أو ما جاء في خطبة «البيان» و«التتنجية» عن أمير المؤمنين عليه السلام، على افتراض صحّة الخطبة وصحّة إسنادها وإسنادها إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ومع أن التفوّه بهذا الكلام يمثّل قول الحق، ولكن لم يعهد من الذين رقوا إلى الكمال تعبيرات كهذه تدعى بالشطحات والطامات.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله العارف الأكبر، لكنه لم يتفوّه بمثل هذه التعبيرات، وإلا لقال بدلاً من قول ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ عبارة «قل أنا الله أحد».

ولقد كان أمير المؤمنين عليه السلام تلميذه الأول في نهجه ومدرسته، فلا يصحّ أن يتفوّه بكذا وكذا في خطبة عامة أمام الناس، وعليه فإن سند هذا النحو من الروايات مخدوش ومرفوض لهذا الدليل.

بلى، لا إشكال في هذا النحو من التعبيرات في المجالس الخاصة مع بعض الأحبّة والأعزّة من الأولاد أو الأصحاب لتعريف ذات الحق ووصول عبد الله إلى مقام الفناء في الله، بالرغم من أن إسناد الخطبة يجب أن تتمّ وإسنادها يجب أن يثبت، لأن مجرّد الإمكان لا يصحّ دليلاً

على الوقوع والتحقّق. كما أن المطالب التي وردت بهذا الشأن عن بايزيد البسطامي ومنصور الحلاج دليل على عدم كمالهما».

وذكر أيضاً[1]: «ولقد قال المرحوم السيّد القاضي لي ليوماً: أيها السيّد هاشم! لا تفش السر فتبتلى! سيأتي يوم يأتون إليك فيه من الأطراف والأكناف فيقبلون عتبة بابك. وكان يقول: لقد قمت خلال عمري كله بإفشاء سرّ ما لمرة واحدة فقط، وكان ذلك في الحقيقة نابعاً من الحياء، ولا أزال حتى الآن أعاني من ذلك بعد مرور عشرات السنين.

إن أساس مطالب منصور الحلاّج هي نفس مطالب سائر العرفاء، وليس لديه شيء آخر دونهم، لكنه كان مفشياً للأسرار الإلٰهية فأوقع خلقاً من الناس في الفتنة والفساد، فصعد برأسه إلى المشنقة.

أو كان يقول: لقد نقل العطّار مطالب عن الحلاج لو رآها أي عارف أو سمعها فلن يمتدح أسلوبه ونهجه فيها، فهو يقول في جملتها: أنكر أغلب المشايخ الكبار طريقته وقالوا: لا قدم له في التصوّف، عدا عبد الله الخفيف والشبلي وأبي القاسم القشيري وجملة المتأخّرين الذين قبلوه إلاّ ما شاء منهم. وكان أبو سعيد أبو الخير قدّس الله روحه العزيزة، والشيخ أبو القاسم الجرجاني، والشيخ أبو علي الفارمدي، والإمام يوسف الهمداني رحمة الله عليهم أجمعين، لهم سير في طريقته ونهجه، إلاّ أن البعض توقف في أمره وطريقته.

ويقول من جملتها: وقال الشبلي: أنا والحلاج شيء واحد، لكنهم نسبوني إلى الجنون فنجوت، ونسبوا الحسين (الحلاج) إلى العقل فهلك».

---

(١) الروح المجرد صفحة ٤٢٨.

أحبته في العرفان
العلاّمة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان

أما عن العلاّمة الطباطبائي: فلقد نقل عبد الرحمن حاتم[1]: «ويتحدّث العلاّمة الطباطبائي عن لقائه الأول مع السيّد القاضي قائلاً: عندما قا مت النجف الأشرف لدراسة العلوم الدينية لم أكن أعرف شيئاً عن وضع النجف، ولا أدري أين أذهب وماذا أعمل، وكنت أفكر أثناء طريقي من تبريز إلى النجف ماذا أدرس وعلى أي أستاذ أتتلمذ وأي طريق أختار ليكون مرضياً عند الله سبحانه.

وحينما دخلت النجف ولاحت لي قبة المرقد الطاهر لأمير المؤمنين عليه السلام وقفت في مقابلها وخاطبته قائلاً: يا علي إني جئت إلى هنا لإكمال دراسة العلوم الدينية، ولكني لا أعلم أي طريق أسلك وأي برنامج أختار، وأطلب منك أن تهديني لما فيه صلاحي.

ثم استأجرت منزلاً وسكنت فيه، وكنت في الأيام الأولى وقبل اشتراكي في حلقات الدرس جالساً أفكر في مستقبلي، إذ طرق الباب. وعندما فتحت الباب وجدت أمامي عالماً كبيراً، فسلّم علي ودخل الدار

---

(١) في كتابه «قدوة العارفين» صفحة ٦٠ـ ٦١:

وجلس في الغرفة، فرحّبت به، وكان ذا وجه جذاب ونوراني، وتحدث معي بصفاء وإخلاص، وأنس بي، وقرأ لي في ضمن حديثه أشعاراً. وقال لي كلاماً مضمونه أن من جاء إلى النجف للدراسة فمن المستحسن أن يهتم أيضاً بتهذيب نفسه وتكميلها وعدم الغفلة عنها إضافة إلى طلب العلم.

قال هذا ثم ذهب، ومنذ ذلك الحين عشقت أخلاق هذا الرجل وسلوكه الإسلامي، وقد ترك الحديث القصير لهذا العالم الربّاني أثراً في قلبي اتّضح به أمامي برنامجي المستقبلي. وواظبت الحضور عند هذا العالم التقي ما دمت في النجف، وشاركت في دروسه الأخلاقية، وانتفعت من الجلوس عنده. وهذا العالم الكبير كان هو السيّد علي القاضي.

ويقول أيضاً: نتيجة لعلاقة القرابة التي تربطني بالسيّد القاضي فقد كنت أزوره أيضاً في منزله بين فترة وأخرى، وفي يوم كنت واقفاً في المدرسة حين مرّ السيّد القاضي من هناك، فوضع يده على منكبي وقال لي: يا ولدي إن كنت تريد الدنيا فعليك بصلاة الليل، وإن كنت تريد الآخرة فعليك بصلاة الليل.

فأثر في هذا الكلام إلى حدّ صرت ملازماً له لا أفارقه ليلاً ونهاراً مدة الخمس سنوات الأخيرة في النجف. وبعد رجوعي إلى إيران استمرّت علاقتي به إلى حين وفاته، وكنت أتلقّى منه الأوامر والإرشادات طبقاً لعلاقة الأُستاذ بتلميذه، كما كنا نتبادل الرسائل.

وكان العلاّمة الطباطبائي يقول: كل ما لدينا فهو من المرحوم القاضي.

ونقل آية الله خسرو شاهي عن العلاّمة الطباطبائي قوله: كنت قد قرأت كتب المعقول ولكن عندما حضرت عند السيّد القاضي علمت أني لم أكن قد فهمت شيئاً منها.

ويقول العلاّمة الطباطبائي أيضاً: هذا النهج في تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير الآية بالآية كان السيّد القاضي قد علمنا إياه، وقد اتبعنا طريقته في التفسير. وكذلك كان يمتاز السيّد القاضي بذهنية مفتوحة وواضحة جداً في فهم كلام الأئمة المعصومين، وقد تعلّمنا منه أيضاً هذه الطريقة في فهم الروايات والتي تسمّى بفقه الحديث». وقد اتّبع نهج وطريقة أستاذه عندما كتب تفسيره الكبير «الميزان».

وكان العلاّمة الطباطبائي بحق فانيا في أستاذه، فلقد كتب السيّد محمد حسين الحسيني[1]: «لقد كان أستاذنا يحمل في قلبه عشقاً شديداً لأستاذه، وحقاً كان يرى نفسه صغيراً أمامه، ويلمس في سيماء المرحوم القاضي عالماً من العظمة والبهاء وأسرار التوحيد والملكات والمقامات.

في أحد الأيام قدمت له عطراً، فحمله بيده وقال بعد تأمل: لقد رحل أستاذنا المرحوم القاضي منذ سنتين، ومنذ ذلك الحين لم أتطيّب حتى الآن. وإلى الفترة الأخيرة أيضاً كنت كلما قدمت له عطراً، كان يقلقه ويضعه في جيبه، ولم أره قد تعطّر، رغم انقضاء أكثر من ٣٦ سنة على وفاة أستاذه».

وكتب أيضاً: «وكان العلاّمة يطلق لقب (الأُستاذ) عليه فقط، وعندما كان يقول (الأُستاذ) بدون قيد فهو يقصد المرحوم القاضي، وكأن جميع الأساتذة الآخرين يختفون أمام وجود ذلك المقام والعظمة العلمية.

---

(١) في كتابه «الشمس الساطعة» صفحة ٢٣.

أما في المجالس العامة، فإذا جاء الحديث عن أساتذته، فلم يكن يذكر اسم (القاضي) من شدجة الاحترام، ولم يكن يذكره إلى جانب البقية من الأساتذة، كما نلاحظ في المقالة الوجيزة التي كتبها عن حياته، ونشرت في مقدمة مجموعة المقالات والرسائل التي طبعت تحت عنوان (دراسات إسلامية) فلم يذكر اسم المرحوم القاضي إلى جانب الأساتذة»[1].

(١) في كتابه «الشمس الساطعة» صفحة ٢١ـ ٢٢.

أحبّته في العرفان الشيخ محمد تقي بهجت

وأما عن الشيخ محمد تقي بهجت: فلقد نقل عبد الرحمن حاتم[1]:

«وأما الشيخ محمد تقي بهجت فقد تعرف على السيّد القاضي عن طريق السيّد محمد حسن الإلٰهي الطباطبائي، وكان عمره آنذاك ثمانية عشر عاماً. وعندما توثّقت العلاقة بينهما واشتهر بين أقرانه بالتتلمذ لديه، كتب عدة من فضلاء الحوزة في النجف إلى والد الشيخ بهجت ـ الذي كان عالماً في شمال إيران ـ رسالة يخبرونه عن ضلال ولده وانخراطه في مسلك الصوفية، وأنه صار من أتباع السيّد القاضي.

فكتب الوالد إلى ولده رسالة بين له فيها عدم رضاه بإتيان الأعمال العبادية غير الواجبة عليه ونهاه أيضاً عن الحضور عند السيّد القاضي. فأتى الشيخ بهجت برسالة والده إلى أستاذه القاضي وقال: إن والدي قد كتب هذا لي فما هو تكليفي الآن؟ فقال له السيّد القاضي: من تقلدون؟ فقال: السيّد أبو الحسن الأصفهاني. فقال السيّد القاضي: فاْذهب إليه واْسأله عن ذلك.

فذهب الشيخ إلى السيد أبي الحسن وشرح له المسألة فقال له: طاعة والدك واجبة. واختار الشيخ بعدها السكوت المطلق، فكان لا يتكلم مع

---

(١) في كتابه «قدوة العارفين» صفحة ٧٧ ـ ٧٨.

أحد أبداً، حتى أنه يكتب ما يحتاجه من حاجيات على قصاصة من الورق ويعطيها لصاحب الدكان، وكان يسكن في مدرسة السيّد كاظم اليزدي التي أحد أبوابها على الزقاق الفرعي، فكان يتّخذه ممراً له في ذهابه وإيابه لئلا يلتقي مع أحد من طلاّب المدرسة.

ويقول الشيخ عباس القوجاني: لقد فتحت أبواب للشيخ بهجت في أيام سكوته على عالم الملكوت، وأرى نفسي ملزماً أن لا أفشي سرّه».

وكتب السيّد محمد حسن القاضي[1]: «وقد اتّفق أن حظيت في السنوات الأخيرة بزيارة الشيخ العالم العابد الزاهد الشيخ محمد تقي بهجت، فقد غادر النجف الأشرف، وسكن مدينة قم المقدسة، واشتغل فيها بالتدريس والإرشاد، واتّجهت إليه الأنظار، وأصبح معتمد الطلبة في المسائل العلمية والأخلاقية والتهذيبية كذلك.

وله صبيحة يوم الجمعة مجلس حافل، يحضر هو المجلس ويجلس كأحدهم دون أن يميّز لنفسه مكاناً معيناً... وللنظرة الأولى لم أعرفه ولم يعرفني هو الآخر، لبعد العهد وتطاول السنين بيننا... ولم أنس أنه كان يدرس الكفاية، ورسائل ومكاسب الشيخ الأنصاري في مدرسة السيد اليزدي، وكان ملازماً لمجلس الوالد قدس سره... قلت للنظرة الأولى لم يعرف أحدنا الآخر، غير أن أحد الإخوان الذي كنت بصحبته قد عرَّفني إليه، فأقبل عليّ متسائلاً ومتفقداً ومرحّباً.

ولا يفوتني أن أذكر أني لم أر أحداً تظهر عليه سمات الخضوع والخشوع أثناء قراءة التعزية على أبي عبد الله عليه السلام مثل هذا الشيخ الجليل... مطرقاً برأسه إلى الأرض... خفيف العارضين يذكر الله تعالى. وقبل أن نيفض الجمع تقدم إليه أحد الجالسين فقال له: شيخنا علمنا شيئاً ننتفع به... أو

---

(١) في كتابه «صفحات من تاريخ الأعلام في النجف الأشرف» صفحة ٢٥١ ـ ٢٥٣.

كلاماً آخر من هذا القبيل. . . إذ لم أتبيّن كلامه تماماً.

فرفع الشيخ رأسه ـ وهو منكمش على نفسه، غارق في تأملاته ـ وقال مجيباً: وهل استفدتم حقيقة من شيء من أعمال البر التي تعرفونها؟!

فرد عليه السائل: أي عمل بر تقصدون؟

أجاب: الصلاة ـ مثلاً ـ إنكم وبحمد الله تصلون، فهل استفدتم روحياً ومعنوياً من هذه الصلاة التي هي عمود الدين، وقربان كل تقي؟! وهل وجدتم آثارها في نفوسكم وأنتم تعيدونها في اليوم خمس مرات؟! فإني أؤكد لكم من أنكم إذا جزتم هذه المرحلة، واستعدت نفوسكم لقبول عمل آخر ينفعكم أكثر منها، فإن الله تعالى بلطفه يقيض لكم من يدلّكم على المرحلة الثانية، ويرشدكم إليها وإلى المراحل التي تعقبها.

فأرجعوا إلى أنفسكم لأداء الوظائف الملقاة على عاتقكم على الوجه المطلوب، فإن المراحل التي تليها قد تكفل بها غيركم، وإنها ستصل إليكم حتماً وقطعاً، فأي واحد منّا يعرف أشياء كثيرة وتعلم، لكنه لم يعرف ولم يتعلّم ولم يدر كيف يستفيد ممّا عرف وتعلّم. فهذه أول خطوة في طريق الوصول إلى الغايات والدرجات العالية من الكمال والمعرفة.

وانفض الجمع بهذا الحديث. . .

ولمّا أردت الخروج وسلّمت عليه، قال: هكذا علّمنا أستاذنا القاضي أيام كنا نتشرّف بمحضره، ولم نفهم مغزى هذا الحديث إلاّ بعد طول مجاهدات ورياضات نفسية وتأمّلات عميقة. . . فأنت يجب عليك أن تبدأ الخطوة الأولى بصدق وصفاء، لتستعد نفسك لتقبل الفيوضات والإشراقات. أما الخطوة الثانية فإن كنت تجهلها فإن الله تعالى بلطفه وكرمه سيرسل إليك من يأخذ بيدك ويدلّك ويعلّمك. ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

أحبته في العرفان الشيخ محمد تقي الآملي

وأما عن الشيخ محمد تقي الآملي: فلقد نقل عبد الرحمن حاتم[1]:

«ويقول السيّد الكشميري: وكان السيّد القاضي يواظب أيضاً على زيارة مقبرة وادي السلام يومياً من بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وفد ورد الحثّ على زيارة المقابر بين الطلوعين في إحدى الأخبار.

ويقول السيد محمد حسين الطهراني: نقل الكثير من تلاميذ السيّد القاضي أنه كان يتردّد كثيراً على مقبرة وادي السلام في النجف الأشرف، وكانت تستغرق زيارته من ساعتين إلى أربع ساعات يومياً، وكان يجلس في زاوية صامتاً، وكان تلاميذه الذين يصحبونه أحياناً لا يطيقون صبراً ويذهبون بعد برهة وجيزة ويتساءلون في أنفسهم عن العوالم التي يعيشها أستاذهم خلال هذه الساعات في وادي السلام من غير أن يعتريه التعب أو يتسرّب إلى نفسه الضجر والملل. ويقول الشيخ محمد تقي الآملي وهو من الطبقة الأولى من تلاميذ السيّد القاضي في الأخلاق والعرفان: كنت أرى المرحوم القاضي يجلس ساعتين أو ثلاثة في وادي السلام فكنت أقول في نفسي: ينبغي أن يزور الإنسان ويرجع ويدخل السرور

---

(١) في كتابه «قدوة العارفين» صفحة ٣٤ـ ٣٥.

على أهل القبور بإهداء ثواب قراءة سورة الفاتحة لهم، فهناك أعمال أخرى أهمّ يجب أن ينصرف لها. وكان هذا الاعتراض في نفسي ولم أخبر به أحداً، واستمرّ ذهابي إلى السيّد القاضي يومياً إلى أن عزمت على الرجوع إلى إيران، ولكني كنت متردداً في وجود مصلحة في هذا السفر، وكانت هذه النية في نفسي أيضاً ولم أخبر بها أحداً.

وفي إحدى الليالي كنت أريد النوم في الغرفة التي أسكن فيها في المدرسة وكان فيها رفّ عليه كتب يكون عند قدمي عندما أنام، فنويت النهوض وتغيير مكان نومي ثم تبدّل عزمي وقلت في نفسي: لا يحتاج ذلك لأن الكتب ليست في مقابل رجلاي ويقع الرف في أعلاهما، وليس في ذلك هتكاً لحرمة الكتاب، ثم نمت. وعندما ذهبت إلى السيّد القاضي صباحاً وسلّمت عليه قال: وعليكم السلام، ليس من المصلحة أن تذهب إلى إيران، كما أن مدّ الرجلين مقابل الكتب فيه هتك للحرمة. فذهلت من كلامه وقلت متعجباً: من أين علمتم ذلك يا سيدنا؟ فأجابني: من وادي السلام علمت ذلك».

ملاقاة سيد حسن المسقطي
مع صاحب الزمان عجّل الله فرجه

يقول السيّد تقي بن حسين الموسوي:

سألت يوماً والدي المرحوم السيّد حسين العالم: أين هو الإمام الحجّة وهل يراه أحد؟ قال لي نعم، الإمام الحجّة عليه السلام حاضر وتزوره الخاصة من الناس وعددهم ١٧ نفر من الخاصة. فسألت والدي هل زرته أنت، فقال لي لم أزره ولكن عمك المرحوم السيّد حسن كان يزوره وكان يراه.

وأيضاً سمعت والدي وأنا حينذاك طفل صغير وهو يتكلم إلى بعض أصحابه بأن سيد حسن عندما كان يحتضر في مستشفى في حيدرآباد دكن كان سيد صادق بجانبه... وروى سيد صادق بنفسه للمرحوم والدي السيّد حسين بأن سيد حسن في حالة احتضاره وفي سكرات الموت تكلم إليه قائلاً: يا سيد صادق ما أروع المكان الذي أنا فيه... إنها حديقة غنّاء واسعة وجميلة. فقال له سيد صادق: يا سيدنا إن هذا المكان مستشفى. فقال كلا إنه مكان جميل جميل جداً... وبعد ذلك لفظ أنفاسه الأخيرة رضون الله عليه.

وتأكيداً لهذه الحادثة، ومن دون أن أخبره بما سمعت عن والدي، قال لي سماحة السيّد محمد حسن القاضي ـ أدام الله أيام بركاته ـ ابن المرحوم القاضي أعلى الله درجته: «إن عمك السيّد حسن قريب جداً من صاحب الزمان عليه السلام وإنه انتقل إلى مكان خصّه له الإمام روحي له الفداء».

فالعارف في حياته في رحلة مقدسة على أجنحة الجبروت إلى عوالم اللاهوت. أما روحه فهي نسخة من اللاهوت، وصورته نسخة من الملك والملكوت، وقلبه خزانة الحي الذي لا يموت. فقد بسقت فيه شجرة الولاية، وأصبح الحي القيوم يتجلّى في كل جوارحه... في بصره وسماعه ولامسته وشامته، ولسانه وجلده وشعره وبشرته، ولحمه ودمه وجبهته وصورته، وشحمه وعظامه وأعصابه وعضلاته. وهو التجسّد للأسماء الحسنى، ولكنه عند نفسه وأمام ربه الفقير الذليل الساجد الراكع لله، يطلب منه الرحمة في حاجة صادقة مدقعة إلى رحمة الحق تعالى، وترتعد فرائصه في حضوره في حمد وشكر أمام فيوض هداه. وبعد مماته ترتقي روحه المقدسة، التي تشبّعت في نشأة الحياة الدنيا بهذه الملكات والمقامات، إلى القرب والزلفى وعرش اللاهوت. وفي خلال هذه الرحلة المقدسة صرفت نحوه أفئدة الملائكة الكرام، وثنيت إليه أزمة أبصارهم. وصارت الجنان تزدلف إليه، وكذلك الأرائك والحرير وسندس واستبرق. وغدت العذارى تتهافت في غيطان أوديته، وتترامى غنجاً ودلالاً في ظلالها الوارفة، طمعاً في اختلاس غرة من الحظوة لديه. وبدأت الحور الحسان تمرغ وجوهها على أعتابه، طمعاً في استلاب نظرته وبسمته، مستدنية قلبه متوددة إليه، وراكنة إلى وصاله أملاً وطمعاً.

وذكر السيّد محمد حسن[1] عن السيد حسن وشوقه العظيم إلى لقاء الإمام المهدي عليه السلام ـ عجل الله فرجه وسهل مخرجه ـ وعن بشارة أستاذه له بهذا اللقاء ضمن أشعار رائعة رداً على رسالته فيقول: «وقوله: «وبشّرت ميعاد اللقا... يجري الحديث عنه بشيء من التفصيل... لقاء من يا ترى! يجوز أنه يقصد التشرّف... ويجوز أن يكون يشير إلى أمر هام آخر قد خفي سرّه علينا.

أما التشرّف فطالما طلبه غير واحد من الأعلام... والذي أرسل إليه هذه الأبيات جواباً على رسالته هو السيّد حسن الأصفهاني والمعروف عندهم بـ (المسقطي)، والذي ذهب بأمر من آية الله العظمى السيّد أبو الحسن الأصفهاني (قدّس سرّه) إلى مسقط عمان للتبليغ، وتبودلت بينه وبين أستاذه في السلوك رسائل عديدة، وكانت بينهما مودّة عظيمة.

ورأيت نسخ أكثر هذه الرسائل عند آية الله الحجّة الشيخ عباس القوجاني (قدّس سرّه)، وقد بخل بها علينا، عدا أشياء يسيرة ستذكر بالمناسبة.

ويظهر أن هذا (السيّد حسن) كان يتشوّق كثيراً للتشرف... حتى اتّفق له ما اتّفق...

أما السر في هذا التشوّق... مع أن الغالبية من أبناء الشيعة الإمامية يتحسرون ويتشوقون... إلا أن البعض قد يذهب إلى أبعد المدى، ويهون على نفسه في هذا الهدف أصعب السبل وأشقّها.

قلت... السر في هذا التشوّق العظيم يكمن في مدى معرفتهم، ومبلغ استعدادهم الذاتي لدرك كثير من القضايا الهامة، التي ترجع مآلاً

---

(١) كتاب «السموات السبع» للمؤلف صفحات ١٢١ إلى ١٢٦.

إلى الإمامة والولاية. . . وهم يحسبون أنهم بهذا اللقاء سوف تحل عقد المشاكل الموجودة في نفوسهم، ويرفع الستار عن كثير من القحائق، ويتّضح لهم وضوح الشمس، وبذلك يصلون إلى المراتب العالية من اليقين والاطمئنان الذي هو غاية التقوى والمتّقين».

ونقدم إليكم بعضاً من هذه الأبيات التي كتبها السيّد علي القاضي (قدّس سرّه) إلى السيّد حسن المسقطي:

وبشرت ميعاد اللقا طاب عرفه
وطيب لي روحاً وعطراً منشقاً
ولا غرو أن أعطاك تاج كرامة
وترفع ما بين الموالين بيدقا
فهياك إنساناً بأحسن صورة
وعلمه منه البيان فأنطقا
وأرجو لك الفضل العظيم بفضلهم
فأوف بوعد الصادقين وأصدقا
فإن ولي الأمر والغائب الذي
تشوق قلبي نحوه وتعشقا
إذا شرف الدنيا بنور ظهوره
سيعرف بالقرآن والعلم والتقى

وأيضاً انتقلت رسائل القاضي إلى المسقطي ـ بعد وفاته ـ إلى تلميذ ومريد السيّد حسن وهو الحاج محمد خميس، وانتقلت بعد وفاته إلى إخوانه علي وموسى وأنور، وتتبعت القضية معهم ولكن بدون جدوى، ويظهر أن الملف الذي كان يحوي هذه الرسائل قد ضاع.

سيرة العارف الشهيد
آية اللّٰه الحاج الميرزا
جواد ملكي التبريزي (قدس سره)

العارف الرباني آية الله
الحاج الميرزا جواد ملكي التبريزي

هو المرحوم الميرزا[1] جواد بن الميرزا شفيع، عارف كامل، وعالم عامل، وسالك واصل، وفقيه جليل، وكما تقدم فقد كان من تلامذة المرحوم جمال السالكين الشيخ ملا حسينقلي الهمداني.

ولد في تبريز، وبعد أن درس المقدمات والسطوح سافر إلى النجف الأشرف فدرس الفقه على الآقا رضا الهمداني صاحب «مصباح الفقيه» والأصول على الآخوند الخراساني (صاحب الكفاية) والحديث على المحديث النوري (صاحب المستدرك) واختار ملازمة الشيخ الهمداني فاستفاد منه حوالي أربعة عشر سنة.

رجع المرحوم التبريزي في سنة ١٣٢٠ أو ١٣٢١ وسكن في تبريز ثم سافر إلى قم في أوج ثورة «المشروطة»[2] سنة ١٣٢٩ واشتغل بتدريس الفقه والأخلاق وأداء سائر الفرائض... كان درس فقهه على أساس «مفاتيح» الفيض الكاشاني.

---

(١) في تذكرة المتقين / ٣٢٧، أن وفاته عليه الرحمة في شهر رجب من السنة المذكورة إلا أن المصادر الأخرى ومنها نقباء البشر / ٢٦٠/ ٦٧٧ وزندگاني وشخصيت شيخ أنصاري/ ٢٦٢ وتاريخ حكماء وعرفاء متأخر / ١٢٣ تذكر ما ورد في المتن.
(٢) الميرزا تعني ابن الأمير.. وهو مصطلح يطلق على من كان علوياً من جهة الأم فقط.

* كان يقيم جلستين في الأخلاق إحداهما في منزله للخواص والأخرى في المدرسة الفيضية للعموم. . وكان يؤمّ المصلّين في حرم المعصومة عليها السلام وأحياناً في المدرسة الفيضية وكان الإمام الخميني (رضوان الله عليه) يأتم به ويشترك في درسه الأخلاقي للخواص في المنزل.

وكان رحمه الله بكل معنى الكلمة من أهل العبادة والتهجد بل كان يعتبر من بكائي زمانه وكان يصوم رجب وشعبان وشهر رمضان بشكل دائم. . يقول في أسرار الصلاة:

أقول: لا تكن كافراً بهذه الأخبار وإني أشهد الله أني أعرف من المتهجدين من كان يسمع من يوقظه ويناديه وقت تهجده في أوائل أمره بلفظة (آقا)[1] فيقوم لورده.

ويبدو أن هذا الشخص الذي كان يستيقظ لورده على صوت الملك هو نفس المرحوم التبريزي وقد بيّن الأمر بهذه الصياغة كي لا يمدح نفسه.

نعم. . إن الذين يظهرون الاستقامة في طريق الوصول إلى المحبوب تتنزل عليهم الملائكة وهو صريح قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ وقد كان المرحوم التبريزي واحداً منهم فلم يكن له هدى ولا مرام غير الله تعالى ولم يكن يفكر بشيء غيره.

وكان رحمه الله من خيرة الموالين المولعين بآل الرسالة وخصوصاً الإمام صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف الذي كان يكنّ له حباً عارماً كما يظهر بوضوح من مطاوي كتابه (المراقبات) (ص ١٧٩ـ ١٧٣).

ويكفي لبيان عظمة منزلته أن الحكيم والفقيه الشهيد الشيخ محمد حسين الأصفهاني مع أنه كان في العلم والعمل ذا مقام كبير ـ كتب رسالة إلى المرحوم

---

(١) آقا: سيد.

التبريزي يطلب فيها أن يزوده بتعليمات ليطبقها ـ فكتب إليه رسالةً مختصرة تضمّنت مطالب مفيدة وتجد ذلك في مجلة «حوزة» العدد الرابع.

من قصصه:

يقول أحد خواص تلامذته:

ذات ليلة رأيت في «شاهرود» في المنام أن صاحب الأمر عليه السلام مع جماعة في صحراء وكأنهم في صلاة الجماعة، دنوت لأتشرّف بلقائه عليه السلام وأقبّل يده المباركة فرأيت بالقرب منه شيخاً جليلاً تظهر في سيماه آثار الجلالة والوقار... وعندما استيقظت فكرت في ذلك الشيخ من هو هذا المقرّب إلى هذا الحدّ من صاحب العصر أرواح من سواه فداه، وذهبت إلى مشهد للبحث عنه فلم أره. وسافرت إلى طهران فلم أصادفه ومضيت إلى قم فوجدته في إحدى غرف المدرسة الفيضية مشغولاً بالدرس، سألت عنه قالوا الميرزا جواد ملكي التبريزي، تشرّفت بلقائه فسلّم علي سلام معرفة، وسألني متى جئت وكأنه كان قد رآني وعرفني واطّلع على ما جرى. بعد ذلك لازمته فوجدته كما رأيته وأردت[1].

* ويقول أحد المتّصلين به:

ذهب يوماً بعد انتهاء الدرس لزيارة أحد الطلبة في مدرسة دار الشفاء وكنت في خدمته.. دخل الغرفة وبعد السلام والضيافة المتعارفة جلس قليلاً ثم قام وخرجنا.. وسألته عن هدف هذه الزيارة فقال: الليلة الماضية في السحر أفيضت علي فيوضات عرفت أنها ليست مني، وعندما تأكّدت وجدت أن هذا الطالب كان يتهجّد ودعا لي في صلاة الليل وهذه الفيوضات بسبب دعائه فجئت لزيارته شكراً لاهتمامه[2].

---

(١) رسالة لب اللباب/ ٣٥ـ ٣٦.

(٢) رسالة لقاء الله/ المقدمة/ ص هـ.

تلامذته:

كان مجلس درسه في الأخلاق عامراً . . وعلى ما كتب البعض فقد كان يشترك في درسه في تبريز حوالي أربعمائة[1] ومن تلامذته في هذا العلم.

الإمام الخميني / رضون الله عليه)

المرحوم آية الله فاطمي القمي.

المرحوم السيّد محمود اليزدي.

المرحوم محمود مجتهدي.

الشيخ إسماعيل التبريزي (مؤلف تذكرة المتّقين).

مؤلفاته:

له عليه الرحمة مؤلفات عديدة بعضها لم يطبع بعد، من مؤلفاته:

١ـ أسرار الصلاة وقد طبع مراراً وهو باللغة العربية.

٢ـ المراقبات أو أعمال السنة، طبع مراراً كذلك وهو باللغة العربية.

٣ـ رسالة لقاء الله، طبع مراراً وقد ترجمه بعض الفضلاء المعاصرين مع تقديم له وتوضيح وإضافات.

٤ـ كتاب في الفقه لم يطبع بعد جاء في خاتمته:

تمّ الجزء الأول من كتاب النكاح ويتلوه الجزء الثاني، وأوله الولاية بيد المذنب العاصي أسير الآمال والأماني في يوم السابع عشر من شهر المظفر وقد مضت من الهجرة السنوية ألف وثلاثمائة واثنتا عشرة سنة في مشهد الغري» وكتب على غلافه:

---

(١) آئينه دانشوران / ٣٥٠.

لا يخفى أن هذه الوجيزة من تصنيفات حضرة مولانا العلامة حجّة الإسلام ملاذ الأعلام باب الفتاوى والأحكام آية الملك العلام صاحب النفس الزكية العبد الصالح ميرزا جواد ملكي تبريزي متّع الله المسلمين بطول بقائه كتبه في عنفوان شبابه بمشهد ولي رب العالمين أمير المؤمنين أرواح العالمين فداه في شهر شعبان[1].

٥ـ رسالة في الحج[2].

٦ـ حاشية بالفارسية على «الغاية القصوى» ترجمة «العروة الوثى» وهي ترجمة المحدث الجليل القمي للعروة الوثقى إلى الفارسية وقد طبعت هذه الترجمة مراراً من ذلك طبعة عام ١٣٢٨هـ.ق. في بغداد، وقد كتب المرحوم التبريزي حاشية بالفارسية على الغاية القصوى ويبدو أنها لم تطبع، وقد رأيت نسخة خطية منها على حاشية نسخة مطبوعة من الغاية القصوى أورد هنا نماذج منها:

في باب سجود الصلاة جاء في متن العروة: يجوز في القنوت وغيره من أحوال الصلاة الدعاء بالفارسية نكتب المرحوم التبريزي في الحاشية: حتى الشعر الفارسي كأن يقول في سجوده:

وأورد بيت شعر فارسي ترجمته:

أتـمـرغ بـالـتـراب مـتـذلـلاً   مؤملاً أن أرضي الحبيب بتضرعي

وفي باب مواقيت الصلاة حيث جاء في المتن: من صلّى أربع ركعات أو أكثر من صلاة الليل ثم طلع الفجر يأتي بالباقي مخففاً أي بدون سورة كتب عليه الرحمة: في هذه الفروع لم أعثر على دليل على التخفيف لا سيما بقيد «بدون سورة».

---

(١) رسالة لقاء الله/ المقدمة ص ج ـ ٣.

(٢) آئينه دانشوران/ ٣٥٠.

ويكفي في بيان أهمية آثاره المكتوبة أن الإمام الخميني يوصي في كتاب «معراج السالكين وصلاة العارفين» بقراءة كتبه فيقول أيها العزيز لا يوسوس لك الشيطان ولا يقنعك بما أنت عليه تحرك قليلاً وتجاوز الشكل الذي لا محتوى له والقشر الذي لا لبّ معه. . وادرس بدقة ذمائم أخلاقك. . ولنفترض أنك لا تعرف حلاله قدر أحد من العرفاء، فاّتبع علماء المعرفة والأخلاق الكبار أولئك المتّفق عليهم عند جمع العلماء وطالع من كتب العلماء المعاصرين كتب الشيخ الجليل القدر العارف بالله الميرزا جواد التبريزي (قدّس سرّه) لعلّك إن شاء الله تخرج من هذا الإنكار والتسعف(١).

الوفاة:

توفي المرحوم التبريزي هذه الشمعة المتوهّجة. . ومعين المعارف الإلٰهية الفوار، بعد أن أمضى عمراً في الجهاد وبناء النفوس، في الحادي عشر من شهر ذي الحجّة ١٣٤٣هـ.ق ويقع قبره في مقبرة «شيخان» بالقرب من مقبرة المحقق القمي وهو دائماً مزار أهل القلوب(٢).

---

(١) معراج السالكين وصلاة العارفين المطبوع في ذكرى الشهيد المطهري الكتاب الأول/ ٥٦.

(٢) سمعت آية الله الشيخ حسن زاده آملي عبر إذاعة طهران الفارسية يقول ما خلاصته: لم أكن أعرف أين دفن المرحوم ملكي تبريزي، فسألت أحدهم فقال إنه مدفون في مقبرة «شيخان» وكانت الساعة حوالي التاسعة ليلاً، وكنت قريباً من المقبرة فقررت أن أذهب لقراءة الفاتحة عن روحه الطاهرة. . ولمقبرة «شيخان» بابان. . دخلت من أحدهما وبدأت أبحث عن ضريحه الطاهر. . فلم أعثر عليه حتى وصلت إلى الباب الثاني وهممت بالخروج. . فإذا بشخص يرتدي عباءة وعلى رأسه «طاقية» يقول لي: تريد قبر الشيخ التبريزي. . قلت نعم. . فأخذني ودلّني على القبر. . ومضى ليخرج. . قلت في نفسي: من أين عرف أني أريد قبر الشيخ. . فناديته. . من أين عرفت أني أردت قبر الشيخ التبريزي. . فقال: نحن نعرف زبائننا. . ومضى لشأنه. . (المترجم).

«لن يموت أبداً من أحيا قلبه بالعشق، وقد خطّ في صفحة الوجود بقاؤنا».

وقد أرخت وفاته بالعربية: «رفع العلم وذهب الحلم» وبالفارسية بهذا المصرع: «أزجهان جان رفت وأزملت پناه».

أي ذهب من العالم الروح ومن الشعب الملجأ.

يقول أحد تلامذته:

ليلة وفاة المرحوم التبريزي وحوالي السحر رأيت في حالة بين النوم واليقظة أن أبواب السماء فتحت أمامي وارتفعت الحجب فأمكنني أن أرى إلى ما تحت العرش الإلٰهي ورأيت المرحوم واقفاً يقنت ويتضرّع ويناجي ويبكي فتعجّبت لمنزلته وقربه من الله سبحانه.. وفجأة سمعت طرق باب المنزل قمت فوراً وفتحت الباب فإذا بأحد الأصدقاء يقول هلم بنا إلى منزل الأُستاذ، قلت ما الخبر قال: أعزيك لقد انتقل إلى جوار الله.

ويعتقد البعض أن وفاته عليه الرحمة كانت كما تقدم الآن وقت السحر ليلة الحادي عشر من ذي الحجّة إلا أن الشيخ آقا بزرگ الطهراني يرى أن وفاته كانت في اليوم العاشر أي يوم عيد الأضحى وقد ورد في مقدمة لقاء الله ما يدلّ على أنّ وفاته كانت في صلاة الظهر بعد أن كبّر تكبيرة الإحرام. (رضون الله تعالى عليه).

كلام الشيخ حسن زادة آملي حول الميرزا التبريزي:

العارف الإلٰهي، السالك المستقيم، المحقّق الربّاني، القيه الصمداني، ومربّي النفوس، آية الله الحاج اشليخ الميرزا جواد الملكي التبريزي (رضوان الله تعالى عليه)، كان من أعاظم العلماء الإلهيين في العصر الأخير، وبحقّ من علماء الفقه والأُصول والأخلاق والحكمة والعرفان.

إنّ عظمة مقام العروج الروحي لهذا العالم الجليل تتجلّى من خلال الرسالة التي أرسلها إلى آية الله الحاج الشيخ محمد حسين الكمباني.

وقولي إنّه سالك مستقيم من جهة أنّ المرحوم قد وصل إلى الفعلية، ولا يمكن لأي سالك أن يصل من القوّة إلى الفعل دون أن تكون عنده استقامة.

وإنّ محيي آثار العلم والعلماء حضرة الشيخ بزرگ الطهراني (رضوان الله تعالى عليه) قد ذكر في القسم الرابع من الجزء الأول لأعلام القرن الرابع عشر من طبقات أعلام الشيعة (ص ١٥٦٥)، شرح حال آية الله الحاج السيّد الميرزا علي القاضي التبريزي، فيقول: «وقد دامت المودّة والصحبة بيننا عشرات السنين، فرأيته مستقيماً في سيرته، كريماً في خُلقه، شريفاً في ذاته».

وإنّ ما قاله المرحوم الشيخ بزرگ الطهراني في حقّ المغفور له: «فرأيته مستقيماً في سيرته» هو عبارة قيّمة جداً، لأنّ العمل الأساسي في ا لسلوك إلى الله تعالى هو الاستقامة، وأنّ نزول البركات والفيوض الإلٰهية إنّما يكون بسبب الاستقامة، وقد قال قال: في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[2].

وقد فسّر الإمام الصادق عليه السلام ﴿مَّآءً غَدَقًا﴾ بالعلم الكثير، فافهم.

وقد نقل أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان بيانه الشريف في

(١) سورة فصّلت، الآيات: ٣٠ـ ٣٢.
(٢) سورة الجنّ، الآية: ١٦.

تفسير هذه الآية: عن الصادق عليه السلام، قال: «**معناه لأفدناهم علماً كثيراً يتعلّمونه من الأئمّة عليهم السلام**»[1].

وفسّر ابن عباس الماء في هذه الآية: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[2] بالعلم، وهذا من جهة أنّ العلم سبب حياة الأرواح، كما أنّ الماء سبب حياة الأشباح.

والطريقة هي الطريقة المثلى، والطريقة المُثلى الأشبه بالحقّ، وهي طريقة الولاية، فإذا كان عندك استقامة عليها فإنّك تستفيد علماً كثيراً من الأئمة عليهم السلام، وكنز «**العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء**»، ففي الكافي ـ كما في تفسير الصافي ـ: عن الباقر عليه السلام، يعني: «**لو استقاموا على ولاية أمير المؤمنين عليّ والأوصياء من ولده عليهم السلام** وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماء غدقاً. يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان»[3].

الأسرة:

كان الميرزا جواد التبريزي من إحدى أُسر أعيان وتجّار تبريز، وكان والده المرحوم الحاج الميرزا شفيع أوّل الأمر عامل مضاربة لناصر الدين شاه، وكان يُعدّ أحد الأثرياء الكبار في عصره، وقد وُفّق في خدمة المرحوم الحاج الميرزا عليّ نقيّ الهمداني، فنال المقامات الرفيعة نتيجة تهذيب الأخلاق وتزكية النفس، واتّجه نحو عالم المعنى، والخلاصة أنّ ذلك الموجود الأرضي أصبح من أهل السماء.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن/ أبو عليّ الفضل الطبرسي ١٠: ١٥١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٨.

(٣) الكافي/ الشيخ الكليني ١: ٤١٩، طبع دار الأضواء ـ بيروت، مناقب آل أبي طالب ٣: ٤٣٣، عنهما بحار الأنوار/ الشيخ المجلسي ٢٤: ١٠١ و١١٠، طبع دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، تفسير الصافي/ الفيض الكاشاني ٥ ٢٣٦، طبع منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

يقول المرحوم المدرّس في ريحانه: «الحاج الميرزا جواد من أكابر علماء الأخلاق والعرفان في تبريز في عصرنا الحاضر، وقد عرف باسم الملكي بسبب انتسابه إلى أُسرة ملك التجّار التبريزي».

الدرجات العلمية والسير والسلوك:

بعد إكمال الحاج الميرزا جواد التبريزي دراسة المقدّمات في تبريز مسقط رأسه، هاجر إلى العراق وأقام في النجف الأشرف في جوار الولاية المطلقة لحضرة آدم أولياء الله حضرة الوصيّ أمير المؤمنين عليه السلام، وانصرف إلى كسب المعارف الإلٰهية الحقّة، ودراسة الفقه والأُصول العالية لدى الفقيه الكبير الشيخ رضا الهمداني وغيره من الفقهاء العظام، فنال درجة الاجتهاد، وأصبح صاحب نظر وعلم، وأحياناً يدوّن فتاواه الفقهيّة في كتبه بالإضافة إلى وجود تأليفات فقهيّة مستقلّة عنده، كما سنوضّح ذلك فيما بعد.

ومن التوفيقات التي شملت حال الميرزا جواد الملكي التبريزي أنه وأثناء تشرّفه بالقرب من مقام الولاية في النجف الأشرف، قد وفّق بحضور مجلس أعظم معلّم للأخلاق في العصر الأخير، وهو جمال السالكين حضرة الملاّ حسين قلي الهمداني، فحصل على أعلى المنازل والمراحل العالية لعوالم النفس في السير والسلوك، بسبب تمام قابليّته وأتمّ فاعليّته.

ورسالته: لقاء الله، هي بارقة من بوارق ذلك المجلس العرشي العالية والباعثة لاطمئنان النفس، وأسرار الصلاة هي أيضاً من ثمار شروق أسرار ذلك المحضر الأعلى، ويعتبر كتاب مراقباته إحدى مظاهر درس الحضور والشهود لذلك المجلس الشريف للأُستاذ الكبير الربّاني الملاّ حسين قلي الهمداني، أفاض الله علينا من بركات أنفاسهما النفيسة.

كلمات حضرة الأُستاذ العلاّمة الطباطبائي

المرحوم الأُستاذ العلاّمة الطباطبائي صاحب التفسير العظيم الميزان، في مقدمة رسالة محاكماته بين المكاتبات العرفانية للآيتين السيّد أحمد الكربلائي الأصفهاني والشيخ محمد حسين الأصفهاني المعروف بالكمباني (وكان من أساتذة المرحوم الأُستاذ العلاّمة الطباطبائي) يقول في شرحه لحال المرحوم الكمباني ما نصّه: «لقد كانت له في مرحلة التهذيب وتصفية الباطن علاقة ومكاتبة مع المرحوم الخالد والعالم النحرير فخر المجتهدين، وسند العارفين الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي نزيل قم الذي كان من أكابر تلامذة المرحوم الملاّ حسين قلي الهمداني»، انتهى.

تشرّفت (الكاتب) في عصر يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر شعبان سنة ألف وثلاثمائة وثمانين هجري قمري، في قم بالحضور عند الأُستاذ العلاّمة الطباطبائي روحي فداه، وبعد عرض بعض أحوالي تطرّقت في الحديث عند محضره الشريف إلى ذكر الميرزا جواد الملكي التبريزي.

وقال حضرة الأُستاذ العلاّمة رضوان الله تعالى عليه: «يا سيد، إنه

كتب برنامج عمل لأُستاذنا المرحوم الشيخ محمد حسين الكمباني، وكان الشيخ الكمباني حريصاً جداً في إعطائه للآخرين، وقد حصلت على نسخة منه، وحصل الشيخ علي البروجردي أيضاً على نسخة أخرى، وهو موجود في بروجرد الآن، ومن الأخيار، وكانت هذه النسخة برنامج العمل لجميع التوصيات التي كانت عند المرحوم الميرزا جواد الملكي من المرحوم الآخوند.

فسألت العلاّمة من تقصدون بالآخوند؟ فقال: «الآخوند الملاّ حسين قلي الهمداني رضون الله عليه»، فقلت: يا للعجب، أنّ المرحوم الميرزا جواد قد أدرك الملاّ؟! فقال: «يا سيّد، لقد حضر الميرزا في مجلس المرحوم الملاّ لمدة أربع عشرة سنة».

فقلت: يا سيّدي، لقد كنت أتصوّر أنّه من تلامذة المرحوم القاضي (الحاج الميرزا علي القاضي المذكور)، قال: «لا، الميرزا القاضي هو تلميذ تلميذه»، يعني أنه استفاد من تلامذة المرحوم الآخوند، ولو أنّه أدرك أواخر عمر المرحوم لكنّه لم يستفد منه.

وعندئذٍ نقل الأُستاذ العلاّمة الطباطبائي (قدّس سرّه) هذا في الموضوع، وكان قد دوّنه من أستاذه المرحوم القاضي، فقال: «عندما كنت في النجف الأشرف، رأيت يوماً رجل دين في الطريق، يشبه إنسان مختلّ الحواسّ، ومشاعره لا تعمل بشكل صحيح، فسألت أحداً: هل عند هذا الرجل اختلال فكر وحواسّ؟ فقال: لا، قد خرج الآن من جلسة درس أخلاق الآخوند الملاّ حسين قلي الهمداني، وكلّما يتحدّث الملاّ يترك تأثيراً كبيراً في الحاضرين، فيخرجون بهذه الهيئة من شدة تأثير الكلام والتصرّف الروحي لحضرته».

عندئذٍ سألت الأُستاذ العلاّمة الطباطبائي: هل أدركت المرحوم الميرزا جواد الملكي التبريزي؟ فقال: «لا، لقد توفّي في سنة ألف وثلاثمائة واثنان وأربعون، وأنا هاجرت بعد سنتين من ذلك إلى النجف الأشرف (يعني هاجرت من تبريز إلى النجف الأشرف، وقد انتقل المرحوم الملكي إلى رحمة الله في قم)، فلم أُوفّق لرؤية المرحوم الميرزا جواد الملكي التبريزي».

وفي ليلة الخميس الحادي عشر من ذي الحجّة سنة ١٣٨٨هـ.ق، أعطاني الأُستاذ العلاّمة الطباطبائي رضون الله عليه ظرفاً على انفراد فرأيت مكتوباً على الظرف: «رسالة المرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي»، فقال: «استنسخ هذه الرسالة وأعدّ النسخة لي».

وكانت هذه النسخة هي نفس النسخة التي كتبها آية الله الربّاني المرحوم الميرزا جواد الملكي، إلى آية الله الصمداني المرحوم الحاج الشيخ محمد حسين الكمباني.

برنامج عمل عرفاني

إنّ برنامج العمل الذي أرسله السالك الربّاني الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي إلى آية الله الحاج الشيخ محمد حسين الكمباني (رضوان الله تعالى عليه)، هذا نصّه:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

جعلت فداك...

في باب الإعراض عن جدّ وجهد الرسميات، وعدم الوصول إلى الواقعيّات المكتوبة، وقد طلبتم من هذا الفقير أن يكتب مقدمة موصلة، فإنّ أُقدّم لحضرتكم بلا تكلّف كل ما تعلّمته لسير وسلوك هذه العوالم، وقد ذكرت بعض نتائجه بالتفصيل لحضرتكم في بداية الكلام، وإني ذكرت بدون مضايقة كلّ ما تعلّمته من لوازم هذا السير، لشدّة شوقي كي أصبح مثل الرفاق في جميع هذه العوالم، والآن أيضاً أعرض ذلك مجدّداً بالإجمال وبالطريقة التي تعلّمتها:

لقد عيّنوا الطريق المناسب لمعرفة النفس: إنّ النفس الإنسانية إذا لم تتمكّن من تجاوز عالم مثالها فإنّها لن تصل إلى العالم العقلي، وما لم تصل إلى العالم العقلي فلا تحصل عندها حقيقة المعرفة، ولن تصل إلى

المطلوب، لذا ولإكمال هذا المقصود، كان المرحوم المغفور جزاءه الله عنّا خير جزاء المعلّمين يقول:

يجب على الإنسان أن يقلّل من الغذاء، ويستريح أكثر من المقدار المتعارف حتى يقلل من الصبغة الحيوانية، ويزيد من الروحانية، ووضّح مقدار ذلك أيضاً بهذا الشكل:

أولاً: على الإنسان أن لا يتناول أكثر من وجبتي غذاء، وأن لا يتنقّل ما بين الغذائين.

ثانياً: في كل وقت يتناول الغذاء لا بدّ أن يكون ـ مثلاً ـ بعد ساعة من الجوع، ويأكل بمقدار بحيث لا يشبع كاملاً، هذا من ناحية تقليل الغذاء، وأمّا نوعه، فلا بدّ أن يكون بغير الآداب المتعارفة، فلا يتناول اللحم كثيراً، بمعنى أن لا يأكل في الليل والنهار، ويترك تناول اللحم في كليهما، أي النهار والليل، دفعتين أو ثلاث دفعات أسبوعياً، ولأجل التكيّف أن يمتنع عن أكل اللحم إذا استطاع، وحتماً لا يكون من آكلة المكسرات، وإذا راودته نفسه أحياناً لأكل المكسّرات فليستخير في ذلك، وأن لا يترك صيام الثلاثة أيام في كل شهر إذا استطاع.

أما من ناحية تقليل النوم فعليه أن ينام ستّ ساعات، وبالطبع لا بد أن يهتمّ كثيراً بحفظ اللسان والابتعاد عن أهل الغفلة، وهذا يكفي في تقليل ا لحيوانية.

وأما لتقوية الروحانية:

أولاً: يجب أن يكون دائماً في همّ وحزن قلبي بسبب عدم الوصول إلى المطلوب.

ثانياً: لا يترك الذِّكر والفكر ما أمكنه، فإنّهما جناحا السير إلى سماء

المعرفة، فإنّ أهم ما يوصى به في الذِّكر هي أذكار الصباح والعشاء، كما ذكر في الأخبار، والأهمّ تعقيبات الصلوات، والأهمّ منها الذِّكر وقت النوم، فهو المأثور من الأخبار، لا سيما أن ينام متطهّراً وفي حال الذِّكر.

وعن قيام الليل يقول: في الشتاء ثلاث ساعات، وفي الصيف ساعة ونصف، ولا يترك سجدة الذِّكر اليونسيّة، ويستمرّ عليها ليلاً ونهاراً، وكلّما استطاع أكثر كان تأثيرها أكبر، وأقلّ أقلّها أربعمائة مرة، وقد رأيت أثرها كثيراً، فقد جرّبت ذلك بنفسي، وكذلك ادّعى البعض التجربة، وأيضاً عندما يقرأ القرآن، فليقرأ بنيّة الهدية لحضرة خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وآله.

وأمّا بخصوص الفكر للمبتدىء، فكان يقول: فكّر في الموت إلى أن يفهم من حاله أنه أصبح حيراناً بالاستمرار بهذه المراتب، وفي الجملة حصل له الاستعداد، آنذاك ينتبهون لعالم خياله، أو أنّه يلتفت لذلك، ويفكّر لعدة أيام في ذلك ليل نهار، حتى يفهم أنّ كلّ ما يراه خيالاً هو منه ولا يخرج عنه، فإذا استطاع جَعلْ ذلك ملكة لرأى نفسه في عالم المثال يعني كان يفهم حقيقة عالم مثاليّة، وجعل هذا المعنى ملكة.

ثم يقول: يجب عليه في ذلك الوقت تغيير الفكر، فيمحو جميع الصور والأوهام، ويبدأ التفكير في العدم، وإذا استطاع الإنسان أن يجعل ذلك ملكة لتجلّى له سلطان المعرفة حتماً، يعني تتجلّى حقيقته بشكل نوراني بلا صورة ولا حدّ مع بهاء كامل، والأفضل أن يرى في حال الانتعاش، وبعد أن وجد طريق الرقيّ إلى العوالم العليا، فإنه كلّما سار أكثر سيشعر بتأثيره أكثر.

وبسبب ترتيب هذه العوالم فإنّه يجب على الإنسان:

أولاً: أن يترقّى من عوالم الطبيعة هذه إلى عوالم المثال، ثم إلى عالم الأرواح والأنوار الحقيقيّة، وطبعاً عليكم إيجاد البراهين العلميّة بأنفسكم، والعجب أنّ التصريح بهذه المراتب قد حصل في سجدة دعاء ليلة النصف من شعبان، وهي وقت وصول المرسالة، حيث يقول: «سَجعدَ لَكَ سَوادي وَخَيالي وَبياضي»(١)، **فأصل المعرفة يكون في الوقت الذي تفنى فيه هذه الثلاثة، فحقيقة السجدة عبارة عن الفناء، حيث عند الفناء عن النفس بمراتبها يحصل البقاء بالله، رزقنا الله وجميع إخواننا بمحمد وآله الطاهرين.**

ولله الحمد لم يحرمني الله من عوالم دعاء إخواننا، وقد جعلت لنفسي دعاء الوجود الشريف، وجمع من إخواننا كورد الليل...

إنّ حدّ كمال الفكر هو عالم المثال، وبعد ذلك يكون وقت محو الصورة، وعندئذٍ إمّا يجب عليه أن يلتفت لذلك بنفسه ويرى عياناً حقيقة الموضوع، أو أن يفكّر كثيراً حتى يتيقّن من علميّته السابقة، عندئذٍ يكون قد محا الأوهام ويفكّر بالعدم، حتى تتجلّى له حقيقة نفسه».

كان هذا قسم من رسالة المرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي إلى المرحوم الحاج محمد حسين الكمباني.

الهجرة إلى قم:

عاد حضرة الميرزا جواد الملكي إلى وطنه تبريز بعد إكمال دراسته وكسب الكمالات المعنوية في النجف الأشرف، وانصرف هناك إلى التدريس وإكمال النفوس، وكان من جملة ذلك درس الأخلاق، حيث ذكروا أنّه كان يحضر الدرس أربعمائة نفر من تلامذته.

---

(١) بحار الأنوار/ الشيخ المجلسي ٢٢: ٢٤٥، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.

وكان بيته الشريف في تلك المدينة، ولمدة ما يقرب عن ستّ سنوات، معقلاً ومأمناً للنفوس الوالهة، إلى أن حدثت حركة المشروطيّة وما سبّبته من تدمير لمدينة تبريز، وحدث ما حدث فيها.

فترك حضرته تبريز سرّاً وذهب منها إلى طهران، ومن طهران إلى حضرة عبد العظيم عليه السلام، وهاجر منها إلى قم، وأقام فيها واتّخذها وطنه الثاني، واشتغل بتدريس وإكمال النفوس المستعدّة حتّى لبّى دعوة الحقّ في يوم عيد الأضحى لسنة ألف وثلاثمائة وثلاث وأربعون هجري قمري، وتربته إلى جوار حضرة فاطمة المعصومة بنت باب الحوائج إلى الله في شيخان قم، مزاراً للخاصة.

كلمات من المرحوم
الحاج السيّد حسين الفاطمي القمّي

يقول الشيخ حسن حسن زاده آملي:

تشرّفت في عصر يوم الخميس الخامس عشر من شعبان سنة ألف وثلاثمائة وثمان وثمانون هجري قمري، بزيارة حشرة السيّد الفاضل حجّة الإسلام والمسلمين الحاج السيّد حسين الفاطمي القمّي، ولم أكن رأيته قبل ذلك اليوم، وكان رجلاً كبيراً في السنّ في حدود المائة سنة، وبعد أداء آداب الدخول جرى الحديث حول الميرزا جواد التبريزي، فقال لي ـ ولأجل التشجيع ـ:

«يا سيّد، إنّ الشخص الذي يأتي لي في هذه الأوضاع، وفي هذا المكان المعتزل، ويسأل ويتتبّع أحوال وآداب الميرزا جواد الملكي رحمة الله عليه، فمن المعلوم أنّ في داخله شيئاً».

فطلبت من حضرته أن يسمح لي بقراءة قصيدة غزلية كتبتها في ذلك اليوم، ومطلعها:

بلبلان را آزوئى جزگل وگلزار نيست

عاشقان را لذتى جز لذّت ديدار نيست[1]

فسمح لي واستمع للقصيدة باهتمام واستحسن ذلك.

فقلت له: تلطّفوا علينا ببرنامج عمل من المرحوم الملكي، فقال: «كان هو بنفسه برنامج عمل، فإنّه ما إن يجنّ الليل حتى يصبح مجنوناً، ويتمشّى بجنون في ساحة المنزل ويترنّم:

گر بشكافند سراپاى من

جز تو نيابند در اعضاى من[2]

وكان آخر كلامه في مرضه أن قال: «الله أكبر»، ثم انتقل إلى رحمة الله. وبعد ذلك قال المرحوم الفاطمي: «كان والد المرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي باسم الحاج الميرزا شفيع، ولم يكن رجل علم، لكنّه كان إنساناً ذا خُلق وكمال. ولم يبق من أبناء الحاج الميرزا جواد أحد، حيث كان لديه ابن باسم عليّ، وكان من أهل العلم، وقد توفّي في حياة والده، والآخر باسم حسين قلي ولم يكن من أهل العلم، وتوفّي بعد رحيل والده.

وكان هناك صورة للمرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي في إطار معلّقة على حائط المرحوم الفاطمي، قد التقطت له وهو في حال الصلاة.

فقال المرحوم الفاطمي: «إنّ حضرة الميرزا لم يكن يسمح لأحد أن يلتقط له صورة، وقد خطّط بعض أصدقائه المخلصين أن يلتقطوا له صورة

---

(١) المعنى: لا تتمنّى البلابل سوى الورد ورياض الأزهار، وليس للعشّاق لذّة سوى لذّة اللقاء.

(٢) المعنى: لو يشرّحوا جسدي من الرأس إلى القدم فلا يجدوا شيئاً في أعضائي سواك.

في الصلاة، بحيث لا يستطيع منع ذلك، فالتقطوا له هذه الصورة وهو في حال القنوت، وهو لا يعلم بذلك».

وكانت هذه الصورة جميلة جداً، فطلبت من حضرة السيّد الفاطمي أن يسمح لي بأن آخذ لها صورة وأُعيد له الأصل، فقبل ذلك دون تردد ولا كلام، وبدون أي قيد وشرط رفع الصورة من الحائط وأعطاني إياها بكمال الكرم واللطف، وفي غد ذلك اليوم أرسلت لتكبيرها وأعدت الأصل إلى حضرة المرحوم حسين الفاطمي، فكان من جملة صور الأولياء الذين أفتخر بزيارتهم ورؤية صورهم، هي هذه الصورة للمرحوم الملكي التبريزي.

وقد زرته مرة أخرى أثناء ذلك الأسبوع، لكنّه كان مريضاً جداً فلم أر من الإنصاف أن أزعجه في هذه الحال، وقد لبّى نداء ربّه في ذلك المرض. وتربته في شيخان قم، وتربة الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي في شيخان قم أيضاً.

كانت هذه كلمات سمعتها من حضرة المرحوم الحاج السيد حسين الفاطمي واستفدت منها.

وحول ما قاله عن ولديه عليّ وحسين قلي، فقد سمعت من شخص آخر، حيث قال لي: «لقد سمّى المرحوم الميرزا جواد ابنه باسم حسين قلي لشدّة علاقته بأُستاذه المرحوم الآخوند الملاّ حسين قلي».

أما علي فهو الذي قال عنه المرحوم الميرزا جواد في مراقبات محرّم من كتاب المراقبات، وهو يخاطب حشرة سيد الشهداء روحي لتربته الفداء: «يا سيّدي، يا ليتني كنت فداء لك من جميع هذه البلايا وجلّ هذه الرزايا، فيا ليت أهلي وأولادي كانوا مكان أهلك وأولادك مقتلوين مأسورين، ويا ليت سهم حرملة لعنة الله عليه ذبح رضيعي، ويا ليت

ولدي علياً قطّع عوض ولدك إرباً إرباً، ويا ليت كبدي تفتّت من شدّة العطش. . . إلخ»[١].

قصّة (المجهول):

يقول الشيخ حسن حسن زادة آملي:

إنّ كاتب هذه السطور بعد أن تعرف على شخصية المرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي، كان يتصوّر، ولمدة طويلة، أن قبر حضرته في النجف الأشرف، إلى أن التقيت مصادفة في أحد الشوارع مع حضرة آية الله السيّد حسين القاضي الطباطبائي التبريزي أخو المرحوم الحاج السيّد علي القاضي ـ السابق ذكره ـ، وكان ذلك في إحدى ليالي النصف الثاني من رجب سنة ألف وثلاثمائة وثمان وثمانون هجري قمري، وقد مضى من الليل حوالي ثلاث ساعات.

فتكلّمت معه أثناء الطريق عن المرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي وسألته عن تربته، فقال: «إنّ قبره في شيخان قم قرب قبر المرحوم الميرزا القمّي صاحب القوانين، وعلى قبره لوح مكتوب»، وعندما سمعت أنّ على قبره لوح مكتوب فلم أسأله في أي جهة من قبر الميرزا القمّي.

وما إن ودّعت السيّد حسين القاضي ذهبت مسرعاً نحو شيخان قم حتى أصل قبل أن يغلقوا الباب، فذهبت إلى هناك ونظرت إلى العديد من ألواح القبور، وتمكّنت من تشخيص بعضها، أما تشخيص البعض الآخر فكان صعباً جداً، فقلت في نفسي: الآن ليل وظلام فلأترك هذا إلى الغد، فخرجت من شيخان آيساً، لكنّي خرجت بتأنّي وأنظر مرة أخرى بألواح القبور، فرأيت شخصاً مجهولاً يدخل من الباب الشرقي لشيخان

---

(١) المراقبات/ الشيخ الميرزا جواد ملكي التبريزي: ٢٨، طبع دار الاعتصام.

إلى المقبرة، واتّجه نحوي مباشرة، وما إن وصل إليّ قال: «يا سيد، هل تريد قبر الميرزا جواد الملكي؟».

فأخذني إلى جوار قبر ذلك المرحوم، وذهب عنّي واتجه بسرعة نحو الباب الغربي لشيخان وخرج من المقبرة، وقد اضطربت وتحرّكت بلا إرادة وناديته بهذه العبارة وقلت: يا سيد، لقد كنت أبحث عن قبره، لكن من أين علمتَ ذلك؟!

فأدار ذلك الشخص وجهه لي، وهو في حال خروجه مسرعاً من الباب الغربي لشيخان، فقال لي وقد اتّجه بنصف وجهه نحوي: «نحن نعرف مريدينا».

المؤلّفات:

إنّ مؤلفات المرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي عبارة عن كتاب المراقبات، وهو نفس كتاب أعمال السُنّة، وله كتاب آخر باسم أسرار الصلاة، وكذلك كتاب لقاء الله، وجميعها مطبوعة، وبعضها تكرر طبعه وتُرجم، والحق أن كل واحد منها كان مهماً جداً في موضوعه، ولا بد من شرح وبيان هذه الكتب في فرصة أفضل.

وقد كتب حضرة الأُستاذ العلاّمة الطباطبائي (قدّس سرّه)، تقريظاً على كتاب (أعمال السُنّة)، طُبع في بداية كتاب المراقبات، يقول فيه: «أمّا بعد، فهذه أسطر أُعلّقها على كتاب أعمال السُنّة للعَلم الحجّة الآية المرحوم الحاج ميرزا جواد آقا الملكي التبريزي قدّس الله روحه، ولست أُريد بها أن أمدح هذه الصحيفة الجليلة، أو أُثني على مؤلفها العظيم، فليست هي إلاّ بحراً زاخراً لا يوزن بمنٍّ ولا صاع، ولا هو إلاّ علماً شامخاً لا يقدّر بشبر أو ذراع، وكفى بالقصور عذراً، وباليأس عن البلوغ

راحة، وإنّما أريد أن أواجه إخواني من أهل الولاء، وسادتي من أرباب الصدق والصفاء بما فيه بعض التذكرة، وأنّ الذكرى تنفع المؤمنين» ـ إلى قوله في آخره: ـ «وما بين أيديكم من الكتاب من أحسن ما عمل في هذا الشأن، ففيه لطائف ما يراقبه أهل ولاية الله، ودقائق ما يهجس في قلوب الوالهين في محبّة الله، وجمل ما يلوح للرائضين في عبادة الله نوّر الله مرقد مؤلّفه العظيم، وأفاض عليه من سحائب رحمته ومغفرته، وألحقه بنبيّه وآله الطاهرين».

ومن كتبه الأُخرى الذي ذكروها رسالة في الحجّ، وأخرى في السير والسلوك، وله تعليق بالفارسية على الغاية القصوى.

والمؤلّف لم يرَ هذه الكتب، وليست عنده، وقد جاء في نهاية ترجمة مراقباته، وأيضاً في نهاية شرح حاله في بداية كتاب المراقبات: «وله رسالة في الأُصول، وأخرى في الفقه لم تطبعا بعد». فهل أنّ رسالة الفقه هذه هي نفس رسالة في الحجّ أم غيرها؟ وأنّ رسالة لقاء الله هي نفس الرسالة في السير والسلوك أم غيرها؟

تلامذته:

إن من تلامذة حضرة المرحوم الملكي التبريزي: حضرة ثقة الإسلام الحاج السيّد حسين الفاطمي رحمة الله عليه، الذي سبق ذكره، ومن تلامذته أيضاً، وأصحابه الخاصّين حضرة ثقة الإسلام المرحوم الحاج السيّد محمود اليزدي ابن الميرزا سعيد اليزدي، والمدفون في مقبرة شيخان قم (توفي سنة ١٣٧٨هـ.ق)، وتلميذه الآخر آية الله الملاّ علي الهمداني رحمه الله، والآخر الفاضل المتّقي، والعالم الكبير، والشاعر عذب الكلام، والأديب الصالح حضرة الشيخ إسماعيل بن الحسين المتخلّص

إلى تائب التبريزي، وأحياناً كان يتخلّص في أشعاره إلى (المحترق)، وسأل لأي سبب تتخلّص محترقاً؟ فأجاب: «حتّى إذا قالوا لابني (ابن المحروق)[1] يكون ذلك في محله، ويقول:

از بسكه بسوخت بابم اندر ره عشق

زين باب بود كه من پدر سوخته ام[2]

وقد نظم هذا الشيخ إسماعيل تائب قصيدة باسم القصيدة الجوادية في رثاء أُستاذه الحاج الميرزا جواد الملكي.

ملاحظة: أنّ هذا الشيخ إسماعيل التائب المحترق، وهو نفس العالم الذي جمع مكاتبات[3] المرحوم السيّد أحمد الكربلائي ومحمد حسين الكمباني، وجمع المرحوم التائب أيضاً رسائل الملاّ حسين قلي الهمداني وتلامذته في مجموعة باسم (تذكرة المتّقين)، كما يذكر ذلك في طبقات أعلام الشيعة في شرح حال المولى حسين قلي الهمداني، فيقول: «فقد جمع الأديب الصالح الميرزا إسماعيل التبريزي نبذة من مكاتيب المترجم له (يعني المولى حسين قلي الهمداني)، ومكاتيب تلامذته، وطبعها في ١٣٢٩ باسم تذكرة المتّقين، كما أشرنا إليه في الذريعة ج ٤ أيضاً ص ٤٦»[4].

---

(١) نوع من الشتيمة في في الفارسية.

(٢) المعنى: لكثرة ما احترقت في طريق العشق لهذا السبب كنت الأب المحروق.

(٣) تحتوي هذه المجموعة النفيسة على مكاتبات عرفانية وحكمية بقلم آيات الحقّ: السيّد أحمد الكربلائي على أساس أصالة الوجود والوحدة الشخصية ذات مظاهر وجودها، وهي الأساس السليم للصحف العرفانية، والشيخ محمد حسين الكمباني على أساس أصالة الوجود والوحدة ذات المراتب التشكيكيّة لها. وتعليقات حضرة العلاّمة الطباطبائي صاحب الميزان بشكل محاكمات في معنى بيت شعري واحد للعارف الكبير الشيخ العطّار:

او به سر نايد ز خود آنجاكه اوست   كى رسغد عقل وجود آنجاكه اوست

(٤) طبقات أعلام الشيعة/ الجزء الأول، وهو نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ٦٧٧.

وقال في نفس ذلك المجلّد المذكور الذريعة، وفي عنوان تذكرة المتّقين ما نصّه:

«وقد باشر جمع هذه المكاتيب وطبعها في ١٣٢٩، الأديب الصالح الميرزا إسماعيل ابن الحاج حسين التبريزي الشهير بمسألة گو، نزيل مشهد الرضا عليه السلام أخيراً، والملقّب في شعره بتائب».

وسنذكر بعض آخر من تلامذته فيما بعد.

نظر أصحاب التراجم:

ننقل بعض أقوال أصحاب التراجم حول شخصية الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي (قدّس سرّه الشريف):

١ ـ طبقات أعلام الشيعة[(١)]:

«هو الشيخ الميرزا جواد آغا ابن الميرزا شفيع الملكي التبريزي نزيل قم، عالم فقيه، وأخلاقي فاضل، وورع ثقة. كان في النجف الأشرف، اشتغل فيها على أعلام الدين، فقد أخذ مراتب السلوك عن الأخلاقي الشهير المولى حسين قلي الهمداني وأكمل نفسه عليه، وتلمذ في الفقه والأصول على العلاّمة الشيخ آغا رضا الهمداني وغيره من العلماء، وعاد إلى إيران في (١٣٢٠هـ) فاستوطن دار الإيمان قم، وقام بوظائف الشرع، وكان مروّجاً للدين، مربّياً للمؤمنين إلى أن توفّي يوم عيد الأضحى (١٣٤٣هـ)، ورثاه تلميذه الشيخ إسماعيل بن الحسين المتخلّص بتائب بقصيدة أرّخ في آخرها عام وفاته، وسمّاها بالقصيدة الجواديّة، وله تصانيف منها (أسرار الصلاة) طبع (١٣٣٩)، وله أيضاً (السير والسلوك)

---

(١) الجزء الأول، وهو نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ٣٢٩.

مخطوطة توجد نسخة عند تلاميذه، واستنسخ عنه أيضاً السيّد عبد الحسين الحجّة في (١٣٥٨هـ)».

وقال في الذريعة: «وبها ألّف أسرار الصلاة، وطبعه سنة ١٣٣٨»[١].

٢ ـ ريحانة الأدب[٢]:

«الحاج الميرزا جواد من كبار علماء الأخلاق والعرفان في عصرنا الحاضر في تبريز، ويعرف بالملكي لانتسابه إلى أُسرة ملك التجّار التبريزي، وكان يعقد في منزله (في تبريز) مجلس ذكر وموعظة لسنوات عديدة». وبقيّة كلامه منقول من الذريعة.

٣ ـ كتاب العلماء المعاصرين[٣]:

تأليف الحاج الملاّ علي الواعظي الخياباني التبريزي، وقد ترجم حضرته في هذا الكتاب نفس قول الذريعة[٤] في بيان أسرار الصلاة، وقد وفّق بقلمه القدير في ذلك، بهذا الشكل:

«الحاج الميرزا جواد الملكي رحمه الله المتوفّي سنة ١٣٤٤[٥]، رسالة أسرار الصلاة من تصنيف الشيخ الميرزا جواد الشهير بالملكي التبريزي نزيل قم، والمتوفّي هناك سنة ١٣٤٤، وقد أكمل المرحوم العلوم والمعارف طيلة سنوات عديدة في النجف الأشرف، وهذّب نفسه بمصاحبة جمال السالكين المولى حسين قلي الهمداني، وعاد إلى إيران في حدود سنة ١٣٢٠، وأقام إلى جوار حضرة السيدة فاطمة عليها السلام في قم، وقد ألّف

---

(١) الذريعة ٢: ٤٧.

(٢) ريحانة الأدب ٥: ٣٩٧.

(٣) كتاب العلماء المعاصرين: ١٣٧، ط الحجريّة.

(٤) الذريعة ٤: ٤٧.

(٥) الذريعة ٢: ٤٧.

كتاب أسرار الصلاة في ذلك المكان الشريف، وطبع في سنة ١٣٣٨».

٤ ـ آثار الحجّة[1]:

«لقد شهدت الحوزة العلمية في قم من أول تأسيسها حوادث وقضايا تاريخية مهمة، ولها أهمية عظيمة من حيث التاريخ. . .، والثاني أنّ من الحوادث المهمة التي شهدتها الحوزة العلمية في قم في سنواتها الأُولى، والتي يمكن عدّها من المصائب المؤسفة والأحداث المؤلمة في العالم الإسلامي هي فقدان حجّة الإسلام والمسلمين آية الله في العالمين العالم الرباني، والكامل الصمداني، جمال السالكين، وقطب العارفين، الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي، وقد حدث ذلك في ذي الحجة سنة ١٣٤٣هـ.ق، فأظلمَ الحوزة العلمية بغروب نوره.

لقد كان الفقيد المعظّم له من شخصيّاتنا المتميزين، ومن علمائنا المتأخّرين المعاصرين، حيث يمكن عدّه من نوادر الزمان في السلوك والعرفان، والخُلق والإيمان.

ولد في تبريز، وبعد دراسة المقدّمات والسطوح سافر إلى العتبات المقدّسة والنجف الأشرف، وتعلّم الفقه من المرحوم الحاج رضا فقيه فقيد الهمداني صاحب مصباح الفقيه، وتعلّم الأُصول من الملاّ الآخوند الخراساني، وعلم الحديث والدراية من الحاج النوري، وقد اختار من البداية ملازمة ومصاحبة المرحوم جمال السالكين، صاحب النفس الزكية، مولانا الملاّ حسين قلي الهمداني، والذي لفضائله شهرة واسعة لدى أرباب العلم والمعرفة والعرفان والنظر، ممّا يغني عن توضيحنا غير اللائق هذا، وقد أشرت إلى مقامه وتلامذته في رسالة التقوى، فاهتمّ

(١) آثار الحجّة/ محمد الرازي ١ : ٢٦.

بتهذيب وتكميل نفسه عنده، وعاد إلى إيران حدود سنة ١٣٢١، وسكن أوّلاً في تبريز، وبعد حادثة ثورة المشروطة في سنة ١٣٢٩ هجري هاجر إلى قمر وانشغل بالتدريس (درس الفقه وكان بعنوان مفاتيح المرحوم فيض)، وتهذيب وتربية تلامذة مذهب جعفر بن محمد ﷺ، وكان يصوم الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان، وكان يدرّس في المدرسة الفيضيّة درساً عاماً في الأخلاق، والآن وقد مضى ثلاثون سنة من رحلة وفقدان ذلك العالم الربّاني، لكن ما زال باب وحائط صفّ وفضاء المدرسة يترنّم بصوته الحزين الباكي، وآهاته المؤلمة والمحرقة من الشوق، فكان يقول: **«اللَّهُمَّ ارْزُقْني التَّجافِيَ عَنْ دارِ الْغُرُورِ، وَالإنابَةَ إِلىٰ دارِ الْخُلُودِ، وَالإِسْتِعْدادِ لِلْمَوْتِ قَبْلَ حُلُولِ الْفَوْتِ»**[1].

إنّ فضائل وكرامات المرحوم الحاج الميرزا جواد أكثر من أن يمكن ذكرها في هذا المختصر، وقد ذكر تلامذته، وهم من العلماء المعروفين، قصصاً حول أخلاقه وزهده وتقواه وعشقه وعرفانه، وحتى عدوّه في عِداد بكّائين آخر الزمان، وكانت صلاة جماعته في المسجد الواقع أعلى الرأس الطاهر، وأحياناً في المدرسة الفيضيّة، ودرسه فيها شاهد على هذا المدّعى.

وكان ارتباطه ولقاءه مع حضرة بقية الله الأعظم أرواحنا له الفداء كثيراً، وتمسّكه بالتقوى والورع كبيراً، ولم يكن يغفل عن المراقبة بالنوافل، والحضور والتوجّه الدائمي الآني، ولم يخرج لحظة عن ذكر الله.

وقد حكى لنا حضرة حجّة الإسلام الحاج السيّد جعفرالشاهرودي، وهو من علماء طهران في الوقت الحاضر، مكاشفتين مفصّلتين له، وأنقل مجملها لكي نتعرّف على مقام ومنزلة صاحب الترجمة.

---

(١) بحار الأنوار/ الشيخ المجلسي ٩٥: ٦٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

ذكر مكاشفات حول الميرزا جواد الملكي

١ـ قال: رأيت في إحدى الليالي رؤيا في نومي عندما كنت في شاهرود، أن حضرة صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف حضر مع جماعة في صحراء، وظاهراً قد وقفوا لصلاة الجماعة، فتقدّمت إلى الإمام لزيارته وتقبيل يده، وما إن وصلت قريباً منه رأيت شيخاً جليلاً يقف متّصلاً بحضرته، ويظهر على سيمائه آثار الجمال والوقار والجلال، وعندما استيقظت بقيت أُفكّر من هذا الشيخ الجليل، بحيث كان قريباً إلى هذا الحدّ من مولانا إمام الزمان (عج) ومتّصلاً به.

فذهبت إلى مشهد للبحث عنه، فلم أجده، ثم أتيت إلى طهران فلم أره، ثم تشرّفت إلى قم فرأيته مشغولاً بالتدريس في غرفة من غرف المدرسة الفيضية، فسألت من هذا؟ قالوا: العالم الربّاني الميرزا جواد التبريزي، فتشرّفت في خدمته، فسألني عن حالي كثيراً، وقال: متى أتيت؟ وكأنّه قد رآني وعنده علم واّطّلاع بالحادثة، لهذا اخترت ملازمته، فوجدته كما رأيت، وكما كنت أُريد.

٢ـ رأيت في المنام في إحدى الليالي قريباً من السحر، أنّ أبواب السماء قد فتحت لي وارتفع حجابها، حتى أرى أسفل العرش الإلٰهي

العظيم، ثم رأيت المرحوم الأُستاذ الحاج الميرزا جواد واقفاً رافعاً يديه في القنوت ومشغولاً بالتضرّع والمناجاة، فكنت أنظر إليه متعجّباً لمقامه الرفيع، إلى أن سمعت صوتاً عالياً في المنزل، فانتبهت واستيقظت من النوم، فذهبت إلى المنزل ورأيت أحد ملازميه، حيث قال: تعال نذهب إلى منزل الحاج الملكي، فقلت: ما الخبر؟ فقال: سلّمك الله، لقد رحل عن هذه الدنيا.

قبره في شيخان قرب قبر الميرزا أبو القاسم القمّي صاحب القوانين، وتاريخ ذلك مكتوب على لوحة قبره بالعربية (رفع العلم وذهب الحلم) يعني ١٣٤٣هـ.ق.

وله مؤلفات عديدة من جملتها أسرار الصلاة، وقد طبعت سنة ١٣٢٨، والآخر السير والسلوك ونسخته الخطّية عند سيد الأعلام العالم الزاهد والعابد والمتّقي الحاج حسين الفاطمي القمّي، وكان من تلامذته الملازمين له دائماً إلى آخر عمره، وأيضاً عند حضرة آية الله الحاج السيّد أبو القاسم الخوئي في النجف الأشرف، وبعض تلامذته الآخرين.

ثم أن المرحوم الرازي قد كتب: إنّ تلامذة درس أخلاقه كثيرون، وذكر عدد منهم.

تمثّلات ومكاشفات السالك:

يقول كاتب هذه السطور حسن حسن زاده الآملي: إنّ ما نقل: «رأيت أن أبواب السماء قد فتحت لي...»، إنّ هذه الأُمور والأحوال هي تمثّلات وأحداث ومكاشفات تتّفق للسالك حسب استعداده وطلبه، وهذه التمثّلات هي أحوال معنوية تظهر فقط في صقع نفس السالك المستعدّ، ولا تكون من الأُمور الجمسانية والمداية الخارجية، مثلاً إذا

كان شخص جالساً إلى جانب المكاشف فإنّه لا يرى أبواب السماء مفتوحة، ولا أن حجابها يرتفع، وإذا كانت هناك أمور جسمانية فإنه يراها متساوية جميعاً.

٥ ـ مرآة العلماء[1]:

«يُعدّ الحاج الميرزا جواد من الفقهاء وعلماء الأخلاق الكبار. . . وهذا العالم الكبير هو من إحدى أُسر أعيان وتجّار تبريز، وكان والده أول الأمر عامل مضاربة للسلطان ناصر الدين شاه ويُعدّ من الأثرياء الكبار، ثم اتّجه نحو عالم المعنوية، ونال المقامات الرفيعة في خدمة الميرزا علي نقي الهمداني، فتعرّف على عالم آخر نتيجة لتهذيب الأخلاق والمجادلة والاجتهاد.

وكان صاحب الترجمة من كبار درس الحاج رضا الهمداني، ويتبع مسلك المحدّثين أيضاً، على الرغم من أن الرسالة في الحجّ قد كتب على مذهب الإخباريين، والخلاصة أنّ حضرته يُعدّ من كبار علماء الفقه والأُصول والعرفان.

وأمّا كتبه فأحدها كتاب أسرار الصلاة، والآخر حاشية باللغة الفارسية على الغاية القصوى، وكتاب آخر باسم مراقبات السُنّة، وسمعت أنّه كان يقرأ هذا الشعر مكرراً في قنوت النوافل:

زان پيشتركه عالم فانى شود خراب

ما را ز جام باده گلگون خراب كن

وكان من تلامذته وأصحابه الخاصّين السيّد محمود اليزدي، وهو من أبناء الميرزا سعيد»، انتهى.

---

(١) مرآة العلماء/ السيّد علي رضا ريحان الله اليزدي: ٣٥٠.

ويقول المؤلف: وأما ما نقل أنّه كان يقرأ في قنوت النوافل ذلك الشعر، فإنّ حضرة الشيخ الصدوق قد قال في من لا يحضره الفقيه: «وذكر شيخنا محمد الحسن بن أحمد بن وليد رضي الله عنه، سعد بن عبد الله أنّه كان يقول: لا يجوز الدعاء بالفارسيّة، وكان محمد بن الحسن الصفّار يقول: إنّه يجوز». والذي أقول: إنّه يجوز لقول أبي جعفر الثاني عليه السلام (هو الإمام محمد النقيّ عليه السلام) «**لا بأس أن يتكلّم الرجل في صلاة الفريضة بكلّ شيء يناجي ربّه عزّ وجلّ**»، ولو لم يرد هذا الخبر أيضاً لكنت أُجيز بالخبر الذي روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهي**»، والنهي عن الدعاء بالفارسية في الصلاة غير موجود والحمد لله.

وكما يظهر من عبارة الصدوق هو إطلاق جواز القنوت بالفارسيّة، سواء في الصلاة المفروضة أو المندوبة، وسواء باللغة الفارسية أو غيرها، يعني كلّ لغة أعجمية وغير عربية.

وظاهر الحكاية من عمل المرحوم الميرزا جواد، والجمع بين القولين المذكورين أنّه «لا يجوز الدعاء في القنوت بالفارسية في الصلاة المفروضة، ويجوز في النافلة»، ولتفصيل البحث يرجع إلى الكتب الفقهية.

٦ ـ تاريخ الحكماء والعرفاء[(١)]:

«نقل عن بعض أهل السلوك أن الميرزا جواد، وبعد سنتين من خدمة (الآخوند المولى حسين قلي الهمداني)، يقول: لم أصل في شيء».

وعندما سأله الملاّ عن اسمه ورسمه، أجاب الميرزا متعجّباً وقال:

---

(١) تاريخ الحكماء والعرفاء/ الصدوقي سها: ١٣٣، ط الأولى.

ألا تعرفني؟ أنا جواد التبريزي الملكي، فيقول له: هل لك علاقة قرابة بأُسرة الملكي؟ فكان الميرزا جواد ينتقدهم لأنّه لم يكن يرى أنّهم لائقون وجيّدون، فأجابه الآخوند الملاّ حسين قلي قائلاً: عندما تستطيع أن تقدّم أحذية أولئك الذين تعتقد أنّهم سيّئون أمام أقدامهم، فسآتي بنفسي إليك.

فكان الميرزا جواد عندما يريد الذهاب إلى الدرس في الغد، يهيّىء نفسه ليجلس في مكان أدنى من بقية الطلبة، حتى استطاع تدريجياً أن يغمر الطلبة من أبناء أُسرته الذين كانوا في النجف ويعتقد أنهم سيّئون، ويشملهم بمحبّته إلى حدّ أنّه يقوم بتقديم أحذيتهم أمام أقدامهم، وما إن يصل هذا الخبر إلى العشيرة الموجودين في تبريز حتى يؤدّي إلى رفع الخصومة بين أفراد الأُسرة.

بعد ذلك يلتقي به الآخوند ويقول: «لا توجد توصيات جديدة، يجب أن تصلح حالك حتى تتمكّن من الاستفادة من هذه التوصيات الشرعيّة، وأُذكّرك أن كتاب مفتاح الفلاح للشيخ البهائي جيّد للعمل».

سلسلة مشايخه في السير والسلوك العملي:

وكما تكرّر القول إنّ أُستاذه كان جمال السالكين آية الله المرحوم الآخوند الملاّ حسين قلي الهمداني، وأنّ هذا الأُستاذ رضون الله تعالى عليه قد استطاع حسب قول بعض مشايخي من تربية وإعداد حوالي ثلاثمئة نفر من أولياء الله، ومن جملتهم المرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي (قدّس سرّه)، وكان أُستاذ حضرة الآخوند المرحوم الحاج السيّد علي الشوشتري، وأُستاذه الملاّ قلي جولا ولا نعرف ما بعد الملاّ قلي جولا بل حتى الملاّ قلي جولا نفسه، وحتى الحاج السيّد علي الشوشتري لا يعرفه أيضاً، وبالتفصيل الذي تمّ ذكره في شرح حال الأُستاذ العلاّمة الطباطبائي.

لوح القبر:

يوجد على تربته الشريفة، وهي مزار خاصّة أهل القلب لوح من الحجر مكتوب عليه:

«قد ا رتحل عن دار الغرور إلى دار السرور، وعن بيت الظلمة والدسور إلى البيت المعمور وعالم النور، طود العلم والتقى، ومعدن الحلم والسخاء، من هو في مضمار موتوا قبل أن تموّتوا بلغ غاية السباق، وفي ائتمار واستبقوا الخيرات وصل إلى حدّ الاستباق، وتد الأوتاد، والعماد الضادّ، ربيع الزمان، وأويس اليمان، مصداق ما قاله أبو الأئمة والد السبطين: «**لَوْلاَ الآجالُ الَّذِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ**»[1]، **حلاّل المشكلات ببنان البيان، كشّاف المعضلات بنو البرهان، عقمت الدهور عن عديله، والعصور عن بديله، فخر العلماء الراسخين، وذخر الفقهاء الشامخين، أبو الفضائل الجمّة الذي بموته ثلم في الإسلام ثلمة، مقتدى الأنام، حجّة الإسلام والمسلمين، مولى العالمين: الحاج ميرزا جواد آقا التبريزي، أعلى الله تعالى شأنه، ورفع في الخلد مكانه، فأليق به أن أقول في تاريخ هذا الرزأ العظيم، والخطب الجسيم، ورفع العلم، وذهب الحلم.**

وبالفارسيّة: «از جهان جان رفت واز ملّت پناه». وهو المطابق لليلة الجمعة الحادية عشرة من شهر ذي الحجّة من شهور سنة ١٣٤٣».

هذا ما كان مكتوباً على لوح تربة هذا العالم.

(دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامُ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

---

(١) الكافي/ الشيخ الكليني ٢: ٢٤٥، ب (٩٩)، المؤمن وعلاماته وصفاته مع اختلاف.
بحار الأنوار/ الشيخ المجلسي ٦٤: ٣١٥، و٦٦: ٢٨٩ مع اختلاف، طبع دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

آية اللّٰه العظمى
السيّد محمد مهدي بحر العلوم

آية الله العظمى
السيّد محمد مهدي بحر العلوم[1]

السيّد محمد مهدي بن السيّد مرتضى بن السيّد محمد بن السيّد عبد الكريم بن السيّد مراد. . وينتهي نسبه إلى الحسن المثنى بن الإمام الحسن عليه السلام بن أمير المؤمنين عليه السلام[2].

ولد في كربلاء قبيل الفجر من ليلة الجمعة غرّة شوال سنة ١١٥٥هـ وذكر: أن والده السيّد المرتضى رحمه الله رأى ليلة ولادته في عالم الرؤيا مولانا الرضا رحمه الله قد أرسل شمعة مع محمد بن إسماعيل بن بزيع وأشعلها على سطح دارهم فعلاً سناها ولم يدرك مداها[3].

أشهر أساتذته وشيوخه:

الوحيد البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٨هـ والسيّد حسين القزويني المتوفى سنة ١٢٠٨هـ، والسيّد حسين الخونساري المتوفى ١١٩١هـ،

---

(١) لمعرفة المزيد عن حياته يراجع كتاب (حياة العلاّمة السيّد محمد مهدي بحر العلوم) ويقع بـ (٣٥٠) صفحة من القطع الوزيري الطبعة الأولى/ دار البهجة ـ بيروت ١٩٩٧م ـ ١٤١٨هـ.

(٢) راجع تحفة العالم/ السيّد جعفر بحر العلوم: ج ١/ ص ٣٠.

(٣) روضات الجنات/ الخونساري: ج ٧/ ص ٢٠٤.

والسيّد عبد الباقي الخاتون آبادي المتوفى سنة ١٢٠٧هـ أو سنة ١٢٠٨هـ، والشيخ محمد باقر الهزار جريبي الغروي المتوفى ١٢٠٥هـ، والشيخ يوسف البحراني المتوفى سنة ١١٨٦هـ، والشيخ محمد تقي الدورقي المتوفى حدود سنة ١١٨٧هـ، والشيخ مهدي الفتوني المتوفى حدود سنة ١١٨٣هـ أو ١١٩٠هـ، والسيّد صادق الأعرجي الفحام المتوفى سنة ١٢٠٥هـ، والسيّد ميرزا مهدي الأصفهاني المستشهد سنة ١٢١٨هـ وغيرهم.

علمه:

اشتهر السيد بحر العلوم بعلمه كما اشتهر بكراماته ولقاآته المتكررة بولي الله الأعظم أرواحنا لتراب مقدمه الفدى، كما اشتهر أيضاً بأعماله الدينية الجليلة، وقد تفرّد بكل واحد من هذه الثلاثة بحيث لم يقس به أحد غيره من العلماء الأجلاّء إلا الآحاد، ولم تجتمع هذه الثلاثة لأحد غيره ممّن سبقه وممّن لحقه، ومن هذا جاء تلقيبه بـ «بحر العلوم».

وقد نقل العلاّمة النوري رحمه الله عن العالم الورع الشيخ تقي ملاّ كتاب تلميذ السيّد أنه قال: سافر السيّد إلى كربلاء ومعه جماعة يتبعونه غالباً في أسفاره ـ منهم الشيخ تقي حاكي القصة.

قال: وكانت القافلة التي فيها السيّد تمشي في ناحية، ورجل آخر يمشي لوحده وكلما نزل السيّد في موضع نزل ذلك الرجل في موضعه منفرداً، وكلّما رحل السيّد رحل ذلك الرجل؛ فالتفت السيّد إليه ونحن سائرون فأومأ إليه، فقدم الرجل وقبل يدي السيّد، وجعل السيّد يسأله عن رجال وصبية ونساء يسمّيهم كلهم بأسمائهم من أهل بيت ذلك الرجل ومن جيرانه حتى سأله عمّا يقرب من أربعين نفساً، والرجل يجيبه عنهم

مستبشراً وهو غريب ليس من شكل أهل العراق ولا من لهجتهم في اللسان، فسألنا السيّد، فقال هو من أهل اليمن. فقلنا متى سكنت في اليمن حتى عرفت هؤلاء؟ فأطرق رأسه، فقال: سبحان الله لو سألتني عن الأرض شبراً شبراً لأخبرتك بها(١).

أشهر تلامذته:

وقد تخرَّج على يديه من مدرسته كثير من الأفاضل والعلماء الذين درسوا على يديه أو حضروا درسه من أشهرهم الشيخ أحمد النراقي ١١٨٥هـ- ١٢٤٥هـ، الشيخ إبراهيم العاملي ١١٥٤هـ- ١٢١٤هـ، الشيخ أسد الله التستري ١١٨٥هـ- ١٢٣٤هـ، السيّد أبو القاسم الخونساري ١١٦٣هـ- ١٢٤٠هـ، الشيخ أحمد الإحسائي ١١٦٦هـ- ١٢٤١، السيّد باقر القزويني المتوفى سنة ١٢٤٦هـ، الشيخ محمد إبراهيم الكلباسي ١١٨٠هـ- ١٢٦١هـ، السيّد محمد باقر حجّة الإسلام الرشتي ١١٧٥هـ- ١٢٦٠هـ، الشيخ محمد تقي ملاّ كتاب المتوفى حدود سنة ١٢٥٠هـ، الشيخ جعفر النجفي المالكي الملقّب بكاشف الغطاء ١١٥٦هـ- ١٢٢٨هـ، السيّد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة ١١٦٠هـ- ١٢٢٦هـ، الشيخ حسين نجف ١١٥٩هـ- ١٢٥١هـ، الشيخ محمد رضا النحوي المتوفى سنة ١٢٢٦هـ، الشيخ زين العابدين السلماسي المتوفى ١٢٦٦هـ، السيّد صدر الدين العاملي ١١٩٣هـ- ١٢٦٣هـ، السيد محسن الأعرجي ١١٣٠هـ- ١٢٢٧هـ.

مؤلفاته:

وله مؤلفات كثيرة أشهرها الفوائد الرجالية، وتحفة الكرام في تاريخ

---

(١) المستدرك/ النوري: ج ٣/ ص ٣٨٣. دار السلام/ النوري: ج ٤/ ص ٤٢٣.

مكة والبيت الحرام، الدرّة النجفية، المصابيح في الفقه.

من أهمّ أعماله:

١ـ بالإضافة إلى جهاده الديني في بناء الجهاز المرجعي وسعيه لتطوير الإدارة الدينية للرمجعية بإشراك المجتهدين المؤهلين الآخرين بتلك الإدارة، والتي بقيت آثارها إلى حدّ ما في مرجعية الشيخ جعفر كاشف الغطاء ومن بعده في مرجعية الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.

٢ـ فإنّه حمجل القادة الروحانيين مهمة زمنية بقيادة الأمّة بالمقدار الذي تسنح وتسمح به الظروف الاجتماعية والسياسية وامتدّ ذلك الشعور والإحساس بالواجب، وكان واضحاً في مرجعية خلفه الشيخ جعفر.

٣ـ فتحه الحوار مع أصحاب المذاهب الأخرى بشكل طبيعي وذكي.

٤ـ تأسيس الحوار مع علماء الأديان الأخرى، وقد حفظ لنا التاريخ حواره مع علماء اليهود في منطقة الكفل والتي كانت وقتها تشكل قاعدة مهمة لمعتنقي الدين اليهودي.

٥ـ تزعمه للنهضة الأدبية وإحياؤه الاهتمام بالأدب والشعر العربي.

٦ـ تعميقه وترسيخه للتأسيس العلمي الأصولي الذي اضطلع به أستاذه الوحيد البهبهاني، وتمّت معالمه وخطوطه على يد السيّد بحر العلوم، فإنه استطاع تأسيس مدرسة تهتم بالأخبار والفقه الاستدلالي المبتني على النص الصحيح، والاهتمام بعلم الرجال ودوره بالاستنباط الفقهي، كل ذلك إلى جنب احترام العقل كأصل من أصول الاستنباط الفقهي طبق الأسس التي ثبتها أستاذه الوحيد.

٧ـ اهتمامه بتربية الجيل العلمائي من لفاقه وتلامذته، ولاحظ ضرورة توفير صفتي العلم والتقوى فيهم، ولذلك بذل جهوداً كبيرة لتخريج مثل أولئك الأفذاذ الذين حفظوا الدين والمذهب، ودافعوا عن الحق وأداموا مسيرة الصالحين وأوصلوا لنا الدين نقياً من البدع والانحراف.

٨ـ اهتمامه بترسيخ وتوطيد المشاعر الدينية والحفاظ عليها، ونلاحظ هذه الحقيقة من خلال آثاره العملية:

* فمنها: تعيين وتشييد مرقدي هود وصالح عليهما السلام في منطقة وادي السلام في النجف الأشرف، وكان مكان قبرهما قبل ذلك يبعد عن المكان الذي عيّنه (الكشميري) بعشرات الأمتار، فأمر بنقض الأول وبناء الثاني.

* كما أنه عين قبر المختار بن أبي عبيدة الثقفي قرب قبر سيدنا مسلم بن عقيل عليه السلام وهو معروف حالياً، ولم يكن معروفاً قبل ذلك.

* ودفن أرض مسجد الكوفة وكانت قبل ذلك مساوية في العمق لأرض ما تسمّى حالياً بـ (السفينة) ومساوية للسرداب المعروف ببيت الطشت، وعين المقامات في المسجد وبنى فيها العلامات والمحاريب كما هي اليوم ووضع المحاريب الحالية فوق المحاريب الأصلية التي كانت على أرض المسجد، ووضع الرخامة في مقام النبي صلى الله عليه وآله وهي بمنزلة الشاخص لمعرفة أوقات الصلاة وهي عامود من الرخام.

وبنى في هذا المسجد أيضاً حجرات لإيواء المعتكفين والزوار، وبنى سوراً له، وغير ذلك من تعميرات عامة في نواحي المسجد وحواليه.

* وعين مقام الحجّة المهدي (عجّل الله تعالى فجره الشريف) في مسجد السهلة، وشيّد عليه المقام المعروف حالياً، وكان قبل ذلك يبعد عن المقام الذي عيّنه رضون الله تعالى عليه أكثر من عشرة أمتار، فنقضه، وبنى المقام الصحيح، وبنى قبّة من الكاشي الأزرق عليه كما هي اليوم.

* وعني بمقام الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف في وادي السلام، وبنى هناك مقاماً باسمه عجّل الله تعالى فرجه يقصده الناس للعبادة وقضاء الحوائج، وهو مقام معروف.

* كما أنه جدّد بناء جامع الشيخ الطوسي رحمه الله ووسعه، وهو من المساجد المعروفة في النجف الأشرف، وفيه مرقد شيخ الطائفة الطوسي رحمه الله.

* تعبيده أرض الصحن الغروي الشريف، قال الشيخ جعفر آل محبوبة: (كانت أرض الصحن المطهر القديمة منخفضة وهي محل القبور التي يدفن بها اليوم، ولمرور عشرات من السنين وما يحصل فيها من مجاري السيل وهبوب الرياح وما تجلبه من التراب والأحجار الكثيرة ارتفعت الأرض المحيطة بالصحن المقدس من سائر جهاته، وتوعّرت أرضه لكثرة ما فيها من القبور والمحاريب وكانت سائر المحاريب ظاهرة بارزة على وجه الأرض حتى كان عصر العلاّمة الكبير السيّد محمد مهدي بحر العلوم رحمه الله فلما رأى ذلك ولم يكن بالسهل المشي في الصحن المقدس أمر بطمّ ساحة الصحن وعملت السراديب على ما هي عليه اليوم، وعبّدت أرضه بالصخر المرمر وكان ذلك سنة ١٢٠٦.. الخ.

* تجديده بناء الرأس كما نسب إليه رحمه الله، قال الشيخ جعفر رحمه الله: (مسجد الرأس؛ وهو مسجد واسع المساحة، ضخم الدعائم، كثير

الأسطوانات، متقن البناء، بابه في الصحن الشريف في الإيزان تحت الطاق (الساباط) مقابل الرواق من جهة الرأس الشريف ويتّصل بتكية (البكتاشية) وهو قديم، ويظهر من جدرانه المُنَضَّدَة بالأحجار الكبيرة أنه بني مع الحرم العلوي، وينسبه البراقي إلى الشاه عباس الأول كما هو الشائع عند النجفيين، وفي أحد محاريبه صخرة مكتوبة بحروف بارزة، ويحسب البعض أن لها شأناً في الطلسمات، وجدد هذا المسجد سنة ١١٥٦ مع تذهيب القبّة والمأذنتين بأمر رضية سلطان بيكم. . ويقال إنه شيّد ثانياً في أيام العلاّمة السيّد بحر العلوم رحمه الله وبأمره وأنه كان يقول لبعض خواصّه أنه موضع رأس الحسين عليه السلام وأن المسجد بنى عليه ولأجله).

* ونقل عن كتاب (مرآة الأحوال) أن بناء مسجد السهلة الحالي وبناء مسجد زين بن صوحان، وبناء مسجد صعصعة بن صوحان، وبناء قبر كميل بن زياد، وبناء قبر ميثم التمار، وبناء قبر مسلم بن عقيل، وبناء قبر هاني ابن عروة، كلها من آثار العلاّمة بحر العلوم.

من كراماته

أنه خرج في يوم صائف شديد الحرّ، ولم يزل به مرض الخفقان، فعجبوا كيف جاز عنده السفر في ذلك الحر وهو في تلك الحال. وكان ممّن سافر معه الشيخ حسين نجف (قدّس سرّه)، فلمّا كانوا في البرية على رواحلهم أقبلت غمامة فضللتهم، فجاءهم نسيم بارد، وصاروا كأنهم في سرداب، وتبعتهم الغمامة تسير معهم حتى قربوا من (الخان)، فتخلف الشيخ حسين نجف يتكلم مع رجل في مطلب، وسارت الغمامة مع السيّد، فأشرقت الشمس على الشيخ وكان في حرّها الشديد بعد ذلك البرد، فسقط مغميً عليه لكبر سنّه، وضعف بنيته، فحمل حتى أُدخل (الخان)، ووضع إلى جنب السيّد.

فقال الشيخ سيدنا لِمَ لَمْ تدركنا الرحمة؟

فقال: لِمَ تخلفتم عنها؟

وفي جوابه تورية لطيفة[(١)].

* وعن السيّد محمد بن السيّد هاشم الموسوي، قال: سمعت من الشيخ محمد آل حاج داود الخزعلي وكان في غاية الزهد والورع

(١) دار السلام/ النوري: ج ٤/ ص ٤٢٥.

والسخاء والكرم وصفات أهل الله النفسانية والبدنية، وكان من أهل الصدق في حديثه، وكان في أول أمره مثرياً جداً، ثم افتقر ولم يفرّق بين حالتيه في الرضا والشكر، وكان يقال إنه من أهل العلم، وكان كثيراً ما يسبر كتب الأحاديث، وكان مطلعاً على أكثر ما في أصول الكافي وفروعه وغيره؛ قال: كان السيّد جواد العاملي رحمه الله ـ صاحب مفتاح الكرامة ـ يتعشى ليلة إذ طرق الباب عليه طارق عرف أنه خادم السيّد بحر العلوم، فقام إلى الباب عَجِلاً، فقال له: إن السيّد قد وضع بين يديه عشاءه وهو ينتظرك فذهب إليه عجلاً، فلما لاح للسيد، قال له السيّد: أما تخاف الله؟! أما تراقبه؟! أما تستحي منه؟!

فقال له: ما الذي حدث؟

فقال له: إن رجلاً من إخوانك كان يأخذ من البقال قرضاً لعياله كل يوم وليلة قسباً[1]، وليس يجد غير ذلك، ولهم سبعة أيام لم يذوقوا الحنطة والأرزّ، ولا أكلوا غير القسب، وفي هذا اليوم ذهب ليأخذ قسباً لعشائهم فقال له البقال: بلغ دينك كذا وكذا، فاستحى من البقال ولم يأخذ منه شيئاً وقد بات هو وعياله بغير عشاء وأنت تتنعّم وتأكل، وهو ممّن يصل إلى دارك، وتعرفه، وهو فلان.

فقال: والله مالي علم بحاله.

فقال السيد رحمه الله: لو علمت بحاله وتعشّيت ولم تلتفت إليه لكنت يهودياً أو كافراً، وإنما أغضبني عليك عدم تجسّسك عن إخوانك، وعدم علمك بأحوالهم، فخذ هذه الصينية يحملها لك خادمي، ويسلّمها بيدك

---

(١) القسب: هو نوع من أنواع التمر إذا يبس، وغالباً ما يكون من النوع المعروف بالزاهدي.

عند باب داره، وقل له: قد أحببت أن أتعشّى معك الليلة، وضع هذه الصرّة، وفيها من الدراهم تحت فراشه، أو بوريائه، أو حصيره، وابق له الصينية فلا ترجعها، وكانت كبيرة فيها عشاء، وعليه من اللحم والمطبوخ النفيس ما هو مأكل أهل التنعّم والرفاهية.

وقال السيد له: اِعلم أني لا أتعشى حتى ترجع إليّ فتخبرني أنه قد تعشّى وشبع.

فذهب السيّد جواد ومعه الخادم حتى وصلا إلى دار المؤمن فأخذ من يد الخادم ما حمله، ورجع الخادم، وطرق الباب، وخرج الرجل، فقال له السيّد: قد أحببت أن أتعشّى معك الليلة.

فلما أكل، قال المؤمن للسيد: ليس هذا زادك، لأنه مطبوخ نفيس لا يصلحه العرب، ولا نأكل حتى تخبرني بأمره، فأصرّ عليه السيّد جواد بالأكل، وأصرّ هو بالامتناع فذكر له القصة.

فقال: والله ما اطّلع على قصتنا أحد من جيرتنا فضلاً عمّن بَعُد، وأن هذا السيد لشيء عجيب.

قال سلّمه الله: وحدث بهذه القصة ثقة آخر غيره وزاد فيه اسم الرجل وهو الشيخ محمد النجم العاملي، وأنّ ما في الصرّة كان ستين شوشياً، كل شوشي يزيد على قرانين بقليل.

* ثم قال العلاّمة الشيخ النوري رحمه الله: وحدّثني بها الثقة الجليل الآغا علي رضا الأصفهاني عن خاصة السيّد وصاحب سرّه المولى زين العابدين السلماسي.

وأما الشيخ محمد الخزعلي فقد أدركته رحمه الله في آخر عمره، وقد جاوز المائة وكان فوق ما مدحه السيّد حرياً لكل ثناء جميل حشره الله مع أحبّته.

* وقال الشيخ النوري رحمه الله في ذكره أحوال السيّد بحر العلوم رحمه الله: (وهو من الذين تواترت عنه الكرامات ولقاؤه الحجة صلوات الله عليه، ولم يسبقه في هذه الفضيلة أحدٌ فيما أعلم إلا السيد رضي الدين علي بن طاووس.

* حدث المولى زين العابدين السلماسي (قدّس سرّه) تلميذ السيّد رحمه الله وخاصته في السر والعلانية قال:

كنت حاضراً في مجلسه في المشهد الغروي إذ دخل عليه لزيارته المحقق القمي صاحب (القوانين) في السنة التي رجع من العجم زائراً لأئمة العراق عليهم السلام، وحاجّاً لبيت الله الحرام، فتفرّق من كان في المجلس، وحضر للاستفادة منه، وكانوا أزيد من مائة، وبقيت أنا وثلاثة من أصحابه أرباب الورع والسداد البالغين إلى رتبة الاجتهاد؛ فتوجّه المحقّق الأيد إلى جانب السيّد، وقال: إنكم فزتم وحزتم مرتبة الولادة الروحانية والجسمانية، وقرب المكان الظاهري والباطين، فتصدّقوا علينا بذكر عائدة من موائد تلك الخوان، وثمرة من الثمار التي جنيتم من هذه الجنان، كي تنشرح به الصدور، وتطمئن به القلوب.

فأجاب السيّد من غير تأمّل، وقال: إني كنت في الليلة الماضية قبل ليلتين، أو أقل (والترديد من الراوي) في ا لمسجد الأعظم بالكوفة لأداء نافلة الليل، عازماً على الرجوع إلى النجف في أول الصبح لئلا يتعطّل أمر البحث والمذاكرة ـ وهكذا كان رأيه في سنين عديدة ـ فلمّا خرجت من المسجد أُلقي في روعي شوقاً إلى مسجد السهلة، فصرفت خيالي عنه خوفاً من عدم الوصول إلى البلد قبل الصبح، فيفوت البحث في اليوم، ولكن الشوق يزيد في كل آن، ويميل القلب إلى ذلك المكان، فبينما أقدم

رجلاً، وأؤخر أخرى، وإذا بريح فيها غبار كثير فهاجت وأمالت بي عن الطريق فكأنها التوفيق الذي هو خير رفيق، إلى أن ألقتني على باب المسجد، فدخلت فإذا به خالياً من العبّاد والززوار إلا شخصاً جليلاً مشغولاً بالمناجاة مع الجبّار، بكلمات ترق القلوب القاسية، وتسح الدم من العيون الجامدة، فتطيّرت وتغيّرت حالي ورجفت ركبتي، وهملت دمعتي من استماع تلك الكلمات التي لم تسمعها أُذني، ولم ترها عيني مما وصلت إليه من الأدعية المأثورة، وعرفت أن المناجي منشأها في الحال، إلاّ أنه ينشد بما أودعه في البال، فوقفت في مكاني مستمعاً متلذذاً إلى أن فرغ من مناجاته فالتفت إليّ وصاح بي بلسان العجم: مهدي بيا. (أي هلم يا مهدي).

فتقدمت إليه بخطوات، فوقفت، فأمرني بالتقدم، فمشيت قليلاً، ثم وقفت فأمرني بالتقدم، وقال: إن الأدب في الامتثال.

فتقدّمت إليه بحيث تصل يدي إليه، ويده الشريفة إليّ. وتكلم بكلمة. قال المولى السلماسي رحمه الله ولمّا بلغ كلام السيّد السند إلى هنا، اضرب عنه صفحاً، وطوى عنه كشحاً، وشرع في الجواب عمّا سأله المحقق المذكور قبل ذلك عن سر قلَّة تصانيفه مع طول باعه في العلوم، فذكر له وجوهاً.

فعاد المحقق القمي فسأل عن هذا الكلام الخفي، فأشار بيده شبه المنكر بأن هذا سرّ لا يذكر[١].

* وكانت وفاته في شهر رجب من سنة ١٢١٢هـ وله من العمر حين وفاته سبع وخمسون سنة فقط.

---

(١) دار السلام/ النوري: ج ٢/ ص ٢٠٧ـ ٢٠٨.

وقد ضجّ الناس لوفاته وكان يوماً مشهوداً.

وصلّي عليه بالصحن العلوي الشريف ثم نقل جثمانه الطاهر ودفن إلى جنب قبر شيخ الطائفة الطوسي.

وقد نقل السيّد محمود الطباطبائي في جملة كراماته أن قال: ومن ذلك ما اشتهر من نياحة الجن عليه طاب ثراه في السرداب المتوفى فيه[1].

وذكر غير واحد من الأجلاّء أنه لما دفن وأهيل عليه التراب سمع الحاضرون قائلاً لا يرون شخصه، ينشد هذين البيتين، ولم يعرف قائلهما إلى الآن:

لله قبرك من قبر تضمّنه
علم النبيين من نوح إلى الخلف
كانت حياتك إحياءً لمّا شرعوا
وفي مماتك موت العلم والشرف[2]

(١) نجوم السماء: ص ٣١٦.
(٢) تحفة العالم/ السيد جعفر آل بحر العلوم: ج ١/ ص ٢٠٣.

سيرة العارف الكامل
السيّد علي الشوشتري (قدس سره)

العارف الكامل السيّد علي الشوشتري

العارف الكامل آية الله السيّد علي الشوشتري[1] أحد ألمع نجوم سماء العرفان في العصر الأخير، وصي الشيخ الأنصاري (ره) وهو الذي صلّى على جنازة الشيخ وقول التدريس من بعده على منبره. فكان كأنه الشيخ.. وكان المرحوم الآخوند الخراساني[2] (ره) يحضر مجلس درسه.. وكان السيّد يولي الآخوند عناية خاصة.

وينتهي نسب السيّد علي الشوشتري إلى المحدث الجزائري على النحو التالي: السيّد علي بن السيّد محمد بن السيّد طيب بن السيد محمد بن نور الدين بن المحدث الجزائري[3].

---

(١) ينبغي التنبيه على أنه حيث يرد مدح العارف في هذا الكتاب، فإن المقصود العارف بالمعنى الحقيقي... مثل هؤلاء العلماء الذين ترد أسماؤهم في هذا القسم.. أي الأشخاص الذين يلتزمون تماماً بالشريعة الإسلامية وفقه الإمام جعفر الصادقعليه السلام لا ؤولئك الذين يعتمدون على عقلهم الناقص ويخرجون من دائرة الشريعة ولا يطبقون تعاليم الإسلام.

(٢) صاحب «كفاية الأصول» علم من أعلام الشريعة أستاذ العلماء، وقائد «ثورة المشروطة» في إيران ويأتي الكثير مما يدلّ على سموّ منزلته / رضون الله عليهُ.

(٣) زندگاني شيخ أنصاري (حياة الشيخ الأنصاري ـ ١٣٥). والمحدث الجزائري هو السيد نعمة الله الجزائري لتميذ العلاّمة المجلسيرحمه الله، وصاحب الأنوار النعمانية (١٠٥٠ـ ١١١٢هـ) «المترجم».

* يقول عنه صاحب «المآثر والآثار»:

المشهور بالزهد والرياضات الشرعية ومخالفة النفس. . من جملة رؤساء المذهب من العدّة المعدودة الذين طبق صيتهم الأرجاء، كان شيخ الطائفة أستاذ الكل الشيخ الأنصاري يرجّحه على جميع أصحابه علماً وعملاً. . بل كان عليه الرحمة يعتبر نفسه مريداً له[١].

* ويقول صاحب «لؤلؤ الصدف»:

السيد الجليل القدر صاحب الكرامات المتواترة الحاج السيّد علي الشوشتري وهو يعتبر من زهّاد العلماء وقد كان المرحوم الشيخ الأنصاري - رغم أنه كان في غاية الزهد والورع والكرامات يجلّ هذا السيّد الجليل بما لا مزيد عليه».

وجاء في «دار السلام»:

المرحوم الحاج السيّد علي الشوشتري من أولاد السيّد نعمة الله الجزائري ومن المجاورين في النجف الأشرف، كان سلمان عصره في الورع والزهد والتقوى وقد رجعت إليه أمور الخلق بعد وفاة الشيخ. . كان مواظباً على الاعتكاف في مسجد السهلة، والكوفة، وكان الناس يظنون أنه يتشرّف بلقاء صاحب الزمان عليه السلام. . وكان معروفاً بالكرامات[٢].

ومشايخ السيّد علي الشوشتري في الإجازة هما الشيخ الأنصاري والسيّد حسن، إمام جمعة شوشتر، التحق السيّد بالرفيق الأعلى في النجف الأشرف عام ١٢٨٣هـ.ق. ودفن في المقبرة المتّصلة بباب

---

(١) المآثر والآثار/ ١٤٥.

(٢) دار السلام للشيخ محمود العراقي - فارسي / ٥٥٠.

القبلة للحرم الشريف مقابل مقبرة الشيخ الأنصاري[1].

* لهذا السيّد الجليل قصة طريفة فقد درس في النجف الأشرف، حتى بلغ مرتبة الاجتهاد، وأجازه علماء النجف ثم عاد إلى وطنه، فاشتغل بالتدريس والقضاء[2] وهنالك وقعت القصة التي يرويها السيّد العلاّمة الطباطبائي (صاحب الميزان) عليه الرحمة فيقول: قبل حوالي مائة سنة كان في شوشتر عالم جليل القدر.. وكان مرجع الناس في القضاء والأمور العامة إنه السيّد علي الشوشتري. كان مشتغلاً كسائر العلماء الأعلام بالتدريس والقضاء وشؤون المرجعية.. وذات يوم، فجأة طرق باب المنزل طارق.. وعندما سأله السيّد من أنت قال: اِفتح الباب، شخص له معك شغل...

عندما يفتح السيّد علي الباب يرى شخصاً نساجاً فيسأله: ماذا تريد..

يقول النسّاج: الحكم الفلاني الذي حكمت به بناء على دعوى الشهود بملكية العقار الفلاني للشخص الفلاني (هذا الحكم) ليس صحيحاً، هذا العقار لطفل صغير يتيم، ووثيقة ذلك (الحجة) مدفونة في المكان الفلاني..

هذا الطريق الذي سلكته خاطىء وليس لك.

يقول آية الله الشوشتري: وهل أخطأت؟ يقول النسّاج: كما قلت لك.. يقول ذلك وينصرف.. ويستغرق آية الله الشوشتري في التفكير من

---

(١) زندگاني شيخ أنصاري/ ١٣٥/ ١٣٨ بتصرف.

(٢) المصدر السابق وطرائق الحقائق ٣٩/ (٤٦ـ ٤٦٧) وقد تصرّفت في طريقة عرض هذه القصة لأسباب فنية (المترجم)

هو هذا الرجل. . وماذا قال. . وقرر أن يتأكد من صحة كلامه فيتبين أن وثيقة ملك لاطفل اليتيم مدفونة في ذلك المكان. . والشهود الذين شهدوا على ملكية غيره كانوا شهود زور. . يخاف السيّد على نفسه كثيراً ويقول في نفسه: ومن يدري أن كثيراً من الأحكام التي حكمت بها ليست من هذا القبيل فيستبدّ به الخوف. . وفي الليلة التالية وفي الوقت نفسه يطرق النساج الباب قائلاً يا جناب السيّد علي الشوشتري الطريق، ليس هذا الذي تسلك. . وفي الليلة الثالثة يتكرر ذلك بهذه الكيفية ويقول النساج: لا تتأخر، هيىء أثاث البيت للسفر ـ بع البيت وتشرف بالانتقال إلى النجف الأشرف وأعمل بما قلت. وانتظرني بعد ستة أشهر في وادي السلام في النجف.

ويبدأ المرحوم الشوشتري بتنفيذ التوجيهات. . يبيع البيت، ويستعدّ للسفر إلى النجف الأشرف.

وبمجرد أن يصل إلى «وادي السلام» مع شروق الشمس يجد النساج هناك وكأنه نبع من الأرض فيزوّده بتوجيهات وينصرف.

ويدخل المرحوم الشوشتري إلى النجف ويعمل بهذه التوجيهات فيصل إلى مرتبة سامية ومقام لا يمكن بيانه.

كان رحمه الله يحضر درس الشيخ الأنصاري في الفقه والأصول وكان المرحوم الشيخ يحضر درسه في الأخلاق مرة في الأسبوع، وبعد وفاة الشيخ تولى السيّد التدريس بدلاً منه وبدأ من حيث انتهى الشيخ. . إلا أنّ الأجل لم يمهله إذ توفي بعد فترة قصيرة وفي هذه المدة (التي عاشها بعد الشيخ) كتب المرحوم الشوشتري رسالة إلى أحد طلاب حوزة الشيخ الأنصاري البارزين وهو الآخوند الملاّ حسينقلي (عبد الحسين)

الهمداني ـ الذي كانت تربطه منذ زمن بعيد في زمان الشيخ صلة وكان يستفيد منه في المجال الأخلاقي والعرفاني وبعد الشيخ قرر أن يدرس بل ويكمل مباحث الشيخ التي كان قد كتب تقريراتها، كتب إليه في هذه الرسالة يوضح له أن طريقتك غير مكتملة ويجب أن تحصل على مراتب أخرى عالية، وقد تأثر كثيراً بهذه الرسالة التي أرشدته إلى وادي الحق والحقيقة، (وباختصار فإن) المرحوم الآخوند ملا حسينقلي الهمداني الذي كان منذ سنوات عدّة قبل وفاة الشيخ يستفيد من مجلس درس المرحوم الشوشتري في المعارف الإلٰهية، فاق الأقران في مجاهدة النفس وأصبح من عجائب الدهر وربى طلاباً أبدالاً كان كل واحد منهم يعتبر قطب رحى المعرفة والتوحيد، ويعتبر المرحوم السيّد أحمد الكربلائي أحد أبرز طلاب الآخوند الهمداني رحمه الله.

* ويضيف العلاّمة رحمه الله: وقد كان أستاذنا العظيم العارف الذي لم يجد الدهر بمثله المرحوم السيّد علي القاضي التبريزي من تلامذة المرحوم الكربلائي، هذه سلسلة أساتذنا التي تنتهي إلى المرحوم الشوشتري، وبعده إلى ذلك الرجل النسّاج، ألا أنه لا يعلم أن هذا النساج من هو، وبمن كان ارتباطه ومن أين وبأية وسيلة حصل على هذه المعارف والعلوم[١].

(١) لب اللباب (١٥٤ـ ١٥٨). و«ياونامه علامة طباطبائي/ ٩٨ نقلاً عن السيّد محمد حسن إلٰهي القاضي أخو العلاّمة الطباطبائي عليهما الرحمة.

سيرة العارف الجليل

الشيخ حسينقلي الحمداني (قدس سره)

العارف الجليل الشيخ حسينقلي الحمداني

العارف الجليل والفقيه الصالح والحكيم المرحوم الشيخ حسينقلي الهمداني من أبرز طلاّب السيّد علي الشوشتري وأكبر أساتذة العرفان والأخلاق في الفترة الأخيرة الذي لم يصل أحد بعده إلى مرتبته.

* «من أعاظم العلماء» وأكابر فقهاء الشيعة وخاتمة علماء الأخلاق في عصره» «وهو في خصوص هذا العلم أمر عظيم لا يحدّه وصف، فقد مضت حقبة طويلة لم يجد خلالها الزمن بمن ماثله في علم الأخلاق وتهذيب النفوس وقد ختم به هذا الفن[1].

* يقول عنه تلميذه الكبير المرحوم ملكي تبريزي:

ما رأيت له نظيراً في المراتب المذكورة[2] ويريد بها العبادة وطول السجود.

وبعد أن دعاه المرحوم الشوشتري إلى تربية النفوس المؤهلة.. اهتم بتربية ذوي القابليات.. بحيث أن وقته كان مخصصاً من الصبح حتى طلوع الشمس لقسم منهم، ومن طلوع الشمس إلى صدر النهار لقسم

(١) نقباء البشر ـ طبقات أعلام الشيعة ج ٢/ ٦٧٤ و٦٧٥.
(٢) الفوائد الرضوية ١٤٨ والمصدر السابق.

آخر، وهكذا.. حتى أن ليله كان مقسماً كذلك، أول الليل لفريق وآخره لفريق آخر جنى تسنطته أن يربّي عدداً كبيراً كلاً منهم كان يعتبر من أولياء الله[1].

★ **بعض تلامذته:**

١ـ الشيخ محمد البهاري من قرية بهار في همدان المتوفي سنة ١٣٢٥هـ، وقد أوصى الشيخ الهمداني إليه عند وفاته.

٢ـ السيد أحمد الكربلائي.

٣ـ آقا رضا التبريزي.

٤ـ السيد كمال المشهور بميرزا آقا دولت آبادي.

٥ـ السيّد محمد سعيد الجنوبي الشاعر النجفي المشهور.

٦ـ الشيخ موسى شرارة.

٧ـ السيد حسن الصدر.

٨ـ السيد مهدي الحكيم النجفي.

٩ـ الشيخ باقر القاموسي النجفي.

١٠ـ السيّد عبد الغفاري المازندراني.

١١ـ الشيخ محمد باقر النجم آبادي.

١٢ـ السيد علي الهمداني.

١٣ـ الشيخ علي القمي.

---

(١) أسرار الصلاة/ ٢٧٠.

من رسائل ووصايا ومواعظ آية الله الشيخ حسين قلي الهمداني

وتشتمل علىٰ:

١ـ منهج سلوكي إلى الله بالورع والذكر والفكر والحب والبغض في الله

٢ـ موعظة حسنة في التحذير من الدنيا وحبها وظلماتها

٣ـ مناجاة في ذكر الموت

٤ـ عتاب وموعظة للنفس ومناجاة للرب

٥ـ موعظة في مفاسد جنود الجهل والشيطان على القلب

٦ـ منهج عملي للدخول في زمرة أصحاب اليمين

منهج سلوكي إلى الله
بالورع والذكر والفكر والحب والبغض في الله

هو الله تبارك وتعالى شأنه

رسالة من رشحات القلم المبارك لمجمع الفضائل والمعاني ومفخر الأفاضل والأعالي صاحب النفس الزكية والأنفاس القدسية الذي قلبه الملكوتي مشكاة أنوار العرفان وصدره القدوسي مخزن أسرار السبحان علم الأعلام والبحر القمقام وشمس الظلام العالم الزاهد الآخوند المولىٰ حسين قلي الهمداني (قدّس سرّه) العزيز كتبها لأحد علماء تبريز.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

لا سبيل إلى القرب الإلهي إلاّ بالعمل بالشريعة

لا ينبغي أن يخفىٰ على الأخوة في الدين أن لا سبيل إلى قرب حضرة ملك الملوك جلّ جلاله إلاّ بالالتزام بالشرع الشريف في جميع الحركات والسكنات وما يصدر عن اللسان من كلام وعن العين من لحظات وغير ذلك، وسلوك طريق العمل بالخرافات الذوقية ـ وإن كان الذوق حسناً في

غير هذا المقام؛ لا يُوجب إلاّ بعداً عن القرب الإلٰهي، كما هو دأبُ الجهال والصوفية خذلهم الله جلّ جلاله، بل وحتى الذي يلتزم بعدم قصّ الشارب وعدم أكل اللحم، فليعرف ـ إذا كان قد آمن بعصمةِ الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم ـ أنه بعمله هذا سيبتعد عن حضرة الأحدية[1]، وهكذا الحال لو عمل في كيفية الذكر بغير ما ورد عن السادات المعصومين عليهم السلام[2].

الجد والاجتهاد في الورع عن المعاصي

من هنا يجب أن يقدمَ ما ورد في الشرع الشريف ويهتمّ بما اهتمّ به. وما استفدته أنا الضعيف من البراهين العقلية والنصوص الشريفة أنّ أهمّ الأمور لطالب القرب من الله الجد والاجتهاد والسعي ـ بصورة كاملة ـ في ترك المعصية؛ فما لم تقم بهذه الخدمة، فلن ينفع قلبك لا ذكرك ولا تفكّرك، إذ لا تنفع العاصي للسلطان والمنكر له خدمته له. ولا أدري أي سلطان أعظم من هذا السلطان العظيم المطلق، وأي نقار أقبح من النقار معه؟!

دوام المراقبة لحفظ الأدب في مقدس الحضرة الإلهية

فافهمْ مما ذكرتُ أن طلبك المحبّة الإلٰهية مع كونك مرتكباً للمعصية أمرٌ فاسد جداً، وكيف يخفىٰ عليك كون المعصية سبباً للنفرة وكون النفرة

---

(١) لعل هذا الحكم سيصدق عليه لو كان يعلم بنهيهم عليهم السلام عن تلك الأعمال وأمثالها ومع ذلك يرتكبها.

(٢) وما روي عنهم عليهم السلام مشتمل على كل ما يحتاجه السالك وما عندهم ليس عند غيرهم وهو معصومٌ ـ كما هم معصومون ـ عن أن يتطرق إليه شيء من سوء الآداب في معاملة المذكور جلّ وعلا، فما الحاجة بعد ذلك إلى الأخذ من غيرهم وهم أمناء الله على وحيه.

لا تجتمع أبداً مع المحبة؟! فإذا تحقق عندك أن ترك المعصية أول الدين وآخره وظاهره وباطنه، فبادرْ إلى المجاهدة واْعمدْ بتمام الجد إلى المراقبة من أول قيامك من نومك في جميع أوقاتك إلى نومك، والزم الأدب في مقدس حضرته، واْعلمْ أنك بجميع أجزاء وجودك ذرةً ذرةً أسيرُ قدرته، وراعِ حرمة شريف حضوره، واعبدْه **«كأنك تراه فإن لم تكنْ تراه فإنه يراك»**[1]، **والتفت دائماً إلى عظمته وحقارتك، ورفعته ودناءتك، وعزّته وذلّتك، وغناه وحاجتك. ولا تغفل شناعة غفلتك عنه جلّ جلاله مع التفاتِهِ إليك دائماً، وقم بين يديه مقام العبد الذليل الضعيف وتبصبص تحت قدميه بصبصة الكلب النحيف. أو لا يكفيك شرفاً وفخراً أنه أذن لك في ذكر اسمه العظيم بلسانك الملوّث الذي نجّسته قاذورات المعاصي؟!**[2].

فيا أيها الأخ العزيز، لقد جعل هذا الكريم الرحيم لسانك خزانةً لجبل النور، أعني ذكر اسمه الشريف، فلا تلوّثها دون أدنىٰ حياء وخجل ـ وهي خزانة السلطان ـ بنجاسات الغيبة والكذب والقول البذيء والمؤذي وغيرها من المعاصي، فخزانة السلطان يجب أن تعبق بأريج العطور وماء الورد لا أن تكون مليئة بالقذارات.

ومما لا شك فيه أنك إن لم تدقق في المراقبة فلن تقدر أن تعرف ما

(١) صحيح مسلم ١: ٣٧، البخاري ١: ١٩، مصباح الشريعة: ٨ من الطبعة البيروتية، بحار الأنوار ٧٧: ٧٤.

(٢) في مناجاة الذاكرين (المناجاة الثالثة عشرة من المناجاة الخمس عشرة الملحقة بالصحيفة السجّادية) يقول زين العابدين عليه السلام: «إلٰهي لولا الواجب من قبول أمرك لنزّهتك عن ذكري إياك، على أن ذكري لك بقدري لا بقدرك، وما عسىٰ أن يبلغ مقداري حتى أجعل محلاً لتقديسك، ومن أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا وإذنك لنا بدعائك وتنزيهك وتسبيحك».

ترتكبه بجوارحك السبع ـ الأذن واللسان والعين واليد والرجل والبطن والفرج ـ من المعاصي وما توقده على نفسك بها من النيران، وما تجلبه بها على دينك من الفساد؛ وما تورده على قلبك من جروح منكرة بسيفِ اللسان ورمحه، فما أسعد حظك إن لم تقتله بها!

ولو أردتُ توضيح هذه المفاسد لما وسعها كتابٌ كامل، فما الذي أستطيعُ بيانه في ورقةٍ واحدة؟! وأنت الذي لم تطهر جوارحك من المعاصي كيف تتوقع أن أكتب لك شيئاً في أحوال القلب؟! إذن، فالبدار البدار إلى التوبة الصادقة ثم العجل العجل في الجد والمراقبة.

قيام الليل بالذكر والتفكّر مع حضور القلب

وملخّص الكلام؛ أنه لا ينبغي لطالب القرب الإلٰهي ـ بعد السعي الجاد في المراقبة ـ أن لا يغفل عن قيام الليل والتهجّد في الأسحار ساعة أو ساعتين ـ كحد أدنىٰ ـ قبل طلوع الفجر، ويستمرّ في ذلك إلى طلوع الشمس، فيصلي نافلة الليل ملتزماً بآدابها وبحضور القلب فيها، وإذا اتّسع وقته فليتوجّه إلى الذكر أو التفكّر أو المناجاة، لكن عليه أن يقبل على الذكر مع حضور القلب في مقدار معينٍ من ليله يخصصه لذلك. ولا ينبغي أن يخلو قلبه من الحزن في جميع حالاته، فإن لم يكن فيه حزنٌ فليحصل عليه بتوفير أسبابه(١).

---

(١) يعني ـ مثلاً ـ أن يتفكّر في حاله وما هو عليه من صفات لا يرتضيها الحبيب تبعده عنه، أو كثرة انشغاله عن ربه ـ تبارك وتعالىٰ ـ وغفلته عنه، أو أن يتفكّر فيما ضيّعه من عمره في البطالة والغفلة أو المعصية والعياذ بالله ـ أو في غير ذلك مما يبعث الحزن في قلبه بسبب الاستشعار الوجداني لتخلّفه عن ركب الأولياء والصالحين. وإلى تهيئةِ أسباب الحزن يشير الإمام علي عليه السلام في خطبته في وصف المتّقين (الخطبة رقم ٨٥) عندما يستخدم فعل «استشعر» في قوله «إن من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فأزهر مصباح الهدىٰ في قلبه...».

وعليه حتماً أن يتلو بعد الفراغ [من الصلاة] تسبيح سيدة النساء عليها السلام، وسورة التوحيد اثنتي عشرة مرة وذكر: «لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له له الملك... الخ» عشرة مرات، و«لا إلٰه إلاّ الله» مائة مرة، والاستغفار سبعين مرة، ويلتو ما تيسّر من القرآن الكريم ودعاء الصباح المعروف أعني دعاء: «يا مَن دلع لسان الصباح... الخ»[1].

تعظيم الخلق وخدمة المخلوقين

وينبغي أن يكون على وضوء دائماً، ومِن الحسن جداً أن يصلّي ركعتين بعد كل وضوء[2] لا سيما العلماء وبالخصوص أتقيائهم. ويجتنب حتماً، حتماً، حتماً كل مجلس يحتمل وقوعه في المعصية فيه، بل إن مجالسة أهل الغفلة دون ضرورة مضرة حتى لو لم تكن فيها معصية؛ فكثرة الاشتغال بالمباحات وكثرة المزاح واللغو واستماع الأراجيف تُميت القلب.

ولا فائدة من انشغاله بالذكر والتفكّر دون مراقبة وإنْ أوجد فيه إقبالاً، لأن مثل هذا الإقبال التوجّه مؤقت غير ثابت فلا ينبغي الانخداع به.

لا طاقة لي على المزيد، وأسألكم جميعاً الدعاء وأن لا تنسوا هذا الحقير كثير التقصير والمعاصي من الدعاء.

---

(١) تجده في مفاتيح الجنان المعرب: ٦٠، وذكر «لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له...» تقدم في هوامش الرسالة الأولى للسيد الكربلائي.

(٢) في الحديث النبوي **«من توضأ فأسبغ الوضوء وصلّىٰ ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيءٍ من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمّه»**. أخرجه أحمد في المسند: ٤: ١١٧، والراوندي في لبّ اللباب كما في مستدرك الوسائل ١: ٥٢ (المحجّة البيضاء ١: ٣٠٢).

وليتلو سورة القدر مائة مرة في ليلة الجمعة ومائة مرة عصر الجمعة.

حب الله وأوليائه وأتقياء العصر في الله وبغض أعدائهم في الله

ومن الأبواب العظيمة للإيمان الحبّ في الله جلّ جلاله والبغض في الله جلّ جلاله، وقد عقد له في الوسائل وغيرها من كتب الأخبار باباً مستقلاً فأرجع إليها لعلّك تعرف عظمته وتأخذُ لنفسك نصيباً منه[1].

(١) راجع الباب (١٥) من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كتاب وسائل الشيعة (ج ١٦: ١٦٥ وما بعدها)، وفيه عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أحب لله وأبغض لله وأعطىٰ لله فهو ممّن كمل إيمانه»، وعنه عليه السلام: «من أوثق عرىٰ الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله وتعطي في الله وتمنع في الله»، وفي حديث الباقر عليه السلام أن يفعل ذلك: «... فهو من أصفياء الله» وتحقق ذلك مشروط بأن يعرف المؤمن أحباء الله ويعرف أعداءه فيحب هؤلاء ويبغض هؤلاء، قال الصادق عليه السلام: «ثلاثٌ من علامات المؤمن: علمه بالله ومَن يحب ومَن يبغض..»، وفي حديث الرضا عليه السلام: «..حب أولياء الله عزّ وجلّ واجب وكذلك بغض أعدائهم والبراءة منهم ومن أئمتهم»، وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام: «مَن أحب الله وأبغض عدوّه لم يبغضه لوترٍ وتره في الدنيا ثم جاء يوم القيامة بمثل زبد البحر ذنوباً كفرها له»، والمحبّة لا تكون صادقة إلاّ إذا اقترنت بطاعة المحبوب وأتباع أوليائِهِ وأحبائِهِ وهذا هو مصداقها كما يشير لذلك قول الإمام الباقر ـ سلام الله عليه ـ: «وهل الدين إلاّ الحب؟! ألا ترى إلى قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾، أولا ترى قول الله لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، وقال ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾... الدين هو الحب والحب هو الدين». وفي حديث الصادق عليه السلام: «وهل الإيمان إلاّ الحب والبغض...».
وهؤلاء الدين يجسّدون حقيقة الحب والبغض في الله يكونون «جيران الله» كما في الحديث النبوي: «إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ من الله عزّ وجلّ يُسمع آخرهم كما يُسمع أولهم فيقول: أين جيراني الله جلّ جلاله؟ فيقوم عنق من الناس فتستقبلهم زمرة من الملائكة فيقولون: ما كان عملكم في دار الدنيا فصرتم اليوم جيران الله تعالى في داره؟ فيقولون: كنا نتحاب في الله ونتوازر في الله تعالى. قال فينادي منادٍ من عند الله تعالى: صدق عبادي خلّوا سبيلهم فينطلقون إلى جوار الله في الجنة بغير حساب».

ولا شك أن المحبوب الأول هو الذات المقدسة لله جلّ جلاله، بل وكل محبةٍ لا ترجع إلى محبته فليست بشيءٍ. ثم بعده تجب محبة من كان هذا السلطان العظيم أشدّ حباً له، فالمحبوب الأول بعد واجب الموجود هو الوجود المقدّس لخاتم الأنبياء ـ صلوات الله عليه وآله ـ، ثم بعده أمير المؤمنين عليه السلام ثم الأئمة عليهم السلام ثم الأنبياء والملائكة ثم الأوصياء ثم العلماء والأولياء.

وليرجح في المحبة في زمانه أتقياء عصره لا سيما العلماء منهم على الذين يلونهم مرتبةً وهكذا يتنزّل؛ والمهم أن يسعىٰ من أجل أن يكون صادقاً في هذه المحبّة، وهذه مرتبة ليست هيّنة. ولو تفكّرتم في الأمر فستعرفون أن المدّعي للمحبة يكون صادقاً إذا ظهرت آثارها في حركاته وسكناته وإلاّ فلا. ولا أظنّك تصل إلى معرفة كنه هذا الأمر ولوازمه وليس في وسعي ـ أنا الحقير ـ التوضيح بأكثر من هذا.

والحاصل هو: لا طريق إلى القرب الإلٰهي إلاّ بالعمل بالشرع الشريف في كل أمرٍ كلّي وجزئي.

التحذير من الدنيا وحبها وظلماتها

في الموعظة الحسنة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الدنيا بحر عميق

يا رفيق لعب الأطفال، ويا حمّال الأثقال، ويا حبيس طامورة الجاه والملسوع بلسعةِ أفعىٰ المال، يا غريق بحرِ الدنيا وأسير هموم الآمال! ألم تسمع وتقرأ ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[1]؟! ألم تسمع قول ذاك الحكيم العارف بالغيب المنزّه عن كل شينٍ وعيب وهو يخاطب ابنه: «بُني إن الدنيا بحرٌ عميق غرق فيها الأكثرون»[2]؟ وأنا ـ الحقير ـ أقولُ عن تحقيق: (ونحن منهم).

إذا أردت أن تعرف عمق بحر حكمة هذا الحكيم الإلٰهي ففكر في لفظ «عميق» من كلامه الشريف، وانظر كثرة جواهر الحكمة التي يشتمل عليها هذا الصندوق الصغير ويهديها للمتفكرين في هذا الوصف. يكفيك

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣٦.

(٢) المقصود لقمان الحكيم، فقد ورد في وصيته لابنه: «يا بني، الدنيا بحر عميق قد غرق فيه ناس كثير، فليكن سفينتك فيها تقوىٰ الله، وحشوها الإيمان بالله عزّ وجلّ، وشراعها التوكّل على الله. .» نور الحقيقة في الأخلاق للحسين بن عبد الصدم الحارثي (والد الشيخ البهائي): ١١٨.

أن تعرف بأن في البحر حيتان وأسماك والكثير من الحيوانات العجيبة؛ وأن موارد المهالك فيه كثيرة لا تُحصىٰ، جزائره الرهيبة أذابت قلوب الشجعان وجباله المخيفة بلعت الكثير من الناس.

حب الدنيا من ظلمات الجهل

مصدر هذا البحر الرهيب هي ظلمات الجهل ومنها ينساب إلى أودية أراضي قلوب أهل الغفلة، وقد أغرقت أمواج آماله الكثير من سفن العمر، وهدّت جبال همومه الأقوياء وجعلتهم في عداد القتلىٰ، وأهلكت أفاعي معاصيه السامّة بسمّها الكثير من الناس، وابتلعت حيتان صفاته الذميمة أشخاصاً وشخصيات، وأعمت مياه محبّته المرة والمالحة العيون وسلبتها نور البصيرة. فكل مَن غرق في هذا البحر لم يخرج إلاّ إلى جهنم ليخلد في العذاب اوليم.

صفة عبدة الدنيا وأحوالهم

النسناس[1] هي صفة أهل هذا البحر من الناس وسباحتهم فيه هي في مسبح الوساوس، وقطّاع الطريق فيه هم جنود إبليس وسلاحهم الخداع والتلبيس. فإن سألت عن عمق هذالبحر، أقول: لا نهاية لعمقه، فإن لم تصدق، فٱنظر إلى أحوال الغواصين فيه أي عبدة الدنيا من الأولين والآخرين، فسترى أنهم جميعاً غرقوا فيه ولكن لم يصل إلى قعره أحدٌ منهم. وإن شئت أن تدرك حقيقة الأمر بصورة أفضل، فتدبّر في بؤس حالك فسترىٰ أنك تطلب المزيد مهما كثر ما عندك، إذْ لا حدّ ولا نهاية يتوقّف عندها الحرص.

أجل يا سيدي، كيف أذلّت هذه الدنيا الناس، وحوّلت قلوبهم التي

(١) حيوان أسطوري يشبه الإنسان وهو أقرب إلى القرد في شكله وله جثة ضخمة مخيفة والمراد هنا هو طغيان النزعة المادية على أهل الدنيا.

خلقت لمحبة الله ومعرفته إلى حظيرة للبغال والحمير، فجوارحهم متعفّنة من القذارات، وأفئدتهم لم تعرف الخشوع والخضوع [لله تعالى] يوماً، ولم تذق ولا ذرة من حلاوة الطاعة، فليس في كيانهم للتوبة أثرٌ، ولا في أوهام تفكّرهم المشؤوم لذكر الله جلّ جلاله خبر، يمزّقون ليلَ نهار بسيف اللسان وسنانه أعراض المسلمين وعصمتهم وحرمتهم، قلوبهم خالية من الذكر والفكر مليئة بالحيلةِ والمكر، قد أوثقت أيدي العقل وبسطت أيدي الأهواء التي أثخنت كبد الدين جراحاً وأنزلت بالشرع الشريف المصائب.

نزعوا لباس الربانيين وارتدوا زي الإفرنجة، واستبدلوا أطعمة الإسلام وأشربته بسمومٍ وزقوم النصارىٰ والدهريين، تركوا واجبات الشرع الحنيف وتمسّكوا بآداب الكفر، فأصبح سوق الكفر والشرك في بلادهم عامراً وسوق إسلامهم خرباً. وافضيحتاه! إن عساكر الكفر في ديار وجودنا منصورة ومسرورة وعساكر الإسلام بين مقتول وأسير[١].

الاغترار بالحلم الإلهي

لم نفكر في عاقبة أمرنا ولم نعتبر بالسياسات الإلٰهية مع الأمم الغابرة، فقد تصوّرنا أن واقعة طيور الأبابيل المهولة هي مجرّد مزحة، وقصة فرعون وقابيل طرفة! ولكن الأرض التي ابتلعت قارون مع كنوزه الوفيرة لا زالت موجودة معنا نحن أهل الانحراف والتيه. أجل يا عزيزي، إن الريح الصرصر العاتية التي أدّب بها قوم هود، لا زالت مطيعة لذاك القادر الحليم، فإن كنت أنت قد تجرأت على عصيان ذلك السلطان العظيم فإن التراب والماء والرياح والأحجار والصخور كلها

(١) يشير ـ رضون الله عليه ـ في هذا المقطع إلى ظهور آثار التغريب في بدايات القرن الهجري الرابع عشر في المجتمعات الإسلامية مشيراً إلى أخطارها في تدمير بنية المجتمع الإسلامي.

ذليلة منقادة له، فلا تخدع بحلمه وصبره ولا تغفل عن سريع حكمه فتنزع ثوب الحياء وتسير بقدم الجرأة عليه فتعصيه في محضر عزّه وجلاله؛ ألا ترىٰ كيف أن حكمه العزيز جارٍ في السموات والأرضين؟ ألم تسمع بأن السموات ستنشق يوم النشور؟

تذكر يوم الحساب

وما أدراك ما يوم النشور؟ ما الذي يمكن أن أقوله عن مصائب ذلك اليوم الذي سيعجّ بالحسرات والآهات، فقلوب الخائفين من خوفه محترقة، وكيف لا تحترق وتذوب الأفئدة من يوم تكون أرضه نيران متأججة، ويكون صراطه أدقّ من السيف القاطع، يوم تكون العقول فيه مشتتة والدموع جارية والنجوم منتشرة والناس فيه كالجراد المنتشر، فهوله عظيم، الأنبياء في اضطراب وقلق والأخيار في دهشة، والأبرار في غيبةٍ من الوعي، يوم كثير الشدائد، لا تحصىٰ مصاعبه، الشمس مكوّرة فوق الرؤوس والأرض مسجّرة كبوتقة الحداد، والأبدان غريقة العرق، واللحوم والعظام صريعة الحرقة، قد أحاطت بهم جهنم وسدّت عليهم طريق الفرار.

يوم يكون الظالم فيه مخزياً، والعادل قد فاضت من عينيه الدموع، الصحف تطايرت عن اليمين والشمال، والناس في دهشة وانتظار، يتردّد بينهم ملائكة غلاظٌ شداد، والعقوبات الإلٰهية على المردة والعصاة تشتد.

ومن أسماء ذلك اليوم، يوم الحساب ويوم التناد، فمن جهة ينادي منادٍ مبتسم بالبشرى فيقول: «يا أهل الجنة اركبوا»، ومن الجهة الأخرىٰ ينادي المنادي: «يا أهل النار اخسئوا»، يخلعون على هذا الخلع المباركة، ويجرون ذاك إلى النار، وطائفة ثمالىٰ من الشراب الطهور، وآخرون قد قطع أمعاءهم الزقوم والضريع.

أجل، إنني حائر، لا أدري هل أتحدث عن سخطه أم عن رحمته، أهل سخطه هم المخلّدون إلى التراب، وأهل رحمته هم الصاعدون إلى الأفلاك، أي الذين اتّصلوا بالأفلاك النورية ولكنهم لا يعبؤون بها، فأبدانهم روح وروحهم في عرش الرحمان. فداء للقلوب التي شعّ فيها نور الله جلّ جلاله فلا حدّ لمراتب جلالتهم، انقطعوا عن العالم واتّصلوا بعالم الأنوار، فنوروا بأنوار المعرفة وحلّوا بخلعةِ المحبّة، زهدهم ركل الدنيا بأسفل قدمه فظهر توكّلهم من عنق التوحيد، انقطعوا عن الخلائق فاستقرّ بها المقام في مقعد القرب، فكرهم نورٌ وذكرهم نورٌ، وباطنهم وظاهرهم وأجسامهم وأرواحهم وخيالهم وعقولهم وقلوبهم كلها نورٌ، فهي غارقة في بحر النور.

كفىٰ، أين أنا الملوّث من مدح ووصف المطهرين، فما يناسب أمثالنا هو تدبير أمر تكرنا للمعاصي، فإذا كنّا قد رسّخنا أصل الإيمان في قلوبنا ما كانت الدنيا لتخدعنا وتعمينا وتصمّنا عن التأثّر بأمثال هذه المواعظ بقلوبنا القاسية. وإني لأعلم أنّ على المريض الرجوع للطبيب وطاعته، وعلى الطبيب معالجته، وحالنا هو أن المريض ليس مطيعاً والطبيب ليس بحاذق! ولكن إذا كان المريض مطيعاً أوصله الربّ الرحيم إلى الطبيب الحاذق[1]، وإن لم يكن مطيعاً فالسكوت معه أولىٰ. والسلام.

---

(١) في هذه الفقرة إشارة إلى أن مَن يكون صادقاً في توجهه إلى الله تبارك وتعالى فإنّ الله جلّت قدرته يوصله إلى الطبيب الحاذق والوليّ الصادق الذي يعرفه بعيوبه والعقبات الصادّة له عن التقرّب منه تعالى ويأخذ بيده إليه تبارك وتعالىٰ أي الأستاذ السلوكي الذي لا غنىٰ عنه في طريق السير والسلوك إلى الله جلّ وعلا.

مناجاة في ذكر الموت[1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

إلهي، قد أصبتُ من الذنوب ما قد عرفت، وأسرفت على نفسي بما قد علمت، فاْجعلني عبداً إما طائعاً فأكرمته وإما عاصياً فرحمته.

إلٰهي، كأني بنفسي قد أُضجعت في حفرتها وانصرف عنها المشيّعون من جيرتها، وبكىٰ الغريب عليها لغربتها، وجادَ بالدموعِ عليها المشفقون من عشيرتها، وناداها من شفير القلب ذوو مودّتها، ورحمها المساوىء لها في الحياة عند صرعتها، ولم يخف على الناظرين إليها عند ذلك ضرُ فاقتها، ولا على مَن رآها قد توسّدت الثرى عجز حيلتها.

فقلتَ: ملائكتي فريدٌ نأىٰ عنه الأقربون، ووحيدٌ جفاهُ الأهلون، نزل بي قريباً وأصبح في اللحد غريباً، وقد كان لي في دار الدنيا داعياً، ولنظري إليه في هذا اليوم راجياً، فتُحسنُ عند ذلك ضيافتي وتكونُ أرحمع لي من أهلي وقرابتي.

---

(١) فقرات هذه المناجاة مقتبسة من الأدعية المروية عن أهل البيت عليهم السلام وخاصة دعاء الإمام السجّاد عليه السلام في أسحار شهر رمضان المشهور باسم رواية أبي حمزة الثمالي ومناجاة التائبين من المناجاة الخمس عشرة الملحقة بالصحيفة السجّادية. ونشير إلى أن هذه المناجاة كتبها المولى الهمداني في الأصل باللغة العربية.

إلهي، لا تغضب عليّ فلستُ أقوىٰ على غضبك، ولا تسخط عليّ فلستُ أقومُ بسخطك!

إلهي، أللنار ربتني أمي؟! فليتها لم تربني، أم للشقاء ولدتني فليتها لم تلدني.

عتاب وموعظة للنفس
ومناجاة للربّ (جلّ جلاله)

ومن كلامه أعلىٰ الله مقامه[1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

يا عبد الوهاب، كيف غفلتَ عمّا وهبك ربنا الأعظم جل جلاله، من النعم العظام والآلاء الجسام، ما أدري أيّاً منها أكتبها بقلمي العاجز، والحالُ أنه لو كانت الأشجار والنباتات كلها أقلاماً، والملائكة والثقلان كتاباً والبحار مداداً، فكتبوا حتى فنت الكتاب وأقلامهم وجفّ مدادهم، لما أتمّوا كتابة قطرة من عجائب نعمه وذرةً من غرائب آلائه.

سبحانك، سبحانك، لو بذلنا في طاعتك كل عمرنا وما غفلنا عنك طرفة عين، لكنّا مقصّرين في أداء بعض حقوقك، فكيف الحال وقد جلت مصيبتنا وعظمت رزيتنا إذْ أفنينا أعمارنا في الغفلة عنك، مع أنه كان ينبغي أن لا نغفل عن عظمةِ حضورك وجلالة سلطانك طرفة عين.

ما أدري بأي عقل أعرضنا عن ملازمة عظمتك المنيفة وحضرتك الشريفة، وقد ملأت عظمتك السموات والأرضين، وأطارت عقول

---

(١) هذه الموعظة كتبها المولىٰ الهمداني ـ رضون الله عليه ـ باللغة العربية وهي نموذج نافع لمحاسبة النفس ومعاتبتها ووعظها وتذكيرها.

الأنبياء والمرسلين، وزعزعت قلوبَ العارفين، فيا حسرتاه على ما فاتنا من فوائد مراقبتك وفرائد مراحمك ومكارمك. وامصيبتاه أنا زدنا على غفلتنا وتجرأنا في حضرتك العظيمة ارتكاب المعاصي المهلكة والجرائم الموبقة، وقد سوّدنا وجوهنا وصفحة صحيفة أعمالنا، وآذينا بآثامنا ونتنِ أعمالنا عمالكَ الكرام الكاتبين لأعمالنا القبيحة.

كم مِنْ سهام خطيئة صدرت منا شقّت كبد الدين، وكم من سنان ألسنتنا المحدودة بالغيبة والكذب والفحش واللعن والاستهزاء والمخاصمة والمجادلة والافتراء والإيذاء، قد جرحت قلب الشرع الشريف أي قلوب الأنبياء والمرسلين.

لقد أخرجنا قلوبنا عن أهلية إدراك شرف مراقبتك ولطف إطاعتك، ومُنذ أشغلنا ألسنتنا بذكرك أعرضنا عنك بقلوبنا الجافية الجائفة فوجهناها إلى آمالنا التافهة وشهواتنا المكدّرة من الجاه والاعتبار والدرهم والدينار والأثاث والعقار. ولو ظهرت قبائح ما ذكرناه في قلوبنا حال الصلاة، وأُخرجت صحيفة مشتملة على بعض ما مرّ على أفئدتنا فيها لرأينا أمراً فظيعاً وخطباً شنيعاً وشيئاً منكراً قبيحاً، ولمّا وجدتَ من الصلاةِ حرفاً ومن الحضور طرفاً!

فإذا كان هذا حال صلاتنا وهي من أعظم ما نرجو به التقرّبَ إليك، فواسوأتاه من سائر قبائح ما أجرمنا وشنائع ما ارتكبناه، فبأي وجه نلقاك، وبأي بدنٍ نقف بين يديك وبأي لسان نجيبك يوم ترتعد فيه فرائصُ النبيين وتتزعزع فيه أركان السموات والأرضين، وتُدهش فيه قلوبُ العارفين، وتضطرب فيه عقول المقرّبين، وتخرس فيه ألسنةُ الفصحاء، ويتشوّش فيه ذهن البلغاء، وتُزلزل الأرض، وتنشقّ السماء، وتشتدّ حرارة الهواء ويكثر البلاء!

يوم تعم البلوىٰ فيه الأخيار والأشرار ويطول فيه الانتظار ويضطرب نظام الموجودات، وتتصلُ الصيحةُ بالصيحة والرنة بالرنة، فواحدٌ ينادي: يا ويلتاه! وآخرٌ ينادي: واعطشاه! وآخر: وامصيبتاه! وآخرُ: واغوثاه!، وآخر: واذلاّه!

يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين، وقد أحاط بهم خدمُهُ وحشمُهُ، ملائكةٌ غلاظ شداد عابسة وجوههم على هيئةٍ مخيفة وأجسام كبيرة كبيرة، وبأيديهم ضرائب من النار، والناس بين أيديهم في أسر الذلةِ والمهانة يقودونهم للحساب، فما أدري ـ اللَّهُمَّ ـ كيف سيكونُ حالنا بين يديك، وأنىٰ لنا بالطاقةِ على تحمّل هذه المشاق التي تعجز عن بعضها الجبال الراسيات بل الأرضون والسماوات. فأي مناسبة بين اللحم والعظم وبين تلك النار؟ ومَن الذي يطيق السلاسل والأغلال والعقارب والحيّات التي كالجبال؟ وأي جسمٍ يقوىٰ على شرب الزقوم والضريع؟ ومن الذي يغيثنا في هذه البلايا والمحن وينجّينا من هذه الشدائد والفتن؟ وأنت يا غيّاث المستغيثين وأرحم الراحمين، هل توفّقنا لتوبة صادقة مقبولة لعلنا بعونك ندرك بعض ما فاتنا باستكانةٍ وخضوع وخشوع وركوع وسجودٍ؟ ويلٌ لنا إن تركتنا على هذه الحالة المهينة والأوصاف المهلكة والأفعال المشؤومة والقلوب القاسية والأمراض الصعبة المردية، فالغوث، الغوث، الغوث يا كريم.

فيا إخواني! انتبهوا من نومكم، وتفكّروا في عاقبتكم واعلموا أنه لا مفرّ من المجاهدة، ولا يغرّنكم شبابكم وداركم ومتاعكم، فإنها وبالٌ وعاقبتها نكال، فبادروا للتوبة قبل الحوبة، والبكاء والنوح قبل انقضاء المدة، وليكن هادم اللذات، أعني الموت: بين أيديكم، وأكثروا التفكّر فيه في الليالي المظلمة ولا تظلموا أنفسكم وأقرؤوا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾[1]. والسلام.

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ ـ ٨.

موعظة في مفاسد جنود الجهل والشيطان على القلب

ومن كلامه رضوان الله عليه

بسم الله تعالى

يا سلمان، أيها البعيد عن المعارف والمعاشر للأجانب، والمستأنس بأغنية الغرور والمستوحش لدار السرور، اصغِ لقولي لكي أبعث فيك الحركة والنشاط والحماس، وٱشرب هذه الأدوية الإلٰهية لكي تهبك العقل والفطنة. وٱعلم ـ على الأقل ـ أن سليمان النبي ـ صلّى الله جلّ جلاله على نبينا وآله وعليه وسلّم ـ، لم يتمكّن من إقرار حكمه على الإنس والجن إلا بعد أن دحر جنود النفس وإبليس المشؤومة في وجوده الشريف، ولم يُزين الخاتمخ الإلٰهي يدَهُ إلاّ بعد أن سلّط جنود العقل والرحمان في الحصن الحصين لمملكة قلبه.

وأنت، وأنت لا تعلم ما فعلته عساكر الشيطان الملعونة من مفاسد في قلبك، ولا تدري أي فتنٍ واضطرابات أوجدتها في مملكةِ فؤادك! تدبّر وانظر كيف أخذ حب الدنيا ـ وهو عماد أركان تلك الجنود المشؤومة ـ مكانه في قلبك، تدبّر جيداً ولاحظ أي استغاثات ارتفع بها

صوت دين الناس وأي مصائب حلّت به بسبب هذا القانون المشؤوم. فتارة يأمرك أن: أسع للوجاهة! وهو يريد أن يسقطك في بئره العميق. وتارة أخرىٰ يأمرك بجمع المال ليبتليك بأفاعيه. وهو يُزيّن لك كل ذلك ويوهمك بأن الجاه أمرٌ مرغوبٌ والمال شيءٌ مطلوب!

وأنت جاهل ببشاعة المرارات التي سيقع فيها طالب الجاه في الدنيا والآخرة، وبأنواع النفاق والخداع التي سيبتلي بها. الأمان الأمان من تبعات البيوت التي يخرّبها حكمه النحس، والغياث الغياث من الأموال المسلوبة بحكم أمره النحس. أي قلوب للمظلومين أفجعها بجوره، وأي عوائل وأسر قطع أواصرها وشتتها بظلمِهِ. لسانه يلهج بالبذاءة والغيبة والسخرية والكذب ومدح النفس والتفاخر والوعد والوعيد والإيذاء للمسلمين والناس[1]!

(١) علق جامع هذا الكتاب هنا بأن ما تبقىٰ من كلام المولىٰ الهمداني لم يحصل عليه، ويبدو أنه كان تقريراً لمجلس من مجالسه في الوعظ، ويبدو من المنقول من كلامه فيه أن موضوعه المحوري هو شرح حديث جنود العقل والجهل المروي عن الإمام الصادق عليه السلام، وهو من الأحاديث الجامعة المهمة في توضيح الأخلاق الحميدة المعبّر عنها بجنود العقل والرحمان والرذائل الأخلاقية المعبّر عنها بجنود الجهل وإبليس والنفس الأمارة بالسوء، وللإمام الخميني ـ رضون الله عليه ـ شرح قيّم لهذا الحديث طبع أخيراً بالفارسية لكنه لم يكمل شرح الحديث بكامله ولو اكتمل لشكل دورة أخلاقية متكاملة على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهذا الحديث الشريف مروي في الكافي والمحاسن للبرقي، ورواه الشيخ الصدوق في الخصال وعلل الشرائع، لاحظ بحار الأنوار ١: ١٠٩ وما بعدها.

منهج عملي للدخول في زمرةِ أصحاب اليمين

ومن كلامه قّدس سره

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على خير خلقه محمدٍ وآله الطاهرين،

وبعد؛ لا يخفىٰ على طلاّب النجاة والسعادة أن أهل الفلاح على مرتبتين: أصحاب اليمين والمقربون[1]، فإذا عمل طالب السعادة بعمل أصحاب اليمين ـ وهو اجتناب المعاصي ـ صار منهم، أما المقرّبون فلهم واجب آخر إضافة إلى وظيفة أصحاب اليمين، ولكن ليس المقام مقام توضيح وظيفة المقرّبين.

اسباب التجرؤ على المعصية

يجب أولاً معرفة حقيقة أنّ الإنسان إذا عرف حقارتَهُ وضعفه وعرف في المقابل عظمة وقدرة حضرة ملك الملوك جلّ جلاله، فسيعرق حتماً أن التجرؤ على ارتكاب المعصية في حضور مثل هذا السلطان العظيم أمرٌ

---

(١) لاحظ سورة الواقعة المباركة ففيها إشارات إلى خصائص ومقامات هاتين الطائفتين من المؤمنين.

في غاية القبح والشناعة والشقاوة. فكيف يغفل عن قدرة السلطان العظيم الذي لو أراد فناء جميع الموجودات لفنت ولحقت بالمعدومات بمجرّد إرادته ذلك. أما ما تراه من استهانتك بالمعصية فهو يرجع إلى أمور عدّة أذكر فيما يلي بعضها:

أولاً: أنك حصرت فكرك بالتوجّه إلى الدنيا الدنية، فغفلت بالكامل عن المنافع والمضار الأخروية(١)، فأنت لا تدري بما تحرمك المعاصي منه من المنافع والسعادات الأبدية الكثيرة جداً وبالتالي بالمضار الكثيرة التي تجلبها على نفسك بها(٢).

ثانياً: عدم انتباهك إلى حقيقة عجزك وحاجتك وفقرك وأن كلَّ أجزاء وجودك إنما تقوم بحفظ جنوده جلّ جلاله وهم الملائكة.

ثالثاً: جهلك بأنك غارق في بحر نعمه جلّ جلاله غير المحدودة التي نزلت وتنزل عليك وعلى جميع أعضاء بدنك في كل لحظة، وهي نعمٌ لا يحصرها بيان ولا يحصيها عدٌّ، فكيف تستخدم نِعمَهُ في معصيته(٣)؟!

رابعاً: وكيف تغفل عن عقابه الأليم؟ ألم تعلم أن ما بين الموت ويوم القيامة ألف غصّة وشدّة أيسرها شدّة نزع الروح، فكيف تغفل عن

---

(١) في الحديث النبوي: **«مَن أحب دنياه أضرّ بآخرته»** (وسائل الشيعة ١٦: ٩، باب تحريم حب الدنيا المحرّمة ووجوب بغضها من أبواب كتاب جهاد النفس.

(٢) لاحظ الفقرات الأولىٰ من دعاء كميل لمولىٰ الموحّدين علي عليه السلام ففيه إشارات بليغة إلى مضار الذنوب وآثار المعاصي، وراجع أيضاً كتاب ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للشيخ الصدّوق ففيه الكثير من الأحاديث الشريفة المبينة للأخطار والأضرار الجسيمة التي تنزلها المعاصي بصاحبها.

(٣) التفكّر في هذه النعم الجليلة والتدبّر في قدرة المنعم وضعف العبد وعجزه من العوامل المؤثرة في بعث الخوف والحياء لدىٰ العبد وهما من العوامل الرادعة عن المعاصي.

شدائد يوم القيامة؟ الأمان الأمان من رهبة ووحشة ذاك اليوم الذي يكون المقرّبون فيه في خوف واضطراب، ولماذا لا يكونون كذلك؟! فهو اليوم الذي تكون أرضه وفضاؤه ناراً، وجهنم محيطة بالخلائق والملائكة الغلاظ الشداد يأخذون ويجرون العتاة والمردة، الأبرار في وحشةٍ واضطراب والأشرار في أليم العذاب، الشمس فوق الرؤوس والأرض أحمىٰ من آتون الحداد، يحدق بهم من جهة خطر الحساب ومن الجهة الأخرىٰ الرهبة من دقّة الصراط، وهم بعد لم يصيروا إلى جهنم. هل أتحدث عن النار والسلاسل والأغلال أم عن حياتها وعقاربها؟

الورع عن المعاصي يوصل إلى المراتب السامية

وخلاصة الكلام، وكل ما تقدّم هو خلاصة لا تبلغ الواحد بالألف من حقيقة الأمر، إن كل وصاياي أنا البائس إليك هي الاهتمام بترك المعصية، فإذا أنجزت هذه الخدمة، فهي ستوصلك في النهاية إلى المراتب السامية، وعليك حتماً ولزاماً أن لا تقصر في اجتناب المعاصي، وإذا ارتكبتَ معصية ـ لا سمح الله ـ فعجّل إلىٰ التوبة وصلّ ركعتين عقبها بالاستغفار سبعين مرة ثم اسجد واطلب في سجودك العفو من ربك فالمرجو أن يعفو عنك(١).

وقد ذُكرت كبائر الذنوب في بعض الرسائل العملية، فتعرف عليها واتركها، والحذار الحذار من الغيبة والكذب وإيذاء الناس، فاجتنبها(٢)،

---

(١) في نهج البلاغة عن أمير المؤمنينعليه السلام قال: «ما أهمّني ذنبٌ أمهلتُ بعده حتى أصلي ركعتين»، وفي إرشاد القلوب للديلمي عنهعليه السلام قال: «ما من عبد أذنب ذنباً فقام فتطهّر وصلّىٰ ركعتين واستغفر الله إلاّ غفر الله له وكان حقّاً على الله أن يقبله لأنه سبحانه قال: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝١١٠﴾ [النساء: ١١٠]». (الوسائل ١٦: ٧٩).

وٱستيقظ قبل الفجر بساعة على الأقل، وٱسجد فور استيقاظك، وٱعمل بالمذكور في كتاب منهاج النجاة للمرحوم المولىٰ محسن الفيض ـ رضون الله جلّ جلاله عليه ـ فهو كافٍ وشاف لعمل ليلك ونهارك. واجتهد أن لا يكون عملك وذكرك باللسان وحده بل مع حضور القلب، فالعمل بدون هذا الحضور لا يصلح القلب وإن كان يترتب عليه القليل من الثواب.

اجتناب لقمة الحرام والاعتدال في المأكلنوٱهرب حتماً وحتماً من لقمة الحرام[1]، لا تأكل إلا الحلال، وقلّل الأكل بمعنىٰ أن لا تأكل ما يزيد على حاجة بدنك، لا تأكل بالمقدار الذي يثقلك ويصدّك عن العمل بالطاعات، ولا تقلل الأكل إلى الدرجة التي تضعف معها عن العبادة، وعليك بالصيام ما استطعت شريطة أن لا تملأ بطنك في الليل بدلاً من النهار! وملخص الكلام أن الأكل بقدر حاجة البدن أمرٌ ممدوح والمذموم هو الإفراط والتفريط معاً.

من آداب إقامة الصلاة

وٱبدأ الصلاة بقلبٍ مطهر من الحقد والحسد والغل والغش للمسلمين[2]، ويجب أن يكون لباسك وسجادتك ومحل صلاتك مباحاً، ورغم أن وجود النجاسات غير المتعدية في مكان المصلي ـ باستثناء محل

---

(٢) تخصيص هذه الذنوب بالذكر لشدّة مضارها وكثرة الابتلاء بها في الشؤون اليومية.

(١) في الحديث النبوي «**كل لحم نبت من حرام فالنار أولىٰ به**» المحجّة البيضاء ٣: ١٨، ومن المجرب أن لقمة الحرام والشبهة تثبط العبد عن الطاعات وتدفعه إلى المعاصي وتسلبه الغيرة.

(٢) استفادة لطيفة من دعاء التوجّه المندوب لتلاوته بعد تكبيرة الإحرام وهو «وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين»، إذ أن المسلم هو «الذي سلم المسلمون من يده ولسانه» فلا ينبغي أن يُبقي في قلبه شيئاً يؤذيهم ويتوب عنه قبل الدخول في الصلاة ولا ريب أن لذلك أثرٌ مهم في قبولها.

السجدة ـ لا يبطل الصلاة ولكن اجتناب ذلك أفضل.

وقمْ للصلاة قيام العبد في محضر مولاه الجليل، فالرقبةُ محنية والقلب خاضع وخاشع. واستغفر الله بعد فريضة الصبح سبعين مرة واْتلو كلمة التوحيد الطيبة مائة مرة ودعاء الصباح المعروف، ولا تترك تسبيح سيدة النساء بعد الفريضة.

تلاوة القرآن وجملة من الأذكار النافعة

واْتلو كل يوم ما استطعت من القرآن الكريم ـ وأقلّه جزء واحد منه ـ بتوقير له ووضوءٍ وخضوع وخشوع، ولا تتكلم بغيره بين التلاوة إلاّ بمقدار الضرورة.

واْقرأ الشهادة عند النوم، ومن المناسب أيضاً تلاوة آية الكرسي مرة وسورة الفاتحة مرة، وسورة التوحيد أربع مرات، وسورة القدر خمس عشرة مرة وآية ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾[1]. وإذا استطعت ـ في بعض الأوقات ـ فاْقرأ سورة التوحيد المباركة مائة مرة، فهذا العمل حسن جداً. ولا تغفل عن ذكر الموت، وضعْ يدك على خدك الأيمن ونمْ بذكر الله على جانبك الأيمن.

ولا تغفل عن الوصية، واْتلو ما استطعت وبكثرة وفي كل وقتٍ الذكر المبارك ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]. وفي الليل وليلة الجمعة، اْقرأ في كل منهما سورة القدر المباركة مائة مرة، ولا تترك دعاء كميل في كل ليلة جمعة، وأكثر من تلاوة المناجاة الخمس عشرة بما يناسب حالك منها لا سيما مناجاة (المساكين والتائبين

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

والمفتقرين والمريدين والمتوسلين والمعتصمين)، وتلاوة كل دعاء من أدعية الصحيفة السجّادية الكاملة في مقامه المناسب حسن جداً. واستغفر الله سبعين مرة في وقت العصر مع ذكر «سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده» مرة واحدة. وٱقرأ الاستغفارات الخاصة أيضاً. ولا تنس السجدة الطويلة، وإطالةُ القنوات أمر حسن جداً. وجميعها جيدة مع اجتناب المعاصي.

والسلام على من ٱتّبع الهدىٰ

ترجمة السيد
جمال الدين الأسد آبادي (قدس سره)

ترجمة السيد جمال الدين الأسد آبادي

المجاهد والمصلح الكبير الكبير السيد جمال الدين الأسد آبادي(١) ويبدو أنه ليس في متناولنا اليوم كتاب أو أثر مكتوب للشيخ الهمداني إلاّ الرسائل التوجيهية المدرجة في آخر كتاب تذكرة المتّقين إحداها تلك التي كتبها إلى المرحوم السيّد علي الإيرواني بهذا المضمون:

جناب السيّد: الحذر الحذر من القواطع الأربعة: كثرة الكلام وكثرة الطعام وكثرة المنام وكثرة المجالسة مع الأنام، وعليك بتقليبها وتبديلها بذكر الله الملك العلاّم في الليالي والأيام والسلام(٢).

ولآية الله الهمداني تقريرات درس الشيخ الأنصاري.

وتقريرات تلامذته لدرس فقهه أو أخلاقه من ذلك:

صلاة المسافر، الحلل، القضاء والشهادات، كتاب في الرهن وقد كانت منه نسخة في مكتبة المحدث النوري(٣).

---

(١) أعيان الشيعة/ ٦/ ١٣٦، ونقباء البشر / ٢/ ٦٧٧.

(٢) الحركات الإسلامية في القرن الأخير عن الأصل الفارسي / ٣٧.

(٣) تذكرة المتّقين/ ٢٣٧، وقد طبع أخيراً في لبنان كتاب القضاء له‌ﷺ عن مخطوط، حدّثين سماحة الحجّة الشيخ موسى شرارة ففي الهرمل أنه كان قد اشتراها أيام إقامته في النجف الأشرف (المترجم).

* سأل الميرزا جواد ملكي تبريزي ـ أحد تلامذة الشيخ الهمداني ـ أستاذه بعد أن تتلمذ على يده سنتين: لم أحصل من «سيري» على شيء.. فسأله الشيخ الهمداني عن اسمه ومن يكون؟! فقال متعجباً: ألا تعرفني أنا جواد ملكي تبريزي فيقول له: هل لك قرابة بفلان وفلان من آل ملكي، ولأن الشيخ جواد ملكي كان سيء الظن بهم فقد انتقدهم.. فقال له أستاذه: عندما تستطيع أن تقدم للسيء منهم ـ بحسب رأيك ـ حذاءه فأنا آتي إليك.

وفي اليوم التالي عندما حضر الشيخ جواد ملكي الدرس جلس في مرتبة دون بقية الطلاب.. وأخذ يبحث عن الطلبة من أقاربه الملكيين الذين لم يكن يعتبرهم صالحين ويعطف عليهم حتى وصل في مودّتهم إلى تقديم أحذيتهم لهم (عندما يزورونه احتراماً لهم) وقد بلغ ذلك عشيرتهم «الملكيين» المقيمين في تبريز فزال التشنجّ الذي كان يحكم علاقاتهم..

وفيما بعد التقاه الشيخ الهمداني وقال له: لا تعليمات جديدة.. يجب أن تصلح أمرك ليمكنك أن تنتفع من هذه الأحكام الشرعية.. ويوصيه ضمناً بأن العمل بكتاب مفتاح الفلاح للشيخ البهائي جيد[١].

* وقد سئل الشيخ علي الزاهد: بماذا كان أستاذك الشيخ الهمداني يربّي تلامذته؟ فقال: بذكر الموت.

ويقول بعض مريدي الشيخ الهمداني: لو أن شخصاً واظب في الليالي لمدة سنة على سجدة يقول فيها أربعمائة مرة: «لا إلٰه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» فإنه سيخرج من عالم الطبيعة[٢].

---

(١) نقباء البشر / ٢/ ٦٧٧. تاريخ حكماء وعرفاء متأخر بر صدر المتألهين / ١٣٣ـ ١٣٤.
(٢) المصدر السابق ـ ١٣٥/ توضيح.

* يقول العلاّمة الطباطبائي: تآمر جمع من منتقدي الطريقة العرفانية الإلٰهية والتوحيدية للمرحوم الشيخ الهمداني، الهازئين بها، وكتبوا عريضة إلى المرحوم الشربياني عندما كان يتصدّى لرئاسة المسلمين وكان يعتبر الزعيم المطلق، كتبوا فيها أن الشيخ حسينقلي الهمداني سلك طريقة الصوفيين.

قرأ المرحوم الشربياني العريضة ثم تناول قلمه وكتب في أسفلها: يا ليت أن الله يجعلني صوفياً مثل الشيخ الهمداني، وبهذه الجملة من هذا العالم الكبير قضي على كل مؤامراتهم.

* ووالد الشيخ الهمداني هو «رمضان الشَّوندي، الدّرجزيني، الهمداني» وينتهي نسبه إلى جابر بن عبد اللهالأنصاري الصحابي المشهور، وشوند بفتح الشين والواو وسكون النون قرية قريبة من درجزين من توابع همدان وفيها يقيم عدد كبير من أحفاد جابر.

* قال في «نقباء البشر»:

كان والده راعياً للغنم في بادىء أمره، ثم صار إسكافاً، وكان له ولدان أكبرهما المترجم له، والأصغر «كريم قلي» (أي عبد الكريم) رغب أبوهما أن يكونا من طلبة العلم فاهتمّ لها. .

وكانت ولادة المترجم له في القرية المذكورة عام ١٢٣٩، نشأ بها ثم بعث به والده إلى طهران فدخل في سلك الطلاّب، وتعلّم الميادين، وقرأ مقدمات العلوم فأتمّها.

وقد اجتاز هذه المرحلة الدراسية الأولى بنشاط غريب يستكثر عليه حيث لم يكن حضرياً.

ثم درس سطوح الفقه والأصول على بعض الفضلاء، وحضر دروس

الطبقة العليا.. وقد اختصّ بحوزة العالم الأكبر الشيخ عبد الحسين الطهراني الشهيد بشيخ العراقين ثم سافر إلى سبزوار فقطعها مدة لازم خلالها ودرس الفيلسوف المعروف المولى هادي السبزواري..

ثم عاد إلى قرية شوند، فمكث بها بين أهله وذويه برهة وهاجر إلى النجف الأشرف.. وكانت رئاسة التدريس، ومرجعية التقليد والإفتاء يومذاك للشيخ المرتضى الأنصاري.. وكان المقدم على سائر أعلام النجف، فحضر عليه ولازم درسه سنين طوالاً. وكت من تقريراته في الفقه والأصول كثيراً وتلمذ في الأخلاق على السيد علي التستري ففاق فيه أعلام الفن.

ولما توفي أستاذه الأنصاري في سنة ١٢٨١ لم يتلمذ على غيره إذ لم يكن محتاجاً، كما لم يخرج من العراق كغيره ممّن سافروا إلى إيران وغيرها، بل لزم بيته وانزوى ولم يتصدّ للفتوى ولم يطلب الرئاسة، إلا أن الخواص من أهل العلم والفضل والتقى والدين لم يتركوه وشأنه دون أن يستفيدوا منه ويغترفوا من معين فضله، فقد حقّ به منهم عدد كبير وألزموه بالتدريس فأجابهم، لكنه لم يرغب بالتظاهر ويجهر به بل كان مدرسه داره، ومع ذلك فقد كان درسه مجتمعاً حافلاً، وكان للطلاب تهافت عليه وزحام حوله وكان يدرس في الفقه والأصول كتبه التي ألَّفها من تقريرات أستاذه الأنصاري، وكان له درس في الأخلاق بداره صبح كل يوم، وبعده يدرس الفقه والأصول...» إلى أن يقول:

«... هذه زمرة من تلامذته كانوا بعده نجوماً تُزان بها سماء العلم والفضيلة، وأنا وإن لم أدرك فيض خدمته، ولم يكتب لي التشرّف برؤيته حيث دخلت العراق بعد وفاته بعامين في ١٣١٣، لكن أدركت فريقاً كبيراً

من تلاميذه الذين لازموه ليلاً ونهاراً حتى حصلوا ما أرادوا وحظوا بالسعادة الأبدية، وقد طهرهم من أوضار هذه الحياة، حتى قرنوا العلم بالعمل، فقد رأيت أثر تربيته الحسنة بيِّناً عليهم بادياً في سيماهم.

. . . وكان أستاذه السيد ا لتستري ـ وهو مشغول بتربيته وصقل نفسه ـ يحسّ منه الاستعداد واللياقة لا ليهذّب نفسه فقط بل ليقود أمامه جمهوراً كبيراً ويندر في أصحابه وأتباعه هذه الروح المركزة. . . »[1].

والأصول على أساس كتاباته لتقرير اشليخ الأنصاري. . وقبل ذلك ـ صباحاً ـ كان يدرس الأخلاق في منزله.

ويضيف الشيخ آقا بزرگ الطهراني:

وقد ربّى الشيخ الهمداني في فنّ الأخلاق عدداً كبيراً من الطلاب كانوا نجوماً مضيئة وزينة سماء العلم والفضيلة ومحور التقوى والفضيلة وأنا وإن كنت لم أوفّق للتزوّد من فيض دروسه حتى أني دخلت العراق عام ١٣١٣ أي بعد وفاته بسنتين إلا أني أدركت جمعاً كبيراً من تلامذته الذين كانوا ملازمين له في الليل والنهار وقد وصلوا إلى ما أملوا وحصلوا على السعادة الأبدية. . وقد كان أثر تربيته واضحاً في ملامحهم.

ولأن أستاذه المرحوم الشوشتري كان يعرف كفاءته والمرحوم السيّد محسن الأمين الذي كان له شرف مشاركة ما في درس الشيخ يقول:

لم يكن في زمانه ولا قبله بسنين ولا بعده كذلك من يماثله في علم الأخلاق وتهذيب النفوس وكان جارنا أول ورودنا إلى النجف سنة ١٣٠٨ وحضرنا درسه في الأخلاق أياماً قليلة وصدنا عن المداومة عليه اشتغالنا بما هو أهمّ ومع ذلك فقد أسفنا على عدم المداومة عليه بأي نحو

---

(١) نقباء البشر / ٢/ ٦٧٤ـ ٦٧٥.

كان، وانتفع بدرسه الأخلاقي خلق كثير من فضلاء العرب والعجم ممّن أراد الله بهم الخير، رأينا جملة منهم ووجدنا أثر ذلك فيهم كما أننا رأينا بعض من حضر عليه ولم ينتفع بذلك بل كان على العكس ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ وصقال السيوف الهندية يجعلها صالحة للضراب أما صقل الأخشاب فلا يجعلها سيوفاً وكان يصلّي جماعةً في داره ببعض خاصته وحضر مرة إلى مسجد السهلة فأقام أياماً ونحن هناك فكان أصحابنا يذهبون ويصلون خلفه[1].

وبعد عمر حاقل بالجهاد والسعي وتربية العشرات من ذوي الكفاءة. التحق بالرفيق الأعلى عندما كان مسافراً إلى كربلاء في الثامن والعشرين من شعبان لسنة ١٣١١ ودفن في الحجرة الرابعة من الصحن المطهر على يسار الداخل من الباب الزينبي، وتوفي ابنه الشيخ علي عام ١٣٥٩ في النجف الأشرف ودفن في وادي السلام خلف مقام المهدي عليه السلام، رحمة الله عليهما.

---

(١) أعيان الشيعة ط ج/١٣٦ وقد أوردت النصّ بتمامه لفائدته (المترجم).

سيرة جمال السالكين

السيد أحمد الكربلائي (قدس سره)

جمال السالكين السيد أحمد الكربلائي

هو من أبرز تلامذة الشيخ حسينقلي الهمداني.. يقول فيه العلاّمة الطباطبائي في أول محاكماته:

المرحوم السيد أصفهاني الأصل، إلا أنه نشأ وترعرع في كربلاء، وبعد بلوغه سن الرشد بدأ بدراسة الأدب، وتدل رسائله لتلامذته، وبعض محبّيه على قلم فصيح وبيان ساحر.. وبعد إكمال العلوم الأدبية بدأ بدراسة العلوم الدينية ثم التحق أخيراً بحوزة المرحوم الشيخ كاظم الخراساني / رضوان الله عليه) وأكمل دراسة دورة العلوم الظاهرية تحت إشرافه وأخيراً انضمّ إلى حلقة التربية والتهذيب للمرحوم آية الحق وأستاذ الوقت الشيخ الجليل حسينقلي الهمداني (قدّس سرّه) العزيز.. ولازمه سنين طوالاً.. وقد فاق الأقران وأصبح في طليعة تلامذته المهذبين واحتلّ في العلوم الظاهرية والباطنية مكاناً مكيناً ومقاماً أميناً، وقد اختار الإقامة في النجف الأشرف بعد وفاة الشيخ الهمداني وشرع بتدريس الفقه، كما كانت له اليد البيضاء في المعارف الإلٰهية وتربية الناس وتهذيبهم.. وقد بلغ عدد كبير من الأجلاّء والأحرار دائرة الكمال بيُمن تربيته وتهذيبه.. فأعرضوا عن بساط الطبيعة وأصبحوا من سكّان دار الخلود ومحارم حريم القرب.. منهم سيد العلماء الربّانيين المرحوم

الميرزا علي القاضي الطباطبائي التبريزي (١٢٨٥ـ ١٣٦٦هـ.ق) الذي هو في المعارف الإلٰهية والفقه الحديث والأخلاق أستاذ هذا (اللاشيء[١] رفع الله درجاته السامية وأفاض علينا من بركاته.

وقد ودّع المرحوم السيّد ـ صاحب الترجمة ـ الحياة المستعارة سنة ١٣٣٠هـ في النجف الأشرف والتحقت روحه بالملأ الأعلى رحمة الله عليه[٢]، وينقل العلاّمة الطباطبائي عن أستاذه المرحوم القاضي عن السيّد ـ الكربلائي ـ قوله: كنا دائماً في خدمة المرحوم آية الحق الشيخ حسينقلي الهمداني، وكان الشيخ لنا مائةً في المائة ولكن بمجرد أن تعرف الشيخ محمد البهاري على الشيخ الهمداني واْتصل به وأصبح يتردد عليه باستمرار فقد «سرقه» منا.

* كان المرحوم القاضي يقول: قال المرحوم السيّد أحمد الكربلائي: التقيت في سفر بدرويش نيّر الضمير فقال لي أنا مأمور أن أطلعك على شيئين: الأول الكيمياء، الثاني: أني غداً أموت فجهّزني وادفني.

فقال له السيد: أما أنا فلا حاجة لي إلى الكيمياء، وأما تجهيزك فأنا مستعد، وفي اليوم التالي توفي ذلك الدرويش فقام المرحوم السيّد بتجهيزه وتكفينه ودفنه[٣] ونقل عن صاحب الترجمة أيضاً أنه قال: ذات يوم كنت نائماً في مكان ما فأيقظني شخص قائلاً: إذا كنت تريد أن ترى نور الأسفهبرية فانهض.. وعندما فتحت عيني رأيت نوراً لا يتناهى ملأ مشرق الدنيا ومغربها.

---

(١) يقصد العلاّمة نفسه.

(٢) المحاكمات المطبوعة في ذكرى الشهيد قدوسي/ ٢٦٩ـ ٢٧٠.

(٣) مهرتابان / ١٤٠ القسم الثاني.

قال العلاّمة الطباطبائي: «اللهم ارزقنا» هذه هي رحلة تجلي النفس التي تشاهد بهذا الشكل وبصورة نور غير متناه[1].

* من تلامذة السيّد أحمد الكربلائي (عليه الرحمة والرضوان).

١ـ آية الله الشيخ محمد البافقي[2] (١٢٩٢ـ ١٣٦٥هـ).

٢ـ المرحوم السيّد محمد كاظم القصار[3].

٣ـ السيّد محسن الأمين صاحب أعيان الشيعة[4].

٤ـ آية الله السيّد علي القاضي.

وقد كان المرحوم السيّد جمال الدين الأسد آبادي (الأفغاني) من أصدقاء المرحوم السيّد أحمد الكربلائي وأصدقاء المرحوم السيّد محمد سعيد الحبوبي التلميذ الآخر للمرحوم الهمداني[5].

يقول الشيخ آقا بزرگ الطهراني في كتاب هدية الرازي في سياق تعداد تلامذة الميرزا الشيرازي:

٣٤ـ السيّد أحمد الكربلائي النجفي سافر بعد ١٣٠٠هـ.ق إلى سامراء ودرس لسنوات على الميرزا ثم رجع إلى النجف وفيها حضر

---

(١) لب اللباب /٣٦.

(٢) كتاب «مجاهد شهيد شيخ محمد تقي بافقي /٥٧ والمرحوم البافقي هو الذي طلب من آية الله الحائري الانتقال إلى قم لإدارة الحوزة فيها، وكان يتولى شؤون شهرية الطلاب.. وكان على علاقة بالإمام المنتظر (عج) كما كانت له عناية خاصة بالإمام القائد أدام الله ظله وقد تنبأ بسقوط الحكم الشاهنشاهي على يديه، وللمرحوم البافقي مواقف جهادية نادرة ضد رضا خان وتفاصيل ذلك كله في الكتاب المذكور وهو فارسي/ المترجم.

(٣) تاريخ حكماء وعرفاء (١٣٤).

(٤) أعيان الشيعة/ ٢/ ٤٧٢.

(٥) الحركات الإسلامية في القرن الأخير/ ٣٨.

بحث العلاّمة ميرزا حبيب الله، والميرزا حسين الطهراني وبعد ذلك أصبح من خواص العلاّمة حسينقلي الهمداني وقطع مراحل تهذيب النفس كلها.. وكان له درس كان يحضره عدد من الطلاّب وكانت وفاته في النجف سنة ١٣٣٢هـق[١].

ويقول في «نقباء البشر»:

كان السيّد يختار العزلة في الصلاة ويجتنب اقتداء الناس (به) وكان كثير البكاء بحيث إنه حتى في الصلاة لم يكن يستطيع تجنّب البكاء فكان يبكي لا إرادياً خصوصاً في نوافل الليل.. وكان لي شرف مجاورته لعدّة سنين فقد كان منزلي قريباً من منزله وقد شاهدت منه في هذه المدة أموراً يطول ذكرها.

كان كثير الخدم لأمه وقد توفي قبلها وقد شيّع جنازته جمع من طلابه ومحبّيه ودفن في الصحن المرتضوي مقابل الإيزان الواقع خلف المرقد المنور[٢].

* يقول المرحوم السيّد الأمين:

شيخنا وأستاذنا قرأنا عليه في الفقه والأصول في النجف سطحاً واستفدنا من علمه وأخلاقه، كان عالماً فاضلاً وورعاً تقياً كاملاً مرتاضاً مهذب النفس يروي عن الشيخ حسينقلي (الهمداني) وعن الميرزا حسين بن ميرزا خليل الطهراني النجفي وعن الشيخ علي بن الحسين الخيقاني كلهم عن الملاّ علي بن الميرزا خليل الرازي إلخ[٣].

---

(١) ميرزاي شيرازي /١٠٨، هدية الرازي /٦٦.
(٢) نقباء البشر ج ١/٨٨.
(٣) أعيان الشيعة/ ٢/ ٤٧٢.

وقد أورد في آخر تذكرة المتّقين عدة رسائل للمرحوم السيد أحمد الكربلائي. . كما أصبحت المكاتبات المتبادلة بينه وبين المرحوم الكمياني في متناول الجميع.

يقول السيد علي القاضي تلميذ المرحوم السيّد أحمد الكربلائي:

كنت أمضي ليلة من الليالي في مسجد السهلة وحيداً. . عند منتصف الليل جاء شخص إلى مقام إبراهيم واستقرّ فيه. . سجد إثر فريضة الصبح حتى طلوع الشمس عندها ذهبت ورأيت أنه السيّد أحمد الكربلائي البكّاء (قدّس سرّه القدوسي) ومن شدة البكاء حوّل تراب محل إلى طين وفي الصباح ذهب وجلس في الحجرة وكان يضحك بحيث كان صوته يصل إلى خارج المسجد[1].

رسائل سلوكية للسيد آية الله أحمد الكربلائي تشتمل على:

١ـ منهج عملي للعبادة والمعرفة الإلٰهية

٢ـ آداب النوم والاستيقاظ والعبودية

٣ـ آثار الإعراض عن السلوك إلى الله بعد دخول مضماره

٤ـ الهجرة من بيت النفس وإيقاد شعلة الشوق للقاء الله

٥ـ العقل ومعرفة الله

(١) تاريخ حكماء وعرفاء متأخر بصدر المتألهين / ١٣٥.

منهج عملي للعبادة والمعرفة الإلهية

منهج كتبه سماحة حجّة الإسلام والمسلمين آية الله في الأرضين سيد الفقهاء والمجتهدين مولىٰ العرفاء والمتكلمين، جامع المعقول والمنقول، حاوي الفروع والأصول، سيدنا ومولانا الحاج السيّد أحمد الموسوي الحائري، روحي له الفداء، لتلميذه.

بسمه تعالىٰ وله الحمد

رغم أن هذا الكلام لا يتيسّر لواعظ المدينة قوله ما لم يترك الرياء والمكر ويصبح مسلماً صادقاً

ولكن ليس صعباً تعلّم التحرر من القيود وأخذ «الكرمة» فَمن لا يشرب الشراب الطهور حيوان وليس إنساناً حقاً

يجب أن ينقىٰ الجوهر لكي يتأهل لتلقّي الفيض فلا يمكن أن تصير كل حجارة أو طنية لؤلؤاً ومرجاناً

والمريض الذي يخفي علّته عن الطبيب لا يمكن أن يشفىٰ منها دون اللجوء إلى الأسباب

والذي يهتزّ رأسه وروحه للأوثان ليس أهلاً لتقديم بدنِهِ قرباناً دون صعاب[1].

المشارطة والمراقبة والمحاسبة والمعاتبة

ينبغي الاهتمام البالغ بالالتزام إن شاء الله تعالى بإقامة الفرائض وترك المحرمات بدقة كاملة وتأمل، ويكون ذلك، بالوصية أول الصبح أولاً، وكمال المراقبة في تمام النهار ثانياً والمحاسبة عند إرادة النوم ثالثاً، والتدارك والسياسة بالمجازاة بالضد عند المخالفة رابعاً على التفصيل المعهود في كتب الأخلاق[2].

تخصيص ساعة للخلوة والمناجاة والتفكّر

كما يلزم الاهتمام الكامل بأن يخصص المرء في كل يوم وليلة ساعة للخلوة عن الأغيار والتوجّه إلى الله جلّ جلاله بالمناجاة والتضرّع والتبتّل والخضوع والخشوع إليه. وينبغي أن يجعل ذلك في كل ليلة بين صلاتي

---

(١) ترجمة نثرية لأبيات بالفارسية، والكرمة شجرة العنب التي يصنع منها الخمر وفي البيت إشارة إلى ضرورة التأهّل بالتحرر من العبوديات الزائفة للقرب من الله جلّ جلاله وهذا المحور الأساسي الذي تشير إليه الأبيات جميعاً، وهو لب وجوهر السير والسلوك إلى الله جلّ وعلا.

(٢) يعني وصية النفس في أول اليوم بإقامة الفرائض واجتناب المحرمات والإقبال على الطاعات والالتزام بالمنهج العملي للتربية الإلهية والعمل بما خصص له أوقاته من أعمال الخير كل في وقته، وهذا ما يطلق عليه علماء الأخلاق بالوصية أو المشارطة، ثم مراقبة النفس تمام النهار لإلزامها بذلك وكذلك مراقبة الحضور الإلٰهي وأطلاعه جلّ وعلا على جميع أحواله، والمحاسبة في الليل للنفس على مدىٰ التزامها بما شارطها عليه في الصباح ثم الشكر لله على ما وفقت له من أعمال الخير ومعاقبة النفس بالعقوبات الشرعية على موارد نقضها لبنود المشارطة. راجع كتاب المراقبة والمحاسبة من المحجّة البيضاء ٨: ١٥١ـ ١٨٠، ولاحظ أيضاً فصل المشارطة والمراقبة والمحاسبة من كتاب الأربعين حديثاً للإمام الخيمين، الحديث الأول: ٩ـ ١٠.

المغرب والعشاء أو بعد صلاة العشاء، فيسجد السجدة المعهودة، ويذكر الله بعدها بما ساعد عليه التوفيق مع كمال الحضور والإقبال على الله تعالى بكليته والإعراض عمّا سواه بأسرهم، كأنه لا موجود سواه جلّ جلاله.

التفكّر باتجاه معرفة النفس

فإذا تعب من الذكر، أمسك بأذيال التفكّر، فيفكر في: مَن أنا وأين أنا؟ من أين جئت وإلى أين أذهب؟ فيتوغّل في أعماق نفسه إلى درجةٍ يراها وكأنه لا يوجد غيرها في عالم الوجود. فيسأل الباري جلَّ وعلا داعياً: اللَّهُمَّ عرِّفني نفسي. فلا أفضح وأشنع للإنسان من أن يجهل نفسه(١).

التهجّد ودوام الذكر

ويواظب باهتمام كامل ـ إن شاء الله تعالى ـ على التهجّد والقيام في الأسحار، وإقامة نافلة الليل بحضور قلب وإقبال كاملين، ثم بالتعقيبات [بعد صلاة الفجر] وتلاوة القرآن إلى طلوع الشمس. ولا يترك ـ إن شاء الله ـ الاستغفار سبعين أو مائة مرة في الصباح والمساء، وكذلك التهليل

---

(١) معرفة النفس خير طريق لمعرفة الله كما صرّحت بذلك الأحاديث الشريفة نظير المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «غاية المعرفة أن يعرف المرءُ نفسه» و«مَن عرف نفسه فقد عرف ربه» و«المعرفة بالنفس أنفع المعرفتين» كما في غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي: ٤٠٣، بل وفي الحديث النبوي «**أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه**»، روضة الواعظين: ٢٠، وفيه إشارة إلى أن لمعرفة النفس عدة مراتب. ولعل خير سبيل لمعرفة النفس هو التفكّر الذي أشار إليه السيّد في المتن، والمراد التفكّر العميق فيها مع الاستهداء بما ورد في القرآن وأحاديث أهل البيت عليهم السلام بشأنها والاستعانة بالله تعالى بالدعاء والتضرّع لمعرفتها بصورة سليمة تهدي السالك إلى معرفة ربه جلَّ وعلا ومجال التفكّر يكون في حقيقة نفس الإنسان وقواها وكمالاتها وهي أكمل مخلوقات الله تبارك وتعالى التي انطوىٰ فيها العالم الأكبر فمعرفتها تقدم أكمل صورة ممكنة لمعرفة كمالات خالقها الذي جعل الإنسان خليفة له في أرضه وخلقه على صورته.

مائة مرة[1] والأذكار المعهودة: «سبحان الله العظيم وبحمده. أستغفر الله»، عشر مرات على الأقل صباحاً ومساء وكذلك ذكر «لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له... الخ»[2] و«ربي أعوذ بك... الخ»[3]، و«أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له... الخ»[4] والاستغفارات المنقولة

(١) في الحديث النبوي: «**الاستغفار وقول لا إلٰه إلاّ الله خير العبادة**»، الكافي ٢: ٥٠٥.

(٢) وهو كاملاً: «لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميتُ ويحيي وهو حيٌّ لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير»، الكافي ٢: ٥١٨، فلاح السائل للسيد ابن طاووس: ٢٢٢، أعمال ساعة الغروب.

(٣) يبدو أن مقصوده دعاء الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم المندوب لتلاوته عشر مرات مع تلاوة الذكر السابقة «لا إلٰه إلاّ الله وحده...» عشر مرات أيضاً، فقد ورد الندب إليهما معاً في عدة أحاديث مروية في تفسير العياشي ٢: ٤٥ والكافي ٢: ٥٢٧ وفلاح السائل: ٢٢٢ وغيرها، ونص الاستعاذة كما في تفسير العياشي هو «أعوذ بالله السميع العليم من همزات الشياطين وأعوذ بك أن يحضرون إن الله هو السميع العليم» (البحار ٨٣، ٢٦١، ٢٦٩)، وقد ورد التأكيد على الاستعاذة هذه عند طلوع الشمس وعند غروبها في هذه الأحاديث الشريفة، كما ورد التأكيد على مطلق الذكر والاستعاذة في هاتين الساعتين بالذات في أحاديث أخرىٰ، نظير المروي في الكافي (٢: ٥٢٢) عن الباقر عليه السلام قال: «إن إبليس عليه لعائن الله يبثّ جنود الليل من حيث تغيب الشمس وتطلع فأكثروا ذكر الله عزّ وجلّ في هاتين الساعتين وتعوّذوا بالله من شر إبليس وجنوده وعوّذوا صغاركم في هاتين الساعتين، فإنهما ساعتا غفلة». (البحار ٨٣: ٢٤٥)، أما ذكر «سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله» الذي ذكره صاحب المتن ـ رضون الله عليه ـ قبل هذين الذكرين، فقد ورد الندب إلى تلاوته في عدّة أحاديث مروية في الكافي ومكارم الأخلاق وغيرها وكامل الذكر هو «سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله وأسأله من فضله» (البحار ٨٣: ١٣١).

(٤) في حديث الإمام الصادق عليه السلام المروي في الكافي (٢: ٣٧٦): «مَن قال كل يوم عشر مرات: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، إلٰهاً واحداً أحداً صمداً، لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً. كتب الله له خمسة وأربعين ألف حسنة ومحا عنه خمسة وأربعين ألف سيئة، ورفع له خمسين وأربعين ألف درجة»، قال الكليني: وفي رواية أخرىٰ: «وكنّ له حرزاً في يومه من الشيطان والسلطان، ولم تحط به كبيرة من الذنوب»، ورواه البرقي في المحاسن (راجع وسائل الشيعة ٧: ٢١٩ الباب ٤٨ من أبواب الذكر من كتاب الصلاة).

عن السيّد ابن طاوس ـ رضون الله عليه[1]، ودعاء: «اللّٰهُمَّ أنت ربي لا شريك لك، أصبحنا وأصبح الملك لله ـ أو أمسينا وأمسىٰ الملك لله...»[2]، وكذلك الصلوات الكبيرة: «اللّٰهُمَّ صلِّ على المصطفىٰ محمد والمرتضىٰ علي... الخ»[3].

ويهتم ـ إن شاء الله تعالى ـ بالمواظبة على تلاوة سورة القدر مائة مرة كل ليلة جمعة وعصر جمعة.

دوام استشعار الحضور الإلهي

والأهم من كل الأمور المتقدمة أن يرىٰ الله الحق جلّ وعلا حاضراً ومراقباً له في جميع الأحوال وفي الحركات والسكنات كافة، بحيث عليه ـ إن أمكنه ـ أن لا يغفل ولا للحظة ولا لطرفة عين، عن حضوره جلّ سلطانه، وأن لا ينساني ـ أنا المسوّد وجهه ـ في جميع الأحوال، ويدعوه سائلاً مضمون هذا البيت [بما ترجمته]:

حطم النفس بشرابك الطهور القادر على تحويل كل هذا العالم الفاني إلى خراب.

---

(١) في فلاح السائل (ص: ٢٠١) عن رسول الله ﷺ ورد الاستغفار على النحو التالي بعد صلاة العصر «أستغفر الله الذي لا إله إلاّ الله هو الحي القيوم، الرحمن الرحيم، ذو الجلال والإكرام، وأسأله أن يتوب عليّ توبة عبد ذليلٍ خاضعٍ فقير، بائس مسكين مستكين مستجير، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولاً موتاً ولا حياةً ولا نشوراً» (البحار ٨٣: ٨٢ـ ٨٣).

(٢) أمالي الشيخ المفيد: ١٤٢، ورد الأمر بتلاوتها ثلاث مرات في الصباح ومثلها في المساء فإنهنّ يكفرن ما بينهنّ من خطيئة. (البحار ٨٣: ٢٤٨).

(٣) لم نعثر على هذه الصلوات، ولكن رويت عدّة صلوات عليهم سلام الله عليهم تجدها في أعمال نهار الجمعة من مفاتيح الجنان: ٥٠ وما بعدها وكذلك في الملحقات: ٥٥٦ـ ٥٦١.

دوام التوجّه إلى إمام العصر ـ عجّل الله فرجه ـ

وينبغي أن يلتزم ـ إن شاء الله تعالى ـ بتمام المواظبة على دوام التوجّه إلى الإمام الحجّة ـ عجّل الله فرجه ـ والتوسّل به، فهو واسطة الفيض [الإلٰهي] في زماننا، فلا يترك بعد كل صلاة تلاوة دعاء عصر الغيبة وهو: «اللهم عرفني نفسك. . . الخ»[١]، وسورة التوحيد ثلاث مرات يهديها لذاك العظيم ـ عجّل الله فرجه ـ، ودعاء الفرج «اللهم عظم البلاء. . . الخ»[٢].

دوام الطهور والعمل بآداب النوم

ويواظب بصورة كاملة ـ إن شاء الله ـ على أن يكون على طهارة دائماً قدر المستطاع، وينامُ على وضوء، ويتلو تسبيحات السيدة الزهراء عليها السلام قبل النوم وبعد كل صلاة فريضة مع آية الكرسي، ويواظب على سجدة الشكر فور الاستيقاظ من النوم، وتلاوة الآيات المعهودة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٣]، بعد الاستيقاظ لنافلة الليل مع توجّه كامل لمعانيها والتدبّر فيها والنظر إلى السماء والكواكب والآفاق، ولا يترك دعاء الصحيفة [السجّادية] بعد صلاة الليل[٤].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في شهر الصيام سنة ١٣٢٧

---

(١) والدعاء هو: «اللهم عرّفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرّفني رسولك فإنك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك اللهم عرّفني حجّتك فإنك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني» (بحار الأنوار ٩٢: ٣٢٦)، وهو مروي في كمال الدين والكثير من المصادر الأخرىٰ.

(٢) تجده في مفاتيح الجنان المعرب: ١١٥، وقد رواه الكفعمي في البلد الأمين.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ١٩٠ـ ١٩٤.

(٤) الدعاء الثاني والثلاثون من الصحيفة السجّادية.

ومنه أيضاً دام عزّه العالي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

المحاسبة والتوبة قبل النوم

ينبغي لطالب حضرة الحقّ جلّ وعلا أن يبادر قبل النوم إلى محاسبة نفسه على ما صدر عنها من أعمال وأفعال وحركات وسكنات مُنذ استيقاظه في الليلة السابقة إلى حين استعداده للنوم، فيندم على ما صدر عنه من معاصٍ وأعمال قبيحة ويتوب منها توبة صادقة ويعزم ألاّ يعود ـ إن شاء الله ـ إليها لاحقاً، بل ويتدارك ويتلافى آثارها.

تسليم أمره لبارئهِ عند النوم

وينبغي له أن يتذكّر أن «النوم أخ الموت»[(١)]، وأن ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٢)]، فيجدد العهد بالإيمان والشهادتين والعقائد الحقّة وينام باسم الله تعالى وهو على طهارة مستقبلاً القبلة «كما يُجعل الميت في قبره»[(٣)]، وبمقتضىٰ مدلول الآية الكريمة المتقدمة يكون في مقام تسليم روحه إلى حضرة الحبيب جلّ وعلا، ويقول:

هذه الروح التي أودعها الحبيب أمانة عند حافظ سأُرجعها إليه يوماً عندما أرىٰ وجهه[(٤)]

---

(١) المحجّة البيضاء، ٢: ٣٧٢، منهاج النجاة: ٧٩.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٣) المحجّة البيضاء، ٢: ٣٧٠، منهاج النجاة: ٧٩.

(٤) ترجمة نثرية لشعر بالفارسية.

فينشغل بالتوجّه إلى حضرة الحق جلّ وعلا وتسليم روحه إليه، منتبهاً إلى حقيقة أنه سيكون حينئذٍ بكل وجوده روحاً وبدناً في قبضة قدرته جلّ وعلا إلى درجة أن يغفل هو على نفسه ويفقد الشعور بها، فيكون موتاً حقيقياً إذا لم يتفضّل خالقه جلّ وعلا على ردّ روحه إلى بدنه(١)، كما يصرّح بذلك قوله تعالى: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢). وما أكثر الذين ناموا ولم يستيقظوا إلى يوم القيامة، فلا ينبغي له أن يرجو العودة إلى الدنيا ثانية إلاّ بتفضل جديد من حضرة الحقّ جلّ وعلا يرجع به روحه إلى بدنه، فيقول بلسان الحال والقول: ﴿...رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾(٣).

سجدة الشكر على عودة الروح عند الاستيقاظ

من هنا، ينبغي له إذا استيقظ من نومه أن يتذكّر أولاً نعمة إعادة الروح إلى بدنه وهي بمثابة حياة جديدة أفاضها الحقّ جلّ وعلا عليه، فيحمد الله ويشكره على هذه النعمة بسجدة شكر يسجدها ويؤدّي بها شكر هذه النعمة كما قال رسول الله ﷺ(٤). ومنتبهاً ومتذكراً لحقيقة أن الآلاف

---

(١) روىٰ الصدّوق في كتابي علل الأخبار والخصال مسنداً عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لا ينام الرجل [المسلم] وهو جنب، ولا ينام إلاّ على طهور، فإن لم يجد الماء فليتيمم بالصعيد فإن روح المؤمن تُرفع إلى الله تبارك وتعالى، فيقبلها ويبارك عليها، فإن كان أجلها قد حضر جعلها في كنوز رحمته وإن لم يكن أجلها قد حضر بعث بها مع أمنائه من ملائكته فيردّونها إلى جسدها» (البحار ٦١: ٣١) وفيه أيضاً عن أمالي الصدوق عن الباقر عليه السلام قال: «إن العباد إذا ناموا خرجت أرواحهم إلى السماء...».

(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩ـ ١٠٠.

(٤) والدعاء هو **الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني، وإليه البعث والنشور»**، كما في بحار الأنوار ٨٧: ١٧٣ نقلاً عن الكافي ومَن لا يحضره الفقيه ومصباح الكفعمي. لاحظ منهاج النجاة: ٥٩.

طلبوا من الله هذه النعمة لكنهم لم يسمعوا إلاّ جواب: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾(١)، إذن فقد حظي هو بنعمةٍ جليلةٍ من الحقّ جلّ وعلا إذْ أجاب دعوته وأعاده للدنيا، فليغتنم هذه الحياة الجديدة، ويشدّ فيها حزام الهمّة لتجارة رابحة تكون ذخيرة لحياته الأبدية عندما يرجع لهذا السفر.

يجدر بالعاقل أن لا يطلب غير الله عزّ وجلّ

ولا ينبغي أن يخفىٰ على طالب الحق جلَّ وعلا أن كلَّ ما سواه جلَّ وعلا من أشياء وموجودات هي في معرض الفناء والزوال، ولذلك فهي غير جديرة بأن تكون غاية ومطلوباً له، إذ لا نفع ولا فائدة من ممكن الوجود بما هو ممكن الوجود. وكل موجود سوى الحق جلَّ وعلا ـ أياً كان وأياً فرضت ـ ما دام ممكن الوجود فهو محتاجٌ من جميع الجهات إليه جلّ وعلا وفي قبضة قدرته جلّ وعلا، لذا فكل موجود سواه جلّ وعلا، سواء كان في الأرض أو في السماء، أو في الدنيا أو في الآخرة؛ لا يستحق أن يكون مطلوباً للإنسان العاقل والعالم. وإذا فرضنا أن الشخص العاقل طلبَ غيره جلّ وعلا فلن يكون مطلوباً له بالذات بل بالغير، مثل مطلوبية الدين والإيمان والآخرة ومحبّته جلَّ وعلا ومعرفته، ومحبة ومعرفة أولائِهِ كالنبي الأكرمﷺ وأئمة الهدىٰعليهم السلام، والعبودية والطاعة له جلّ وعلا وله عليهم السلام؛ والرضا والتسليم وسائر الأخلاق المحمودة والملكات الفاضلة، فإن محبوبية ومطلوبية هذه الأمور ليست بذاتها بل بنسبتها إليه جلّ وعلا.

من هنا ينبغي للعاقل أن يقطع همّته وطلبه عن جميع الأشياء وبحكم قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾(٢)، يحصر همّته في طلبه جلّ وعلا بالذات وبنفسه ويقول:

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩١

لا نطلب منك سواك فأعط الحلوى لمن لم يذق طعم المحبة.

لنا الحبيب ولكم نِعم الفردوس جميعاً[1].

إذن لا ينبغي له أن يطلب في هذه الحياة الجديدة سواه جلّ وعلا فتكون عينه متطلعة إليه جلّ وعلا في جميع حركاته وسكناته وفي جميع أحواله وأوقاته، ويراه حاضراً عنده وناظراً إليه في جميع حالاته حتى يحين وقت نومه، وهكذا الحال في سائر أيامه.

من هنا يتّضح، أن أقبح القبائح لمثل هذا الشخص أن يستنزف همّته في الشهوات والملذات وشؤون المعاش والبطن والفرج وغير ذلك، بل ينبغي له أن يتغافل عنها، وإذا عجز عن ذلك لضعف النفس، فليسلم أمره ويفوّضه إلى الحق جلَّ وعلا إذْ لا يقدر على شيء سواه جلّ وعلا[2].

الواجب الأول والأخير للعبد العبودية وما عداها من شأن مولاه

إن وظيفة العبد العبودية ورزقه وسائر ما يصلحه بعهدة مولاه، لذا فإن تخليه عن العبودية وانشغاله بالاهتمام بأموره من أقبح القبائح. فالواجب اللازم لطالب الحق جلَّ وعلا أن يولي اهتمامه الكامل للطاعة والعبودية والتوجّه لحضرته جل وعلا بشوقٍ كامل وتضرعٍ وتذلل وابتهال[3].

---

(١) ترجمة نثرية لشعر بالفارسية.

(٢) بمعنىٰ الاستعانة به جلّ وعلا على النفس ورياضتها ويتوسّل إليه بصدق للتحرر من أسرها، فمَن دعا الله بصدق استجاب له بشرط أن يقطع أمله عن كل شيءٍ وينقطع إلى الله جلّ وعلا ويعلم أنه هو جلّت قدرته وحده القادر على كل شيء.

(٣) في الحديث القدسي المروي عن الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الادق ـ سلام الله عليه ـ قال: في التوراة مكتوب: «ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى ولا أكلك إلى طلبك وعليّ أن أسُدَّ فاقتك وأملأ قلبك خوفاً مني، وإلاّ تفرغ لعبادتي أملأ قلبك شغلاً بالدنيا ثم لا أسدّ فاقتك وأكلك إلى طلبك»، وأخرج الترمذي في جامعه وحسنه عن النبيﷺ قال: «**إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأتُ يديك شغلاً ولم أسدّ فقرك**». منتخب الأحاديث القدسية: ٢٨.

عجزت السماء عن تحمل ثقل الأمانة فخرجت القرعة باسمي أنا المجنون[1].

عجزت السماء عن تحمل ثقل الأمانة فخرجت القرعة باسمي أنا المجنون[2]

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[3].

التفكّر في النفس لمعرفة الرب

وبعد التوجّه إلى حضرة الحق جل وعلا المعبّر عنه بالذكر ينبغي أن يكون اهتمام طالب الحق جلّ وعلا منصباً على معرفة القلب والنفس المعبر عنه بالتفكّر في النفس: «مَن عرف نفسه فقد عرف ربه»[4]، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[5]، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[6].

التخلية والتحلية مقدمة للوصول

إذن فلا شأن لطالب الحق جلّ وعلا بغير القلب ومالكه، نعم يلزمه ـ من باب المقدمة ـ تطهير وتنظيف القلب من الأرجاس والأنجاس وهي الأخلاق الرذيلة، بل وتطهيره من كل ما سوى الحق جلّ وعلا، وهذا هو المقصود بعبارة «التخلية». وكذلك تزيين القلب وصقله بالطاعات

(١) المحجة البيضاء ٥: ٢٦، بحار الأنوار ٥٥: ٣٩.
(٢) ترجمة نثرية لشعر فارسية.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.
(٤) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي: ٢٣٢، عوالي الآلي ٤: ١٠٢.
(٥) سورة الذاريات، الآية: ٢١.
(٦) سورة فصّلت، الآية: ٥٣.

والعبادات والصفات الحسنة والأخلاق الكريمة لكي يتأهل لظهور وحضور وتجلّي الحق جلّ وعلا فيه، وهذا هو المقصود بعبارة «التجلية» و«التحلية»: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

في هذا المقدار كفاية إن كنتَ ـ فديتك ـ من أهل العمل، وإن لم يكن ثمة عامل فتحملُ القلب للألم والغصّة خيرٌ من إظهارها عبثاً دون أن يصغي لها أحد. أرجو أن لا تنسوني ـ أنا المسود الوجه في حضرة الإله ـ في خلواتكم مع الحبيب، فتخبروه بشوقي الشديد إلى حضرته المنيعة جلّ وعلا.

حرره الجاني أحمد الموسوي

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

آثار الإعراض عن السلوك إلى الله بعد دخول مضماره

ومنه أيضاً مدّ ظله العالي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مصداق للكفر بعد الإيمان

ليعلم الأخ الإيماني، حضرة السيد [فلان] سلّمه الله تعالى؛ أن مَن يدخل في هذا المضمار[1]، ثم يتخلّى عن الطلب، ويعود إلى سالف حاله بعد التنبّه والاستبصار، أو يجعل دخوله هذا المضمار وسيلة لكسب الدنيا ـ والعياذ بالله ـ، فإن حالَه سيكون أسوأ بمراتب من حال من لم يدخل في هذا المضمار، لأن فعله سيكون بمنزلة الكفر بعد الإيمان وهذا سبب للخذلان في الدنيا والخسران في الآخرة كما وعد الله وأيّدته تجاربُ أهلِ الله.

تحذير من اليأس فلا خسران لسعي السالك

لذا فالمرجو من هذا الأخ الجليل أن لا يعرض عن العمل بعدما

(١) يعني طريق التزكية والسير والسلوك إلى الله تبارك وتعالى.

عرف عيوب النفس وحقارتها، وأن لا يكسل عن اللجوء إلى حضرة الحق جلّ وعلا، لكي يفوز ـ إن شاء الله تعالى ـ برحمة منه جلّ وعلا يكون فيها النجاة والفرج في الدنيا قبل الآخرة، فحاشا لكرمه تعالى أن يسلب منه الأمل ويسقطه في اليأس: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[1]. فإن عاقبة كل من طرق الباب ولم ييأس، فتح الأبواب له (مَن دقّ باباً ولجَّ ولج)[2]. كما أن طالب الحق جلّ وعلا لا يخسرُ شيئاً بالموت فإن ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3]؛ بل إنه يصل إلى مطلوبه بالموت بصورةٍ أسرع كما لا يخفىٰ.

الإعراض عن الطلب واستحواذ الشيطان

أما إذا تخلّيت ـ والعياذ بالله ـ عن الطلب، فإنّ الشيطان سيتسلط عليك حينئذٍ إلى درجة لا يعود للعلاج فيها أي نفع لك، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فإن الحسرة والندامة والغصّة والأسىٰ ستحرق قلبك وروحك بنار أشد من نار جهنم: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦﴾[4].

ها أني أقول لك ما يقتضيه مني الإبلاغ فإن شئت فاْتّعظ بقولي وإن شئت فأعرض عنه[5]

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ٦٣ـ ٦٤.

(٢) في الكافي عن الباقر عليه السلام: «والله لا يلحُ عبدٌ مؤمن على الله في حاجته إلا قضاها له» (المحجّة البيضاء ٢: ٢٩٥).

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

(٤) سورة الهمزة، الآية: ٦ـ ٩.

(٥) ترجمة نثرية لشعر بالفارسية.

هذه بضع كلمات كتبت للذكرى وبحكم أن المأمور معذور. أطلب من جنابكم الموقر أن لا ينسىٰ في مظان استجابة الدعوات، والخلوة مع قاضي الحاجات، هذا المسود الوجه في حضرة الإلٰه ولا يبخل بالترحم عليه فهو المسكين المحتاج في الحياة وبعد الممات.

حرره أحمد الموسوي الحائري

في شهر رمضان المبارك سنة ١٣٢٦

الهجرة من بيت النفس وإيقاد شعلة الشوق للقاء

رسالة مباركة كتبها سيدنا ومولانا الحائري ـ روحي له الفداء ـ.

بسمه تعالىٰ

الخلود للحبيب والموت لكل ما سواه

يا هدهد الصبا لها أنا أرسلك إلى سبأ فانظر من أين إلى أين أرسلك!

حيفٌ أن يبقىٰ طائرٌ مثلك في متربة الدهر فها أنا إلى عش الوفاء أرسلك

في طريق العشق مرتبة للقرب وأخرىٰ للبعد أراك عياناً وبالدعاء أرسلك

غافلٌ عن دعاء الخير في الصباح والمساء في حديث الشمال والصبا أرسلك

أيها الغائب عن العين والذي صار أنيساً للقلب أقول لك: بالدعاء والثناء أرسلك[1]

---

(١) ترجمة نثرية لأبيات شعرية بالفارسية.

فداءٌ لحقيقتك! أيها الغافل عنه جلَّ وعلا! إن منهج العمل السلوكي[1] هو أن تهجر نفسك والاستبداد برأيها. لقد ضاقت روحي ذرعاً من كثرة تكرار القول بأن طريق النجاة والخلاص هو في الاستغراق بذكر الله تعالى والتفكّر في معرفة النفس، فالذكر والتفكّر هما دليلاك على الطريق: «يا من اسمه دواء وذكره شفاء»[2]؛ و:

دوائك فيك ولا تبصر   وداؤك منك ولا تشعر[3]

أنت نفسك حجاب نفسك، فتنحّ عن الطريق يا حافظ[4]

وجنابكم الموقّر تهتمون بكل شيءٍ إلاّ بهذه الكلمة الواحدة، فما دام الحال كذلك فاْسمع:

ابقَّ أنت مع المسبحة والمصلىٰ ومسلك الزهد والورع فطريقي أنا يمر عبر الحانة والناقوس وطريق الدير والمعبد[5]

وعلى أي حال فقد خرج جناب الحاج الميرزا فلان سلمه الله إن شاء

---

(١) يفهم من هذا المقطع أن هذه الرسالة بعثها لشخص طلب منه منهجاً للسير والسلوك إلى الله، لكن السيّد لم يجد منه عملاً صادقاً بوصايا سابقة.

(٢) مقطع من دعاء كميل المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام، والاستشهاد بهذا المقطع يرجع إلى كون الاسم هو ما يدل على المسمىٰ واسم الله هو ما يدل على صفاته والتفكر في الأسماء والصفات الإلٰهية يقود إلى معرفته وبالتالي الانجذاب إليه تعالى، كما أن ذكره يعين على شفاء الإنسان من الرذائل والتخلية ثم التحلية، وهما جناحا الوصول إليه تبارك وتعالىٰ.

(٣) الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام: ٤٣.

(٤) ترجمة نثرية لأشعار فارسية الأول لحافظ الشيرازي وفيه إشارة إلى استحالة الهجرة إلى الله دون الإعراض عن وثنية النفس، والثاني يشير إلى ضرورة التحرّر من التعجّب بالأعمال والجمود على ظواهرها الشكلية دون التعمّق في مضامينها الجوهرية.

(٥) نفس المصدر السابق.

الله من بين الماء والطين وأمسك بحبل معرفة النفس، وكذلك السيّد الميرزا فلان منشغل ـ ولله الحمد ـ بصورة جيدة تبعث على الأمل وسيظهر فيه المرجو قريباً ـ إن شاء الله.

المجاهدة الصادقة تثمر المعرفة الوجدانية ببشاعة بيت النفس

طلبت في رسالتك أن أكتب شيئاً في التضرّع والابتهال أيضاً لكي لا تبقى المكتوبات السابقة ناقصة! ولا أدري هل أضحك من هذا الكلام أم أبكي؟! يا ليت المكتوب قد نُقش في قلبك، وإلاّ فقد كتبوا الكثير الكثير!

إن هذه المسألة ـ فديتك ـ هي كسائر مسائل طريق الآخرة، ذوقية شهودية وليست تعليمية، فالباعث للتضرّع والابتهال هو الألم وحرقة القلب، أوجد هذه الحرقة في قلبك، عندها ستأتيك بالتضرّع والابتهال:

عندما يصيبك القليل من ماء الشعير بالعطش تتفجّر المياه من كل وجودك[1]

هل سمعتَ من أحدٍ يوماً أنهم علموا الثكلى البكاء أو علموا الحاملة الولادة؟ أجل إذا استأجروا امرأةً للنوح أو لتمثيل حالة الولادة احتاجوا إلى تعليمها تمثيل البكاء والمخاض!، إذن يتّضح من قولك هذا ـ إضافة إلى أمور أخرى ـ أنك لم تتوجه إلى الذكر الإلٰهي والتفكّر لإيقاد شعلة الشعور بالفراق وألم الهجران[2]، وأنك قصرت أيضاً في المجاهدة

---

(١) ترجمة نثرية لبيت شعر بالفارسية، ويبدو أن المقصود من ماء الشعير هو مقدار من المعارف الحقّة يبعث الشوق للتحرّك في روح السالك كما يشير لذلك كلام السيد ـ رضوان الله عليه ـ في الفقرة التالية لهذا البيت، وسيأتي بعض التوضيح في الهامش اللاحق.

(٢) لأن الذكر بحضور قلب يرسخ المعرفة بالله تبارك وتعالى ويفجر ينابيع محبته في القلب فيعشقه ويتوسّل بالضراعة والابتهال التي يفجّرها العشق ويتضرّع إليه للفوز بقربه، فيما يقوم التفكّر في صفات الله ومعرفة كماله وجماله وجلاله بتأجيج نار العشق المقدس هذا وبالتالي الضراعة والابتهال طلباً للزلفىٰ من الحبيب جلَّ وعلا.

وأصابك الغرور، وإلا فإن المجاهدة الصادقة تثمرُ العلم الوجداني بقبائح الأعمال والأفعال والسكنات والأخلاق والملكات؛ وهي نتيجة لدناءة مرتبة ذات النفس وهي حقاً جهنمٌ روحانية، والذي يرىٰ نفسه فعلاً وحقيقةً في جهنم لا يحتاج إلى تعلّم التضرّع والابتهال: «فهم والنار كمن قد رآها وهم فيها معذبون»[1].

والطريف الذي أثار تعجبي هو رغم عدم التفاتك إلىٰ كل تلك الحقائق؛ كيف عرفت حقيقة واحدة وبصورة جيدة أيضاً وهي شدة بلادتي ـ أنا الحقير ـ فأدخلت السرور إلى قلبي بالرشوةِ التي قدمتها له بقولك: لكي لا تبقىٰ تلك المكتوبات ناقصة!! ومع ذلك تقول: لم يحصل لي كشفٌ ولا شهود ولم أحصل على علم بحقائق الأشياء! ابق في هذا الوهم!!

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) مقطع من خطبة أمير المؤمنين الشهيرة في وصف المتّقين، الخطبة رقم ١٩١ من نهج البلاغة.

العقل ومعرفة الله في توضيحات الشيخ الخراساني والسيّد الكربلائي لمعنى بيت من شعر العطّار

[ملاحظة: وجه جامع هذا الكتاب الشيخ تائب التبريزي رحمه الله سؤالاً عن معنى بيت من الشعر ورد في ديوان منطق الطير ـ وهو أهم منظومة في الشعر العرفاني تشتمل على جميع مراحل السير والسلوك ومنازله وآدابه وحقيقة الوصول إلى الله ـ وجه هذا السؤال إلى العالمين العلمين آية الله الخراساني وآية الله الكربلائي، وأورد هنا نص السؤال وجوابهما عليه ـ المترجم ـ].

بسم الله تعالىٰ

السؤال: يقول الشيخ العطّار في منطق الطير:

هو على الدوام السلطان المطلق في كمال عزه مستغرق

لا يمل نفسه [لا يخرج من ذاته] في المكان الذي هو فيه متى يصلُ عقلُ الوجود إلى المكان الذي هو فيه(١)

لم نفهم معنى البيت الثاني، يرجىٰ توضيحه بصورة وافية.

---

(١) ترجمة نثرية لبيتين بالفارسية من ديوان منطق الطير.

جواب آية الله الشيخ محمد كاظم الخراساني[1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

لأنه [سبحانه وتعالى] قائمٌ بذاته ولا حاجة له إلى مكان، لذا فإن عقل الإنسان وخياله لا يصل أيضاً إلى حيث هو موجود مثلما أن العقل لا يصل إلى ذاته ولا يدركها فلا يوجد في ذلك المقام والمكان سوى ذاته المقدسة: «كان الله ولم يكن معه شيء»[2]، والآن كما كان[3]. ولا يسمح المقام بإطالة الكلام أكثر من هذا.

محمد كاظم الخراساني

جواب آية الله السيّد أحمد الموسوي الكربلائي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الغرض من هذا الشعر إقامة البرهان على عجز العقل عن بلوغ ذلك المقام الشامخ [لله] جلَّ وعلا، بواسطة طريق لِم وهو طريق الاستدلال على العلة بالمعلول.

إذْ أنّه قد تقرر في محله أن وجود الأشياء في علم الحق جلّ وعلا مقدم على وجودها في الواقع الخارجي بل هو من مبادىء وجودها في الخارج.

ومعلوم أنّ الوجود العلمي للأشياء هو بالإضافة الإشراقية العلمية

---

(١) من كبار الفقهاء الإمامية في القرن الهجري الرابع عشر (١٢٥٥ـ ١٣٢٩هـ.ق) صاحب كتاب الكفاية في الأصول، من كبار أساتذة الفقهاء في حوزة النجف الأشرف، مفجر الحركة الدستورية في إيران التي عرفت بالمشروطة.

(٢) في الكافي مسنداً عن الصادقعليه السلام: «كان الله ولا شيء غيره»، الأصول من الكافي ١: ١٠٧، باب صفات الذات، ح ١.

(٣) في توحيد الصدوق عن الإمام الكاظمعليه السلام: «إن الله تبارك وتعالىٰ كان لم يزل بلا زمان ولا مكان وهو الآن كما كان... [إلى أن يقول] ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور لا إلٰه إلاّ هو الكبير المتعال» (بحار الأنوار ٣: ٣٢٧).

للحق جلّ وعلا. وأيضاً، معلومٌ أنّ عدم العلّة هو علة عدم المعلول.

إذن فحاصلُ معنى هذا البيت من الشعر هو: أنه جلَّ وعلا في مقام عزّه الشامخ لا يرى ولا يدرك غير ذاته ولا يخرج منها. وهذه علّة عدم الأشياء في ذلك المقام المنيع، فكيف يستطيع العقل فضلاً عن غيرِهِ الوصول إلى ذلك المقام المنيع في حين أن فناءها واضمحلالها يكون قبل الوصول إلى ذلك المقام؟! قال علي بن الحسين عليه السلام:

«واستعلىٰ ملكك علواً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده، ولا يبلغ أدنىٰ ما استأثرتَ به من ذلك أقصى نعت الناعتين. ضلّت فيك الصفات وتفسّخت دونك النعوت وحارت في كبريائك لطائف الأوهام»(١). فلا يدركه ولا يراه إلا هو ولا يعلم ما هو إلاّ هو.

لطيفة

الأمر كما تقدم بيانه ولكن؛ يا رب لبّيك وسعديك، إن كنت أنت قابض الروح فمَن الذي لا يعطيها؟! نحن أيضاً نريد أن نعرفك بك ونراك بك فلن يكون مَن يراك غيرك، ولن يكون من يعرفك سواك: ـ «بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدرِ ما أنت»(٢).

الجاني أحمد الموسوي الحائري

---

(١) الدعاء الثاني والثلاثون من الصحيفة السجادية، وراجع كتاب التوحيد م نالبحار فقد اشتمل في الكثير من أبوابه على أحاديث كثيرة مروية عن المعصومين عليهم السلام بهذا المضمون. والمطلب من المطالب الدقيقة في التوحيد ولا تجد من بينه مثل أحاديث أهل البيت عليهم السلام وأدعيتهم ومناجاتهم. وإن شئت التعرّف على براهينه العقلية فراجع كتاب «التوحيد العلمي والتوحيد العيني» الذي اشتمل على مراسلات بين السيّد أحمد الكربلائي والشيخ محمد حسين الأصفهاني بشأن معنى هذا البيت من شعر الشيخ العطّار مع تذييلات ومحاكمات من العلاّمة الطباطبائي.

(٢) مقطع من دعاء أبي حمزة الثمالي المروي عن سيد العابدين عليه السلام لأسحار شهر رمضان، لاحظ مصباح المتهجّد للشيخ الطوسي: ٤٠٢.

سيرة العارف الكامل
آية اللّٰه الشاه آبادي (قدس سره)

العارف الكامل آية الله الشاه آبادي

العارف الكامل المرحوم آية الله الميرزا محمد علي الشاه آبادي بن العالم الكبير الشيخ محمد جواد الأصفهاني ولد في أصفهان سنة ١٢٩٢هـ.ق وبدأ الدراسة عند المرحوم الميرزا هاشم الجهارسوقي صاحب مباني الأصول وأخيه الأكبر الشيخ أحمد المجتهد ثم انتقل إلى طهران واشترك في درس الميرزا حسن الآشتياني صاحب «بحر الفوائد» والميرزا هاشم الگيلاني والميرزا أبو الحسن جلوة وقد تعلم من هؤلاء الثلاثة العظماء بالترتيب الفقه والأصول والفلسفة والعرفان ثم هاجر إلى النجف الأشرف ودرس فيها على الآخوند الخراساني وشيخ الشريعة الأصفهاني والميرزا حسين خليلي وغيرهم.

ثم انتقل إلى سامراء فاستفاد فيها من علوم الميرزا محمد تقي الشيرازي المعروف بالميرزا الصغير، والميرزا الثاني، بعدها عاد إلى إيران وسكن في محلة «شاه آباد» في شارع «جمهوري إسلامي» فعلاً، ولهذا اشتهر بالشاه آبادي وبدأ يقيم صلاة الجماعة ويدرس في مسجد «سراج الملك» وهو المسجد الذي كان والده يقيم الصلاة فيه.

انتقل المرحوم الشاه آبادي عام ١٣٤٧هـ.ق إلى قم واشتغل فيها بتربية الطلاب وبعد سبع سنوات استفاد فيها الإمام الخميني / رضون الله عليهُ من

أنفاسه القدسية وفي سنة ١٣٥٤هـ.ق عاد إلى طهران واشتغل فيها كذلك بالقيام بما يجب، والتأليف والتصنيف، إلى أن بلغ السابعة والسبعين من عمره وتوفي يوم الخميس الثالث من صفر ١٣٦٩هـ. ودفن في مقبرة الشيخ «أبو الفتوح الرازي» صاحب التفسير المشهور في زاوية مرقد عبد العظيم الحسني (رضون الله عليه) في شهرري... وتقع هذه المقبرة في القسم الشمالي من صحن مولانا حمزة وهي مدفن رجال عظماء[1].

شخصيته العلمية والعرفانية:

لقد كان المرحوم الشاه آبادي بحق عالماً عاملاً، وعارفاً كاملاً، وشخصيته مجاهدة، ويكفي في عظمته أنه مربّي قائد الثورة الكبير الإمام الخميني (رضون الله عليه) ولقد أشار الإمام في بيانه بمناسبة وفاة ابن أستاذه إلى هذا الأمر فقال: «هذا الشهيد العزيز هو الابن البار لشيخنا المعظم الذي له علي في الحقيقة حق الحياة ولا يمكنني باليد واللسان أداء حقّه علي».

والإمام أيضاً عندما يذكره يعبّر عنه عادة بالعارف الكامل روحي فداه مما يدلّ على مراتب علاقته به وحبّه إيّاه وتقديره له وإليك بعض النماذج من ذلك من كتاب معراج السالكين وصلاة العارفين:

١ـ يجب أن يكون الشيخ العارف الكامل الشاه آبادي روحي فداه كان يقول: يجب أن يكون الإنسان وقت الذكر كمن يلقن الطفل الكلام ليردده الطفل بعده... هكذا يجب أن يلقن الإنسان قلبه الذكر وما دام الإنسان يذكر بلسانه منشغلاً بتعليم قلبه فإن الظّاهر يُمدّ الباطن... وعندما تحل عقد لسان طفل القلب فإن الباطن يمدّ الظاهر كما أن تلقين الطفل كذلك... ما دام الإنسان يلقن الطفل فإنه هو الذي يعلمه ويمدّه،

---

(١) راجع في كثير مما ذكر «نقباء البشر» ج ٤/ ١٣٧.

وبمجرد أن ينطق الطفل يتولّد في الإنسان نشاط تزول معه كل آثار التعب السابق...

إذن في البدء يكون المدد من المعلم له... وفي النهاية يكون المدد منه إلى المعلم فإذا واظب الإنسان لمدة في الصلاة والأذكارُ والأدعية على هذا المنوال اعتادت النفس وتصبح الأعمال العبادية عندها كالأعمال العادية لا يحتاج حضور القلب فيها إلى جهد... بل تصبح مثل الأمور الطبيعية والعادية[1].

٢ـ في الحديث أن رسول الله ﷺ خط خطاً مستقيماً وخطوطاً في أطرافه وقال: هذا الخط المستقيم هو سبيلي ويقال إنه قال: شيبتني سورة هود لمكان هذه الآية إشارة إلى قوله ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾.

والشيخ العارف الشاه آبادي روحي فداه كان يقول: كلامه ﷺ سببه أنه طلبت منه استقامة الأمة. والدليل أن هذه الآية وردت في سورة الشورى ولم يقل عنها رسول الله ﷺ ما قاله عنها هنا والسبب أنها في سورة الشورى) غير مذيلة بهذا الذيل (ومن تاب معك)[2].

٣ـ الشيخ العارف الكامل جناب الشاه آبادي (روحي فداه) كان يقول: جميع العبادات تنقل ثناء الحق جلته عظمته إلى النشأة الملكية للبدن... فكما أن للعقل حظاً من المعارف والثناء الربوبي... وللقلب حظاً وللصدر حظاً فلملك البدن أيضاً حظ هو عبارة عن هذه المناسك... انتهى ما أفاده (دام ظله)[3].

---

(١) معراج السالكين وصلاة العارفين المطبوع ضمن «الذكرى السنوية للشهيد مطهري» الكتاب الأول / ٤٩.

(٢) المصدر السابق/ ٧٥.

(٣) المصدر السابق، من الجدير بالذكر أن الإمام أنهى كتابة هذه الرسالة بتاريخ ٢١ ربيع الثاني/ ١٣٥٨هـق أي في حياة أستاذه ولذا يعبّر عنه بـ «دام ظلّه».

وفي مكان آخر يقول: طيلة عمري لم أجد روحاً بلطافة روح آية الله الشاه آبادي وظرافتها ويقول العلاّمة الشهيد مطهري في هذا المجال:

جمع المعقول والمنقول. . . وصل في طهران إلى مقام المرجعية والفتوى. . وأثناء إقامة المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري في قم هاجر إلى قم لسنوات واستفاد الفضلاء من محضره كمال الاستفادة كان له في العرفان امتياز لا ينافس فيه وقد استفاد أستاذنا الكبير آية الله العظمى الإمام الخميني (قده) من محضره في تلك المدة وكان يثني عليه غاية الثناء خصوصاً في العرفان[1].

وقد كان عليه الرحمة بالإضافة إلى مقامه العلمي والعرفاني مجاهداً صلباً لا يلين. . . عندما قرر «رضا خان» تعطيل المساجد والمحافل الدينية تصدّى (له) رحمة الله وظل يعمل بوظائفه الشرعية والتوعية في إطار المعارضة لرضا خان بحيث اعتصم لمدة أحد عشر شهراً في حرم عبد العظيم الحسني (رضوان الله عليه) وقد شاركه في هذا الاعتصام الميرزا محمد قمي وآخرون.

* يقول سماحة الإمام بهذا الصدد: المرحوم آية الله الشاه آبادي فضلاً عن أنه كان فقيهاً وعارفاً كاملاً كان مجاهداً بكل معنى الكلمة.

مؤلفاته:

١ـ شذرات المعارف أو مرام الإسلام فارسي طبع مراراً.

٢ـ القرآن والعترة.

٣ـ الإيمان والرجعة رد على كتاب الإسلام والرجعة لشريعت السنگلجي.

---

(١) خدمات متقابل إسلام وإيران/ ١٦٥ بتصرف يسير.

٤ـ الإنسان والفطرة وهذه الكتب الثلاثة بالعربية.

٥ـ مفتاح السعادة في أحكام العبادة رسالة عملية بالفارسي مطبوع.

٦ـ رشحات المعارف جانب من دروسه العرفانية جمعها بعض مريديه في ٩٣ صفحة وطبعت في مشهد عام ١٣٩٠هـ ق.

٧ـ حاشية كفاية الآخوند الخراساني.

٨ـ منازل السالكين في العرفان.

٩ـ رسالة العقل والجهل.

١٠ـ رسالة في النبوة.

وبعض الرسائل الأخرى.

من قصصه:

يقول المرحوم آية الله السيّد أحمد الزيجاني وهو من مباحثي الإمام الخميني دام ظله ورفقائه في الدرس حول تهيئة الأسباب من الله تعالى:

المنام الآخر الذي أصبح سبباً في نجاة شخص من خطر الموت وهو المنام الذي رآه الميرزا أحمد علي الشاه آبادي وهو من معتمدي علماء طهران قال:

رأيت في المنام أني جالس مع عدّة أشخاص في مكان وكان معي طفل... وكان يوجد هناك منحدر... وكنت خائفاً أن يسقط الطفل في ذلك المنحدر... وفيما كنت مشغولاً بالحديث معهم كنت منتبهاً للطفل... وفجأة رأيت الطفل سقط... ومن خوفي استيقظت... أخرجت رأسي فرأيت ذلك الطفل واقفاً على حافة خزان الماء في المحلة أردت أن أصرخ: اِرجع فإذا به في تلك اللحظة يسقط في الماء فأسرعت وتناولته ولو أني استيقظت بعد لحظة لكان ذلك الطفل ـ بحسب الظاهر ـ قد مات.

سيرة العارف الكامل
صاحب الكشف الحقيقي
السيد حيدر الآملي

ترجمة السيد حيدر آملي

عندما لم تكن هناك مصادر متوفرة سوى التذكرات كانت معلوماتنا حول حياة حيدر الآملي قليلة جداً. ولكن بوجود التقريرين اللذين دوّنهما حيدر الآملي بنفسه حول سيرته زادت معلوماتنا أكثر. التقرير الأول من الناحية الزمانية قد ورد في نهاية مقدمة التفسير العرفاني الكبير: (المحيط الأعظم) والذي أنهاه حيدر الآملي عام (٧٧٧هـ). وقد ذكرنا آنفاً كيف عثر السيد عثمان يحيى على المجلّد الأول من هذا التفسير بخط المؤلف بمساعدة سماحة آية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، والمجلّد لا يزال في مدينة قم حالياً.

هذا التقرير يضم تفاصيل سنوات الدراسة والشباب، والأسباب التي دفعت حيدر الآملي لاتخاذ قراره المهم ليكون الزائر الأوحد الذي يغادر أرض إيران متوجهاً إلى الأماكن الشيعية المقدسة في قم. وللأسف الشديد فإن هذا التقرير ينتهي بهجرة المؤلف إلى مكة متناولاً فيه جزئيات إقامته الطويلة في أصفهان. وبما أن التقرير جاء ناقصاً في نسخة المؤلف نفسه لذلك ينقطع الأمل بالعثور يوماً ما على تتمته. فهل بقي التقرير ناقصاً ولم يدوّن تتمته؟ على أي حال فإنّ هذا التقرير الناقص يحرمنا من المعلومات التي كان ينوي حيدر الآملي أن يسطّرها حول الجزء الثاني من حياته.

والتقرير الثاني قد ورد في مقدمة نص النصوص أي: تفسير فصوص الحكم ابن عربي، والذي فرغ منه حيدر الآملي عام (٧٨٢هـ) في النجف. يتحدث فيه حيدر الآملي بإيجاز عن ذكرياته في مرحلة الشباب، والأزمة الروحية التي دفعته لزيارة الأماكن المقدسة. لكن هذا التقدير كامل، ويضمّنه المؤلف نشاطاته الكتابية وفهرساً بكتاباته وهو أمر مهم جداً لدينا. وبالجمع بين هذين التقريرين يظهر لنا مؤشر حياة السيد حيدر جلياً. وبالتعاون مع السيد عثمان يحيى قررنا وجود تمايز بين المرحلة الإيرانية إلى توجهه إلى الله عام (٧٥٠هـ) والمرحلة العراقية بدءاً بدخوله إلى الأماكن المقدسة عام (٧٥١هـ). وبالنظر إلى ملاحظات العلوم المكتبية فإنّ المرحلة العراقية تنقسم بدورها إلى قسمين: وعليه ينبغي أن ترسم ثلاثة مراحل متمايزة في حياة حيدر الآملي، سنطلق عليها حسب الترتيب أسماء أ، ب، ج.

وإستناداً إلى التقرير الثاني يبدو لنا أن ولادة السيد حيدر في آمل كانت عام (٧١٩هـ أو ٧٢٠هـ) باختلاف عام واحد، وإن كان الإحتمال الأقوى هو (٧٢٠هـ).

السيد حيدر بن علي بن حيدر عبيد الحسيني الآملي يعود نسبه إلى واحدة من الأسر العلومية الشهيرة في آمل، وكان سكان آمل منذ البداية من المسلمين الشيعة. إذا أسقطنا العام الفاصل بين حركته من آمل عام (٧٥٠هـ) ووصوله إلى الأماكن الإسلامية المقدسة عام (٧٥١هـ) يمكننا القول أن المرحلة الإيرانية للسيد حيدر كانت بين (٧٢٠ـ ٧٥٠هـ) وفي عام (٧٥٠هـ) غادر السيد حيدر. وفي نفس العام قُتل أميره. إنه يقول أن عمره كان حينها (٣٠) عاماً. وخلال هذه الفترة تلقى السيد حيدر تعليمه الأساس، واكتسب تجربته في الحياة. فهو يقول في جامع الأسرار أنه كان منذ بداية شبابه، بل وحتى في طفولته مقبل بشغف على مطالعة عرفان الشيعة الإمامية الإثنا عشرية. وقد رسم التقرير

الأول الخطوط الأساسية لشخصيته الأخلاقية والمعنوية على أفضل وجه، وسنوجز فيما يلي ما جاء فيه:

بسبب تعلقه بأسرته الهاشمية لذلك بدأ السيد حيدر الآملي بسرد شجرة نسبه المتصلة بالإمام الرابع الإمام زين العابدين عليه السلام ابن الإمام الحسين عليه السلام شهيد كربلاء. في هذه المخطوطة وكجامع الأسرار أيضاً يقول حيدر الآملي أنه قام بدراسة ظاهر الشريعة وتحصيل عقائد أجداده المعصومين منذ طفولته وحتى بلوغه الثلاثين، ثم تلقى العلوم المعقولة والمنقولة. بدأ دراسته في (آمل) ثم توجه إلى (استراباد خراسان) ومن هناك إلى (أصفهان) حيث أقام فيها لمدة. واستمرت دراسته مدة (٢٠) عاماً، وعليه فقد عاد السيد حيدر إلى مسقط رأسه (آمل) في عمره (٢٥) عاماً. وحينها كان حاكم طبرستان فخر الدولة حسن بن شاه كيخسرو بن يزدجرد، وقد ذكرنا فيما مضى موقعه من سلالة الباونديين[١]. وبشير السيد حيدر بصراحة إلى أصل هذه السلالة ويفخر السيد حيدر بأن نسب هؤلاء الأمراء يعود إلى الملوك الساسانيين الإيرانيين إلى ما قبل الإسلام، مما يبرز وجود الوجدان الإيراني لديه، كما أن وفاء الشيعة الإيرانيون إلى نسب الأئمة ولأصل الملوك والإيرانيين القدامى لا يعود إلى إدعاءات سياسة صرفة كما يدعي البعض.

---

(١) حول مجموع هذه الحوادث راجع: M. Rabino, Les dgnasties du Mazandaran in Journal asiatique, tome 228 Juilsept, 1936p. 409 - 437. وكذلك ص٤١٦ شجرة نامه باونديان. وكذلك راجع مقالة فراى در دانشنامه اسلام التدقيق الثاني لذيل باوند، والترجمة العربية لكتاب زامبور: كتاب معجم الأنساب والأسرار الحاكمة في التاريخ الإسلامي لإدوار فون زامبور. الترجمة العربية، القاهرة، ج٢، ص٧ ـ ٢٧٦ M. Rabino, op. cit.p. 435-NO. 31 et 33.
علاوة على حيدر الآملي يذكر جدهم حسام الدولة اردشير الذي امتدحه شعراء مثل ظهير الدين فاريابي، وسراج الدين قمري (رابينو، نفس المصدر، ص٤٣٠).

قام الملك فخر الدولة بتكريم السيد حيدر كثيراً، وجعله في زمرة المقرّبين منه وأمناء سرّه، ثم عينه وزيراً له[1].

يبدو أن السيد حيدر قد استغل حينها كل مواهب هذه الحياة من وضعه الأسري والفخر والثروة والسلطة والعلاقات والإقامة الفاخرة والأصدقاء والأعوان الموالين، مما يدل أنه لم يكن محروماً من أي شيء، لكنه روحياً كان يحس بالمرارة والآلام وهو في قمة حياة مرفهة حيث يقول: (واستمر الأمر على هذا المنوال حتى غلب في باطني دواعي الحق، وكشف الله لي فساد ما أنا فيه من الغفلة والجهل والنسيان، وظهر لي ضلالي عن طريق الحق، والإستقامة على سبيل الزيغ والطغيان. فناجيت ربي في السرّ وطلبت منه الخلاص عن الكل، وحصل لي شوق تام إلى الترك والتجريد والتوجه إلى حضر الحق بقدم التوحيد، وما كنت أتمكن من هذا في صحبة هؤلاء الملولك، ولا في الموطن الأصلي المألوف مع صحبة الإخوان والأصحاب).

زائرنا يتخلّى عن كل الدنيا وزخارفها مكتفياً بالخرقة، متوجهاً نحو زيارة الأماكن المقدسة للتشيّع، ثم إنلى بيت المقدس ومكة. ويمرّ حيدر الآملي في طريقه على قزوين وري وأصفهان، وكان قد قضى مدة من الزمان مقيماً في أصفهان من قبل مستفيداً فيها من مواهب شبابه، لكن السيد حيدر هذه المرة لا يتلقى إلاّ الصوفيين، ويعقد عهد المودّة مع أهل الفتوة. وقد تعلق السيد حيدر بشكل خاص بالشيخ نور

---

(١) يذكر حيدر الآملي أنه كان في خدمة أخوة الحاكم أيضاً: جلال الدنولة اسكندر، وشرف الدولة جُستهم. في شجرة الأنسان الملحقة بكتاب رابينو (ص٤١٦) ذكر اسم شرف الملك رستم فقط. الذي حكم لمدة ستة سنوات فصلت بين عهدي شاه كيخسرو وفخر الدولة.

الدين الطهراني[1]. (هذا الشيخ كان عارفاً كبيراً وزاهداً عدّه من خواصه...) وللأسف فإنّ التقرير ينتهي بهذه العبارة الناقصة، وكما أسلفنا لا نتوقع العثور على تكملته في مكان آخر.

وحول التجارب الروحية للسيد حيدر في أصفهان أيضاً لم نعثر على معلومات كثيرة، عدا منامين سنشير إليهما لاحقاً، يفهم من التقرير الثاني أَنهما يعودان إلى مرحلة بعد إتخاذه قرار الهجرة، يظهر منهما ما سيقوم به السيد حيدر في المرحلة الثانية من حياته.

وهكذا تبدأ المرحلة العراقية أو القسم الأول من المرحلة الثانية فيتوجه السيد حيدر إلى مكة والمدينة وينوي الإقامة هناك (ذكر أن تاريخ هذه الزيارة عام ٧٥١هـ) لكن مرضه يجبره على العودة إلى العراق. وبما أن تاريخ تدوين الرسالة الثانية كان عام (٧٦٨هـ) في النجف، لذلك فإنا نعتبر هذا التاريخ مؤشراً لتعيين المرحلة العراقية الثانيبة (المرحلة ٢) بالنسبة لتحديد كتبه كحد أدنى.

يقول كتّاب التذكرة[2] في بداية القسم الأول من هذه المرحلة تلقّى

---

(١) هذا الشيخ من أهالي طهران الحالية لإيران. يوضح حيدر الآملي أن طهران هي (قرية قرب بوابة أصفهان نحو الصحراء، ويطلق على سكانها تِران) وقد سألنا كثيراً عن تلك القرية، لكن محلها الدقيق لم يتضح. ويقال أن مسجد الجمعة موجود في محلة يقال لها تِران. لكن المسجد احترق عام ١١٢١م وأعيد ترميميه ويحتمل أن حيدر الآملي قد زاره خلال إقامته في أصفهان، لكنه لم يصرّح أنه المكان المقصود.

(٢) محمد علي التبريزي ذكر المؤلف مرتان. ريحانة الأدب، ج١، ص٣٠ ـ الرقم ٥٤. وج٢، ص٤٩٨، الرقم ٨٩٢، والمرة الثانية أكثر تفصيلاً من الأولى (التبريزي لا يوضح هل يتذكر المرة الأولى أم لا؟) راجع القاضي نور الدين الشوستري. مجالس المؤمنين، الطبعة الحجرية، بومباي، ص٢٥٥ ـ ٢٥٦، الخونساري، روضات الجنات، طهران ١٣٠٦هـ، ص٢٠٣ ـ ٢٠٤. طرائق الحقائق، ج١، ص١٠٤ ـ ١٠٥ وص ١٩٩.

السيد حيدر دروسه على الشيخين الكبيرين مولانا نصير الدين الكاشاني الحلي (متوفى (٧٧٥هـ) والشيخ فخر الدين محمد بن حسن بن مطهر الحلي المعروف بفخر المحققين (٦٨٢ ـ ٧٧١هـ)[١].

فخر المحققين هو ابن العلامة الحلي (٦٤٨ ـ ٧٧١هـ) وقد ذكرناه آنفاً، وقد تلقى علومه عند نصير الدين الطوسي والكاتبي القزويني، وكان أحد أساطين الكلام الشيعي في زمانه[٢].

في عام (٧٦١هـ) حصل السيد حيدر على إجازة من فخر المحققين[٣]. ودوّن: رسالة رافعة الخلاف (الرقم ١٦ في الفهرس) بطلب من فخر المحققين، وقضى مدة في مكاتبته العلمية (الرقم ٣١ من الفهرس) وهذه المعلومة الوحيدة المعتبرة في فهرسة كتب السيد حيدر وهي ما أوردها السيد حيدر نفسه في تقريره الثاني. ونشير إلى أن آخر تاريخ يعود لتحريره رسالة العلوم العالية عام (٧٨٧هـ) وكان عمره آنذاك ٦٥ عام شمسي (٦٧ عام قمري) ولا نملك أية معلومات عن حيدر الآملي بعد هذا التاريخ ولا ندري متى وكيف غادر هذه الدنيا.

صحيح أن زمان تدوين الكتب جاء في بداية تدقيق هذا الكتاب ضمن شرح أحواله وهو أمر مهم بالنسبة لنا، وسنذكر آنفاً كيف يمكن تقسيم كتب السيد حيدر إستناداً إلى هذه المعلومات لكن عندما نتحدث عن شخص إستثنائي كالسيد حيدر الآملي فإن أيّ توضيح حول كتبه لا يشتمل على إشارة ولو مجملة حول شخصيته بحيث تتجلى روحه من خلال تلك

---

(١) مكرر ـ فقيه ومتكلم إمامي. ريحانة الأدب، ج٤، ص٢٠٢، رقم ٣٥٩.
(٢) ريحانة الأدب، ج٤، ص١٩٧ ـ ١٩٩، رقم ٣١٨.
(٣) نفس المصدر، ١٠٦ ـ ١١٦، رقم ١٩٠.

الكتب سيكون توضيحاً ناقصاً. لذلك فإننا من خلال التقريرين اللذين يبينان الآفاق المعنوية لحياته وفكره نضيف فقرات من الكتاب هذا، لتقوم هذه الفقرات بتبيان هدف وأسلوب السيد حيدر، ليتضح لنا من خلال ذلك أنه كان نموذجاً بارزاً للإسلام الشيعي في القرن الثامن، بل شكّل الحكمة الخالدة أيضاً.

ذكرنا آنفاً أن التقرير الثاني الذي ورد في مقدمة شرح فصوص الحكم لابن عربي جاء فيه أن السيد حيدر الآملي قد أنهاه عام (٧٨٢هـ). وكان عمر حيدر الآملي حينها(٦٢) عاماً، وقد مضى (٣٢) عاماً على مغادرته لمسقط رأسه. يقول فيه السيد حيدر:

(إن الله تعالى لمّا أمرني بترك ما سواه، والتوجه إلى حقّ التوجه[1]، ألهمني بطلب (كذا) مقام ومنزل أسكن فيه وأتوجه إلى عبادته وطاعته، بموجب أمره وإشارته، (مكان) لا يكون أعلى منه ولا أشرف، في هذا العالم).

(فتوجهت إلى مكة ـ شرّفها الله تعالى ـ بعد ترك الوزارة والرياسة والمال والجاه والوالد والوالدة، وجميع الأقارب والإخوان والأصحاب، ولبست خرقة ملقاة خلقاً لا قيمة لها. وخرجت من بلدي الذي هو آمل وطبرستان من طرف خراسان).

(وكنت وزيراً للملك الذي (هو) بهذا البلد، وكان من أعظم ملوك الفرس، لأنه كان من أعظم أولاد كسرى، وكان اسمه الملك السعيد فخر

---

(١) راجع علي نقي منزوي، فهرس كتب مشكاة المهداة، ج١، ص٧٠ الأوراق التي كتبها سيد حيدر تحمل تاريخ ٧٦٢هـ. وتشمل المخطوطة إجازة مؤرخة ٧٦١هـ من فخر المحققين لحيدر الآملي. راجع فهرس الكتب، الرقم ٣١.

الدولة ابن الملك المرحوم شاه كتخذا[1] ـ إطاب (كذا) الله ثراهما وجعل الجنة مثواهما ـ وكان عمري في هذه الحالة ثلاثين سنة.

وقد جرى عليّ إلى حين الوصول إلى مكة، في هذه الصورة، أنواع من البليّات، وأصناف من المجاهدات، لا يمكن شرحها إلاّ بمجلّدات، ومع ذلك كان أكثر الحالات جارياً على لساني قول الله جلّ ذكره: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2] وقول العارف المشتاق مثلي:

تركت الخلق طرّاً في رضاكا وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطّعتني إرباً فإرباً لما حنّ الفؤاد إلى سواكا

(وعلى الجملة (ما زال هكذا شأني حتى وصلت إلى مكة. وحججت وجوباً وقمت بالفرائض والنوافل من المناسك وغيرها، سنة إحدى وخمسين رسبع مائة من الهجرة. وأردت المجاورة بها، فحصل لي شوق إلى المجاورة بالمدينة، فإني ما كنت زرت رسول الله ﷺ ولا أولاده وأصحابه).

---

(١) كما ذكرنا آنفاً أن اسم والد فخر الدولة هو شاه كيخسرو. راجع رابينو، نفس المصدر، ص٤٣٥، رقم ٣١، حكم ركن الدولة شاه كيخسرو بن يزدجرد لمدة (١٤) عاماً، وتوفي عام ٧٢٨هـ. (اشترى قرية بيمت قرب جنجاورروز من المحافظ نصير الدولة شهريار، واتخذ فيها مقراً لأسرته. وعاش فيها أفراد من أسرته حتى عام ٨٨٠هـ) لماذا جعل حيدر الآملي اسم المختار مكان اسم كيخسرو؟ هذين الاسمين إيرانيين بالكامل. هنا علينا لفت الإنتباه إلى أهمية المختار Oikodepotes اليونانية في مجال علم النجوم. وقد كتب المترجمون والنسّاخ اللاتينيون هذه الكلمة بأشكال مختلفة. على سبيل المثال كامبانلا أوردها على هذا النحو colcodea. راجع مقدمتنا الفرنسية على مصنّفات الشيخ شهاب الدين السهروردي (خزانة المخطوطات الإيرانية، الرقم ٢) ص٤٩، وكذلك Nallino, Raccoltidi, VIP. 264 sf.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

(فتوجهت إلى المدينة، وزرت رسول الله ﷺ وعزمت على المجاورة. فحصل لي أيضاً مانع من الموانع، أعظمها المرض الصوري، بحيث وجب الرجوع إلى العراق، وإلى المكان المألوف الذي هو المشهد الغروي المقدس سلام الله على مشرّفه).

(فرجعت بالسلامة إليه، وسكنت فيه، مشتغلاً بالرياضة والخلوة والطاعة والعبادة، التي لا يمكن أن يكون أبلغ منها، ولا أشد ولا أعظم. ففاض على قلبي من الله تعالى، ومن حضراته الغيبية[١] في هذه المدة غير ما قلته من تأويل القرآن وشرح الفصوص، من المعاني والمعارف والحقائق والدقائق، التي لا يمكن تفصيلها بوجه من الوجوه، لأنها من كلمات الله الغير القابلة للحصر والعد والإنتهاء والإنقطاع).

هذه الفقرات لا تستعرض لنا حالاً خارجية وعلماً بحادث روحياً فقط، بل تظهر لنا سرّاً باطنياً لرجل كان في قمة الصلابة والأصالة. فهذه الفقرات تفيض بهيجان يبيّن إستعداداً وقريحة خاصين بحيدر الأملي. ولتوضيح ما يمكن أن يبين شخصيته بأفضل وجه يمكننا الإشارة إلى خياله الخلاّق أي قدرته على مشاهدة عالم المعقول في مرتبة عالم المثال. هذه القوة تصل إلى مرتبة من الإدراك الشهودي من خلال الرؤيا أحياناً ومن خلال عالم المثال أحياناً أخرى. وقد دوّن حيدر الآملي تقارير حول رؤاه وخلساته، وخاصة منامين رآهما في أصفهان خلال سفره من مسقط رأسه (طبرستان) إلى الأماكن الشيعية المتبركة.

أعلم أني كنت في حالة السلوك بأصفهان، وكنت عازماً إلى بغداد

---

(١) حضرات الغيبة: المقصود بالحضرات مراتب الوجود والتجلي في علاقتها مع مراتب الوعي والإدراك. إستخدمنا هنا المصطلح الذي استخدمه رامون لول (نلفت النظر أن كوربان ترجم الحضرات الغيبية بـ Dignités suprasensibles توضيح من المترجم).

لزيارة المشاهد المقدسة للأئمة... في وسط سوق البزازين به (كذا) وأشاهد جسمي على الأرض... ممدوداً بالطول وهو ميت، ملفوف بالكفن الأبيض، وأنا أتفرج عليه وأتعجب من هذا: بأني كيف أنا واقف وكيف أنا ميت مرمى؟ ولا زلت على هذه الحالة حتى انتبهت... ورأيت مرة أخرى أيضاً في أصفهان، أني قاعد على دكان بعض الأصحاب... وعلى كتفي ظرف من الرصاص المذهّب، كظرف بعض السقائين الذين يدورون على الناس ويسقونهم... وأنا أسقي الحاضرين كذا هناك، وأتفرج على نفسي...).

كل واحد من تلك المنامات يبيّن الحالة الباطنية للسيد حيدر بعد أن قطع علاقته بحالات الشباب من أجل عبادة الله. وعليه فإنّ حيدر الآملي يرى بعينه في منامه تجربة تسمّى في علم النفس العرفاني الولادة المعنوية للإنسان الجديد.

وهنا تقرير آخر للسيد حيدر الآملي عن مناماته الأخرى، وخاصة منامه الذي رأى فيه جدولاً مشتعلاً في سماء بغداد ليلاً (ولا يصرّح السيد حيدر أنه رأى ذلك في منامه أم في عالم المثال) وكلها تبرز شوقه وحماسه الشيعي: أسماء المعصومين الأربعة عشر قد كتبت بحروف من نور في دوائر لاجوردية، وقد إجتمعت في زوايا كبيرة من السماء المليئة بالنجوم[1].

وكما يقال فإن الإنسان بما يحب ويعشق، لذا فإن منامات السيد حيدر الآملي وأقرانه كروزبهان وشمس اللاهيجي وميرداماد وغيرهم لا تفسّر إلا باللإلتفات إلى عشقهم وعلة وجودهم ومعنى حياتهم وآثارهم.

---

(١) تفصيل هذه الرؤيا جاء في مقدمات شرح الفصوص.

لذا فإنّ مشروع حيدر الآملي واضح جداً وهو عشقه وارتباط. فحيدر الآملي شيعي إمامي، والتشيع يمثل عنده الإسلام كله وباطنه. فالتشيع بنظره هو الإسلام الكامل والقائم على أساس الشريعة والطريقة والحقيقة كما أن التشيع في هذه النظرة هو باطن الإسلام، فالحقيقة هي باطن الشريعة، والشريعة هي ظاهر الحطيقة، وخزانة المعرفة الباطنية وخزّانها هم الأئمة المعصومون الوضع القائم أمام ناظري حيدر الآملي كان كما يلي: أن الشيعة يهاجمون الصوفيين والصوفيون يهاجموهن الشيعة. الشيعة اكتفوا بالشريعة وظاهر الديانة والصوفيون نسوا أصل خرقتهم وتخلّوا عن الحقيقة في الخلاء. ويخطىء الشيعة والصوفيون بقولهم أن تعاليم الأئمة المعصومين، ليست من العلوم العالية ـ في حين أن الأئمة كانوا أساتذة العلوم العالية ـ. والمؤمن الممتحن هو الذي يعتقد بأهداف وتعاليم الأئمة المعصومين والشريعة الكاملة التي تشمل الطريقة والحقيقة. لذلك هناك في مقابل الشيعي الذي يكتفي بالشريعة هناك التشيع الحقيقي الصوفي. لكن في مقابل العارف الذي نسي أصل خرقته هناك الشيعي التام الصوفي الحقيقي.

جميع جهود حيدر الآملي انصبت في (جامع الأسرار) على إقناع الطرفين الصوفية والشيعة أنه لا يمكن لأي منهما أن يستغني عن الآخر والبحث الأساس لكتاب جامع الأسرار الكبير هو أن الشيعة الحقيقيون هم الصوفيون ـ وهي العبارة التي لا يفهم معناها إلا بالنظر عكسها حيث الصوفيون الحقيقيون هم الشيعة ـ فقراءة الفاتحة وخاتمة الكتاب بعدها أمر ملفت جداً. وقد ترجمنا فاتحة الكتاب في موضع آخر وقد نشرت نفس المقالة في الكتاب المذكور، الرقم ١٨.، وهنا سنبرز الصفحات النهائية (خاتمة الكتاب) على شكل وصيّة معنوية، وخير ما نورده في هذه

الصفحات التعريف بشخصية السيد حيدر، وتوضيح عالمه المعنوي لتبرز أهمية مشروعه وجرأته.

يقول السيد حيدر آملي:

(وينبغي أن تعرف أيضاً أنه ليس مرادنا من هذا البحث معك ومع غيرك العصبية والجدال، نعوذ بالله منه! بل المقصود إصلاح ذات البين، وإيصال كل واحد منكم إلى حقّه، لقوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[1] وإلاّ بعناية الله وحسن توفيقه، فأنا فارغ من أمثال ذلك، لأني، منذ عشرين سنة، شاهدت الحال على ما هي عليه، كما ذكرت في المقدمة، وخلصت من هذه الظلمات، وخرجت عن هذه الدركات، أي ظلمات المعارضة والمجادلة، ودركات العصبية والجدال، والحمد لله على ذلك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[2] ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ﴾[3] ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[4] وفيه (أن في هذا الحال الذي أنا عليه) أقول ما قد قيل (سابقاً) فإنه مناسب لحالي، وهو في أكثر الأوقات جارٍ على لساني شعراً:

أحبّك حبين حب الهوى   وحباً لأنك أهل لذاكا[5]

في هذه السطور كما في الفقرات الأخرى تظهر شخصية حيدر

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.
(٣) سورة النور، الآية: ٣٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٤.
(٥) شعر لرابعة، راجع فهرس الأشعار المنقولة في كتاب حيدر الآملي، ذيل الحرف كاف.

الآملي بوضوع فجأة. نورد لاحقاً عبارات من خاتمة الكتاب يوضح فيها المؤلف سبب كتابته باللغة العربية حيناً وباللغة الفارسية حيناً. ثم يخاطب الشيعة والصوفيين موضحاً اتجاه إهتمامه من بينهم، وينبههم إلى بيان قد أورده في مقدمة الكتاب، ويكرر في آخر صفحة أشهر أشعار ابن عربي لتكون بمثابة صدى يدوّي قد صوته قطعة موسيقية قوية بلغت أقصى حدّها:

(فإنِ لا يختلف ـ أي قول الله ـ باختلاف الألسنة حقيقية وإن اختلف مجازاً، حيث ظهر بالعبرانية والسريانية والعربية وغير ذلك: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾[1] فكذلك قول هؤلاء القوم، فإنه لا يختلف باختلاف العبارات وشتيت الألسنة، عربية كانت أو عجمية، هندية كانت أو رومية، فإذاً لا ينبغي لهم أن يذمّوه ـ أي كلام المصنف ـ بركاكة الألفاظ وضعف التركيب، فإنه ـ أي المصنف ـ مقرّ بذلك وهو في قدم العذر «والعذر عند كرام الناس مقبول».

ولما كان طالبوا هذا الكتاب مستأنسين بالعربية، آلفين بها، لما كتب ـ المصنف ـ المعنى المقصود بالعربية، فهو ما أظهره إلاّ بلسان أراده منه طالبوه لأنسهم به وسرعة تعقّلهم له، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾[2] ولـقـولـه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾[3] ولهذا كم من كتب ورسائل كتبتها بالفارسية حي كان طالبوها أعجام

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

والتمسوا ذلك مثل: «جامع الحقائق» و«رسالة التنزيه» و«أمثلة التوحيد» وغير ذلك.

ومنها: أن لا يوهم من الصوفية، إذا سمع بذكرهم قبل الإطلاع على أصولهم وقواعدهم، الصوفية الذين هم في هذا الزمان، لأنهم ليسوا في الحقيقة بصوفية، كعلماء هذا الزمان أيضاً ليسوا بعالمين حقيقة، بل إذا خطر بخاطره أو سمع من غيره أو طالع من الكتب أحوالهم، يتصوّر منهم أقدمهم وأعلمهم وأعظمهم، مثل سلمان الفارسي وأويس القرني وأهل الصفة، الذين ورد فيه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٢﴾[1] وكذلك المقداد وأبو ذر وعمار وأمثالهم، وبعدهم كميل بن زياد النخعي وأبو يزيد البسطامي والجنيد البغدادي، الذين كانوا تلامذة للأئمة المعصومين عليهم السلام، وكانوا مريديهم ومودعي أسرارهم، كما عرفته في الفصل الأول).

ويخاطب حيدر الآملي الشيعة موضحاً أن قصده هم الشيعة الإمامية الإثنا عشرية وليست باقي فرق التشيع، ذلك لأن الشيعة الإمامية هم الذين جعلوا أصولهم قائمة على النص وعصمة الأئمة وفروعهم قائمة على النقل الصحيح من النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة. وهم الذين وردت بحقهم هذه الآية: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[2].

وبهذا الترتيب يورد في آخر صفحات جامع الأسرار خلاصة آرائهم التي أوردها مفصلة في متن الكتاب، ومن بين أولئك من يمكن أن

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

يسمّى: بالصوفيين المحض والشيعة الصرف. وعلى هاتين الفئتين أن تعلمان أنهما تكملان بعضهما البعض الآخر، وعليهما أن يتبادلا الإحترام، تلك هي أول المرحلة التي يختم الكتاب على أساسها بتعريف مكرر للشيعي الحقيقي والشيعي الكامل وباختصار.

(وشرف الطائفتين المذكورتين ـ أي الشيعة الإمامية والصوفية ـ ومنزلتهما، بل حقيقتهما بأنهما حاملتا أسرار الأنبياء والأولياء عليهم السلام ظاهراً وباطناً، لأن الأنبياء والأولياء كانوا جامعين لجميع الأسرار الإلهية ظاهراً وباطناً، فالشيعة قاموا بحمل أحكامهم وأسرارهم بحسب الظاهر والشريعة، والصوفية قاموا بحمل أسرارهم وحقائقهم بحسب الباطن والحقيقة، وإن كانت الصوفية بالحقيقة أيضاً هي الشيعة، كما عرفته عند بحث المؤمن الممتحن وغير الممتحن).

في الواقع اعتمد حيدر الآملي على سنة الأئمة ففصل البحث الأساسي في متن الكتاب: فالمؤمن الممتحن هو الشيعي الكامل، وليس الشيعي صرفاً الذي أشار إليه آنفاً والذي يكتفي بالعمل بظاهر الديانة. كما أن المؤمن الممتحن ليس ذلك الصوفي المحض الذي يتناول الشيعة بالسوء والذي نسي خرقته وأن أول الصوفيين المريدين هم الأئمة. وقد تحدث حيدر الآملي عن الصوفيين الحقيقيين آنفاً. وكان يمكن أن يضيف إلى تلك الأسماء اسم (سعد الحموئي) ذلك لأنه أورده في مكان آخر. وكان ينبغي لحيدر الآملي أن يتحدث عن علاقته المعنوية والشخصية مع الإمام الغائب.

فمفهوم المؤمن الممتحن هو الذي يسمح بإبراز تطلّعات التصوّف والتشيّع ومنعهما من المواجهة. فالفرد المعنوي هو الشيعي الكامل الذي

يصفه هذا البيان، وهو حسب مقدمة الكتاب نفس الشخص الذي يعتبره حيدر الآملي مثله في هذا العالم. والسيد حيدر الآملي يعلم أن من حوله يتطلعون لمثل هذا الشخص، وإذا كان بعض الأخوة قد طلبوا منه تأليف كتاب جامع الأسرار فذلك لأنهم رأوا فيه معنوية الشيعي الكامل للشريعة والحقيقة، الذي لن يقوم إلاّ بتدوين تعاليم الأئمة المعصومين[1]، هنا ينبغي التخلّي عن القضاوة المشتركة للشيعة صرفاً والصوفيين السنّة (الذين هم ـ نوعاً ما ـ ممثلوا التشيع بين أهل السنة دون أن يدروا) القائلة بأن الأئمة المعصومين لم يكونوا مطلعين على العلوم العالية. فحيدر الآملي كمتحدث عن جميع العرفاء الشيعة يقول: (لا توجد في الحقيقة معرفة قد صدرت عن غير الأئمة، وليس فيها سرّ ليسوا هم مستودعه، فالأئمة هم رؤساء الشريعة وأهل الطريقة وأقطار أساطين الحقيقة).

مقصود الحكيم الشيعي من هذا البيان ليس الشخص الجسماني للأئمة وظهورهم التاريخي، بل وجودهم الأزلي وتعلقهم بعالم الحقيقة المحمدية. فيكتب حيدر الآملي (إنهم خلفاء الله في الأرض والسماء، ومظاهر كبريائه وجلاله في الملك والملكوت) (الفصل ١٤). وعليه فإن الشيعي لن ينال حقيقته إلاّ إذا أصبح فرداً كاملاً معنوياً أراده الأئمة منذ البداية.

حيدر الآملي ليس فرداً مبدعاً ولا فريداً. فالأحاديث التي أوردها في كتبه تدل أنه مفسّر وأمين على التعاليم الكاملة للأئمة. فهدفه المعنوي في حياته وشخصه ـ حتى عندما يتخذ قرارات مؤلمة نحو أهدافه ـ هو الفرد المعنوي المتمثل في التشيع الإيراني ـ رغم تشتتهم ـ في أفراد مثل الميرداماد والملا صدرا ومحسن فيض والقاضي سعيد القمي والشيخ أحمد الإحسائي وغيرهم.

---

(١) جامع الأسرار، ص٤، ٥.

(منها أنه ينبغي أن لا يحكم باعتقاد صاحبه ـ أي صاحب هذا الكتاب أو هذا المقام ـ إلاّ على الوجه الذي تقرر في هذا الكتاب من أوله إلى آخره، لكن بعد تأمله وتحققه على ما ينبغي، أعني لا ينبغي أن يعرف إلاّ جامعاً بين أسرار الأنبياء والأولياء عليهم السلام، بحسب الظاهر والباطن، المعبر عن ما بالشريعة والطريقة والحقيقة، والجمع بينهما ـ أي بين الظاهر والباطن ـ بالحقيقة، الذي هو إكمال المقامات وأعظم المراتب، المشار إليه مراراً، بحيث لا يُعَد من الشيعة الصرفة ولا من الصوفية المحضة، بل متصفاً بالمقام المحمدي الذي هو الجامع بين المقامين، لقوله عليه السلام: «قبلتي ما بين المشرق والمغرب» المعبر عنه بالدين القيّم في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١] لأنّ غير ذلك يكون ظنّاً في حقه، و﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٢] و﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[٣].

ولذلك أقول فيه ما قد قال أكمل الخلق وأعظمهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[٤] و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٥] ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٦].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٢.
(٣) سورة النجم، الآية: ٢٨.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.
(٦) سورة الجمعة، الآية: ٤.

وأقول أيضاً في آخر الكتاب ما قد قلت في أوله، لأنّ النهايات هي الرجوع إلى البدايات، وأقطع الكتاب عليه، وهو هذا:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن قلبي إلى دينه دانِ
لقد صار قلبي قابلاً كلّ صورة فمرعى لغزلانٍ وديراً لراهبِ
وبيتاً لأوثانٍ وكعبة طائفٍ وألواح توراةٍ ومصحف قرآنِ
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه أرسلت ديني وإيماني[1].

يبدو أن السيد حيدر اعتبر أن هذا الشعر المعروف لابن عربي علامة للإيمان الباطني (المؤمن الممتحن) و(الشيعي الكامل) ودليلاً على التحاق ابن عربي بالحكمة الشيعية. تكرار هذا الشعر في خاتمة كتاب اشتمل على مباحث جافة فلسفية وحكمية أمر خاص بأسلوب حيدر الآملي، وهو أسلوب يميل إلى التحرير الموسيقي مباشرة، وهو يأتي في معرض الإجابة عمن يسأل عن سبب تكرار شعر ابن عربي هنا، ليكون كنغمة تحاول أن تبين أمراً تعجز الكلمات عن تبيانه.

شرح الحال الموجز الذي ورد هنا بحاجة لتوضيحات أخرى ليتحول إلى مقدمة تعريف لهذا الكتاب. وكما ذكر آنفاً فإن السيد عثمان يحيى قدم بصبر العناوين التي عرفت من مؤلفات حيدر الآملي ـ في شرح حالة التقرير الثاني وفي الفهارس التي نقلها ـ للأسف ـ كل واحد عن غيره وسعى إلى تحديد تواتر تلك المؤلفات إستناداً إلى التواريخ التي ذكرها حيدر الآملي. فعلى سبيل المثال في الرسالة الأولى المطبوعة في هذه المجموعة ذكر حيدر الآملي في جامع الأسرار أسماء ثمانية رسائل كان

(١) هذه الأشعار مأخوذة عن القصيدة رقم (١١) من ترجمان الأشواق. راجع طبعة نيكلسون، لندن ١٩١١، ص١٩ و٦٧.

قد حررها قبل ذلك. وفي الرسالة الثانية ذكر المؤلف في نقد النقود أربعة أسماء كتب لم يتكرر منها سوى اسم واحد جاء في الرسالة الأولى.

وفي حديثه عن سيرته أي في مقدمات نص النصوص في شرح فصوص الحكم لأبن عربي كتب نقلاً عن مخطوطة جار الله (١٠٣٣) اسطنبول أن حيدر الآملي سيذكر فيما يلي (٢١) اسماً من مؤلفاته.

وكما ذكرت من قبل أنني والسيد عثمان يحيى قد قسّمنا النشاط الحياتي لحيدر الآملي إلى مرحلتين، بل وبشكل أدق إلى ثلاثة مراحل هي المرحلة الأولى هي المرحلة الإيرانية، والمرحلتين الثانية والثالثة يمكن إدخالهما بنظرة كتبية في المرحلة العراقية بدءاً بهجرة السيد حيدر من آمل في سنّه الثلاثين.

كما ذكرنا من قبل ولد السيد حيدر عام ٧٢٠ في مدينة آمل، وبعد أسفاره الدراسية بقي مقيماً في آمل حتى بلوغه الثلاثين عام (٧٥٠هـ) وبما أن السيد حيدر قد ذكر أن كتاب جامع الأسرار هو أول مؤلفاته التي فرغ من تأليفها بعد وصوله العراق ببرهة قصيرة، يمكن القول أن جميع المؤلفات التي ذكرت في جامع الأسرار كان قد ألفها خلال المرحلة الإيرانية، أي بين سنة (٢٥ ـ ٣٠) عاماً، أو كحد أقصى مع بدء المرحلة العراقية.

ونعود هنا ثانية إلى توضيح سيرته من حيث توقفنا. توجه حيدر الآملي إلى مكة والمدينة، وكان ينوي الإقامة هناك، لكن وضعه الصحي أجبره على العودة إلى العراق. هذه المرحلة كانت مثمرة ومليئة بالإلهامات. يقول حيدر الآملي عنها. (فأمرني [الحق تعالى] بإظهار بعض ذلك على عبيده الخواص له. فشرعت في تصنيف كتاب في

التوحيد وأسراره على ما ينبغي، فكتبته في مدة، وسميته: «بجامع الأسرار ومنبع الأنوار»، ثم بعد [شرعت] في رسالة الوجود في معرفة المعبود. ثم بعدها في رسالة المعاد في رجوع العباد، ثم بعدها في رسالة المعاد في رجوع العباد، ثم بعدها في رسائل وكتب إلى أن بلغت أربعين رسالة وكتاباً عربية وعجمية).

من هنا يبدو أن أول رسالة هي هذا الكتاب أي: جامع الأسرار كما كرر ذلك حيدر الآملي في: نص النصوص قد ألفها في بدء المرحلة العراقية. لذلك يمكن اعتبار تاريخ تحرير هذه الرسالة عام (٧٥٢هـ) فالسيد حيدر الآملي يقول: في مقدمة جامع الأسرار:

(أما بعد: فإني لمّا فرغت مخن رسالة منتخب التأويل المشتملة على بيان كتب الله الآفاقية والأنفسية، وحروفها وكلماتها وآياتها، ومطابقة كل واحد منها بالآخر، ورسالة الأركان المشتملة على بيان الأركان الدينية الخمسة التي هي: الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد، شريعة وطريقة وحقيقة، ورسائل أخر مثل: رسالة الأمامنة ورسالة التنزيه وغير ذلك، التمس منّي جماعة من إخواني الصالحين، السالكين سبيل الله لطلب مرضاته، أن أكتب لهم كتاباً جامعاً مشتملاً على معظم أسرار الله تعالى وأسرار أنبيائه وأوليائه ﷺ [حاوياً لا] سيّما على أسرار التوحيد وأقسامه وتوابعه ولوازمه، وما يتعلق به من الأحكام والأسرار، مخبراً عن حقائقه ودقائقه ونكته ورموزه، مشيراً إلى لبّه وخلاصته وأصوله وفروعه، مومياً إلى شعبه وشبهه وشكوكه ومغالطه، [ويكون] مرتباً على فضيلته وتعريفه وتقسيمه وكيفيته، موشحاً بالأمثلة المحسوسة اللائحة، والإستشهادات الموضحة اللائقة، مبنياً على قاعدة الموحدين، المحققين من أهل الله، المسلمين بالصوفية، موافقاً لمذهب الشيعة الإمامية الإثني

عشرية، مطابقاً لأصول كل واحد منهم وقواعدهم، بحيث يرتفع به التنازع من بينهم بالكلية، ولا يحتاجون بعده إلى كتاب آخر فيه).

وعليه فإنّ الأسماء التي ذكرت في جامع الأسرار قد حررت قبل عام (٧٥٢هـ) وهذه الكتب حسب الترتيب الألفبائي ومع تغيير طفيف هي[١]:

١ ـ أسرار الشريعة وأنوار الحقيقة (رقم ٢).

٢ ـ أمثلة التوحيد (رقم ٤).

٣ ـ جامع الحقيقة (رقم ٨).

٤ ـ رسالة الأركان (رقم ٩).

٥ ـ رسالة الأمانة (رقم ١١).

٦ ـ رسالة التنزيه (رقم ١٢).

٧ ـ رسالة التوحيد (رقم ١٣).

٨ ـ رسالة منتخب التأويل (رقم ٢٣).

٢ ـ المرحلة (B): وهي القسم الأول من المرحلة العراقية، ونقترح أن تميّز حسب ملاحظات الفهرس الكتبي في هذه المرحلة من حياة حيدر الآملي من (٧٥٢هـ ـ ٧٦٨هـ).

وفي تقريره عن سيرته يقول: حيدر الآملي أنه بعد فراغه من جامع الأسرار شرع بتأليف (نقد النقود). لكن عند مراجعة مقدمة الرسالة الثانية من هذا الكتاب (نقد النقود) يتبيّن أن هذه الرسالة هي: خلاصة لكتاب (رسالة الوجود) المفصل. والرسالة المفصلة هي التي شرع بتأليفها بعد جامع الأسرار حسب سيرته الذاتية وألف الرسالة المختصرة عام

(١) راجع الملاحظات المتعلقة بفهرس الكتب.

(٧٦٨هـ) في النجف. وهو ما يتقارن مع فهرسة الكتب لتحديد المرحلة وفي الرسالة المختصرة هذه ذكر إلى جانب جامع الأسرار رسالتين أخريين (رقم ١١ ـ و٢٣) وخاصة رسالة الوجود التي ذكرت في جامع الأسرار.

يبدو أن الكتب المذكورة أدناه قد حررت في المرحلة الثانية أي خلال الأعوام: (٧٥٢ ـ ٧٦٨هـ) وقد أوردناها في هذه المجموعة:

١ ـ جامع الأسرار (رقم ٧).

٢ ـ رسالة المعاد التي ذكرها حيدر الآملي آنفاً (رقم ٢٢).

٣ ـ رسالة رافعة الخلاف (رقم ١٦) وقد كتبها حيدر الآملي في بداية المرحلة العراقية بناءاً لطلب أستاذه فخر المحققين المتوفى عام (٧٧١هـ).

٤ ـ مسائل الآملية (رقم ٣١)، أو الأسئلة والأجوبة المتبادلة مع فخر المحققين الذي منح حيدر الآملي الإجازة في الإجتهاد عام (٧٦١هـ).

٥ ـ رسالة الوجود في معرفة المعبود (رقم ٢٦) أو الرسالة المفصلة في باب مسألة الوجود.

٦ ـ رسالة نقد النقود في معرفة الوجود (رقم ٢٥)، وهي خلاصة لرسالة الوجود المفصلة، وقد أَرَّخت بعام ٧٦٨هـ في النجف.

المرحلة ٢: هذه المرحلة من حيث الفهرسة الكتبية تعد القسم الثاني من المرحلة العراقية، وتمتد من عام (٧٦٨هـ) إلى عام (٧٨٧هـ) أي من عام (٧٦٨هـ) حتى تاريخ آخر كتب حيدر الآملي التي عرفناها.

ويقول حيدر الآملي عن سيرته الذاتية:

(ثم أمرني [الحق تعالى بعد ذلك] بتأويل القرآن الكريم، فكتبته بعد

هذا كله. فجاء في سبع مجلدات كبار، وسمّيته: «المحيط الأعظم والطود الأشمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم» وكذلك خرج [هذا الكتاب] في غاية الحسن والكمال وظهر في نهاية البلاغة والفصاحة بعناية الملك ذي العزَّة والجلال، بحيث لما سبقني أحد مثله بمثله، لا ترتيباً ولا تحقيقاً ولا تلفيقاً [أقرأ: توفيقاً] وقد سبق بيانه في الفهرست أيضاً.

(ثُم أمرني ـ الحق تعالى ـ بشرح فصوص الحكم الذي هو منسوب إلى رسول الله ﷺ وأعطاه للشيخ الأعظم محيي الدين العربي... قدّس الله سرّه في النوم، وقال له: أوصله إلى عباد الله المستحقين المستعدّين كما بيّناه في الفهرست). فشرعت في شرحه هذا، بموجب ما تقدم تقريره وسبق تحقيقه. وهذا كان بعد مجاورتي بالمشهد المقدّس المذكور ثلاثين سنة على الوجه المذكور. وكان الإبتداء فيه سنة إحدى وثمانين وسبع ماية من الهجرة والانتهاء سنة اثنين وثمانين وسبع مائة، أعني تمّ في سنة واحدة، وبل أقل منها. وكان عمري في هذه الحالة ثلاثةً وستين سنة)[1].

وعليه فإن حيدر الآملي خلال هذا الجزء من المرحلة العراقية قام قبل كل شيء بتحرير التفسير الكبير للقرآن في سبعة مجلدات (رقم ٣٠) واستناداً إلى قوله: فقد انتهى منه قبل شرح فصوص الحكم الذي ذكر فيه إسم التفسير وفرغ منه عام (٧٧٧هـ). بعد ذلك شرع حيدر الآملي بكتابة نص النصوص أو شرح فصوص الحكم ابن عربي (٣٤) واعتبره إلهاماً لأن النبي ﷺ استقبله في الملكوت، ونقله إلى الشيخ الأكبر في الرؤيا. الحكمة الشيعية تتقبل مثل هذا الإلهام بعد غلق دائرة النبوة وتوضحه.

---

(١) أي ٦٣ سنة قمرية، وهذا الأمر يؤيد صحة تاريخ ولادة السيد حيدر الآملي عام ٧١٩ أو ٧٢٠.

وإذا كان حيدر الآملي يتحدث عن هذا الكتاب في مقدمات هذا الشرح ككتبه السابقة، فمعنى ذلك يمكن أن يكون قد كتب المقدمات بعد الشرح، أو أنه أعاد كتابة نفس هذه المقدمات.

لذلك لا يمكننا أن نقول: أنه انتهى من رسالة العلوم الإلّهية (رقم ١٩)، عام (٧٨٧هـ) كما قال المدرس التبريزي[١]. ولا شك أن هذا الكتاب هو خلاصة لتمام الحكمة الإلّهية عند حيدر الآملي الذي كتبه في قمة نضجه، ونأمل في المستقبل القريب أن يتسنى لنا الحديث في هذا المجال أكثر، ذلك لأن السيد عثمان يحيى قد رأى مخطوطة المؤلف مع مجلّدات التفسير السبعة بخط المؤلف في مكتبة الغروي بالنجف. بعد عام (٧٨٧هـ) لم نجد لحيدر الآملي أي كتاب في هذا العالم. ولا تبعد هذه المرحلة عن هجوم تيمورلنك على مازندران، وليس لدينا ما يقطع بعدم عودة السيد حيدر إلى مسقط رأسه. على أي حال أدى السيد حيدر الآملي واجبه في هذا العالم بالكامل. والحكمة الشيعية مدينة له كأحد أشمخ قصور المعرفة والمعنوية.

---

(١) ريحانة الأدب، ج٢، ص٤٩٨، وهو تكرار لما ورد في جميع التذكرات.

مكانة الآملي عند العلماء

لم تكن محاولة الآملي لتوحيد التصوف والتشيع، ولا شخصيته بشكل عام محط وفاق في الرأي بين العلماء. مدحَ سيرته كثيرون، وقدروا جهوده، واعترفوا له بالفضل والمنزلة.

وصفه قطب الدين نيريزي: بأنه من أتباع طريقة الفقر والسلوك، وأنه سيد فاضل مكاشَف، وأنه منبع العلوم والمعارف، وأن له فضلاً غير محدود، أنه صاحب مقام وشهود[1].

وقال عنه ابن أبي جمهور: «أنه علاّمة المتأخرين، وصاحب الكشف الحقيقي»[2].

وقال الخوانساري: هو من أجلَّة علماء الظاهر والباطن، وأعاظم فضلاء البارز والكامن»[3]، لكنه خلط في ترجمته له بينه وبين حيدر بن

---

(١) مقدمة أسرار الشريعة، ص٢٩، هامش ١.

(٢) مجالس المؤمنين، ج٢، ص٥٢. ويقارن: طبقات أعلام الشيعة، ص٦٦. وروضات الجنات، ج٢، ص٣٧٧، نقلاً عن مجالس المؤمنين. ويلاحظ النص في: ابن أبي جمهور، المجلي، طهران، ١٩١١م. ص١٩٢. وص٣٨١.

(٣) روضات الجنات، ج٢، ص٣٧٧. وقارن: رياض العلماء، ج٢، ص٢٢٢. وينقل العاملي في: الأعيان، ج٦، ص٢٧٢، عن الأحسائي قوله: «إن علو مرتبته (الآملي) في علوم الظاهر والباطن، ظاهر كالنور على شاهق الطور».

علي التوني، فنسب للآملي ما ينسب للآخرين من كرامات خطأ واشتباهاً[1].

ووصفه القمي فقلا: «عارف كامل ماهر، من علماء الباطن والظاهر، سيد الأفاضل والمتألهين»[2].

ومدحه الأصفهاني فقال: «كان من أفاضل علماء الصوفية، وكان إمامي المذهب. فاضل فقيه مفسر محدث، وهو من أعاظم علماء الإمامية»[3]، لكنه استدرك بالقول: «ثم إنه كان غالياً في التصوف»[4].

وقال التستري: «أنه من أصحابنا الإمامية المتألهين، وأنه سيد أوحدي..»[5].

ولم يرتض آخرون طريقته، ولا كانوا معجبين بفكره ومذهبه، ناقشه بعضهم في جملة من آرائه، فاعتبر الأصفهاني مثلاً أن مدح الآملي للحسن البصري غريب، وخالفه في اعتباره إياه من تلامذة علي[6].

وقال أيضاً في وصفه لجامع الأسرار: «وله كتاب جامع الأسرار، وقد جمع فيه بين الأقوال المتعارضة المتضادة المناقضة للشريعة الحقة، وفيه فوائد نافعة وحشوٌ كثير من مطالب الصوفية ضائعة»[7].

وقال السيد محسن الأمين العاملي: مناقشاً طريقته ومفنداً مذهبه:

---

(١) روضات الجنات، ج٢، ص٣٨٠.
(٢) فوائد الرضوية، ص١٦٥.
(٣) رياض العلماء، ج٢، ص٢٢٢، لاحظ كيف خلط كوهري في: تصوف الشيعة، ص٢٣، بينه وبين غيره.
(٤) رياض العلماء، ج٢، ص٢٢٢. وقارن: م.ن.، ج٢، ص٢١٩.
(٥) ينقله الأصفهاني عن مصائب النواصب للتستري، انظر: م.ن.، ج٢ ص٢١٩.
(٦) رياض العلماء، ج٢، ص٢٢٠.
(٧) م.ن.، ج٢، ص٢٢١.

«طريقة التصوف إن خرجت عن مجرد الزهد في الدنيا والتفكر في عجائب قدرة الله تعالى فهي من تسويلات الشيطان، وهذا السيد حاول كما سمعت تطبيق شطح الصوفية وأقوالهم المعارضة المناقضة للشرع على ظاهر الشريعة، وما الذي يدعو إلى ذلك. وما الفائدة منه؟؟ وهل نزلت فيهم آية أو وردت فيهم رواية تقدسهم حتى نحتاج إلى تطبيق أقوالهم على ظاهر الشرع؟؟ وهل جاء التصوف في الشريعة الإسلامية وأمر به صحابي وإمام بشكله الذي ظهر في الإسلام؟؟ كلا وألف كلا.

ومن أدلة غلوه [الآملي] في التصوف شرح لفصوص محيي الدين [يقصد ابن عربي][(١)].

وينقل صاحب كشف الحجب عن السيد دلدار علي الهندي صاحب كتاب الشهاب الثاقب في الرد على الصوفية كلاماً في دمّه فيقول: «... كما صرَّح به آية الله في العالمين، أعلى الله ذكره في أعلى عليين، في الشهاب الثاقب، وقال إنه [أي الآملي] اختار القول بوحدة الوجود، وأنا منه بريء، وهو ليس من علمائنا الذين يرجع إليهم ويعتمد عليهم...»[(٢)].

وبالرغم من هذا الذي قيل في حق الآملي، يبقى شخصيته مثيرة للإهتمام، وتجربة تستحق الدراسة والفحص، وظاهرة تستدعي الوقوف عندها وقراءة أبعادها وما تركته من أثر وحركته من أوضاع، وحالة تكشف

---

(١) أعيان الشيعة، ج٦، ص٢٧٢.

(٢) كشف الحجب، ص١٥١. وانظر وصف الكتاب والتعريف بمصنفه في: م. ن.، ص٣٦٣. يقول: «فنفه في إبطال أقوال المتصوفة في الوجود المطلق واعتباراته، ومطاعنهم وتلبيساتهم والإجتناب عن مشاربهم وتحريم الإقتداء بهم وجواز لعنهم والحكم بارتدادهم».

عن جملة ما كان يضطرب به الواقع الفكري والثقافي للبيئة الإسلامية في القرن الثامن وما سبقه من قرون، وعن ما ستكون عليه صورة ذاك الواقع في القرون التالية.

وإنه لمن المؤكد أن المناحي المعرفية التي شغلت الآملي مدة عمره، وطبعت كل إنتاجه بطابعها سوف تتبدى في صورتها الأعمق في القرون اللاحقة في نتاجات مفكرين صوفيين وعرفاء وشعراء، وسوف تتغذى بها وتتمثلها مدارس فلسفية وتيارات، تشكّل مدرسة أصفهان الفلسفية في القرن العاشر إحدى أكبر مصاديقها على الإطلاق.

الآثار العلمية للشيخ الآملي

يعتبر الإنتاج العقلي لشيخ آمل؛ السيد حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني، من قمم التفكير الإسلامي في القرن الثامن للهجرة، فمؤلفاته التي حفظها لنا الزمن وأمكن الإطلاع على بعضها، تصور نضوج الحكمة العرفانية في الإسلام، وانتظامها سائر النشاط الفكري والديني على السواء. وهذه الآثار العلمية الفذة، مع نظائرها في نفس عصر الشيخ الآملي وما يليه، إن في شرق العالم الإسلامي أو في غربه، هي أصدق برهان على تهافت الرأي السائد في بعض الأوساط الفكرية، الزاعم بفقدان الأصالة في الروح الإسلامية وانتاجها العلمي، ابتداء من أواخر القرن السادس للهجرة حتى الوقت الحاضر.

وغرضنا الأخص في هذا التصدير العام لكتابين ينشران لأول مرة، هو إقامة ثبت شامل لجميع ما خطته يراع شيخ آمل في حقول المعارف الإنسانية والآداب الإسلامية. ولكن يجب أن نصرح، قبل كلّ شيء، أن محاولتنا هذه ليست نهائية، بل بالأحرى هي في طور البداية، كما أنها ليست قطعية، ولكن ظنية يشوبها الغموض والحدس والافتراض. وعذيرنا في ذلك كلّه، أن الجانب الأعظم من إنشاء هذا المفكر الإسلامي الكبير، لا يزال حتى الآن مفقوداً، أو على الأقل غير معروف. وجميع الذين

ترجموا له لم يأتوا بما يشفي الغليل، في هذا السبيل. فنحن، مثلاً، لا نعلم عن تكوينه العقلي والروحي إلا لمحات ضئيلة، من خلال كتب التراجم والتاريخ، لا تشبع مطلقاً رغبة الباحث المتعطش. كما أنّ السمات الخاصة لحياته ونشأته الزمنية، هي مجهولة لنا في خطوطها الكبرى. ومهما يكن في الأمر من شيء فإنّ بعض النصوص التي تركها لنا شيخ آمل عن حياته الفكرية والزمنية وعن آثاره العلمية، كانت بمثابة النبراس في هذا الطريق المظلم. وهي ـ أعني هذه النصوص الخاصة ـ بالإضافة إلى الذين ترجموا له من قدامى ومعاصرين، ستكون عمدتنا في هذه المحاولة الأولى لارساء الحجر الأساسي في هيكل انتاجه العلمي الخصيب، وصياغة الإطار العام لآثاره الخالدة.

المصادر المباشرة لتواليف الشيخ الآملي

في مطلع المقدمة العامة لكتاب «نص النصوص في شرح الفصوص» سجل لنا شيخ آمل، بخط يده، واحداً وعشرين كتاباً من تصانيفه السابقة على شرحه الكبير لفصوص الحكم للشيخ ابن العربي الحاتمي. ومما يضفي على هذه الوثيقة الخاصة من أهمية تاريخية وقيمة علمية، أن المصنف ذاته، حين تعداده مؤلفاته السابقة، أرفق ذكر كل كتاب أو رسالة له بوصف موجز عن موضوعه ومسائله، وذكر بعض القرائن الزمنية لذلك الكتاب أو تلك الرسالة. من أجل هذا، فقد رأينا في مستهلّ هذا التصدير العام، أن نثبت نصّ هذه الوثيقة الهامة بحذافيره. وهو في الحقيقة فهرس مفصّل لعدد كبير من آثار الشيخ. وهذا النص مستخرج من مخطوط خزانة جار الله، إحدى خزائن دار كتب السليمانية العامرة في مدينة اسطنبول، ورقمه ١٠٣٣، وهو ثابت في ورقتين، رقمهما: ٢ب ـ ٣ أفف من المخطوط المذكور. وسنراعي في تعداد مصنّفات الشيخ الآملي نفس الترتيب الوضعي الذي ورد في مطلع مقدمة «نصّ النصوص في شرح الفصوص».

١ ـ كتاب مجمع الأسرار ومنبع الأنوار(٢) : وفي التوحيد وأسراره وحقائقه وما يتعلّق به من تعريفه وتقسيمه وشكوكه وشبهاته ونكاته ورموزه

وإشاراته؛ ـ وبيان أنه منحصر في (التوحيد) الألوهي و(التوحيد) الوجودي لا غير؛ (وأنه منقسم (أيضاً إلى (التوحيد) الذاتي والوصفي والفعلي، أو (التوحيد) الوجودي لا غير؛ (وأنه منقسم (أيضاً) إلى (التوحيد) الذاتي والوصفي والفعلي، أو (التوحيد) العلمي والعيني والحقي؛ ـ وما يتبعه من بحث النبوة والرسالة والولاية؛ وبحث الشريعة والطريقة والحقيقة، وبحث الإسلام والإيمان والإيقان ـ وأمثال ذلك.

٢ ـ رسالة الوجود في معرفة المعبود: وما يتعلّق به (أي الوجود) من اطلاقه وبداهته ووجوبه ووحدته وظهوره وكثرته؛ وإثبات أنّه (أي الوجود) واجب [ورقة ٣ ألف] الوجود لذاته وممتنع العدم لذاته، وليس في الخارج غيره؛ ـ «وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهي بكلّ شيء عليم».

٣ ـ رسالة المعاد في رجوع العباد: وما يتعلّق به (أي المعاد) من القيامات الثلاث وتحقيقها، التي هي (القيامة) الصغرى والوسطى والكبرى؛ ـ وإثبات أنها (أي القيامات تنقسم إلى اثنى عشر (كذا) قيامة، صورية ومعنوية، بحكم التطبيق (أي المطابقة والموافقة) بين (عالم) الآفاق و(عالم) الأنفس.

٤ ـ كتاب الأصول والأركان في تهذيب الأصحاب والأخوان: المشتمل على الأصول الخمسة، الدايرة (كذا) كل واحدة (كذا) منها على مراتب ثلاث: من الشريعة والطريقة والحقيقة؛ ـ وعلى الفروع الخمسة، الدايرة (كذا) كل واحدة (كذا) منها على مراتب ثلاث كذلك.

٥ ـ رسالة العلم وتاحقيقه بطريق الطوائف الثلاث: من الصوفي (كذا) والحكيم (كذا) والمتكلّم (كذا)؛ ـ وبيان موضوع كل علم منهم (كذا) ومحموله، مع مسائله ومباديه وما يتعلّق بذلك من الأبحاث الدقيقة والنكات الشريفة.

٦ ـ رسالة العقل والنفس: والفرق بينهما بحسب الكلّي والجزئي، وغير ذلك من الأبحاث المتعلقة بهما.

٧ ـ رسالة الأمانة الإلّهية في تعيين الخلافة الربانية: بمقتضى قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾[1]، الآية؛ ـ وبيان أنّ «الظلومية» و«الجهولية» مدح له (أي للإنسان) ليس فوقه مدح آخر، بخلاف ما ظنّ الجاهل أنّه مذمة في حقّه.

٨ ـ رسالة الحج وخلاصة الكتب: في تحقيق قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾[2] وقول نبيه ﷺ: «إنّ لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة» ـ الحديث؛ فإنّ التطبيق (أي التوفيق) بين هذين القولين في غاية الصعوبة، (لا) سيما على حسب الكلّي والجزئي؛ ـ وتعبيرها (أي القرآن والسنة) بألف سنة، وخمسين ألف سنة، وثلاث مائة ألف سنة لقولهم (أي بعض العارفين): «أنا أقل من ربّي بسنتين» ولقولهم: «ليس بيني وبين ربّي فوق إلا أني تقدمت بالعبودية».

٩ ـ رسالة الفقر وتحقيق الفخر: والتطبيق (أي التوفيق) بين الأحاديث الثلاث الواردة فيه، لقوله عليه السلام: «الفقر فخري وبه أفتخر على سائر الأنبياء والمرسلين» ولقوله: «الفقر سواد الوجه في الدارين»، ولقوله: «كاد الفقر أن يكون كفراً».

١٠ ـ رسالة الأسماء الإلّهية وتعيين المظاهر لها من الأشخاص الإنسانية: من آدم إلى محمد ﷺ وما بينهما من الأنبياء والرسل عليهم السلام.

١١ ـ رسالة النفس في معرفة الربّ: بحكم قوله ﷺ: «من عرف

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.
(٢) سورة الحاقة، الآية: ٣٢.

نفسه فقد عرف ربّه»، وبمقتضى التنزيل، بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1]، ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[2].

١٢ ـ رسالة أسرار الشريعة وأنوار الحقيقة: وبيان كل واحدة (كذا) منها مع أهلها، لقوله ﷺ: «الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي»، ولقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾﴾[3].

١٣ ـ رسالة الجداول الموسومة بمدارج السالكين في مراتب العارفين: المشتملة على المائة من المقامات الأصولية (كذا)، وعلى الألف من المراتب الفروعية (كذا) لدوران المائة، في الأقسام العشرة، عشر مرات.

١٤ ـ نقد النقود في معرفة الوجود: المنتخب من رسالة الوجود لنا.

١٥ ـ نهاية التوحيد في بداية التجريد: المنتخب من مجمع الأسرار ومنبع الأنوار لنا.

١٦ ـ منتقى المعاد في مرتقى العباد: المنتخب من كتاب المعاد لنا.

١٧ ـ رسالة التنبيه في التنزيه: بالنسبة إلى الله تعالى.

١٨ ـ أمثلة التوحيد وأبنية التجريد: في مقابلة «اللمعات» للعراقي.

١٩ ـ رسالة كنز الكنوز وكشف الرموز.

٢٠ ـ كتاب تعيين الأقطاب والأوتاد: وحصرهم في تسعة عشر لا غير، دون الثلاث مائة، والأربعين، والسبعة والثلاثة، والواحد، ـ الراجعة عند التحقيق إلى التسعة عشر، التي هي الأصل في الكلّ.

بعد أن جرّد الشيخ الآملي هذا الجزء من ثبت مصنفاته، على قدر ما

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥١.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٧.

وعته ذاكرته في ذلك الحين، ختم هذا الفهرست بذكر آخر كتاب له، قبل شروعه في شرحه الكبير الذي وضعه على فصوص الحكم للشيخ ابن العربي. غير أنه استطرد فذكر، فيما بين ذلك، أشياء خاصة لها صلة بحياته في العراق وتواليفه فيها، فقال: «وأمثال ذلك (من الكتب والرسائل التي يبلغ تعدادها) إلى نحو أربعين كتاباً ورسالة، عربية وعجمية. ثمّ بعد الكلّ، في هذه المدّة الطويلة، التي هي ثلاثون سنة كاملة (التي قضاها الشيخ في العراق وفي المشاهد المقدسة) تفرغ لوضع تأويل القرآن الموسوم:

٢١ ـ المحيط الأعظم والطود الأشمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: المرتّب على سبع مجلدات كبار، بازاء تأويل الشيخ الأعظم نجم الدين رازي، المعروف بداية ـ قدّس الله سرّه ـ فإنه رتب كتابه على ست مجلدات كبار، بعد تسميته «ببحر الحقائق ومنبع الدقائق». ونحن أردنا أن يكون لنا (كتاب) على قرنه، من كل الوجوه ـ وبمقتضى الحديث الوارد فيه أيضاً: «إنَّ للقرآن ظهراً وبطناً، إلى سبعة أبطن»؛. واشتماله على السبعات المعلومة، وغير ذلك مما أوجب ترتيبه عليها. واشتهر ذلك (التفسير) في الأقاليم والبلدان، وتحقق (كذا) صورته عند أعاظم أهل التحقيق والعرفان، وتقرر بينهم أنه عديم المثل والنظير (لا) سيّما في علوم القرآن، وآنّه ليس بكسب ولا اجتهاد، بل إفاضة غليبية، بطريق الكشف من حضرة الرحمن».

٢٢ ـ نصّ النصوص في شرح الفصوص: جعلته هداية إلى حضرة السلطان العالم العادل، والملك الفاضل الكامل، سلطان سلاطين العرب والعجم... ممهّد القواعد الدينية والقوانين الإسلامية على الطريق المستقيم... مطاع إيران وتوران، صاحب قران الأدوار

والأكوان، محيي دولة جنكز قان، انشروان الأوان، اسكندر الزمان. . . السلطان بن السلطان، القان بن القان. . . أحمد بهادُرْ خان. . . » (ورقة ٢ ألف ـ ٢ب).

هذه الوثيقة الخاصة بمؤلفات الشيخ الآملي، على الرغم من أهميتها الكبرى، تثير بعض المشاكل التاريخية بالنسبة إلى قسم من مصنفات شيخ آمل وترتيبها الزمني وسنتعرض إلى هذه المسألة المعقدة، بشيء من التفصيل، فيما بعد.

وفي نطاق المصادر المباشرة لمصنفات شيخ آمل، يجب أن نذكر أيضاً ما عثرنا عليه من أسماء آثار علمية له ذكرها في كتابيه: «جامع الأسرار ومنبع الأنوار» و«رسالة نقد النقود في معرفة الوجود»، اللذين ينشران لأول مرة، مع الرجال أن يكونا باكورة طيبة لنشر جميع آثار هذا المفكر الإيراني العظيم. إنّ كتاب «جامع الأسرار ومنبع الأنوار» ـ وهو منأوائل تواليف الشيخ الآملي في العراق ـ يذكر ثمانية كتب سابقة له، وهي، على حسب ترتيبها الأبجدي لا على حسب ورودها في الكتاب السالف الذكر: أسرار الشريعة وأنوار الحقيقة، وأمثلة التوحيد، وجامع الحقائق، ورسالة الأركان، ورسالة الأمانة، ورسالة التنزيه، ورسالة التاوحيد، وأخيراً رسالة منتخب التأويل: ـ أمّا في «رسالة نقد النقود في معرفة الوجود» التي دبجها الشيخ بالمشهد الشريف «الغروي» بعد كتابه الكبير «جامع الأسرار. . . » فيتعرض لذكر أربعة من آثاره العلمية، وهي: كتاب جامع الأسرار، ورسالة الأمانة، ورسالة الوجود، ورسالة منتخب التأويل.

بناء على ما تقدم، يكون عدد الكتب والرسائل التي عرفت للشيخ الآملي، عن طريق مصنفاته ذاتها، ستاً وعشرين كتاباً ورسالة. وذلك بعد حذف المكرجر منها.

المصادر غير المباشرة لتواليف الشيخ الآملي

نقصد بذلك طائفة من كتب التراجم والتاريخ التي تعرضت لذكر شيخ آمل وسرد حياته وتعداد مصنفاته. نذكر منها: كتاب الفوائد الرضوية، ومعجم المؤلفين، وإيضاح المكنون، وريحانة الأدب، ومجالس المؤمنين، وأعيان الشيعة، وروضة الجنات، وطرائق الحقائق، والذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ. ومن بين الدراسات المعاصرة ـ وهي وحيدة في بابها ـ يجب أن ننوه بصورة خاصة بالأبحاث الهامة التي اضطلع بها أستاذنا الكبير هنري كربين حول هذه الشخصية العلمية، والذي يرجع إليه الفضل حقاً في معرفتنا بحياة شيخ آمل وآثاره الفكرية، كما أنّ إليه تعود فكرة نشر هذين الكتابين للشيخ الآملي.

ومجموعة الكتب والرسائل المستخرجة من هذه المصادر غير المباشرة يبلغ تعددها ثمانية عشر. وهي: المحيط الأعظم في تفسير القرآن، وفص الفصوص في شرح فصوص الحكم لابن العربي، وجامع الأسرار ومنبع الأنوار، وتلخيص اصطلاحات الصوفية، والبحر الخضمّ في تفسير القرآن الكريم، والكشكول فيما جرى على آل الرسول، ومنتخب التأويل، والتأويلات، ورسالة العلوم العالية والأركان في فروع شرائع أهل الإيمان، ورسالة رافعة الخلاف، ورسالة في الأمانة، ورسالة

التنزيه، والمسائل الآملية، واصطلاحات الصوفية، وجامع الحقائق، ونصف النصوص، ومنتخبات أنوار الشريعة.

وكذلك يكون ثبت تواليف شيخ آمل، بالنسبة إلى مصادرها المباشرة وغير المباشرة، مكوّناً من أربع وأربعين كتاباً ورسالة. وإذا ما أسقطنا من هذا المجموع ما هو مكرر أو متعدد الرواية، يكون ما نعرفه اليوم عن عدد مؤلفاته هو خمس وثلاثون كتاباً ورسالة. وهذا رقم يقرب جداً مما يذكره الشيخ نفسه في مستهل مقدماته لشرح الفصوص وفي آخرها كذلك.

سيرة آية اللّٰه العارف
السيد محمد حسين الحسيني
الطهراني (قدس سره)

آية الله المقدّس
السيد محمد حسين الحسيني الطهراني

حل العلاّمة آيةُ الله السيّد محمّد حُسَين الحُسَينيّ الطهرانيّ في هذا العالم سَنة ١٣٤٥ هِجريّة قمريّة. ووالده هو المرحومُ آية الله الحاج السيّد محمّد صادق، وهو من أعاظِم عُلماء طَهران، رَجلٌ شديد الغيرة والحميّة، قويّ البنيان، مشار إليه بالبَنان، حيثُ كانَ يُعدّ وحيدَ عصره أزاءَ تحمّله أعباء الشريعة الغرّاء، ومعارضته النظام الطاغوتيّ البهلويّ ومواجهتِه. فقد عادَ من سامرّاء قاصداً طهرانَ مع أبيه الجليل المرحوم آية الله المعظّم الحاجّ السيّد إبراهيم الطهرانيّ، والذي كانَ أحدَ تلامذة أُستاذِهِ المعروف باسم آية الله العظمى الميرزا حسن الشيرازي رضوان الله عليه.

أمّا جدّه الأعلى، فهو السيّد محمّد وليّ، الذي ينتهي نَسبُه إلى حضرة الإمام السجّاد عليه السلام عن طريق زيدِ بنِ عليّ بن الحُسين عليهما السلام، وهو مدفونٌ في محلّة «دَرَكِه» الواقعة في طَهران، وله مزار هناك؛ وأمّا من ناحية الأم، فنَسبُه يصِلُ إلى العلاّمة مَولَى محمّد تَقي المجلِسي رحمة الله عليه.

أَنهى دِراسته للهندسة الصناعيّة طِبقاً لِما كانَ رائجاً آنذاك، فَحازَ على

الشهادةِ الفنّية بصفته الطالب الجامعي الأوّل في كليّة الفنون الصناعيّةِ في طهران. وكانَ أنْ مَنَحتْهُ الحُكومة مِنحةً للسّفر إلى ألمانيا ومتابعة دراسته، ليعودَ ويتسلّم المسؤوليات والمناصب العالية في هذا المجال، وذلك بعنوانه الطالب الأوّل من بين زملائه و(الحائزِ على وسام الفخر والتشجيع).

الهجرة إلى قم واكتساب المعارف الإلهية بعنوانها الطريق الوحيد للسعادة

يقول العلاّمة الطهرانيّ:

قد شَخصَ أمامي في تلك الفترة خياراتٌ متعدّدة وطرقٌ كثيرةٌ لمستقبلي، حتّى صِرتُ متحيّراً أَزاء تشخيص الخيارِ الأتمّ وانتخابِ المسار النفيس والأرشد، وفي النهاية، بعد الإستنابة الشديدة واللجوء إلى عَتبة قاضي الحاجات، والاتكال على حَضرة الحقّ ومقدّر المشيئة المطلقة، وتفويض جميع شراشرِ وجودي وأزمّة اختيارِ الصلاح والرشاد، إلى قبضة تدبيرِ مُدبّر الأمور، وفي إحدى الليالي، عَمَدتُ إلى الاستخارة لأجل هذا الموضوع ثمانية عشر مرّة، وما كان إلاّ أن جاءت ـ جميعُها واحدةً تِلوَ الأخرى ـ تصرّحُ بالإلزام والحصر، آمرةً بالاشتغال بخصوصِ العلوم الدينيّة دونَ غيرها، واكتسابِ المعارفِ الإلهيّة، والورودِ في زُمرة الطلاّب والمشتغلين بعلوم آلِ محمّدٍ صلواتُ الله عليهم أجمعين.

ففي هذا الحال الذي تراءَت أمامَه جميعُ الطرق وكلّ الخيارات، ولاحتْ أمام ناظريه النتائجُ الوافرة، والعواقب المؤثّرة على مستقبله الشخصي، إلاّ أنّه وبعد التأمّل والتحقيق في حقيقة الدنيا الدنيئة

وواقعيّتها، بما تمثّله من صِدام وعِراك في الأهواء الغاوية والمغويّة، الباعثة على اضمحلال جميع القُوَى البشريّة، ومحقِ الاستعدادات الملكوتيّة، كلّ ذلك دَعَاهُ ـ بفارغ الاطمئنان وهدوءِ البال ـ إلى التوجّه نحوَ «قُمْ» عُشّ آلِ محمّد، وشدّ الرحال نحو العتبة البهيّة المنوّرة، لحضرةِ فاطمةِ المعصومة سلام الله عليها، وذلك بعزم راسخ وقَدم ثابت، لينهلَ من المعارف الإلهيّة المنورة، لحضرة فاطمةِ المعصومة سلام الله عليها، وذلكَ بعز راسخٍ وقَدم ثابت، لينهلَ من المعارف الإلهيّة الحقّة، ويَبلُغَ المصادرَ الحيّة والأُسسَ الحيويّة للأئمة المعصومين صَلواتُ الله عَليهمْ أجمَعين. فكان أوّلَ طالبٍ يسكنُ في مدرسةِ المرحومِ آيةِ الله السيّد «محمّد حجّت كوه كمره اي» (الحجتيّة).

أمّا أساتذته في السطوح فهم: في «اللمعة» آية الله الشيخ محمّد صدوقي اليزدي، أمّا «القوانين» و«الرسائل» و«المكاسب» فقدْ دَرَسَها على يدَي الآيات العِظام؛ الشيخ عبد الجواد سدهي الأصفهاني، والحاج السيّد رضا بهاء الديني، و«الكفاية» لدى آية الله الشيخ مرتضى الحائري اليزدي، وحضرَ سنتين بحثَ الخارج عندَ المرحوم آية الله السيّد محمّد داماد، رحمة الله عليهم أجمعين.

وأمّا الدروس الفلسفية والحكمة المتعالية والتفسير والفقه والحديث والعرفان النظري، فقد أكمَلَها في محضرِ الأستاذِ الفريد الذي لا مَثيل له، علاّمة الدهر، الحكيم على الإطلاق. العارف بالله وبأمر الله، المرحوم آية الله العظمى الحاج السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ التبريزي رضوان الله عليه. فقد شرعَ ارتباطه بالمرحوم العلاّمة الطباطبائيّ من خلال التّلمَذَة في دروس الفلسفة، وذلك حينما كانَ قد تجاوز مرحلة دراسة واكتساب العلوم الحوزويّة المتداولة، المتزامن مع بروز شغفه واندفاعه وانجذابه

إلى الصفات الملكوتية لهذا العظيم، واشتداد ظمئه إلى الارتواء من فيضان علوم التشيّع والولاية، والغرض في بحر معارفهما الحقّة، والتي كانتْ متجليّة في نفسه القدسية؛ فكان ذلك إيذاناً ببدءِ مرحلة جديدة من حياته العلميّة ونضوج بصيرته الباطنيّة، ليشخصَ أمامَ عينيه أفقٌ جديدةٌ من المعارف الإلهية، يقوده إلى ناحية عوالم الغيب ومراتب الشهود.

يقول العلاّمة:

قبل العزم على الذهاب إلى قمْ، والإنخراط بالمجتمع العلماني والارتباط مع المشتغلين بالعلوم الدينية، كان يخايلُني تصوّر أن تمامَ هؤلاءِ همْ منْ زُمرة الصلحاء والأخيار، وأنّهم مِن أجلّة الخَلق، والمتصفين بالصفات القدسيّة، المتخلّقين بأخلاق الربّانيين، وبقيَ حسنُ الظنّ هذا يخالجني حتّى وردتُ إلى الحوزة، وعاينت الطبقات المختلفة من العلماء ومفكريهم، والمتلبسين بلباس العلم، فأدركتُ أنّ حسن الظنّ هذا بالنسبة إلى جميعهم أمرٌ وهميّ نادرٌ، ومخالف للحقيقة والواقع، ولمستُ أنّ النظر إليهم على نسقٍ واحدٍ وجعلهم في زمرة الأتقياء والصلحاء مخالف للإنصاف، بل قد يُرى في أوساطهم أشخاصٌ ظاهرهم حَسَنٌ، قد تأدّبوا بآداب العلم، وأقاموا أنفسهم في سِلك العظماء والأولياء، إلاّ أنّ باطنهم مُنغمسٌ في الشهوات واوهواء الرديئة، قابعٌ في الخيالات الضالة المضلّة، إلى حدٍّ أنّك لو ارتبطتَ بأحدهم وتعاملت معه لأدركت أن رائحةَ التعفّن والكدورة نفوح منه، إلى الحدّ الذي تتأذى من رائحته شامّة الروح، ويتكدّر منه القلبُ من على بُعد فراسخ متباعدة، تماماً كما ورَدَ في رواية الإمام الصادق عليه السلام، مخاطباً أصحابه في أحدِ الأيّام:

(تجدُ الرجلَ لا يُخطئُ بِلام ولا وَاوٍ، خَطيباً مِسقَعاً، ولَقلبُهُ أَشدُّ ظُلمَةً مِنَ الليلِ الْمُظلِم)[1].

يبدو من الأتقياء ظَّاهراً، أمّا باطنه فليلٌ مظلم، وحَسْبَ بيانِ الإمامِ جعفر الصادقِ عليه السلام في ذمّ عُلماءِ السّوءِ:

(هُمْ أَضَرَّ على ضُعَفاءِ شيعَتِنا منْ جَيش يزيد على الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه)[2].

وفي مقابل ذلك، صادفتُ علماءَ كانوا في أَشدْ الخلوص ومنتهى الصفاء؛ بهاءٌ ومجدق وعظمة.. لا يمكن للإنسان أن يجري على لسانه اسمهم، ولا يحقّ وحدٍ أنْ يتخيّلَهم غير الملائكة. والعلاّمة الطباطبائي رضوان الله عليه كان منْ هذه الطائفة، وكلّما كنتُ أتأمل في رفعةِ هذا الرجل العظيم، وعلوّ مجده، وكرامته وعظمته، أي فكري ولبّى قاصرين عن بلوغ شأوه، فأظ.ل والها حيراناً، مبهوتاً في السير والبحث، والغور في بحار فضائله.

حينما لَمَسَ العلاّمة الطباطبائيّ ما لهذا التلميذ البارزِ من استعدادٍ لتلقّي جَميعِ مراتب المعرفة، وبلوغه الحقيقة، ووُرودِه كُنْهَ الشريعة، ووُقوفه على مَشرَعة مَدرسةِ الوحْي، فَدونَ أيّ بخلٍ أو شحّ، عمدَ إلى نقلِ لبِّ ولُبابِ الحقيقةِ والمعرفة إليه، والتي تمثّل نتيجة تجربته العلمية وخلاصة سلوكه العرفاني، وصفوة سَيره وبحثه لسنينَ متمادية في محضر العظماء وأعلام حوزة النجف، نظير الشيخ محمّد حسين الغروي الأصفهاني والسيّد حسين «بادكوبه اى»، وبالأخصّ فريد العصر ووحيد

(١) نور ملكوت القرآن، تأليف العلاّمخة الراحل آية الله الحاج السيد محمّد الحسين الحسيني الطهراني، الجزء الثاني، صفحة ٢٧٠.
(٢) الإحتجاج للطبرسي، الجزء الثاني، ص٢٦٤.

الدهر، ترجمان القرآن وسلمان الزمان: آية الحقّ والعرفان آية الله العظمى السيّد علي القاضي الطباطبائيّ رضوان الله عليهم.

يقول العلاّمة الطهرانيّ في أحدِ الأيّام لأستاذه العلاّمة الطباطبائيّ:

كيفَ يمكنُ بلوغَ كُنْهِ هذا الحديث الشريف المروِيّ عنْ حضرة سيد الشهداء عليه السلام حيثُ يقول:

(أيّها الناس! إنّ الله ما خلق خلق الله إلا لِيَعرِفوه، فإذا عَرَفوه عَبَدوه واستَغْنَوا بعبادَتِه عنْ عِبادةِ ما سواه. فقال رَجل: يا ابنَ رسول الله! ما مَعرفةُ الله عزَّ وجلَّ؟ فقال: معرفةُ أهلِ كُلّ زمان إماماهُ الذي يجبُ عليهم طاعتُه)[1].

يجيبه العلاّمة الطباطبائي قائلاً: هناك طريقٌ واحدٌ لا ثانيَ له، فالوصولُ إلى معرفةِ الإمام عليه السلام، وإدراك مقام الولاية المطلقة لحضرات المعصومينَ صلواتُ الله عليهم أجمعين منحصرٌ بالعرفان فحسب!

أي كلام عرشيٍّ عظيم هذا الكلام؟! إنّه لعميقٌ جداً، وبيانٌ واقعيّ جداً! ينبىءُ عن سرّ السلوك، وحقيقة العرفان والتوحيد، والمعرفة الواقعيّة للإمام عليه السلام، ويكشفُ عن الوصول إلى أعلى مرتبة من المعرفة والدراية.

ها هو العلاّمة الطهراني يتوجّه إلى محضرِ العلاّمة الطباطبائيّ مع شوقٍ عجيبٍ لاكتساب المعارفِ والعلوم الحقّة الإلهيّة، وهو بدوره كالأبِ الرفيقِ العطوف، يغوصُ مع تلميذه المهتدي في بحره الموّاج، الزاخر بالعلوم الإلهيّة، دون ذرّة بخلٍ أو حسرة، لينهلَ من الجواهر النضرة ولآلئ الحكم الإلهيّة النفسية صباحاً ومساءً، فالعلاّمة الطباطبائيّ من خلال رؤيته المستقبلية ونظرته الثاقبة، ومن خلال تدريسه العلوم

---

(١) لمعات الحسين، الطبعة الثانية، ص١١.

الحوزويَّة المتعارفة من (علم الحكمة والهيئة والتفسير والفقه والحديث وغيره) لم يكتفِ ببلوغه أعلى المراتب، والتربّع على قمّة العلم والمعرفة، واستيفائه تمام فعليّتهما، وإنّما يقومُ بفتحِ أبواب الهداية نحو العوالم الربوبيّة، واحداً تلوَ الآخر، من خلال بيان الحقائق المستترة والمختفية عن أنظار الخلق الحيارى، وبواسطة كشفِ النقابِ عن العوالم الربوبيّة، وتصويرِ حقيقة عالم الخلق والأمر وترسيمها وبالتالي رفع الستار عن النوافذ التي يتمّ الولوج من خلالها إلى عوالم أسرارِ الوجود.

كذلك يذكرُ العلاّمة الطهرانيّ فيما يتعلّق بهذه المسألة، في كتابه القيّم «الشمس الساطعة» فيقول:

وفي بعض الأحيان كانَ يُلقي علينا بياناتٍ عديدةً يشرحُ فيها أَحوالَ العلماء العظام وأولياء الله، ويستعرضَ أنحاء المدارس العرفانيّة، وبالأخصّ فيما يتعلّق بأستاذه في المعارف الإلهيّة والأخلاق مدّة مكوثه في النجف، المرحوم سَيّد العارفين وسند المتألهين، آية الله المتفرّد، السيّد الحاج الميرزا علي السيّد القاضي رضوان الله عليه وكانت له بيانات مفصّلة، تبعثُ في نفوسنا البهجة والسرور، وقد كانت مجالسنا معه تمتدّ أحياناً ـ علاوة على أوقات الدروس الرسميّة ـ إلى ساعتين أو ثلاث في كل يوم وليلة.

ولقد بلغتْ بنا درجةُ الشغف والوله به إلى حدٍ حَمَلَنا على تركِ حُجرة المدرسة، لنستأجرَ غرفةَ قربَ منزله، ونلوذ بجواره بغية ازدياد اللقاء به، والاستفادة والإستفاضة منه بشكلٍ أكثر، فكانَ يلقي علينا المواعظَ الأخلاقيّة والعرفانيّة بشكلٍ مستمر، وذلك قُبيلَ الغروب بساعةٍ أو ساعتين، وفي بعض الأحيان كانت تمتدّ الجلسة إلى ما بعدَ مضي قسطٍ من الليل، وأمّا في فصل الربيع، فكانَ يأتي إلى حقيقة الـ«قلعة» القريبة

من منزله، فيلقي عليّ وعلى اثنين من الرفقاء مطالب متعدّدة، تدورُ حولَ سيرة الفلاسفة المتألّهين المسلمين ونهجهم، وتبينّ مسلك علماء الأخلاق، وسَيرِ وسلوكِ العُرفاء الأجلاّء، بالأخصّ فيما يتعلّق بأحوال المرحوم الآخوند الملاّ حسين قلي الهمداني وتلامذته البارزين، أمثال السيّد أحمد الكربلائي الطهرانيّ، والسيد الحاج ميرزا جواد الملكي التبريزي، والسيّد الحاج الشيخ محمّد البهاري، والسيّد محمّد سعيد الحبّوبي، وعن سيرة المرحوم السيّد ابن طاووس وبحر العلوم ونهجهما، وعن أستاذه المرحوم القاضي رضوان الله عليهم أجمعين كل ذلك بشكل مسهب مفصّل، حيث إنّها كانت مفتاحاً لطريقنا وهدايتنا إلى المعارف الإلهيّة.

وحقّاً، لو لم نكنْ لنعثرَ على هكذا شخص، لكنّا صفرَ اليدين. . خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ، فلله الحمدُ وله المنّة[١].

ولطالما كان العلاّمة الطهرانيّ يُطلقُ على أستاذه العرفانيّ الآخَر حضرةِ آية الحق والعرفان الحاج السيّد هاشم الحدّاد رضوان الله عليه بأنّه أعقلُ أفرادِ الدنيا. حيث لمْ يكنْ يرى أيّ قيمة في التعبّد الأعمى بالأستاذ، والإطاعة دون الالتفات إلى الجنبة المنطقيّة والعقلانية، وبعيداً عن الإدراك الصحيح لمباني الأستاذ، ممّا يؤدّي غالباً إلى الوقوع في المهالك والمخاطر الموبقة، التي لا تقبل التدارك والجبران.

وقد سُمعَ هذا المطلب من المرحوم الحدّاد رضوان الله عليه مراراً وتكراراً حيثُ كان يقول:

طريقُ العرفان هو طريقُ العقل، وأكثر السالكين توفيقاً في هذا

---

(١) الشمس الساطعة، صفحة ١٥ و١٦.

المسلك أقواهم عقلاً، وأوفرهم نصيباً من القوى المدرِكة، فالمشاكل تتجلّى في مواضع عديدة وأشكال مختلفة، ممّا يضعُ سلوك السالك أمام سراب خطير، وخصوصاً مع عدم التمكّن من الوصول إلى الأستاذ، وبالأخصّ بعد رحيل الأستاذ، فعدمُ رعاية هذا الأصل قدْ يؤدّي إلى هبوط السالك وسقوطه من رتبته الوجودية، ووُرودِه في أهواء الأبالسة، ودخوله في جحيم الجهل والأهواء الغاوية والمُغوية.

الهجرة إلى النجف

بقيَ العلامة الطهراني في طهران ما يناهزُ السنة الكاملة، بُغية عقدِ المسائل العالقة وحلّها، وإيصال حقوق الصّغار والقصّر، والعمل على تنفيذ موارد الوصيّة، وهو ما كادَ يُودي بحياته ويزهقُ روحه من شدّة ما عاناه آنذاك.. وحيثُ لمْ يأُلُ الأمرُ في النّهاية إلاّ إلى الفشل والإحباط، عَزَمَ على قطع سائر تعلّقاته بطهران وهجرِ جميع علاقاته بها، آخذاً الإجازة في ذلك من أستاذه العلمي والعملي والسّلوكي (العلاّمة الطباطبائيّ)، شادّاً رحاله إلى النّجف الأشرف مع والدته وأهلِ بيته سنة ١٣٧١هجرية قمريّة، ليَحُطّ عندَ عتبة الملائكة الحافظين، عندَ مولى الموالي أمير المؤمنين عليه السلام.

وجاء في إحدى الرسائل التّي كان قد أرسلها إليه العلاّمة الطباطبائيّ من قمّ أنْ:

لولا عظمة زيارة المشهد العَلَوي المُقَدَّس، وجَلالة قَدره، وفيوضات تلك العتبة المبارة وبركاتها، لما كنتُ لأوافِقَ أبداً على مُضيّكَ وذهابك، ولما استطعتُ تحمّل فراقك.

وكما كان المرحوم العلاّمة الطباطبائيّ أستاذاً له في العلوم الحوزويّة

المتداولة، كان كذلك أستاذه العَملي والسّلوكي أيضاً، حيثُ كانَ يعطيه البرامج والدستور العملي، ويوصيه بالاشتغال بالأذكار والأوراد التوحيديّة والتّهليلية واليونسيّة وغير ذلك.

ومن جُملة دستورات العلاّمة الطباطبائيّ إليه:

التّفكر بالموت، التّفكر في النّفس، قراءة التّسبيحات عند النّوم، السّجدة الطويلة مع ذكر اليونسيّة أربعمائة مرّة على الأقل، المراقبة بتمام معناها، قراءة القرآن بشكلٍ يشعرُ فيه أنّ القارىء هو غيره وأنّه هو المُستمع، قراءة سورة «ص» في ليالي الجمعة، صلاة حضرة الإمام الحجّة في ليالي الجمعة، قراءة مائة مرة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ في ليالي الجمعة وعصرِها، النّوافل الليليّة والنّهاريّة. وحينما قصدَ النّجف الأشرف، كانَ قد أكّد عليه أنْ يرتبطَ هناك بشخصين ويعاشرهما ويختلط متهما، أحدهما المرحوم آية الله العظمى قدوة العلماء والعاملين وعماد الفقهاء الربانيين: الحاج السيّد جمال الدّين الموسويّ الگلبايگانيّ رضوان الله عليه، والآخر المرحوم آية الله سند الأعاظم الفخام وأسوة الصّلحاء الكرام: الحاج الشيخ عباس هاتف القوچاني رحمة الله عليه.

وكذلك بالنّسبة لما يتعلّق بتحصيله العلمي، ونَحوِ ارتباطه بالحوزة العلميّة، فقد حذّره من حضور الإجتماعات بشدّة، أو المشاركة في المجالس غير الضروريّة ولا المفيدة، المتلفة للعمر، والمخالفة لمرضاة الله، وكذلك بالنسبة إلى معاشرة الكمّ الهائل من الأشخاص والإختلاط بهم، سوى عدّة قليلة منهم، وكذلك الدّخول في المسائل المتداولة الرائجة، والغوص في الكثرات الأنفسية والأهواء المغوية، والإنخراط في التكتّلات والتجمّعات، والآراء الدّنيئة المتدنيّة، وكان يقول له:

«انتخب الدّروس المفيدة لك، حتى وإن كان عدد طلابها نزر قليل».

إن من جُملة المعدودين من أعاظم النّجف، ممّن كان بينه وبين العلاّمة الطهرانيّ ارتباطٌ وثيق ومعاشرةٌ مستمرة، الأخلاقيّ الكبير، والعارف النّزيه، والعالم المشهور، مرجع التّقليد: المرحوم آية الله العظمى الحاج السيّد جمال الدين الموسويّ الگلبايگانيّ تَغَمّده الله برحمته.

فمحاوراته ومحادثاته الحِكميّة والعرفانيّة مع هذا الرجل العظيم، أثمرتْ الأثرَ العميقَ والحثيث في تشويقه وتثبيته بالنسبة لهذا المنهج.

وقد بلغَ الأمرُ من شدّة ارتباطه بالمرحوم الگلبايگانيّ وتصادقه معه بشكل محكم ومتين، أنْ صار محطَّ أسراره وخزانة نجواه ومستودعة.

وكثيراً ما اتّفق أنّ كانَ المرحومُ الگلبايگانيّ يلقي على العلاّمة الطهرانيّ من الأسرار الإلهية والمعارف الباطنيّة، وبمجرّد دخول أحد المقربين الغرفة، يقوم فوراً بتغيير الموضوع، ويتظاهران بالأشتغال ببحثِ أحدِ الفروع الفقهيّة.

وكانَ المرحومُ العلاّمة الطهرانيّ يقصُّ حكاياتٍ عديدةً عن ابتلاء المرحوم الگلبايگانيّ بأنواع الشّدائد والمشقّات التي لا تُتحمَّل، وذلك حينما كانَ منزله مجاوراً لمنزلِ المرحوم آية الله السيّد أبو الحسن الأصفهاني، في حال أنّه كلّما كانَ يأتي لزيارته، كان يتلألأ وكأنّه في غاية البهجة والانبساط والسرور، إلى حدٍّ يُخالُ أنّه في بحرٍ من النّعم واللذائذ، فهو مستغرقٌ في الأنوار الجمالية والجلاليّة القاهرة للحق تعالى.

كان يقول (قدس سره):

ذهبتُ ذاتَ يوم لعيادة المرحوم الگلبايگاني، حيثُ كان مريضاً

بالبروستات، فرأيته مستلقياً على الأرض، وقد اشتدّ عليه الألم من رأسه حتّى أخمص قدمه، وفي تلك الفترة كان ابنه طريحَ الفراش أيضاً جرّاء عارض كان قد أصابه، مضافاً إلى ضيقٍ في المعاش، وفقرٍ مدقع ومفرطٍ قدْ حلّ بأهل بيته، والخلاصة، أنّه استقبلنا في وضع حرج! وعندها . . نظرَ المرحوم الگلبايگاني إليّ وضَحِكَ بصوتٍ عالٍ قائلاً: آقا سيّد محمّد حسين! من ليس له عرفان، فلا دنيا له ولا آخرة، أترى حالي الذي أكابده؟ فأنا مسرورٌ، تغمُرني البهجة والسرور، فلا أشعر بأيّ غمّ أصلاً، هل ترى الناس في أيّ مصائب يعيشون وبأيّ مسائل يبتلون!

كذلك بالنسبة لما حدثَ مع المرحوم آية الله العظمى الحاج السيّد عبد الهادي الشيرازي رحمة الله عليه حيثُ كان زميلاً في المباحثة مع المرحوم آية الله السيّد محمّد صادق الحسيني الطهرانيّ والد العلاّمة، فكانت تربطهما رفقة دائمة، ولطالما ينقلُ عن حالاته الروحيّة وفضائله الأخلاقية، إلى الحدّ الذي جعلَ العلاّمة الطهرانيّ يقول مراراً:

بعد وفاة المرحوم السيّد عبد الهادي الشيرازي، لم أعييّن بعده مرجعاً للتقليد.

يقول العلامة الطهرانيّ:

كانت النجف بالنسبة لي الجنّة الموعودة، وهواؤها المحرق في الصيف كالنسيم الربيعي الناعم.

كانَ العلامة الطهرانيّ يقول مراراً:

حينما عزمتُ إلى النجف، وأثناء الزيارة الإعتيادية للسرداب المطهّر لحضرة بقيّة الله الأعظم أرواحنا فداه، التمستُ من حضرته: أنْ لا يكوننّ مآل هذه الهجرة ونتيجة هذه الدروس والبحوث هو المرجعيّة والتصدّي

إلى الفتوى. . أسأل الله أن لا يبقيني إلى زمنٍ أُبتلى فيه بهذه المسائل.

والشيء الملفت هو أنّه في السفر الأخير إلى العتبات المقدّسة في أواخر فترة الحكم البهلوي ومع بداية الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة، ذهبَ إلى الكوفة للتباحثِ مع حضرةِ آية الله الخوئي في مسألة رؤية الهلال، حيثُ كان مشغولاً في أمور المقلّدين والإجابة على أسئلتهم وحلّها، إلى حدّ ليس لديه مجال أبداً للتكلّم والمباحثة في تلك الفترة.

فكان يقول:

خرجت من محضره وتوجّهت قاصداً مسجد الكوفة، وصلّيت ركعتين في مقام أمير المؤمنين عليه السلام، ودعوت الله: أنْ لو كان قدْ قُدِّرَ لي التصدي إلى المرجعية والإفتاء، والتعهّد بزمام أمور الناس. . فَيَا مَنْ بيدِهِ قَلَمُ التقديرِ والبشرى. . ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1]. أرحني بالموت دون الإبتلاءِ بشيءٍ من هذا القبيل.

ثمّ يقول:

في هذه الأثناء، أحسستُ براحة تغمرني، وهدوءٍ قد أحاطَ بجميع وجودي واطمئنانٍ يملأ خاطري إلى حد لا يقبلُ الوصف! فسجدتُ وشكرتُ الله على هذه الموهبة العظيمة.

أجل هؤلاء هم رجالُ الله «أَرادَتْهُمْ الدُّنيا فَلَمْ يُريدوها، وَأَسَرتهُم فَقَدوا أنفُسَهُمْ مِنْها»[2].

وكان يقول:

في تمام مدّة إقامتي في النجف، لمْ أشاركْ في مجالس السادة

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٩.
(٢) نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ١٠: ١٣٣.

المراجع وجلسات العزاء التي يقيمونها في منازلهم، وإنّما كان ارتباطي معهم بحدودِ الدرس والبحثِ والاشتغال بتحصيل العلوم الدينية والمباحثات الرسمية فحسب لا أتعدى ذلك، ومهما كان الأصدقاء يصرون ويلحون عليّ كي أذهب وأشارك في صلاة الجماعة أو مجالس العزاء وأمثال ذلك، لم أكنْ لأوافق.

استفادَ العلاّمة الطهرانيّ مدّة إقامته في النجف من جميع الفرص، بغية التقدّم والرقي في الإتجاهين العلمي والعملي:

أمّا من الناحية العلميّة: فكانَ يُعدُّ الطالب المميّز في كلّ درسٍ من دروسه، وكانَ حريصاً على الإستفادة من كلّ لحظة من أوقاته إلى حدّ الوسوسة، فكان يحسبُ حساباً لكلّ فرصة يمكنه أنْ يطوي من خلالها المراحل العلمية، وبحقٍّ يمكن القول: إنّه لم يضيّع في هذه الفترة ساعة واحدة دون جدوى، فلم يكن لديه أوقات للتحصيل وأوقات للفراغ والتعطيل، فمن كثرة المطالعات والتحقيقات، كان يكتب تقريرات دروسه اليوميّة أيام التعطيل، ومطالعته في هذه الفترة ـ علاوة على الأصول والفقه والرجال ـ كانت تدور حول كتب الحديث، التفسير، العرفان، الفلسفة، التاريخ، الأخلاق والكلام (خاصّه وعامّه). وفي كلّ كتاب يطالعه، كانَ يكتبُ النكات الظريفة واللطيفة، ويدوّنها في دفتر تحت عنوان «الموسوعة»، وقد استمرّ على هذا المنوال إلى آخر عمره، ممّا أثمرَ ما يزيدُ عن العشرين مجلداً من المطالب القيّمة في شتّى العلوم المختلفة.

أمّا من الجهة العمليّة: فكان يقوم يوميّاً ضمن ساعة من ساعات يومه، بالاشتغال بالأذكار والأوراد وزيارة عاشوراء مع اللعن مائة مرة

ومائة سلام. وكان من برنامجه السلوكي التهجّد والإستيقاظ من نصف الليل إلى طلوع الشمس، وكانَ يتعاملُ معها كواجبٍ أكيد. وكان يذهب ليالي الجمعة بشكلٍ أسبوعيّ من النجف إلى مسجد السهلة للمبيت فيه، يقضي الليلة في العبادة والتهجّد حتّى طلوع الشمس.

وفي تمام مدّة السبع سنوات، لمْ تنقطعْ المراسلة بينه وبين العلاّمة الطباطبائيّ، يأخذُ منه الدستورات والمسائل الضروريّة السلوكيّة، فبقيتْ الإرشادات الحياتيّة العطوفة والخالصة رفيقةَ دربه. وكانَ يطالعُ حديثَ عنوان البصري الشريف، مرّتين أسبوعياً، وحتّى آخر حياته كانَ يوصي تلاميذه بذلك.

أمّا أساتذته الحوزويين، فكانت آراؤهم مختلفة فيما يتعلّق بموضوع العرفان والشهود وبلوغ ذروته العليا، فالمرحوم آية الله العظمى الحاج الشيخ حسين الحلّي، مع تأييده لمسلكِ العرفان والتوحيد، والتزامه بإمكانيّة بلوغ عوالم الغيب والشهود، إلاّ أنّه كانَ يَرى نفسه عاجزاً عن الوصول إلى هذا المقام المنيع، وكانتْ له عبارات عديدة تحكي عن صفاء باطنه وحسن سريرته.

وأمّا المرحوم آية الله الحاج الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ، فإنّه كان ينظر إلى العرفاء الشامخين بعين التعظيم والتمجيد وعلوّ الشأن، مثال المرحوم الآخوند الملاّ حسينقلي الهمداني، وتلامذته المبرّزين، وبالأخص المرحوم آية الله الحاج السيّد أحمد الكربلائي والحاج الميرزا علي القاضي الطباطبائيّ، وكان يُبدي علاقة شديدة نحوهم، وللمرحوم العلاّمة الطهرانيّ بياناتٌ عديدة تكشفُ عن مدى عمقِ اعتقاده بعظماء هذه السلسلة.

وأمّا أستاذه الآخر آية الله الحاج السيّد محمود الشاهرودي رحمة الله عليه فقد كان غاية الإنكار ونهاية المواجهة والمعارضة ضدّ أهل العرفان، لوم يَنْأ عن أيّ نحوٍ من أنحاء الردع أو الجرح والتوهين، وبشتّى العبارات.

وأمّا المرحوم آية الله الخوئي رحمة الله عليه فلم يكن لديه أيّ تصريح كما مرّ ذكره أعلاه، لا نفياً ولا إثباتاً، وكان يعبّر عن هذه المسائل بأنّها لا تقدح بالعدالة، وحتّى مع أنّه كانَ خلال مدّة من الزمن في محضر الآية الإلهيّة العظمى، العارف المتفرّد، المرحوم آية الله العظمى الحاج السيّد علي القاضي الطباطبائيّ رضوان الله عليه يَتَلَمّذُ على يديه ويسترشدُ به ويستفيد منه، وقدْ انكشفتْ لديه بعض الحالات، لكن ومع الأسف، وبواسطة بعض الجهات والمسائل قد سُلبَ منه توفيق هذه الرفاقة والمعاشرة، وحُرمَ من هذه النعمة العظمى. نَعَمْ، قدْ جرتْ مباحثاتٌ بينه وبين المرحوم العلاّمة الطهرانيّ فيما يتعلّق بهذه المسائل، إلاّ أنّه لم يتنازلْ عن موقفه حتّى مع البراهين المتقنة والحججِ الواضحة.

أذكرُ في إحدى الليالي، كنّا في منزل المرحوم آية الله الحاج الشيخ مرتضى المطهريّ رحمة الله عليه حيثُ كنّا مدعوّين للإفطار، قالَ المرحومُ العلاّمة بعد الإفطار:

حينما كنتُ في النجف، وبسبب ابتعادي عن الأهواء الباطلة وعدم الإنخراط بالمسائل غير الضروريّة المتلفة للعمر والوقت، والاشتغال بعملي ومزاولة الدرس والبحث، أصبحتُ معروفاً بالتصوف والإعتزال. ولكن حيثُ كنتُ أُعَدُّ طالباً ممتازاً مشاراً إليه بالْبَنان في الدروس، كان المرحوم آية الله الخوئي رحمة الله عليه يذكّرني في بعض الأحيان من باب

الرأفة والنصيحة. وذات ليلة، بعد انتهاءِ مجلس الدرس، قال لي في الطريق أثناء العودة إلى المنزل: آقا سيد محمّد حسين! على الإنسان أنْ يصرفَ وقته في البحث والدرس، دون أنْ يُتلفَ وقته في هذه المسائل (الإشتغال بالأوراد والأذكار والأربعينيات)، فهذه أمور تحصلُ للإنسان من تلقاء نفسها، دون الحاجة إلى الجدّ والجهد وبذل العمر وإتلاف الوقت. نعم، نحن لا نرى أنّ هذه المسائل (العرفان والسلوك) قادحةً للعدالة، لذلك فإن من الأفضل لكَ أن تتركَ هذه الأمور. وبعد ذلك قال السيّد الخوئي: ذاك فلان، كان يشتغل بهذه المسائل، وكان يتردّد على المرحوم آقا السيّد علي القاضي رحمة الله عليه إلاّ أنّ أباه أرسل إليه رسالة حذّره فيها من الإرتباط بأستاذه، وقد وافقَ على ذلك وقطع علاقته مع السيّد علي القاضي ورجع إلى إيران ومسقط رأسه.

وقال العلاّمة الطهراني آنذاك:

قد أجبت السيّد الخوئي وقلت له:

أولاً: ما تقوله من ضرورة أنْ يصرفَ الطالبُ وَقتَهُ في البحث والدرس، دون أن يُتلفَ عمرَه في هكذا مسائل باطلة وعديمة الفائدة، فإنّك تعلمُ أني أقوى طالب في درسك ولا أتساهل أبداً في ذلك. فأينَ؟ ومتى قصّرت في درسي وبحثي حتّى أستحقَ هذه النصائح المشفقة؟!

ثانياً: أنا مستعدٌّ لأباحثك في أي مسألة فرعيّة تختارها أنتَ، كي يتّضح وينكشفَ لكَ من هو أشد تضلّعاً في المسائل الفرعيّة، وكيفيّة تطبيق الكبريات على الصغيرات، ويتضّح من هو الأقوى أنت أم أنا!

ثالثاً: ما تفضّلت به: من أنّ فلاناً كانَ يأتي إلى المرحوم السيّد علي القاضي، ثمّ نهاه أبوه عن ذلك وهو قد ابتعدَ عنه، فأنت تعرف أنّ والدي

متوفّى، وبحمد الله لا يوجد أيّ أحدٍ يمنعني أو يردعني وحينئذٍ، فافعل ما تشاء.

عندها يقول للمرحوم المطهريّ:

الويلُ للحوزة التي تعتبرُ الآيات الإلهيّة العظام والمرأى التامّ لتجلّي رسول الله، وكأنّها محالٌ لبيع اللبن أو قصّاب أو بقّال غير فاسق، فيَرَوْنَ عدالتَه نظيراً لعدالة التجّار! والويلْ للمجتمع الذي يرى أنّ اكتساب الفضائل الأخلاقيّة والاهتمام بالتأسّي برسول الله وأئمة الهدى صلوات الله عليهم أجمعين مجرّد عمل غير قادح بالعدالة! ثمّ هل من المُمكن حصول هذه المسائل من تلقاء نفسها؟ فأيّ كلام سطحيّ وبسيطٍ وأبتر لا أساس له! هيهات هيهات! وألف هيهات! فكم سعَوا حثيثاً! وكم تحمّلوا من المشقّات والصعاب! وكم عاينوا من النكبات والغمّ والبلاء!؟ وأيّ مركوه وسوء تحمّلوه! هلْ مُنحوا الإذن بالدخول بهذه السهولة؟! جَلَّ جَنابُ الربِّ أنْ يَكونَ شَريعَةً لكُلِّ وارِدٍ[1]. ومع كلّ ذلك يقول: تحصلُ هذه المطالب من تلقاءِ نفسها!.

(١) نقلاً عن إشارات ابن سينا، يذكره ابن خلدون في تاريخه الجزء الأول صفحة ٤٧٣، وكذلك الشهيد نور الله التستري في الصوارم المهرقة حيث ينسبه إلى أحد الحكماء، صفحة ٢٦٩.

أساتذته في العلوم المختلفة
وتعرّفه على المرحوم الأنصاريّ

أساتذته في الفقه والأصول هم: المرحوم آية الله العظمى، وحيدُ العصر وفريد الزمان، آقا الحاج الشيخ حسين الحلّي أعلى الله مقامه، والآيتين العلمين: الحاج السيّد أبو القاسم الخوئي والحاج السيّد محمود الشاهرودي رحمة الله عليهما. وقدْ خلّف وراءَه دورات متعدّدة من تقريرات بحوثهم في الأصول، وأبواب البيع وخيارات المكاسب وصلاة الجماعة والإجتهاد والتقليد.

وكذلك فنّ الرجال وصناعة الدراية والحديث، فقد درسها في محضر الفيض والعطاء عند آية الله العظمى، الرجالي الكبير، المرحوم الحاج الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ أعلى الله مقامه يستفادُ منه سبع سنوات متوالية.

في السنوات الثلاث الأخيرة مدّة إقامته في النجف، كانَ المرحومُ آيةُ الحقّ واليقين، ومهبطُ الرضوان، وسندُ العرفان، وترجمانُ القرآن المبين، آيةُ الله العظمى آقا الحاج الشيخ محمّد جواد الأنصاريّ الهمداني رضوان الله عليه قد أتى إلى النجف الأشرف قاصداً زيارة العتبات الشامخة، فكانت البداية في فتح باب المعاشرة والمودّة والإخلاص بينه وبين العلاّمة الطهرانيّ، فأوصاه المرحوم الحاج الشيخ عباس القوچاني،

أنْ من الآنَ فصاعداً عليك بمتابعة أوامر المرحوم الأنصاري والتوجّه إليه ومعاشرته. وقدْ استمرّ هذا الارتباط إلى زمانِ لقائه بحضرةِ الحدّاد رضوان الله عليه بواسطة المراسلات فيما بينهما.

كان المرحوم الأنصاريّ من خلاف هذه الرسائل ينبّهه ويعطيه الدستورات السلوكيّة بشكلٍ مستمر. كالإعراض عن الدنيا، والتوجّه إلى النفس، وضرورة التعامل بشحّ وبخلٍ بالنسبة للوقت والعمر، والإحتراز عن مجالسة علماء السوء وأهل الهوى، وعدم الورود في المجالسِ المملوءة بالضوضاء والضجيج والغوغاء، وكانَ ذلك من الدستورات الأكيدة الثابتة في تلك المدّة.

فكان العلاّمة الطهراني لا يتجاوز في معاشرته ومصاحبته أعلام أهلِ العرفان والسلوك إلى الله ومتميّزيهم، الجامِعِين بينَ الطريقَين الظاهريّ والباطنيّ، ممّن همْ متبحّرون في كلتا الجهتين: الشريعة والطريقة، كالعلاّمة الطباطبائيّ الفيلسوف والحكيم على الإطلاق والعارف الواصل، وكذلك المرحوم آية الله الحاج السيّد جمال الدين الموسويّ الگلبايگانيّ والمرحوم آية الله الحاج الشيخ محمّد جواد الأنصاريّ والمرحوم آية الله السيّد عبد الهادي الشيرازي والمرحوم آية الله الحاج الشيخ عبّاس هاتف القوچاني، وكذلك كانَ بالنسبة إلى بعض تلامذة المرحوم القاضي، ومن طرفٍ آخر، كان لديه علاقة بالأساتذة البارزين الحوزويين في جميع الفنون، ومن مختلف المشارب والآراء، ممّا أوجبَ له حصولَ نضوجٍ وتبلوُرٍ وجامعيّة في مُدركاته وتَبَصّرهِ وتَعَمّقه في جوهرِ التشيع وأصوله، ومنهاجِ حضرةِ المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ومسلكهم، جامعيّةَ متميّزة، تبتني على محوريّة العرفان والحق واليقين، وبلوغ نفس الأمرِ بتمام معنى الكلمة، والعملِ على أساس ذلك، والإلتزام به في مختلف الظروف دون أدنى تسامح أو تهاون أو مجاملة نابعة من الكَثرات الضالّة والمضلّة، وبعيداً عن منافع الأفكار الفاسدة.

التعرّف على المرحوم الحدّاد
والرجوع إلى الوطن بأمرٍ من الأستاذ

في نهاية المطاب، وبعد مرور سبع سنوات من التوطّن في النجف، والاشتغال بالتربية والتهذيب، وبلوغ أعلى المدارج العلميّة والدروسِ الحوزويّة، والحيازة على إجازات الإجتهاد من جهابذة الفن، وفّقَهُ الله تعالى إلى نعمة العطاء والهداية والإتصال بأبرزِ التلامذة العرفانيين للمرحوم القاضي، العارف الكامل والسالك الواصل، سنده العرفاءِ والربّانيين وقدوة الأولياءِ الإلهيين، نابغةِ ميدانِ التوحيد، وفاتحِ قُلل العلماءِ والتجريد، حضرةِ آية الحقّ والعرفان، الحاجّ السيّد هاشم الحداد الموسويّ رضوان الله عليه. ويمكننا إدراك منزلة المرحوم الحدّاد واستنباط مكانته في ظلّ وجود الأعاظم من الأولياء، ومقارنةً مع الفحول من عظماء العرفاء، من خلال الرجوع إلى عبارة المرحوم العلاّمة الطهرانيّ في كتابه النفيس «الروح المجرّد»، حيثُ يذكر في الصفحة ٣١ فيما يتعلّقُ بلقائه مع المرحومِ الحدّاد:

كمْ كانَ مناسباً لحالي المتعب والمتحيّر، المهموم والمتألّمِ طوالَ

السنين المتمادية، أنْ أصلَ إلى منبع الحياةِ ومركزِ عشقِ الذات السرمدية، والذي يشبه غزلَ الخواجا حافظ رضوان الله عليه.

هـر چـنـد پـيـر وخـسـتـه دل و نـاتـوان شـدم

هر گه كه ياد روى تو كردم جوان شدم(١)

فهذا الشخصُ يختلف عن سائر الأولياء والمقرّبين ويفترق عنهم. فهو اللؤلؤ الفريد المكنون في سرادب العزلة والخفاء.. والجوهرُ المتوهّج في بوتقة النسيان والإجمال.. والإكسير الذي إنْ تمسسه تبّدلَ وجودكَ إلى التبرِ الأحمر، والدرّة الباهظة التي تَنثرُ النورَ في قلبِ الشمس.. فهو شيءٌ آخر... كانَ أقوى تلميذٍ سلوكيّ وعرفانيّ عند نادرةِ الدهر: المرحوم السيّد علي القاضي؛ والسالك الواصل العارف، الفاني في الله والباقي بأمر الله.. عالمٌ في جسدٍ واحدٍ.. وكونه ضمن تعيّنٍ واحد.. حائزٌ على جميع مراتب المُلك والملكوت.. وجامعٌ لجميع عوالم الناسوت والجبروت واللاهوت، ومن هنا لمْ يَعُدْ السيّد محمّد حسين ذاك الشخص السابق. فقد حطَّ في عالمٍ آخر، وفتحَ ناظريه متطلعاً إلى أُفقٍ جديد.

وهذه المسألة هي التي توضّحُ حقيقة رؤيته العميقة ونظرته إزاء تحديد المكانة الوجوديّة لأيّ شخص مع الحفاظ على علوِّ مقامه، ورفعة مجده وعظمته وتعاليه الروحي. وعلى هذا الأساس أحكمَ كيفيّة علاقته السلوكيّة بهذا الشخص، وعلى هذا الأساس حدّدَ رتبةَ طاعته له. فقدّ كانَ يَصفُ المرحومَ الشيخَ عبّاس القوچاني بأنّه شخصٌ صادقٌ بعيدٌ عن الهوى، كذلك بياناته فيما يتعلّق بالعلاّمة الطباطبائي وسائرِ أساتذتِهِ السلوكيين طِوالَ مدّة إقامتِ في النّجف.

---

(١) يقول: «مع أني صرتُ هرماً متعباً وضعيفاً لكنّي كلّما أذكرك أعود شاباً نشيطاً».

فالمرحوم آية الله الأنصاريّ قد توفّي، والملفتُ هو أنّ العلاّمة الطهرانيّ مع ما كانَ عليه من الإعتقاد الراسخ بالنسبة إلى المرحوم الأنصاريّ، وعلوّ شأنه ورفعة مقامه، كانَ يُمعن النظرَ في دستوراته الصادرة منه ويتأمّل ويدقّق فيها بشكل دائم، ولطالمَا كانَ يراعي الإحتياطَ في موارد مختلفة، ويعملُ فيها على أساس أنّها أقربُ الطرقِ. وأما بالنسبة للمرحوم الحدّاد فقد كان الأمر بشكل آخر، حيث كان المرحوم الحدّاد ينظرِ العلاّمة الطهرانيّ، إلى حدٍّ لم يكن يرى لنفسه أيّ وجودٍ مقابلَ وجوده، ولكمْ كان يقول:

أنا مقابل الحدّاد صفر!

نعم، إنّ رمزَ مكانة العلاّمة الطهرانيّ وعلامة نُجحه النادرة المتميّزة من بين سائر نجوم سماءِ المعرفة والتجرّد والتوحيد هو هذه المسألة. حيثُ كان في أعلى وأدقّ نقطة من التفكّر والإعتقاد والتعهّد بالنسبة إلى هذه المسألة، وفي غاية الإتقان والإبرام والإحكام على مستوى العمل.

وعلى العموم، فإنّ العلاّمة الطهرانيّ في منتهى الدقّة والإحتياط من حيث إطلاق العناوين والألقاب المختلفة على الأشخاص، وكيفيّة مراعاة تطابقها مع مراتبها المتفاوتة، حسب واقعيّتهم الخارجيّة الحقيقية والنفس الأمريّة، تماماً كدافعه عن حريم الإمامة والولاية؛ حيثُ أنّه يرى حُرمةَ إطلاقِ لفظِ الإمام على غير الإمام المعصوم عليه السلام، وذلك بصورة مطلقة دون ذكر مضافٍ إليه بعده، مثل «الجماعة» أو «الجمعة» أو «المسجد» وغيره. كما أنّه قد صرّح ببيانات متعدّدة وأبحاث عدّة فيما يتعلّقُ بهذه المسألة في المجلّد السابع عشر من «معرفة الإمام». ومِثلُه إطلاقُ لفظِ «أولوا الأمر» على غير المعصومين، أوْ استعمال العناوين المختلفة مثل «عليّ الزمان» أو «حسينُ الزمان»، فكان يرى أنّ كلّ ذلك حرامٌ. كذلكَ

كانَ ينزعجُ ويتضجّر من تشبيه شهداءِ الثورة الإسلامية الإيرانيّة بذريّة حضرةِ سيّدِ الشهداءِ وأبنائه، أو تشبيههم بنفس حضرته، كذلك كان يبدي حزازةَ من التعبير عن واقعة كربلاء ـ كما قد صرّح به بعضُهم واصفاً إيّاها ـ (إنّ شهرَ محرّم هو شهرُ انتصارِ الدم على السيف) حيثُ كان يعتقدُ أنّ هذا الشعارَ عامّ يشتركُ فيه الشيعةُ والمسلمون مع غيرهم، بلْ قدْ يطلقُهُ غيرهم كذلك، وبدلاً منه كان يطرحُ هذا الشعار: محرّم شهرُ انتصار الحق على الباطل. كذلك إطلاقُ لفظ الوليّ على الشخص الذي ما زال لمْ يتجاوزْ مراتبَ الكثرات، ولمْ يحصلْ لديه التبدّل الجوهريّ في حقيقة نفسه وذاته، بواسطة الفناء المحض في ذات الحضرة الأحديّة، ولم يطوِ السفرَ من الخلقِ إلى الحقّ، وعلى العموم، كلّ من لمْ يتحقّق بالبقاء بعد الفناء في ذات الله، فإنّ إطلاقَ لفظِ الوليّ عليه محرمٌ شرعاً.

العلاّمة الطهرانيّ الذي فَقَدَ نفسه في دائرةِ وجودِ حضرة الحدّاد رضوانُ الله عليه وأدركَ أنّ ظهورَ مراتب الأسماءِ والصفات والذات للحضرة الأحديّة، إنّما هي بارقةٌ تلمعُ من مظاهرِ جلواتهِ وكمالهِ. فأصبحَ بتمام شراشر وجوده منقاداً مطيعاً إليه، فَسَدَّ نافذَةَ ورحِهِ عنْ غيره، ولمْ يَنقُشْ على رقعةِ قلبِهِ إلا مقام أستاذه الشامخ، فكلّ وجوده طلبٌ وتمن فذِكرُه على الدوام ذِكراه.. وكلّ وجوده طلبٌ وأمنية، وكانت تجارته المربحة ذكر أستاذه.. ففي رسالة كان قد أرسلها إلى أحد أصدقائه، يذكر في مطلعها مدحاً في حقّ شيخه وأستاذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحُكم وإليه ترجعون.

سلامٌ متوالٍ وتحياةٌ متتالية وتسليمق وافرٌ وأدعيةٌ خالصة لعتبة حضرة الحبيب، الذي اتخذ مكان أفقه المقدّس في القلب، فتصرّف بالكون

والمكان بولايته التامّة، فالوالهون العاشقون غارقون بولههم وحبّهم لسلطان الحفل (والحال أنّه ليس شيئاً سواه).

قد عاينتُ كتابكم المبارك، وبحقّ أقولُ ودُونَ مبالغة أو إغراق، كانَ يحتوي على مطالب حقّة، قد أجراها الله على لسانك وقلبك، وإنّ كان من اللازم أن يقال بادىء بدىء، إنّ هذا التمجيد والتحسين محدودٌ بحدود تفكيرنا، قاصرٌ عن بلوغ قامتِهِ الشامخة، وهذه الأفكار إنّما هي على قدر عقولنا، دون أن تحيطَ ببحر فضله، فمن الخطأ وزن ماء البحر بالمكيال، وغير سديدٍ تحديدُ أمواج الرياح العاتية بغربال مطوّق، أو منديل محدّد.

وإنّ قميصاً خيطَ من نسجِ تسعةٍ
وعشرين حرفاً عن معاليه قاصر[1]

فآلاف الشكر والمنّة أن جعلنا من جملة مريديه، ضمن زمرة المتلهّفين لجماله، الوالهين إلى حريم عتبته وبلاطه، والحال أنّنا لا نليق بكلّ ذلك، فالثّمنُ معدوم ومفقود، والمثمّنُ مطلقٌ غير محدود.

بهر طرف كه نگاه مي كنم تو در نظرى
چرا كه بهر تو جز ديده جايگاهى نيست[2]

أمرَ المرحومُ الحدادُ العلاّمةَ الطهرانيّ بالعودة إلى إيران والرجوع إلى حضرةِ آية الله الأنصاريّ، فأطاعَ أمرَ أستاذه دونَ أدنى مكثٍ أو تأمّل حتّى ولو للحظة واحدة، فعادَ متّجهاً إلى إيران مصطحباً معه عائلته،

---

(١) يقول: «إنّ جميعَ المعاني لو نُسجت في عباءة تحتوي على جميع الدلالات والمحسّنات لكانت قاصرة عن تأدية مقامك الرفيع الشأن».

(٢) يقول: «في كلّ جهة أنظرُ وأعاين، أراكَ أمامي، لماذا لا يبقى في ناظري إلا مكان رؤيتك».

وَشَرَعَ بإقامةِ الجماعةِ في مسجدِ القائمِ في طهران في ظلّ أوامر المرحوم الأنصاريّ وتعاليمه، مداوماً على الوعظ والإرشاد وإقامة الجلسات الأسبوعيّة المتنقّلة.

سُئلَ العلاّمة الطهرانيّ يوماً:

هلْ كانَ رجوعُكُم إلى إيران لأجلِ هدايةِ سالكي طريقِ الله وإرشادهم، وتربية النفوس المستعدّة؟ ثمّ ألمْ يكنْ لعودتكم ثمرةٌ وفائدةٌ لكمْ شخصياً؟

فأجاب:

إنّ أوامر الأولياء الإلهيين تقعُ في الدرجة الأولى في طريق إحراز المصلحة لنفس الإنسان، مضافاً إلى النفع الذي يناله الآخرون ويصلُ إليهم وينتفعون به ويستفيدون منه.

وبعدَ بضع سنين ينتقلُ المرحوم الأنصاريّ إلى رحمة الله، ويصبحُ العلاّمة الطهرانيّ خاضعاً لأوامر المرحوم الحدّاد ودستوراته السلوكيّة والإجتماعية والأخلاقيّة بشكلٍ تام. والتزاماً بأوامرِ أستاذه وتحقيقاً لإرادته، أصبحَ المسؤول عن رعاية شؤون مسجد القائم والمتصدّي لها، ومن حينها وقعَ عُرضة للمشاكل المختلفة، تحتَ نيرِ ألسنة النمّامين والمخرّبين المتصدّين للمسجد. فلذلك، كان في سجالٍ دائمٍ ونزاعٍ حادّ معهم.

أمّا من حيث جدّيته في تربية أحداث السن المستعدّين، وتعهّده فتيانَ السلوك، فقد كانَ قويّاً ثابتاً إلى حدّ لم تكن جميعُ تلك المصائب والمنغّصات لتؤثّر على روحيّته المرهفة، ولمْ يكنْ ليدَعَ عِبأ هذه الهموم تؤثّرُ على سكونه وهدوئه. يقول في يوم من الأيّام:

أُقسمُ بالله أنّي طِوالَ مدّة الاثنتين والعشرين سنة التي قضيتها في طهران، لم أبقَ فيها باختيار ولا للحظة واحدة، ولم أستمرّ طبقاً لرغبتي وميلي! ولو لم يكن أمراً صادراً من أستاذي، لكان من المستحيل أن أرجع إلى إيران وأسكن في طهران وأتصدّى لهذه المسائل.

وكان يقول مراراً:

أقول بيني وبين الله: قد أتّفق لي مشاكل ومصائب خلال ارتباطي بهذه المسائل، لم أذكرها لأحدٍ إلى حدّ الآن، ولم يطّلع عليها أحدٌ إلا الله.

وفي كثير من أيّام فصل الشتاء وبرده القارص، حيث تكونُ الأرض مغطّاةً بالثّلوج الجليديّة وبشكلٍ غريبٍ عجيبٍ في ذاك الزمان في طهران، كانَ يذهبُ ماشياً من منزله الواقع في شارع «آهنگ» إلى مسجد القائم ويرجع ماشياً (وذلك مع ملاحظة أنّ المسافة تقارب الفرسخ)، ثمّ يتوجّه ثانية لصلاتي المغرب والعشاء مشياً على قدميه ذهاباً وإياباً، كلّ ذلك مع ما كان عليه من الإبتلاء بمرض الروماتيزم في المفاصل، وكان يقول:

في كثيرٍ من الليالي كنت أظلُّ مستيقظاً حتّى الصباح بسبب الألم الناتج من الذهاب والإياب، وكنت أضعُ قدمَي على «المنقل» حتّى تدفأ ويخفّ ألمها.

فكانت هذه القدرة الروحيّة واهتمامه بامتثالِ أمرِ الأستاذ إلى الحدّ الذي يستوعب كلّ وجوده، فمع كونه غير مسرورٍ بتولّيه هذه المسؤولية إلاّ أنّه كانَ يتعهّدها إلى هذا الحدّ! فقد كان يتحمّل المشقّة ويقوم بما لا يطاق بغية أداء أمر الأستاذ والالتزام بأمره.

وأمّا فيما يتعلّق بجلساته أيّام الجمعة، فقد كانت بياناته وإرشاداته تتمحور حولَ المسائلَ الأخلاقيّة والإجتماعيّة، ولزوم إعادة النظر في

المجالات المختلفة للطروحات الفكريّة الإسلامية، وبناء الحكومة العادلة وإرساء دعائم النظام الإسلامي، ونفخ روح الحياة في الجسد الميّت للأمّة الإسلاميّة، فكانت جلساته تبعثُ اليقظة والحياة، وكلّ من كانَ يشارك في تلك الجلسات كان حاله يتبدّل ويرى أنّه قدْ بلغ مراده! وسرعانَ ما كان يعتنق نهجه، وينضمّ إلى دائرة نشاطه.

كانَ العلاّمة الطهرانيّ يعتقدُ بعدم جدوى أيّة مبادرة سياسية غير نابعةٍ من تحوّلٍ ثقافيّ وتغيّر في الأذهان الخاملة والمغفّلة للأمّة الإسلاميّة. ومن جانب آخر، كانَ لا يلتزمُ بضرورة انحصار هذا التحوّل العظيم بظروفٍ خاصّة أو دائرةٍ معيّنة.

تتركّز طريقة العلاّمة الطهرانيّ في التربية حول الإتجاه نحو التوحيد فقط، ولم يكن يستحسن طريق بعض العلماء كالمرحوم آية الله الحاج الشيخ حسين علي النخودكي الأصفهاني أعلى الله مقامه، الذي كان يستفيد من قراءة الأذكار والأدعية فضلاً عن بعض التصرفات، لشفاء المرضى ورفع المشاكل ومساعدة المحتاجين. وكان يقول:

على العارف أن لا يسعى وراء تغيير مشيئة الحق تعالى المتنزّلة في جميع مراتب الظهور والمظاهر المختلفة، وعليه أنْ لا يضعَ نفسه باختيار عوام الناس ويعمل بناء على ما تمليه ميولهم وأهواؤهم، حيث يتحركون غالباً بدافع عقولهم الضعيفة والناقصة، مخالفين المشيئة والمصلحة الحكيمة اللامتناهية لذات الحقّ تعالى. والحال أنّه لا فرق بين أن يُقدّر الله شفاء هذا المريض أو موته، فكلاهما واحد.

وكان العلاّمة الطهرانيّ كأستاذه في مسألة التوحيد، لم يكن يرتضي أبداً أن يُبدّل مسألة التوحيد بأيّ أمر آخر مهما كان الثمن، وحيثُ كان

يرى حقيقة الولاية بالحمل الشائع هي عين واقعيّة التوحيد، وأنّ حقيقة التوحيد الخالص متجلّية في شخص المعصوم عليه السلام، جعل محوريّة تربيته السلوكيّة لتلاميذه قائمة على أساس معرفة حقيقة الإمام عليه السلام وإدراك واقعيّته، والتحقّق بحقيقة ولايته، كما قال العارف العظيم الشأن، ابن الفارض المصري:

عَلَيْكَ بِهـا صِرْفاً وإنْ شِئْتَ مَزجَها

فَعَدْلُكَ عَن ظَلْمِ الحبيبِ هُوَ الظُّلْمُ[1]

(أي عليك أن تدرك حقيقة ذات الأحد ومبدأ الوجود مباشرة، وإذا أردت أن تمزج هذه الحقيقة بمظهر من مظاهر التعيّن، فلا ينبغي لك أن تتنازل عن رضاب فم الحبيب وتتوجّه إلى غيره).

يقول المرحوم السيّد القاضي:

إنّ المقصود من لُعاب فمِ الحبيب هنا هم الأئمّة المعصومون عليهم السلام.

وكان العلاّمة الطهرانيّ في صيف كلّ سنة، يشدُّ الرحال قاصداً زيارة عتبة حضرة علي بن موسى الرضا في مشهد المقدسة، وفي إحدى تلك السنوات التي كان قدْ مشهد المقدسة، وفي إحدى تلك السوات التي كان قدْ تشرّف فيها المرحوم العلاّمة الطباطبائيّ والمرحوم الشهيد آية الله مرتضى المطهريّ بالزيارة أيضاً، قال له آية الله المطهريّ: قرّرنا والعلاّمة الطباطبائيّ الذهاب إلى سبزوار لزيارة المرحوم الحاج السبزواريّ[2]، فإذا كانت لديك رغبة في رفقتنا تفضّل معنا. فأتى العلاّمة الطهرانيّ بعذرٍ وأظهر عدمَ رغبته في الذهاب، فذهب هذان العالمان لزيارة المرحوم

(١) ديوان ابن الفارض، قافية «الميم».
(٢) أي قبر الحاجّ السبزواريّ رحمه الله. (المترجم).

الحكيم السبزواريّ، وبعد ذلك قال المرحوم العلاّمة الطهرانيّ:

كيفَ يمكنُ لزائر الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، أنْ يصرف وقته في زيارة أمثال الحاج السبزواريّ؟ فالآلاف من أمثال الحاج السبزواريّ وغيره مندكّون وفانون في الولاية المطلقة للإمام، ومستفيضون من بحار الفيوضات اللامتناهية لذاك الظهور السرمدي الأتمّ، أليس مؤسفاً أنْ يصرفَ الإنسانُ توجّهه عن ساحة الملائكة الصافّين إلى أحد المقتاتين على فتات موائدهم كالحكيم السبزواريّ وغيره!.

وكان يقول:

إنّ أولئك الذين يأتون لزيارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بالسيّارة، عليهم أن لا يقصدوا زيارة أحد مِن العلماء العظام في طريقهم، أمثال بايزيد البسطاميّ والشيخ أبو الحسن الخرقاني والشيخ فريد الدين العطّار في نيشابور، والحكيم السبزواري في سبزوار، وذلك لأنّ زائر علي بن موسى الرضا يجب أن يتوجّه فقط وفقط إلى شخص الإمام، ويغضّ الطرفَ عن كلّ أحدٍ سواه، فإنّهم جميعاً فانون في ذاته وولايته عليه السلام، هذا فضلاً عن أنّ زيارة علي بن موسى الرضا موجبة للثواب الأكثر بآلاف المرّات من زيارة المزارات الموجودة على طريق الزائر.

إنّ العرفان في مدرسة العلاّمة الطهرانيّ قائمٌ على أساس البرهان واليقين، وهذان شرطان أساسيّان لصحّة الطريق واستقامة مسير السالك. كانَ يسعى دائماً لإثبات صحّة طريق أستاذه السيّد الحدّاد بالموازين العقليّة والشرعيّة، وكان يتجنّب دعاوى الصوفيّين الفارغة، والخالية عن المضمون، والمفتقرة إلى العلم والبرهان.

يتّسعُ عرفان العلاّمة الطهرانيّ لجميع النفوس البشريّة؛ العالم

والجاهل، المسلم وغير المسلم، الحكيم والفقيه، الطبيب والكاسب، فقد جعل هؤلاء جميعاً مُلزمين بقبول هذا العرفان. فلا مجال في مدرسته لـ«هرچه ديدى دم مزن ـ عيش ما بر هم مزن»، «بنده چه دعوى كند حكم خداوند است»، «شرط، تسليم است ني راه دراز».

(لا تتفوّهنّ بكلمة عمّا رأيت، ولا تنغّص علينا عيشنا)، (فالحكم لله وليس للعبد من الأمر شيء)، (فالشرط الأساسي هو التسليم، لا طول مدّة السير).

ففي مدرسة العلامة الطهرانيّ لا مجال لالتزام الصمت وإظهار السكون وإطراق الرؤوس وثنيها إلى الصدور، وإحالة الصحّة على الحكم الخاطىء والمخالف، وعدم الرؤيّة وعدم التدقيق، والوقوع في توجيه الأفعال المحرّمة المشينة، وتنزيل أعمال الأناس العاديين منزلة ما يصدرُ عن العصمة الذاتية لرسول الله والأئمّة الأطهار، وإيقاع الخلق الحيارى في شراك الغواية والضلال.

في عرفان العلاّمة الطهرانيّ ـ وكما هو واضح من كتبه المدوّنة ـ ينحصرُ الميزان القيمي بالنسبة إلى صحّة أو عدم صحّة مسير السالك، بخصوصِ الموازين الحكميّة والعقليّة والشرعيّة المسلّمة من مصدر الوحي، دون الإعتماد على المنامات والمكاشفات والتخيّلات الموهومة، فلا يحصد السالك منها سوى الوقوع في المهالك وشباك الأبالسة والإنحراف عن مسير الحقّ.

الفهرس

سيرة حياة العالم الرباني
السيد محمد حسين الطباطبائي التبريزي (قدس سره)

حياة العارف السيّد

عبد الكريم الكشميري (قدس سره)

سيرة العارف السالك

العالم الرباني المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني (قدّس سرّه) وكراماته

سيرة العارف الشيخ آية الله العارف

الشيخ محمد البهادي(قدس سره)

سيرة العارف المرحوم

سيد حسن المسقطي (قدس سره)

سيرة العارف الشهيد

آية الله الحاج الميرزا

جواد ملكي التبريزي (قدس سره)

آية الله العظمى

السيد محمد مهدي بحر العلوم

سيرة العارف الكامل
السيّد علي الشوشتري (قدس سره)

سيرة العارف الجليل
الشيخ حسينقلي الحمداني (قدس سره)

ترجمة السيد
جمال الدين الأسد آبادي (قدس سره)

سيرة جمال السالكين
السيد أحمد الكربلائي (قدس سره)

سيرة العارف الكامل
آية الله الشاه آبادي (قدس سره)

سيرة العارف الكامل
صاحب الكشف الحقيقي السيد حيدر الآملي

سيرة آية الله العارف
السيد محمد حسين الحسيني الطهراني (قدس سره)